هل العرب والعبرانيون والسريان منسوبون إلى اللسان أم اللسان منسوبٌ إليهم؟



رَبَضُ المِحْبَرة



تأليف / أبي سهيل
عمر بن عبد الله العُمَري

الطبعة الأولى
١٤٤٥ هـ

رَبَــضُ المِحـْبَــرة

تأليف أبي سهيل

عمر بن عبد الله العُمَري

الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العُمري ، عمر بن عبدالله
ربـــضُ المحـــبَـرة . / عمر بن عبدالله العُمري - ط١ . -
عنيزة ، ١٤٤٥هـ

٤٧٤ ص ؛ ١٧*٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٧٣٦٨-٧

١- اللغة - بحوث أ.العنوان

ديوي ٤٠٠.٧٢ ١٤٤٥/٢٥٩٥

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٢٥٩٥
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٧٣٦٨-٧

(ملاحظة): لا يتم طباعة الجزء الأسفل مع بطاقة الفهرسة

تأمل مكتبة الملك فهد الوطنية تطبيق ما ورد في نظام الإيداع بشكل معياري موحد ، و من هنا يتطلب تصوير الجزء الأعلى بالأبعاد المقننة نفسها خلف صفحة العنوان الداخلية للكتاب ، كما يجب طباعة الرقم الدولي المعياري ردمك مرة أخرى على الجزء السفلي الأيسر من الغلاف الخلفي الخارجي .
و ضرورة ايداع نسختين من العمل في مكتبة الملك فهد الوطنية فور الانتهاء من طباعته، بالاضافة الى ايداع نسخة الكترونية من العمل مخزنة على قرص مدمج (CD) وشكرا ...

وكلُّ كتابٍ مهما بالغَ صاحبُه في الإتقان فلن يسلمَ من النقص؛ فالكمال في الكتب اختص الله به كتابه الذي جاء من عنده؛﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾النساء ٧٢ فستجد اختلافًا معك في الرأي وستجد اختلافًا في مسار التعبير ومنهج الاستدلال، فغضَّ طرفك عن هفواتٍ كُتبتْ على ولدآدم مالم تكن هفوةً خالفت المقطوع به فخذ بالمقطوع ودعني وعلمي؛ وإن أحببت أن تسلكَ الإنصاف فقس ما بين يديك بما هومن فنه من كلام البشرفلن تعدم ـإن شاء الله ـ نادرةً اختصَّ بها كتابي.

أبو سهيل

المقدمة

أحمدك ربي حمدًا طيبًا مباركًا التمسُ به رضاك واستلهمُك رشدي ؛ وأعوذُ بك من أن تكلَني إلى نفسي أو إلى أحدٍ من خلقك طرفةَ عين , وأسألُك أن تجعلَ التوفيقَ والإخلاص دثاري وشعاري؛ وأصلِّي وأسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

ربي اجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين , وهب لي نورًا يعصمُ قلمي من الباطل ويعصم عقلي من الاستنكاف عن الحق وأعذني من البخل في علمٍ وهبتَه لي وأعذني من كسلٍ يُقعِدُني عن السعي فيما يرضيك ؛ وأسألك الفرح بفضلك ورحمتك وأعوذ بك من أن أفرح معجبًا بعملي.

أمابعد. فهذه أخلاطُ حروفٍ جرى بها القلم في أزمنةٍ من عمر أخيك لا يجمعها غرض؛ إلا أنها من كنانةٍ واحدة؛ سميتُها (رَبَضَ المِحْبَرة) تفاؤلاً بقوله صلى الله عليه وسلم: (أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ لمَن تَرَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا) وربضُ الجنة هو نواحِيها وأطرافُها جعلني الله وإياك من أهلها .

قال ابن دريد رحمه الله في الجمهرة.ص٣١٤: (وربَّضَ الرجل الأمر إذا وطَّأه, ورَبَضُ الرجلِ أهلُه ومنزلُه؛ قال الأصمعي وبه سُمِّي ربض المدينة وأنشد(بسيط)

جاء الشتاء ولمَّا اتخذ رَبَضًا   يا ويح كَفيَّ من حَفْرِ القراميص

وهي حفيرةٌ يحفرها الرجل في الأرض ليستكنَ بها من البرد واحدها قُرْمُوص.

وما بين يديك من حروف هو من رَبَضِ المحبرة أي من حواشيها وما يحيط بها وهو طلٌ تقاطرت حروفه وأفكاره على حواشي المحبرة ؛ ألُمُّ شعثه بين هاتين الدفتين .

فصحَّ مني العزم على جمع ما افترق ، مؤملاً أن تجدَ فيه ما تقرُّبه عينك ويأنسُ به عقلُك ؛ويكونُ فيه دفعٌ لسآمةٍ طافت بك ورفعٌ لكلالٍ يعتريك مما كتبه الله على ولد آدم؛ فتتنسم من هذا الربض شمةَ بيان ؛ أو تأخذَ رشفةَ حكمة؛ أو ثمرةَ تجرِبة؛ أو ومضةً تفتح لك مغلقًا من أبواب العلم فيسخو قلمك وتتقاطر حروفك من حيث لا تحتسب.

وقد رأيت بعضهم يلمُّ شعث كتاباته بعد أن يكونَ نشرها في مجلةٍ أو صحيفة أو ألقاها في محاضرة ؛ثم يؤلف بينها في كتابٍ مستقل؛ وقد رأيت من هذه المقالات درجاتٍ متباينة فمنها ما يكون حديثًا عن شأنٍ يوميٍ عابر ينتهي أثره بعمرٍ قصير؛ ومنها ما يكون بحوثًا مؤصلة مدعومة بمصادر ومراجع ؛ ويظهر فيه أثرُ التحبير ومشقةُ البحث, ومنها ما هو خلاف هذا وذاك؛ وأما مجموعي هذا الذي سميته : « رَبَض المحبرة » فلم ينشر بصحيفة ولم يُقرأ بمجلة وإنما هو ضربٌ آخر ؛ حيث كنتُ أكتبُ بعضَ الخواطر ثم

أنحيها حتى إذا اجتمع لدي ما بين يدك لمته هنا.

ومما جرى في المقدمات أن يبيِّنَ المؤلفُ أنَّ كتابَه هذا جاء مكملاً قصورًا رآه المؤلف؛ أو تصويبَ خطأٍ جرى في هذا العلم على من قبله؛ هذا حين يكون التأليف في بابٍ من أبواب العلم، لكنَّ الفن الذي بين يد يك لا يتوخَّى علمًا بعينه، وإنما هذا كما قلتُ لك من قبل بأنه أخلاطٌ ودفائن من فنونٍ شتى.

والعيش مع العلم النافع هو من الحياة الطيبة التي يكرم الله بها عباده فحين تُمْسكُ الكتاب بيدك وترميه ببصرك فكأنك تجالس عالمًا غبرت بينك وبينه سنون ونأى بينكما المكان وتقطَّعت بينكما سبل المشاهدة؛ وتجدُ طيبَ رائحته وترى ابتسامته حين يُحرِز حقيقةً عزَّ منالُها؛ فترى تحدَّرَ عرقه وهو يدمي عقبه متتبعًا مساقط العلم ومنابت الحكمة.

العناية بالبيان والهداية إليه من غايات هذا الربض وهي غايةٌ تستحق إدماءَ الأعقاب وظمأَ الهواجر؛ فالإفصاح عن الحاجة والمكنون بحرفٍ آخذ وبيانٍ مبين يستطيع أن يستميلَ السامع ويُسرعَ في بلوغ المرجو ويأخذَ باللب ويغريَ بقضاءِ المطلوب ؛ وكم من حقٍ أضاعه أو أضعفه سقوطُ بيانه أو نقصُه وكم من باطلٍ غرَّ بيانه سامعيه وأخذهم إلى اعتقاده وتبنيه؛ وصدق صلى الله عليه وسلم حين قال: (إنما أنا بشر وانكم تختصمون إلي ولعل بعضَكم أن يكونَ ألحنَ بحجته من بعض؛ فاقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطعُ له قطعةً من النار)

ومنهج التأليف بالمُقيَّدات سنةٌ جرت بها الأقلام من ضم إلفٍ إلى إلف لتستويَ بعد ذلك بين يديك ـ بإذن الله ـ مائدةٌ فيها إلقاحُ تجربة أوطرافةُ حادثة أو زيادةُ فصاحةٍ وبيان أو ولادةٌ لخاطر.

وقد ذكر علي بن محمد العمران في مقدمة تحقيقه لكتاب(بدائع الفوائد) لا بن القيم ـ رحمه الله أمثلةً لأسماء كان يسمِّي المُقيِّد بها كتابه : (يجمعون تلك المقيَّدات في دواوين , لهم في تسميتها مسالك فتُسمَّى بـ « الفوائد » أو « التذكرة » أو « الزنبيل » أو « الكنَّاش « أو « المخلاة » أو « الفنون (أو) السفينة « أو الكشكول » وغيرها) وأضيف على هذه الاسماء: [صيد الخاطر] [فيض الخاطر] [خواطر مرسلة] [تجارب] [مشاهدات] [جؤنة العطار]

وأنا أحمد الله أني هُديتُ إلى هذا الاسم من غيرِ أن أُقلِّد فيه ـ حسب علمي ـ سابقًا ؛ ولم اختره بعد مدارسة لهذه الأسماء وإنما هو اسمٌ وقع لي ابتداءً وانقذف في خاطري فقذفه إلى قلمي, أسأل الله أن ينفع به؛ وقد ذكرتُ تعليلَ هذه التسمية وكيف وقعت لي قبل قليل.

ومنهم من يقول: مَحْبَرة بفتح الميم, ولكني اخترت المِحبرة بالكسر مُعوِّلا على ما عنيت وأردت ؛ فهي بقصدي اسمُ آلة على وزن مِفعلة كـ مِكنسة, مِحمصة ونحوهما؛ وما رميت إليه هو وعاء الحبر الذي يُسقى منه القلم.

ومن تجارب القراءة أقول : قد يتغلب الإحساس بالفرح أو الإحساس بالمرارة والألم على ما يملكه الإنسان من أدوات البيان؛ فتأتي عبارته بليغةً مؤثرة لأنها قيلت أو كُتبت بصدق وإن كانت بضاعته البيانيةُ أقلَّ.

هذا ومما اعتدته أن أضعَ في مقدمة مؤلفاتي ما أرى أنَّ له فائدة وإن كان بعيدًا عن الموضوع, ولا سيما أنَّ هذا الرَبَض ليس ذا موضوعٍ محدد, فمن هنا أقول : إنه سيأتي بعدزمنٍ أناسٌ يعتدون بقولك ويعوِّلون على رأيك فيقولون ورد عند فلان الذي هو أنت في كتابه كذا أنه يقول كذا فدوِّن ما يسرك أن تراه في صحيفة أعمالك ؛ ولا تكتب ما يستعين به أهل الباطل على باطلهم أو يستعينون به على رد حق.

في بحوثك ودراساتك قد يأتي عليك استغلاق الفهم من سهولة ما حاولتَ فهمه ومدارسته ؛ وهذا من العجب؛ ذلك أنَّك قد تدخل على مبحثِ علمٍ وقع في خاطرك أنه ذو شعب وأنه متراحب الأرجاء، وقد تؤتى من عنوان البحث الذي عزمت الدخول عليه، أو من هيبةٍ وقعت في نفسك لكاتبه, وبعض هذا وقع لي ، فتعدُّ له من العُدةِ ما تقدِّرُ أنه يستحقُها وقد يركبك همٌ مقلق؛ثم يفجأك البحث بعد قراءته برداءته وبوردته وسوء عرضه ورخاوة تناوله للفكرة التي يعالجها وسوء عرضه وضعف دليله وفوات الرأي عليه بالا ستدلال فيقع الدليل على غير ما يدلُّ عليه؛ ولم تستطع مبدأ أمرك أن تعزوَ السبب ,فيستغلق عليك فهمه لا لصعوبته ولا لبعد غوره ؛ ولكنك وجدته حين دخلت عليه أقلَّ مما قدرته في ذهنك ؛ فيستبعد ظنك فهمك الأول، حتى إذا كررت قراءته وجدت أنك أُتيتَ من سهولته ورداءته ومن أنَّك أعطيت الكاتب أو المكتوب أكثرَ مما يستحق، وأنَّك أكبرتَ منزلته في نفسك

فلما رميته ببصيرتك وانكشفت لك دخيلته هان أمره وذلّ قياده.

أقول هذا ثمرةً مما وقع علي ؛ فقد دخلت على أحد المباحث التي تتحدث عن وصف اللغة العربية بأنه أمُّ اللغات ، فراقني العنوان لأنه صادف هوى في النفس ؛ وقلت لعله يقطع بالدليل لهذا الوصف للعربية، ولكني حين بدأت أقرأ اضطرب علي الأمر وشوش الذهن، وإذا هو برقٌ خُلَّب , إذ وجدتُ الأمر يجري بدليل جامح عن الحقيقة فاختلط الأمر على الكاتب ودفعه الهوى فهوى به في مكانٍ سحيق ؛ فلا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى؛ فلا هو ترك الأمر لأهله ،ولا هو دخل مدخل صدق ولا خرج مخرج صدق، فبدأ يعتسف الدليل ,ويخبط في أمره، فانقلب ما راقني منه إلى عيفٍ عائف.

ومن هذا ومما أضيف الآن تسليةً لمن كان على مثل ما أنا عليه ذلك أنَّ خاطرًا لا يكاد يفارقني منذ بدأت بالتأليف ؛وذاك أني كلما أنهيت كتابًا ودفعته للمطبعة وبدأتُ خطواته إلى القراء؛ ركبني همٌّ يدفعني إلى المزيد بالتأليف ويزهّدني بما قدمتُ من كتب؛ وهو خاطريثقُل عليَّ كثيرًا؛ فأنا لا أرى سبيلاً للراحة في الكتابة إلا حين يكون القلم باحثًا في كتابٍ جديد؛ فلا بد في منهجي أن يكون كلُّ كتابٍ أخرجه رحمًا لكتابٍ آخر وهكذا؛ فأنا أكثر ما يأخذ ني الأنس بالكتابة عندما يكون القلم منغمسًا في كتابة كتابٍ جديد، وأطارد دليل حقيقةٍ أحببتُ الكتابة عنها؛ أكتب هذا مع أني لا أعرف أهو خاطرُ دفع إلى الخير أم هو خاطرُ تثقيلٍ على النفس فهو من باب تحميلها مالا تطيق؛ أو هو خاطر

يدفعني إلى المزيد ؛ فأنا أجهد نفسي وأبالغُ في محاسبتها وإشعارها بالتقصير وأنها لَمَّا تصل بعدُ إلى الغاية التي تسكن إليها النفس؛ وهي سكينةٌ أسأل الله أن يمتلأ منها قلبي قبل الرحيل ؛ ومع هذا فأنا حين أجد خاطرًا يصلح أن يكون مشروعَ كتاب فلا أسرع للتسليم مع أول ما ينقذف في الذهن بل أُقيد فكرته ؛ ثم أدعه وأعاود الرجوع إليه فإن آنستْ منه نفسي انجذابًا خطوتُ على مهل ؛ فإن استدرجني من غير تكلفٍ درجت؛وإلا وقفتُ وتناسيتُ هذا الخاطر؛ وعاودتُ ركوب الانتظار.

وبعد أن أكتبَ ما أكتب عن هذا الخاطر رأيته يأتي على غيري فقد قرأت حرفًا لمحمود شاكر - رحمه الله - في المقالة الثانية والعشرين من كتاب» أباطيل وأسمار» (... وكم من كاتب في هذه الأرض، على اختلاف ألسنةِ أهلها، قضى عمره يستصفي للناس عصارة تجاربه في كلمات، ثم يخرج من الدنيا وكأنه لم يقل شيئًا ولم يكتب شيئًا ، ثم يأتي على الناس زمانٌ فيجدونه قد أبرأ ذمته ، وأدى للناس أقضى حقهم عليه)

أكتب عن نفسي هذه الخاطرة عن هذا الخاطر لأني لم أحسَّ حتى الآن أني قد أديت ما علي ؛ قد يكون الأمر على خلاف ذلك وقد أكون أديت ولكن لشدة الصَّلي الذي أصطلي به أفضيتُ لك بما قرأت.

و أنافي جميع ما ألفتُ من كتب لم أنل منها ربحًا ولا قريبًا مما كلفنيه الكتاب من مال وإنما أدفعه إلى المكتبات لعرضه على القراء ؛ وأضعه في مواقع إلكترونية ؛ ومن لطائف ربي التي رأيتها عن كتبي أنَّ الله يسخِّر لها من ينقلها من موقعٍ إلى الكتروني إلى موقعٍ آخر ؛ ومنها ما رأيت عنايةً به أكثر مما عملته أنا في الكتاب؛ ومن كتبي ـ ولله الحمد ـ ما سخَّر الله له من يقتنيه لنفسه ويهدي نسخًا منه إلى من يرى ؛ثم إني أكتب هذه الحروف لعل فيها سلوى لمن أهمَّه ما أهمني.

ومما رأيت أنَّ هناك مؤلفين حين تقرأ لهم أو تسمع منهم فإنَّك تقول: إنَّ حظه من الشهرة أوفى من حظه من العلم, وذلك أنَّك تقرأ وتقرأ فلا تجد ثمنًا علميًا يوفِّي شهرة المؤلف الذي طار به صيت جاهه أو منصبه.

رأيت أن أضعَ بين هذا الربض مجموعةً من فرائد الفوائد هي فرائد من قَنَصِ القلم حين يطوف بين مرابع الكتب ورياحين العلماء؛ أوهي من تجاربَ عمرتْ أطرافًا من حياتي.

ومن العادات التي استحسنتُها ورأيتُ ثمرتها وأريد أن أنقلها إليك, أني أضع تعليقاتٍ على بعض الكتب التي أقرأها وقد جمعت لك طرفًا منها هنا ,و ستجد أنَّ تعليقًا على كتاب يسبق تعليقًا هو في صفحةٍ قبله؛ وذلك أني أقرأ الكتاب أكثر من مرة فيظهر لي في اللاحقة ما لا يظهر في الأولى فأقيده؛ وحين عزمت على جمع هذه التعليقات في كتاب لم ألتفت إلى موقع الصفحة

وإنما أنقله حسب ما هو موجودٌ على صفحة التعليق التي جعلتها على غلاف الكتاب وما يليه من صفحات؛ وقد استجزت هذا لأنه لا أثر له في حقيقةٍ علمية.

وقد رأيت في بعض الكتب أنَّ المؤلف يتعرض لأمر ثم يترك التفصيل فيه تعويلاً على أنه ذكره في موقعٍ آخر من كتابه الفلاني، وهذا منهجٌ فيه صواب وخطأ, وقد يذهب خطأه بصوابه؛ لهذا رأيتُ ـ إن كان من المفيد للقارئ ـ أن أعيد ما ذكرته في موقع آخر من كتبي إن جدتْ له مناسبة؛ فمناط الأمر على الفائدة المتوخاة.

منذ كنت فتى وأنا لدي حبٌ للقراءة ؛ ولكنني كنت في مبدأ أمري في القراءة أقرأ للمتعة فلا أقيِّد شيئًا على صفحات الكتاب حتى نبهني إلى هذا زميلي ناصر بن عبد الله الهويريني وفقه الله .

مما يشق علي أن يكون التعليق أقلَّ في كلماته من المقتبس؛ لأني أراه عيبًا؛ ولكنَّ الضرورةَ قد تدعو إليه.

وكان أولُ هذا الرَبَض مدارسةَ مسألةٍ علمية لغوية أجابت عن سؤالٍ يقول: العرب أمنسوبون إلى اللسان أم اللسان منسوبٌ إليهم؟ والأمر كذلك على سائر الأقوام من عبريين وسريان وغيرهم .

وهذا النوع من التأليف ـ أعني الربض ـ لا يكون له خاتمةٌ يوجز فيها المؤلف ما وصل إليه؛ولكن من عادتي أن أختم مؤلفاتي بالدعاء لوالديَّ رحمهما الله وهذا ما فعلته هنا.

في أثناء كتابتي عن التعليقات ، دخلتُ على كتابٍ فيه تعليق؛ فلما بدأت نقل التعليقات هنا، رأيتُ فتورَ العزيمة وضعفَ الهمة ، بل أحسستُ أنَّ النوم يغالبني؛ فقلت لعلي أنصرف عن التعليق قليلاً ثم أعود بعد استجمام بقراءة بعض الكتب، لعل العزيمة تعود، والهمة تقوى، فتركتُ الكتابة بقية ذلك اليوم؛ فلما عدتُ من الغد وأمسكتُ ذاك الكتاب عاودني في يومي ما وجدته في أمسي؛ فنحيَّته عني ودخلت على كتاب آخر فعاودني نشاطي والكتاب الذي أشرتُ إليه هو : « شرح المعلقات السبع » للزوزني رحمه الله أقول :وجدتُ نفورًا ووحشة مع أن هذا الكتاب من الكتب التي لا أغفلُ عن قراءتها لِمَا أجده من انجذاب إلى الشعر الجاهلي.

وهنا إفادةٌ إن لم تكن حقيقةً فهي ابنةُ عمها ؛ ذلك أن أقول لك إني مكثتُ في تأليف هذا الرَبَض خمسين عاما؛ فأوائل التعليقات بعضها مدونٌ في مكانه قبل خمسين عامًا من نقله هنا؛ وقلت لك فهي ابنة عمها لأضعَ خيارَ قبول التاريخ لك؛ لأني حين بدأت التعليق لم يكن في نيتي جمعُها هنا ولم أُقدِّر أنها ستكون بهذا المقدار, وأنَّ ما بين الدفتين ليس كلُّه تعليقات؛ فالتاريخ ـ إن رضيتَ به ـ يصدق على التعليقات فقط, والله يتولى الأمر و تدويني التعليقات التي على الكتاب لا التزم فيها بتاريخ التعليق ؛ وانما أمضي بها حسب المدون.

تجنبتُ التعليق على كتب الأنساب التي قرأتها ؛ لأني لم أرَ أحدًا كتب في الأنساب إلا هناك من يطعن برأيه مهما بلغ من العلم والتحري والإنصاف لأنَّ الكتابة في هذا الفن يجبُ أن يتحققَ بها شرطٌ يستحيل تحققه وهو: أن يكون المكتوب مُرْضيًا للجميع ولا أقول للأكثر الغالب بل مُرضيًا لكل من كُتب عنهم؛ وهذا شرطٌ عسيرٌ متعسر؛ وعدم الإرضاء يُسقطُ عدالةَ الكاتب عند من لم يرضَ مهما كان دليلُ الكاتب قويًا ومهما كان دليل الطاعن واهيًا لأنَّ الأنساب علمٌ يخوضَ فيه العاقلُ والسفيه؛ ولأنَّ القارئَ في كتب الأنساب الذي كُتب عن نسبه لا يقرُّ بالحياد منهجًا ولا يرى العدالة مسارا؛ فلا بد من الكتابة عني كما أريد أنا لا كما تعلم أنت؛ وهذه حالةٌ لا يمكن التوافق عليها فكان الترك أولى وأحفظ.

وبقيت أعلِّق على أكثر الكتب التي اقتنيها ولم يأتِ ببالي أولَ الأمر أني سأجمع هذه التعليقات في مكانٍ واحد ,فلما خطر هذا الأمر على بالي لم أجد في نفسي نشاطًا إليه, وراوحتْ التسويفات واحدًا بعد آخر, وكان مما أثقلَ الأمرَ علي كثرةُ الكتبِ المعلَّقِ عليها, وطولُ بعض التعليقات وزاد الأمرَ تقدُّمُ العمر، حتى وفَّق الله ويسر فبدأت في منتصف عام ١٤٤٤هـ ، وكلُّ شيءٍ عنده بقدر، لهذا أنصحُ كلَّ من لديه تعليقاتٌ على كتبٍ أن يبادرَ في تدوين كلِّ تعليق في كُنَّاش يجمع فيه تعليقاته؛ ولم أدوِّهنا كلَّ تعليقاتي، وإنما اخترت منها ما رأيت فيه فائدة للعلم, وعسى أن أكونَ هُديتُ ووُفقتُ وبلغتُ الغاية.

ثـم اعلـم أنـي لـم اتجـه إلـى التعليقـات ابتـداءً ، وإنمـا أقـرأ الكتـاب للبحـث أوللاسـتزادة مـن العلـم ، ثـم يقـع لـي عفـوًا مـن غيـر قصـد مـا أرى أنـه موطـنُ تعليـق؛ ولكـن مـن الجائـز علميًـا أن تقـرأ بهـذا التوجـه أعنـي معرفـة مواطـن القـوة والضعـف ، إذا كنـت تـدرس الكتـاب أو تـدرس إنتـاج المؤلـف.

وحين مـددتُ لـك خُـوان هـذا الرَّبَـض وضعـتُ عليـه مـن الأصنـاف مـا أطمـعُ أن يطمعَـك؛ ففيـه مدارسـة لغويـة أجبتُ بهـا عـن سـؤال أهمنـي يقـول: هـل العـرب العبرانيـون والسـريان منسـوبون إلـى اللسـان أم اللسـان منسـوبٌ إليهـم؟ ...ثـم ثنيَّتـه بتَطْوافٍ علـى مكتبتي فانتقيت لـك مـن تعليقاتـي تعليقـاتٍ كنت دونتها علـى بعـض الكتـب, وأنقـل لـك هـذا لتتبـين محمـدة التدويـن علـى الكتـب لأنَّ هـذا الصنيـع يعينـك علـى القـراءة الحقـة ، ويحفـظ علمًـا علِمتَـه أنـت, وتـؤدي حـقَّ المؤلـف الـذي أثـار فيـك هـذه الحـروف، يسـتوي أمـر هـذا بموافقتـك أومعارضتـك للمؤلـف؛ فأنتمـا منتفعـان بـإذن اللـه؛ وبلغـت الكتـب التـي اختـرتُ مـا عليهـا مـن تعليـق اثنـين وخمسـين كتابًا ؛وثالـث مـا علـى الخِـوان فرائـدُ صادهـا الفكـر فحفظهـا القيـد بالقلـم ، وعلـى الخـوان خواطـر تنقَّـل فيـه القلـم مـا بـين اللغـة والنحـو والأدب والنقـد وإعجـاز القـرآن الكـريم وحديـث رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم .

وقـد دونت التعليـق علـى الكتـب بذكـر اسـم الكتـاب و بينـتُ فيـه مـا يتعلـق بالكتـاب مـن اسـم المؤلـف أو المحقـق أو رقـم الطبعـة أو كيفيـة التملـك وتاريخـه.

هـذا الربض من كتب المعارف العامـة؛ فهي تذكـرك بمسائل علميـة وتدارسك بعضها، ولكنـه لـم يُبنَ علـى مسألةٍ واحـدة يكـون فيـه الترجيـح أو التضعيف.

جريـت فـي الهوامش علـى نهجٍ اتخذتـه قاعـدةً فـي جميـع مؤلفاتـي ، أن أضـع الجميـع فـي المتن؛ فالمتن خِـوانٌ وضعـتُ عليـه مائدتـي كلهـا.

وقـد استتم الكتـاب علـى مقدمـةٍ وأربعـة عشر بابًا، يجمعهـا مسـمى بـاب ولا تـؤول إلـى رحـمٍ مـن العلـم واحـدة؛ فليس البـاب الأول رحمًـا للبـاب الثانـي وليـس الثانـي مقدمـةً للثالـث وهكـذا؛ فالبـاب الأول دارسـتُ فيـه مسـألةً لغويـة ذكـرتُ لـك فيـه منشـأَها وغايتَهـا؛ وامتـد القـول إلـى نشـأة اللغـة مـع تعقُّـبٍ لمقالـةٍ كتبهـا باحـثٍ بعنـوان (لمـاذا كانـت اللغـة العربيـة أم اللغـات) والبـاب الثانـي انتخبـتُ تعليقـاتٍ كنت أضعهـا علـى الكتـب التـي أطالعهـا وجـاء التعليـق لأغـراضٍ متعـددة؛ والبـاب الثالـث وهـو أطـولُ الأبـواب نثـرتُ فيـه مـا فـي شـباكي مـن جنـي الفرائـد التـي جنيتهـا أثنـاء قراءاتـي وتجاربـي فـي الحيـاة ؛ وقـد جا ء أطـولَ الأبـواب ، وبلغـت فرائـده ثلاثمائـة وأربعًـا وعشـرين فريـدة.

ودونـتُ فـي البـاب الرابـع خواطـرَ طافـت بالذهـن؛ وفـي الخامس مسـالةٌ قريبـةٌ مـن مسـائل البديـع؛ والسـادس خصصتـه لمقـولات توسـع بعضهـم فـي مدلولهـا ، وأعطوهـا فـوق مـا يـرادُ منهـا

وجاء السابع دراسةً لغرض شعري عُرف به امرؤالقيس؛ وفي الثامن وقفتُ متدبرًا قولَه صلى الله عليه وسلم: لايزال عبدي يتقرَّبُ إلي بالنوافل...؛ ثم في التاسع كلمةٌ عن وصف القرآن الكريم بالعربية والإبانة؛ وفي العاشر بينت فيه أنَّه من الضيم للقرآن أن نوازن بينه في بيانه وبين نصوص بشرية؛ والحادي عشر جاء إجابةً على سؤال يقول : في الدراسات متى يكون الشك علميًا ؛ ثم عدتُ إلى القرآن الكريم في الباب الثاني عشر؛ وحين رأيت قوةً وضعفًا في مقدمات الكتب التي يكتبها غير صاحب الكتاب وضعتُ لك في الباب الثالث عشر مبحثًا عنوانه: [أيكتب المقدمة غيرُ المؤلف؟] وختمتُ الأبواب بنظرةٍ بلاغية إلى أسلوب سميته: [أسلوب الإدراج] وهذا هو الباب الرابع عشر .

هذا وبالله التوفيق ومنه العون, فاللهم تقبله مني واجعله ذخرًا لي يوم ألقاك, واجعله بركةً علي وعلى من قام بشأنه.

أبو سهيل

عمر بن عبد الله العُمَري

عنيزة يوم الثلاثاء بعد صلاة العشاء

٢٧- صفر/١٤٤٥هـ

١٢/ سبتمبر/٢٠٢٣م

المفتتح

افتتحُ هذا الرَبض بهذا القطف من مقدمة كتاب (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سِيْدَه رحمه الله:

(بِذكر الله نَفتَتح، وبنوره سُبحانه نَقْتدح، وَبِمَا أفاضه علينا من نُوريَّة إلهامِه نهتدِي، وَبِمَا سَنَّه لنا نبيُّه المُقتفَى، ورسولُه المصطفَى، من فُروض طَاعَته نقتدِي. نحمَدُه بآلائه، وَنُصَلِّي على عاقِب أنبيائه، ونَسأله خيرَ مَا يَخْتِم، وأفضلَ مَا بِه لهَذِه النُّفُوس يَحتِم، ربَّنا لَا تُسلِّط مَا وكَلْته بِنَا من النقائص الإنْسانية، على مَا أفضْته علينا من الْفَضَائل الرُّوحانية، وَلَا تُغَلِّب مَا كدُر من طباعنا وكَثُف، على مَا رَقَّ من أوضاعنا، فشرُف ولَطُف بل كن أنتَ الحَفيَّ بِنَا، والوَلِيَّ فِي الحَيْطة لنا، هادِيَنا إلَى أفضل مَا يُعْتَمد ومُسَدِّدَنا إلَى أعدل مَا يُقتصد، إن قَصَّرتْ أعمالُنا عَن وَاجِب الطَّاعَة، بِحَسب مَا وكَلْته بِنَا من نُقصان الاسْتِطَاعَة، فصِلْ قاصرَها بعَطْفتك، وَكن ناصرَها برأْفتك مَا دَامَت نفوسُنا مُعْتَلِقةً لأنفاسنا، وأرواحنا مرتبطة بأشباحنا، فَإِذا تناهت علائق مُدَدنا، وتدانت مَناهي أمَدِنا، فأردتَ تحليلنَا، وأزْمَعْت كمَا شِئْت تَحويلَنا، من دَار الفناء والبُيُود، إلَى الْمَخْصُوصَة من الدَّارَيْنِ بِأبديَّة الخُلود عِنْد اسْتِحَالَة الأكوان الَّتي لم تهيئْها للإدامة

وَلَا بَنَيْتَ أوضاعَها على السَّلامة، فأْذَنِ ذَواتِنا إلَى ذاتك، وصل حَياتَنا بأبَدى حَياتك، وفَرِّحْنا بجوارك، وأمِدَّ أرواحَنا بسُبُحات أنوارك، وأوْطِئْنا مِهادَ رُحْماك، وأورِف علينا سابغًا من جنَّات نُعماك، وبَوِّئْنا سِطَةَ دار السَّلام، الَّتي وصَلْتَ صفاءَ نعيمها بالدَّوام، واغفر هُنَالك فادحَ ذنوبنا، كَما تَفَضَّلْتَ أن تتغَمَّد هُنا قادحَ عُيوبنا، إنَّك ذُو الرَّحْمَة الَّتي لا يُطاوَلُ باعُها، والنِّعمة الَّتي لَا تُحصَى بعَددٍ أنواعُها.

* سِطَةَ دَار السَّلَام: وسطها.

الباب الأول

مدارسةٌ لسانية عن سؤالٍ يقول: العرب والعبرانيون والسريان منسوبون إلى اللسان؟

أم اللسان منسوبٌ إليهم؟

استهلال

اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السَّماوات والأرض، عالم الغيب والشَّهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي مَن تشاء إلى صراطٍ مُستقيم.

ولتكونَ على بينة أثير ُمعك هذا السؤال: ماذا لوقلنا بأنهم منسوبون إلى اللسان؟ فأقول: لوأخذنا بأنَّ الجنسَ منسوبٌ إلى اللسان فإنَّ في هذا ما يعزز عدم القطع بوجودِ لغةٍ تسمى أمَّ اللغات؛ لأنَّ الألسنةَ وُجدت في زمنٍ واحد ؛ هذا من مواضع الفصل من هذه المسألة, ولكن وإن ذهبنا إلى القول بعدم وجود لغة هي أمُّ اللغات فإننا نعلم أنَّ الله ــ سبحانه ــ زكَّى اللسان العربي ؛لهذا فمن المقطوع به أنه سيكون أفضلَها وإن شرِكْته هذه الألسنة في الأسبقية والقدم ، ثم هناك خصائص يختص بها اللسان العربي إذا قلنا بأن الجنس منسوب إلى اللسان.

فاللهم تسديدك

مدارسة لسانية

أهمني أمرُ مسألةٍ علمية من مسائل اللغة؛ وهي : [أهل العرب منسوبون إلى اللسان أم اللسانُ منسوبٌ إليهم؟] والمسألة لا علاقة لها البته بجانبٍ عرقي لأنَّ ما يتحقق في اللسان العربي يجري على بقية الألسنة فهي مسئلة لغوية صرفه , إلا أنَّ اللسان العربي بقي له قومٌ اختصوا بهذا الاسم , بخلاف بقية الألسنة ؛وكان هذا الخاطر قد انبعث في نفسي وأنا أكتب بحثًا بعنوان [نظرات في سر العربية] وسجلّت هناك ورود ه من غير استقصاء أومدارسة؛ أنهيتُ البحث يوم الأربعاء٢٩/ شوال/١٤٣٧هـ وبقي هذا السؤال يراودني , ودخلتُ في مباحثَ أخرى , ولكنَّه يبقى قابعًا مستكنًا في زاويةٍ من ذهني اتخذها سكنا, فما يفتأ علي مطلا.

بدأتُ أكتب هنا يوم الأربعاء ٣/١٢/ ١٤٤٤هـ ورأيتُ وميضَ الإجابة عن هذه المسألة يجول في خاطري ولكنَّه كطائر حذر كلما أوشكتُ على الإمساك به طار ووقع بحيث أراه فنصبت شباكي أتصيَّدُ الدليل؛ لأصل إلى ما أطمئنُ إليه بفتح الله وتوفيقه.

بدأت تقليب المسألة؛ فاللسانُ عربي وهذا ثابت بأقطعِ دليل إذ هو منطوق قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) الشعراء١٩٢ ـ ١٩٥وهو لسان القوم الذين أُرسل إليهم؛ (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ)٤ إبراهيم

فلسان القوم عربي ؛ فهل سُمُّوا عربًا لأنهم نطقوا بهذا اللسان؟ أم سمي اللسان عربيًا لأنَّ هؤلاء القوم نطقوابه, فأيُ هذين أ حقُّ وأصوب؟

وإذا أخذنا بقول ابن جني ـ رحمه الله ـ في الخصائص عند حديثه عن قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)٣١ سورة البقرة حيث قال: (على أنه قد فُسِّرهذابأن قيل : إنَّ الله سبحانه علَّم آدمَ أسماءَ جميعِ المخلوقات بجميعِ اللغات: العربية ، والفارسية، السريانية والعبرانية، والرومية وغير ذلك من سائر اللغات ، فكان آدم وولده يتكلَّمون بها ، ثم إنَّ ولده تفرقوا في الدنيا وعلِقَ كلٌّ منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه) فإنَّ هذا إذا أخذنا به يعزِّزُ القول بأنَّ القوم منسوبون إلى اللسان؛ ذلك أنَّ إطلاق لسان عربي على هذا اللسان كان قبل أن يكونَ هناك قومٌ يحملون هذا الاسم؛ فلما اختصوا به وعلقوه نُسبوا إليه؛ كذلك نُسب السريانيون والعبرانيون.

ولسان القوم هو لسان القرآن ؛ والقرآن مكتوبٌ باللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقاديرَ الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

فالقرآن مكتوبٌ بهذا اللسان قبل تميُّز هذا الجنس عن بقية البشر.

وقولنا بأنَّ العرب منسوبون إلى اللسان يوسِّع دائرة الفهم ويوسِّع الدلالةَ من عربية أنَّ القرآن الكريم أُنزل بلسان عربي مبين؛ ويضيِّق أو يبطل القول بأنَّ القرآن فيه كلماتٌ ليست عربية؛ ذلك أنَّ الوصف بالعربية يتسع ليُنسبَ إليه كلُّ ما في القرآن حتى وإن كان مما لم تتكلم به العرب وقت نزول القرآن الكريم ؛ لأنَّ الكلمات موجودةٌ

في كتابته باللوح المحفوظ؛ وما في اللوح المحفوظ مكتوبٌ قبل أن ينتقل اختصاصهم من اللسان إلى العرق ؛ لأنَّ العرب هنا منسوبون إلى اللسان , ولم ينسب اللسان إليهم فهم عربٌ بلسانهم , ثم في عرقهم الذي به يباهون ويفاخرون وعليه يحافظون . **فعلى هذا تُبنى أولى النتائج والثمار وهي أنَّ كلَّ ما في القرآن عربيٌّ أصالةً لا تعريبا.**

فما في القرآن مما قيل عنه إنه ليس من لسان العرب تزول عنه هذه التسمية إذا أخذنا بأنَّ العربية اسمٌ للسان وعَلَمٌ عليه ؛ فاللسان اسمه عربي أي أنَّ التسمية مستقرةٌ قبل أن يكون جنسٌ من الناس بهذا الاسم فهم لمّا حملوا اللسان نسبوا إليه.

ويرِدُ هنا سؤال: ما ياءُ النسبِ هذه [عربي] التي تدلُّ على أنَّ اللسان منسوبٌ إلى أمرٍ ما ؟؛أجيبُ بما ورد في لسان العرب تحت مادة عَرَب: (وقيل إنَّ أولاد إسماعيل نشؤا بعربة وهي من تهامة فنُسبوا إلى بلدهم) أي قيل عربي نسبةً إلى عربة **فليس باعث هذه التسمية جنسًا ولا لسانا وإنما هو مكان** ونقل ابن منظور في اللسان عن الأزهري: (قال الأزهري والأقرب عندي أنهم سُمُّوا عربًا باسم بلدهم العربات) وقال: (العَرَبُ النشاط والأرن) القاموس المحيط : (... وعربي بيِّن العُروبة والعُربية... والتعريب تهذيب المنطق ...

أقامت قريش بعربة فنسبت إليها) فالنسبة هنا إلى مكان؛ وهذا أنقلُه مع يقيني أنَّ صفةَ عربي موجودةٌ قبل وجود محلةٍ اسمها « عربة » ومقطع يقيني أنَّ القرآن موصوفٌ بهذه الصفة في اللوح المحفوظ.

فلو أخذنا بالقول الذي يقول : إنَّ إسماعيل عليه السلام أولُ من أُنطقَ بالعربية فما الإطلاقُ الذي كان يطلق على هذا الجنس من البشر قبل الإنطاق؟ لأنَّ هذا الاسم دالٌّ على أنهم سُمُّوا عربًا لأنهم تكلموا العربية , ولم يسمَ اللسان عربيًا لأنهم تكلموا به؛ فهذا الجيل من الناس موجودون قبل وجود إسماعيل عليه السلام في مكة, وقبل إنطاقه بالعربية.

وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ في كتابه: الإحكام في أصول الأحكام ص٣٤ـ٣٥ (...إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، لغةٌ واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها .. **فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم؛ وأنها لغة واحدة في الأصل.**

وإذ تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معا، والمستفيض أنَّ أول من تكلم بهذه العربية إسماعيل عليه السلام فهي لغة ولده، والعبرانية لغة إسحاق ولغة ولده. والسريانية بلا شك هي لغة إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم بنقل الاستفاضة الموجبة لصحة العلم. فالسريانية أصل لهما)

قلت: قوله: (فالسريانية أصلٌ لهما) كأنَّ دليله على هذا أنَّ إسحاق وإسماعيل حيث إنهما ابنا إبراهيم ـ عليهم السلام ـ ولغة أبيهم هي السريانية فهي بهذا أصلُ لغتيهما؛ وهذا لا يُعد دليلاً على تولُّد اللغتين من السريانية ؛ والسبب في هذا أنَّ إسماعيل أُنطِق بالعربية ابتداء ؛ ولم يُروَ أنَّ أحدًا من قومه كان يتكلم العربية ؛ ثم هوأُنسيَ السريانية ؛ كذلك فإسماعيل حين أُنطِق بالعربية فهل هناك من قومه قبل إنطاقه من كان يتكلَّمُ العربية؟ فإن كان الجواب نعم فهما- السريانية والعربية ـ لسانان في آنٍ واحد فليست إحداهما مولَّدةً من الأخرى؛ وإن كان الجواب بلا فمردُّ هذا إلى أنَّ الإنطاق وقع من غير مثال سبق، وأنَّ العربية موجودة فا نمحت بسبب تطاول الدهور ثم أراد الله إحياءها تمهيدًا لنزول القرآن الكريم .

ورواية ابن جني ــ رحمه الله ــ تتعارض مع هذا كذلك مع قول ابن حزم هذا؛ فالأمر يعود إلى ما قلت وحقيقة الأمر مردها إلى الله.

ويقول عمرفروخ ١٩٨٧م رحمه الله في كتابه « عبقرية اللغة » ص: ١٢٤ (يبدو أنَّ سكان ما بين النهرين، كانوا على حقٍّ لمَّا أطلقوا على أقاربهم الأعرابيين وجيرانهم إلى الغرب والجنوب الغربي اسم « أـ رى ـ بي)

قلت: لكني لا أرى قبولاً لهذه التسمية؛ لأنَّ الأمر فيها مقطوعٌ به بأنه بسبب اللسان؛ ويضاف أيضًا أن هناك فرقًا في الموروث اللغوين بين إطلاق عربي وأعرابي؛كما يضاف إلى هذا هذه الصيغةُ الرخوة التي سيق بها هذا الرأي [يبدوأنَّ...) فلا مسوِّغ للا خذ بهذا التعليل.

كان لابد من جولةٍ في المعاجم نتبين منه عزيمةً تعيننا ـ بإذن الله ـ على تبني أحد الرأيين:قال الخليل ١٧٥هـ رحمه الله في كتابه [العين] : (عرب:...وأعرب الرجل أفصح القول في الكلام ، وهو عرباني اللسان أي: فصيح... والعرابة والتعريب والإعراب أسامٍ من قولك : أعربت ، وهو ما قبح من الكلام ، وكره الإعراب للمحرم, وعرَّبت عن فلان ، أي تكلمت عنه بحجة) قلت : وهذا عائد ومؤيدٌ إلى أنَّ هذا الجنس منسوبون إلى اللسان وأنَّ اللسان موجودٌ قبل أن ينسبَ هذا الجنس إليه؛ وقال بن دريد ٣٢١هـ ـ رحمه الله ـ في الجمهرة: (... وأعرب الرجل بحجته إذا أفصح...وإعراب الكلام إيضاح فصيحه؛ ورجلٌ معرب إذا كان فصيحا) فاللسان هو الأصل عنده.

والعرب العارية كما عنده رحمه الله سبعُ قبائل هم: (عاد وثمود وعمليق وطَسْم وجَدِيس وأَمِيم وجاسِم)أهـ قلت : وقد انقرضوا فلما شاء الله عودة اللسان العربي أنطق به إسماعيل.

وعـادٌ وثمـود مـن الأمم التـي قـصَّ اللـه تعالـى إهلاكهـا فـي القرآن:﴿وَعَـادًا وَثَمُـودَ وَأَصْحَـابَ الـرَّسِّ وَقُرُونًـا بَيْـنَ ذَلِـكَ كَثِيرًا﴾الفرقـان ٣٨؛ وقـال ابـن دريـد: (وقـد انقرضـوا إلا بقايـا متفرقـين فـي القبائل)أهـ

فلمـا أُهلكت زال لسـانها العربـي معهـا؛ ومـن بقـي منهـم دخـل مـع أقـوام آخرين فانعدلـت لغتـه إلـى لغتهـم؛ فنُسـي اللسـان العربـي حتـى شـاء اللـه عودتـه فأنطق بـه إسـماعيل؛قال ابـن دريـد رحمـه الله تحـت مادة عـرب ص٣١٩ : (وسُـمي يعرب بـن قحطـان لأنـه أولُ مـن انعـدل لسـانه عـن السـريانية إلـى العربيـة) قلـت : وهـذا قـولٌ يَسـقط إذا أُعيـدَ إلـى أنَّ القـرآن مكتـوبٌ باللـوح المحفـوظ قبـل خلـق السـموات والأرض بخمسـين ألـف سـنة؛ ومـن الجائـز أن نقـول إنَّ يعـرب أول مـن أعيـد إليـه اللسـان العربـي بعـد إهـلاك الأمم الناطقـة بـه؛ فالعربيـة لسـانٌ قائـمٌ بذاتـه , والسـريانية كذلـك؛ وقـال رحمـه اللـه تحـت مـادة[رعـب] : (والعبرانيـة لغـةٌ معدولـةٌ عـن السـريانية)

وقـال الأزهـري ٣٧٠هـ رحمـه اللـه فـي كتابـه [تهذيـب اللغـة] تحـت مـادة عـرب: (قـال ابـن المظفـر: العـرب العاربـة: الصريـح منهـم... وقـال غيـره: رجـل عربـي إذاكان نسـبه فـي العـرب ثابتـا وإن لـم يكـن فصيحـا... وقـال أبـو زيـد الأنصـاري: عرَّبـتُ لـه الـكلام تعريبًـا وأعربتـه لـه إعرابًـا إذا بيَّنتـه لـه ... وجعـل اللـه ـ جـلَّ وعـزَّ ـ القـرآن المنـزل علـى النبـي المرسـل صلـى اللـه عليـه وسـلم عربيًـا

لأنـه نسـبه إلـى العـرب الذيـن أنزلـه بلسـانهم ... ويقـال: رجـل عربـي اللسـان إذا كان فصيحـا ...

وقلت أنا (الأزهري يعني نفسه) : المستعربة عندي : قومٌ من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحَكَوا هيئاتهم وليسوا بصرحاء فيهم .. . وقال أبو زيد الأنصاري : فعلت كذا فما عرَّب علي أحد أي ما غيَّر علي أحد .. وقال الليث العَرَب: النشاط والأرن ... واختلف الناس في العرب أنهم لِمَ سُمُّوا عربًا ؛ فقال: بعضهم أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يَعْرب بن قحطان وهو أبو اليمن, وهم العرب العاربة؛ ونشأ إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وسلَّم معهم فتكلَّم بلسانهم؛ فهو وأولاده العرب المستعربة وقال آخرون : نشأ أولاد إسماعيل بعَرَبة وهي من تهامة فنُسِبوا إلى بلدهم ... والأقرب عندي أنهم سُمُّوا عربًا باسم بلدهم العربات ... وانتشر سائر العرب في جزيرتها, فنُسبوا كلُّهم إلى عربة) ومردُّ هذا الرأي أنَّ لسان القرآن منسوبٌ إلى العرب ثم يؤول الأمر إلى: (ويقال: رجل عربي اللسان إذا كان فصيحًا) فيجري الإطلاق إلى أنَّ النسبة إلى اللسان؛ **فالعرب المستعربة حملوا اسم العرب لأنهم تكلموا بلسانهم.**

وقوله: (وقال غيره: رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتًا وإن لم يكن فصيحًا) قلت: هذا يؤخذ به ويردُ الأمر إليه بعد أن كان هناك جنسٌ تميزوا بعرقهم لا بلسانهم, و لكنَّ حديثي عن الجنس قبل أن يتميزوابأعراقهم.

وليست معالجة هذا الخاطر الذي أنا بصدده مما جال في ذهن الأزهري ؛ لذلك نجده يقول ما يفيد أنَّ النسبة إلى اللسان ويقول إنَّ النسبة إلى الجنس , من غير اعتبار عنده لأي المذهبين يذهب قلمه.

وقول الأزهري: (ونشأ إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وسلَّم معهم فتكلَّم بلسانهم) فيه ردٌ على ابن حزم ـ رحم الله الجميع ـ من أنَّ العربية معدولة عن السريانية ؛ فإسماعيل ـ عليه السلام ـ تكلَّم العربية لمجاورته العرب لا لأنَّ لسانه انعدل عن السريانية إلى العربية.

قال ابن فارس ٣٩٥هـ ـ رحمه الله ـ في مقاييس اللغة : (ع ر ب: العين والراء والباء أصولٌ ثلاثة أحدها الإبانة والإفصاح...

(ع ر ب: العين والراء والباء أصولٌ ثلاثة أحدها الإبانة والإفصاح... فأما الأمة التي تسمى العرب فليس ببعيدٍ أن يكون سميت عربًا من هذا القياس ؛ لأنَّ لسانَها أعربُ الألسنة ، وبيانَها أجودُ البيان... ومما يدلُّ على هذا أيضًا قول العرب : ما بها عريبٌ ، أي ما بها أحدٌ , كأنهم يريدون ، ما بها عريبٌ أي: ما بها أنيسٌ يعربُ عن نفسه) وقال أبو سهيل وقالوا : عَرُب الرجل فَصُحَ؛ فهم نسبوه إلى ماكان من لسانه ولم ينسبوه إلى العرق فلم يقولوا: عَرُب صار من العرب .

ومن هذا ما ورد في كتاب » أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها « تأليف الحسين بن علي بن الحسن الوزير المغربي رحمه الله ٤١٨هـ ، أعده للنشر حمد الجاسر١٤٢٨هـ رحمه الله ج١ ص٨٧: (الذي أراه أنَّ العرب سميت بهذا الاسم لإفصاحهم باللغة ،وإيضاحهم سبيل البلاغة، من قولك أعربت الشيء أو عن الشيء , إذا أبنته أو أبنتَ عنه , وعرَّبت عن فلان أبنت عنه .

وعرَّبتُ الفارسية : أبنتُها)أهـ. فهذا المذهب صريحٌ بأنهم عربٌ باللسان لا بالعرق؛ فهم منسوبون إلى اللسان ولم يُنسب اللسان إليهم.

وهذا هو الوجه الأول من ثلاثة عشر وجهًا ذكرها الوزير المغربي في كتابه « أدب الخواص » معلاً التسمية.

(والثاني: أن العربي منسوبٌ إلى العرب، والعرب جمع عارب، كالغُيَّب جمع غائب، والعارب الذي أتى عَرْبة وهي جزيرة العرب، كما يقال: جلس فهو جالس إذا أتى جَلْساً، وهي نجد، وغار فهو غائر إذا أتى الغور) قلت: وهذا القول يفضي إلى أنهم منسوبون إلى الأرض ولا شكَّ أنهم متكلِّمون بلسان قبل سكناهم هذه الأرض فما لسانُهم إن لم يكن هو هذا اللسان العربي ؟ فنسبتهم إلى اللسان أصدقُ وألصق؛ لأن لفظة عربة لا يتأتى وجود معنا ها ومدلولها إلا بلسان كانوا يتكلَّمون به ويسمُّون به ما حولهم.

والثالث: من وجوه اشتقاق العرب ـ أنه مأخوذ من العرب وهي النفوس واحدتها عَرَبة... ويكون وجه هذا الاشتقاق على معنيين : أحدهما أنهم من الخَلْق بمنزلة النفس من الجسم , وثانيهما أنهم أعزَّ الخليقة نفوسًا.

والرابع : أنه مشتقٌ من العَرَب وهو حسنُ العشرة وجمال الخلقة.. . ويكون وجه هذا الاشتقاق أنهم لكرم أخلاقهم ، واتساع جودهم وبِشْرهم لعارفيهم سُمُّوا بذلك)

والخامس: انـه مشـتق مـن العَـرَب وهو فسـاد المعـدة ... ويكـون وجـهُ هذا الاشـتقاق أنهـم لحـدة شـوكتِهم وخشـونةِ ملمسِـهم وصرامـةِ بأسِـهم أشْـجَوا جميـعَ الأمم المخالفـة لهـم, وكانـوا فيهـم بمنزلـة هـذا الـداء مـن المعـدة فـي مبالغـة أذاهـا واضـراره بهـا .

السـادس: أنـه مشـتق مـن العَـرَب وهـو الفجـور والفسـاد... ويكـون اشـتقاق اسـم العـرب مـن هـذا المعنـى وهـو الفجـور أنهـم عاملـوا النـاس فـي الجعجعـة بهـم والغِلظـة عليهـم معاملـة الفُجَّـار فسَـموُّا بذلـك وإن لـم يكـون فجـارا)

السـابع: أنـه مشـتقٌ مـن العَـرَب وهـو مصـدر عَـرب الجـرح يعـرب عربًـا إذا بقيـت لـه آثـار بعـد البـرء ... ويكـون وجـه هـذا الا شـتقاق أنهـم لبـروز أفعالهـم وبقـاء آثارهـم وخلـود نكايتهـم لأعدائهـم سُـمُّوا بذلـك)

الثامـن: أنـه مشـتق مـن االعَـرَب وهـو كثـرة المـاء ... ولهـذا الاشـتقاق وجـوه أحدهـا أنهـم لا شـتباه حسـن أفعالهـم ووجـدان الكـرم فـي كافتهـم سُـمُّوا بذلـك, وقـد قيـل فـي المثـل: أشـبه بالمـاء مـن المـاء بالمـاء ... وثانيهـا أنهـم لكـرم أنسـبتهم وخلـوص أعراقهـم وصفـاء أصولهـم سُـمُّوا بذلـك؛ وثالثهـا : أنهـم لا سـتغنائهم بأنفسـهم واكتفائهـم دون الحاجـة إلـى غيرهـم وتحيُّزهـم بتدبيـر أمورهـم عـن أكثـر أغـراض سـواهم سُـمُّوا بذلـك ... ورابعهـا أنهـم لِمَـا أحيـوه مـن الأرض الميتـة , وأقامـوه مـن الأعـلام الدارسـة , وأهْلَّـوه مـن القفـار العازبـة سموا بذلـك تشـبيهًا بالمـاء الـذي بـه حيـاة كلِّ شـي , قـال اللـه عـز وجـل : (وَجَعَلْنَـا مِنَ الْمَـاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَـيٍّ) ٣٠ الأنبيـاء

التاسع: أنه مشتقٌ من العَرْب وهو النشاط... ووجه الاشتقاق أنهم سُمُّوا بذلك لنشاطهم إلى آخر المآثر ؛ وتسرعهم إلى معونة الثائر, وإجابة دعاء الجار المجاور, واشتياقهم إلى اغتنام الثناء , وإدراك مناقب الكرماء .

العاشر : أنه مشتقٌ من العَرَب وهو يَبِيْس البهمي... ووجه الاشتقاق أنهم سُمُّوا بذلك لأنهم من البشر بمنزلة البُهْمي من البقل ؛ ويكون فيه وجه أقوى من هذا وهو أنَّ يَبِيْس البُهْمي سفاها؛ والعرب تضرب به المثل في حدَّةِ شوكه وتدلُّقِ غَرْبه حتى أنهم يسمونه نصالا)

قال معدُّ الكتاب للنشر في هامش٣ ص ١١٣: (البُهْمي هو ما يعرف في نجد باسم الصمعاء) قلت والصمعاء من فصائل القمح.

القول الحادي عشر: أنه مأخوذٌ من التعريب, وهو الجَبْه بالغلط والرَّد... ويكون وجه الاشتقاق أنهم سُمُّوا بذلك لأنهم يردون الظالم ويعصون أمر الغاشم) قلت : الجَبْه بالغلط: هو التغليظ على من أخطأ وإظها ر الإنكار علانية وتصريحًا ومواجهة من غير اعتبار لمنزلة من أخطأ.

القول الثاني عشر: أنه مشتقٌ من العَرَبة , وهو النهر الشديد الجري عن ابن دريد, ووجه الاشتقاق أنهم شُبِّهوا بالماء الجاري في قوة مسيله ؛ واعتياص رده وجرِّه ما وجد في جريته.

القول الثالث عشر: أنه مشتقٌ من التعريب, وهو مداواةٌ للخيل بالنار , تسمَّى التبزيغ؛ وسُميت العرب من ذلك لبلوغهم في شفاء الصدوربدر ك

الثأر وإحكام ما عقدوه من عهد وذمام مبلغ الكي الذي هو آخر الأدوية وأصعبها.

وبعد هذه الاشتقاقات نرى أنها تفضي مآخذُها إلى وجود لسان تكلَّم به هؤلاء, وأُخِذتْ هذه المقتضيات منه ؛فمآلها يقطع بأنَّ اللسان قبل الجنس ثم نُسب إليه هؤلاء القوم, ولا تفضي إلا إلى أنَّ هناك لسانًا قبل الانتماء إلى العرق منه اشتقت هذه الوجوه ؛ فكيف تتأتى هذه الوجوه إلا بوجود لسانٍ يتكلمون به ويميزون أحوالهم ومعاني ما حولهم فنُسبوا إليه, ولامعنى لأن نقول إنَّ التسمية أُطلقت عليهم من قومٍ آخرين لهم لسان غير العربية. وتعليلات وجوه الاشتقاق هذه لا تخلو من تكلفٍ بعيد المأخذ ونَفَسٍ عرقي يقلل الثقة بها؛ والتكلُّفُ ظاهرٌ في التماس هذه العلل.

وورد في كتاب « المحكم والمحيط الأعظم» لابن سِيْدِه رحمه الله ٤٨٥هـ : (العُرْب والعَرَب خلاف العجم ... والعربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويا ... وعربي بيِّن العروبة... وأعرب الكلام وأعرب به بيَّنه ... وعرَّبه علَّمه العربية ... وأعرب عن الرجل بيَّن عنه)

قلت: فهو ينسب العرب إلى الفصاحة التي مؤداها إلى اللسان.

وفي أساس البلاغة للزمخشري رحمه الله ٥٣٨هـ : (عرب: عَرُب لسانه عرابةً وما سمعت أعرب منه... وعرَّ ب عن صاحبه تعريبًا إذا تكلَّم عنه واحتج له) فمؤدى الزمخشري أنها نسبةٌ إلى اللسان.

قال ابن منظور ٧١١هـ رحمه الله في اللسان تحت مادة عرب: (والعربية هي هذه اللغة ؛ واختلف الناس في العرب لِمَ سُمُّوا عربًا فقال بعضهم :أول من أن أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان , وهو أبو اليمن كلهم وهم العرب العاربة ، ونشأ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام معهم فتكلَّم بلسانهم فهو وأولاده العرب المستعربة)

<u>ومنتهى رأي ابن منظور أنَّ إسماعيل عليه السلام وولده سُمُّوا عربًا للسانهم بعد انسلاخه من السريانية؛</u>

وليست العربية معدولةً عن السريانية؛ ولكنه لسان أُعيد بعد هلاك أهله أُنطق به إسماعيل, كما نشاهد الآن من تبدل الألسنة حال انتقال أصحابها من دار لسان إلى دار أخرى ، فينقرض اللسان الأول ويحل محلَّه لسان آخر من غير أن نقول إنه معدولٌ عن كذا.

بعد هذا تكلَّم بكلامٍ طويل خلاصته أنَّ النسبة والتسمية تعود إلى الإفصاح والإبانة.

ثم إنَّ ابن حزم ٤٦٥هـ ـ رحمه الله ـ في كتابه: الإحكام في أصول الأحكام ص٣٥ قال:(قد يمكن أن يكون الله تعالى وقف آدم عليه السلام على جميع اللغات التي ينطق بها الناس كلهم الآن, ولعلها كانت حينئذ لغة واحدة مترادفة الأسماء على المسميات ثم صارت لغاتٍ كثيرة، إذ توزعها بنوه بعد ذلك، وهذا هو الأظهر عندنا والأقرب)

قلت: وهذا مذهبٌ إن لم يكن هو الصواب فله حظٌ كبيرٌ من الصواب؛ فالناس في مبدأ الأمر كانت تسمي الرجل بأسماء, مترادفة متعددة وكلٌ يعلم هذا والأرض كذلك والشجر والحيوان... إلخ فلمَّا تكاثر الناس انطلق كلُّ قومٍ بما معهم فحين تباعدت النواحي والأزمان أصبح كلُّ قومٍ لا يفهمون عن غيرهم ؛ فتولدت اللغات وتعددت الألسن وغلا كلُّ قومٍ بلسانهم.

فإن قيل :هل يجري هذا على سائر الكتب المنزلة؟، أي أنها كانت مكتوبةً باللوح المحفوظ باللسان الذي نزلت به قبل إنزالها أقول: نعم؛ لأنَّ اللوح المحفوظ كتب الله به المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛وهذا يؤيد ما نقله ابن جني رحمه الله من قول من قال إنَّ الله علَّم آدم أكثر من لسان؛ من هنا فهذه الأقوم منسوبة إلى اللسان .

نعم كلُّ كتاب كان مكتوبًا بلسانه الذي نزل به فيقرأه القوم الذين نزل عليهم ، ولكن لسان القرآن الكريم بقي يُتلى بلسانه كيوم نزوله ؛ وهذه الكتب أصابها التحريف والتبديل في النص واللسان؛ فنجد أنها الآن مكتوبةٌ وتقرأ بألسنةٍ متباينة؛ بينما القرآن يُقرأُ بلسانه الذي نزل به , ولا يمكن أن يُترجمَ نصُّه , وإنما الترجمة لمعانيه دون لفظه.

فإذا تحقق هذا الرأي وثبت, فإنَّ كلَّ ما في القرآن عربيٌّ أيضًا من باب آخر وهو أنَّ الكلمة التي يقال إنها ليست عربية أنها في الأصل موجودةٌ في اللسان العربي ، أو في اللسان الأول الذي تكلَّم به آدم وبنوه.

ثـم انسـلخت مـن لسـان العـرب و جـرت علـى لسـانٍ آخـر حتـى إذا نـزل القـرآن عـادت إلـى لسـانها الأول الـذي كان مكتوبًـا بـه باللـوح المحفـوظ.

عـن أبـي هريـرة رضـي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلم: (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى قَالَ مُوسَى أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ فَقَالَ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ قَالَ مُوسَى بِأَرْبَعِينَ عَامًا قَالَ آدَمُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى)رواه نسلم

قولـه: (فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى بِأَرْبَعِينَ عَامًا قَالَ آدَمُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ؟قَالَ نَعَمْ) وهـذه فيـه أنَّ اللـه سـبحانه كتـب التـوراة فـي اللـوح المحفـوظ قبـل خلـق آدم أي قبـل أن يكـون هنـاك ألسـنةٌ ولغـات وقبـل أن يكـون هنـاك بشـر؛ **فاللسـان واللغـة موجـودان قبـل أن يخلـق اللـه آدم فيتكلّـم بهمـا.**

وكذلك القرآن فإنَّ قول آدم عليه السلام : (فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى) فيها نصٌّ من القرآن , وهذا فيما ورد في سورة طه : (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) ١٢١ وهذا نصٌّ صريح مما ورد في القرآن الكريم ويعني أنَّ القرآن أيضًا مكتوبٌ قبل أن تكون ألسنة فلسانه الذي نقرأه به الآن مكتوبٌ قبل أن يوجدَ هذا الجنس من البشر أعني العرب ؛ ولكنَّ هذا الجنس هم الذي اختصوا بنسبتهم إلى اللسان بخلاف بقية أصحاب الألسنة الأخرى **, وعليه يكون كلُّ ما ورد في القرآن عربيًا أصالةً وليس هو انتقالاً من لسانٍ آخر ثم تعرَّب باستعمال العرب له.**

هذا ومن حيث المادة اللغوية لـ [ع ر ب] ولجلاءٍ أكثر يتحتم علينا الوقوف مع تفسير القرآن الكريم .

قال تعالى :(حم) (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) الزخرف ١ـ ٤

١ـ تفسير البغوي رحمه الله ٥١٦هـ (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ؛) وانه (يعني القرآن (في أم الكتاب) في اللوح المحفوظ)قال قتادة : « أم الكتاب » : أصل الكتاب ، وأم كل شيء : أصله . قال ابن عباس : أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق ، فالكتاب عنده ، ثم قرأ « وانه في أم الكتاب لدينا » فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال

« بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ « (البروج ٢١) . (لعلي حكيم) قال قتادة : يخبر عن منزلته وشرفه ، أي : إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعلي رفيع شريف محكم من الباطل .)

٢ـ القرطبي ٦٧١هـ رحمه الله : (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ) يعني اللوح المحفوظ.

٣ـ النسفي رحمه الله ٧١٠هـ: (﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾هواسم أعجمي... ﴿الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾البقرة ٣١ أسماء المسميات فحذ المضاف إليه لكونه معلومًا مدلولاً عليه بذكر الأسماء إذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى: (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الأسماء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه؛ لأن التعليم تعلق بالأسماء لا بالمسميات لقوله تعالى: (أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ)٣١ البقرة وأنبئهم بأسمائهم ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم ؛ ومعنى تعليمه أسماءَ المسميات أنه تعالى أراه الأجناس التي خلقها وعلَّمه أنَّ هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا ؛وعن ابن عباس رضي الله عنهما علمه اسم كلُّ شيء حتى القصمة والمغرفة(ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ) أي عرض المسميات؛ وإنما ذكَّر لأن في المسميات العقلاء فغلَّبهم ؛وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت) قلت:[القصمة] هكذا بالمطبوع والصواب القصعة, وهي من آنية الأكل.

قال أبو سهيل: المقصود بالمسميات هي الجثث وذوات الأحياز فيُطلق عليه اسمٌ يخصه ويمزه عن غيره ؛ ولوكان التعليم للمسميات لأصبح الأمر فيه إبهام ؛فعندما أقول : حصان جمل جدار بحر شجر... إلخ من غير أن أوريَك أعيان هذه المسميات فإنك لا تستطيع إطلاق الاسم على مسماه إن لم تك عُلِّمته من قبل.

٤ ـــ البحر المحيط لأبي حيان رحمه الله ٧٤٥هـ : (وأمُّ الكتاب اللوح المحفوظ لأنه الأصل الذي أُثبِتت فيه الكتب ... قال قتادة وعكرمة والسدي: اللوحُ المحفوظ: القرآنُ فيه بأجمعِه منسوخ؛ ومنه كان جبريل ينزِّل)

٥ــ ابن كثير رحمه الله ٧٧٤هـ: (قوله تعالى « وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم » بيَّن شرفه في الملإ الأعلى ليشرِّفه ويعظِّمه ويطيعه أهلُ الأرض فقال تعالى « وانه « أي القرآن » في أم الكتاب « أي اللوح المحفوظ)

ثم وقفتُ مع قوله تعالى:(حم) (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ),ففي هذا استنباطان: الأول أنه وصفَ القرآنَ بأنه عربي, والثاني أنه في اللوح المحفوظ ؛ فكونه عربيًا في هذا اللوح الذي كتب الله فيه المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة,يدلُّ على أنه مكتوبٌ قبل أن يُهبطَ اللهُ آدم فآية (عَرَبِيًا) كُتِبت ووُصِفَ بها القرآن قبل إنزاله <u>وقبل أن يكون هناك أجناس تتمايز بأعراقها سواءً من العرب أم من غيرهم؛ وفي هذا ما يؤيد القول بأنَّ الجنس منسوبون إلى اللسان فهو الأصل قبل العِرق؛ فيترجح القول بأنَّ كل ما في القرآن هو بلسان عربي أي بلغة العرب , وليس فيه ما هو منتقلٌ من ألسنةٍ أخرى.</u>

أما القول بأنَّ أولَ من أُنطِق بالعربية المبينة هو إسماعيل, وعلى قول آخر أنه يعرب بن قحطان, فهذا القول على افتراض ثبوته, يعني أنَّ اللسان انمحى من جزيرة العرب بعد تطاول الدهر وإهلاك القرون الأولى؛ فهو موجودٌ مذ أُهبط آدم عليه السلام إلى الأرض ,ثم عاد بعد أن كان موجودًا ليهيئَ الله هؤلاء القوم لتلقي القرآن؛ **ولا أرى مانعًا من القول بأنَّ هذا الجنس منسوبون إلى اللسان**؛ لأنَّ هذا لا يبطل حقيقةً أُخذَ بها ولا ينفي أمرًا مقطوعًا به, بل هو يضيف ولا ينقض ؛ فهناك مآثرُ ستضاف إلى العلم ؛ **فهو سيثبتُ عربية كلماتٍ مختلفًا بعربيتها وهي واردةٌ في القرآن الكريم**؛ فمادام أنَّ اللسان هو الأصل المنسوب إليه وأنَّ القرآنَ مكتوبٌ باللوح المحفوظ بهذه الحروف, فلن يبقى مسوغٌ يقول إنَّ في القرآن ما ليس بعربي؛ وهذه مسألةٌ لا يمكن الإخلاد إليها إلا بدليل مأخذه مقطوعٌ به ، من القرآن الكريم أو مما صحَّ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهذا الدليل هو ما أرى أنَّ هذه المسألةَ جرتْ به وانتهت إليه, وإلى الله مردُّ العلم الحق.

وعندما أقرأعن أقدمية الألسنة فإني لا أرى ـ فيما اطلعت عليه ـ شافيا يَفْصل القول في المسألة ولا رأيًا حزَّ فأصاب المفصلِ ليطمئن إليه القلب ,والأخذ بهذا يثبت أنَّ اللسان العربي هو الباقي على ماكان عليه وقت إيجاده من الله؛ فهم لمـَّا يبلغوا من الكثرة ما يميزهم بأعراقهم, كذلك هم في مكانٍ واحد فلم يتفرقوا فينسبوا إلى أمكنتهم فجعل الله التمايز باللسان أي هناك ألسنةٌ أخرى تكلم بها آدم عليه السلام وبنوه الأقربون؛ ثم اختصَّ كلُّ قومٍ بلسان فنسب إليه المتكلمون به, حتى إذا انتشروا في الأرض وذهب كل قوم بلسانهم أصبحت العصبية للعرق أو المكان.

<u>وعلى هذا فهل نقول: إنَّ العربية هي أمُّ اللغات وأقدمُها وأبقاها؟؛ أمَّا كونها أمَّ اللغات وأقدمَها فهذا لا أرى أنها تختصُّ به؛ فآدم ـ عليه السلام ـ علَّمه الله الأسماء كلَّها ثم تفرَّق بنوه وساحوافي الأرض فتبايت الألسنة ؛ فالأقدميةُ واحدة والأميةُ لا دليل عليها</u>؛ والمذهب يتوجه إلى أنَّ ما في التوراة والإنجيل من لسان وهو باقٍ على ما أُنزل عليه فهو يشارك العربية في القدم وبالأمية لأنَّ هذا الباقي ـ متى صحَّ ـ فهو مما يشارك القرآن مما هو مكتوبٌ باللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ <u>أمَّا وصف اللسان العربي بأنه الأبقى فهذا أقول به وأذهبُ إليه؛ لأننا نقرأ به الآن القرآنَ المكتوبَ باللوح المحفوظ.</u>

مع أني استبعد كثيرًا بقاءَ شيءٍ مما أنزل في التوراة والإنجيل على ما هو عليه زمن إنزاله؛ ذلك أنَّ هذين الكتابين يُكتبان الآن بأكثر من لسان؛ وهما بهذا الزمن الذي أكتبُ به هذا الحروف ١٤٤٥هـ أكثر ما يكتبان إذا كُتبا فإنهما باللغة الإنجليزية؛ وهي لغةٌ حديثة النشأة؛ وقد جاء الحديث عنها في كتاب« منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة دراسة تقابلية « تأليف الأستاذ الدكتور/ عبد المجيد الطيب عمر ما يؤكدُ فقرها وحداثتها ؛ص ١٢٨ـ ١٢٩ (فقد اعتمدت اللغة الإنجليزية على الاستلاف بلا تحفظ من اللغات الكلاسيكية مثل اللاتينية والإغريقية للتعبير عن المفاهيم العلمية والأدبية والفلسفية الجديدة التي لم تكن اللغة الإنجليزية مؤهلةً للتعبير عنها بحكم محدوديتها... وترتب على هذه التبدلات والتحولات الصوتية ظهور لغة جديدة تختلف تمامًا عن اللغة الإنجليزية القديمة ,واللغة الإنجليزية الوسيطة التي لم يعد يفهمها أحد من المتحدثين بالإنجليزية الآن)

قلت ؛وبهذا اختلط الأمر؛ بخلاف لسان القرآن فهو باقٍ على ما أُنزل عليه.

ومن الأدلة الحاضرة التي تدلُّ على أنَّ الجنس منسوبٌ إلى اللسان أنَّ أصالة اللسان تتبدل بحسب تبدل موطن السكنى وعصبية اللسان تتبدل وتُنسى الأولى بتعاقب أجيالٍ نشأوا في موطن جديد بلسان مختلف، وهذا ما نجده واضحًا في ألسِنة سلالة الفاتحين ـ رحمهم الله ـ الذين استقروا في بلاد العجم المفتوحة، ونراه كذلك من خلال الهجرات التي يقوم بها الأفراد الجامعات من مكان لسانهم الأصلي والاستقرار بمكان لسان آخر؛ فتحدث لألسنة أعقابهم أصالةٌ وعصبيةٌ جديدة ثم ينسبون إلى أهل هذا اللسان كأنهم عرق من أعراقهم وهم أبعدُ ما يكون عنهم من الناحية العرقية؛ وهذا واضحٌ فيمن تأصَّل فيهم اللسان العربي فأصبحوا في جمهرة من يُنسبون إلى العرب بسبب لسانهم لا عرقهم.

وبالأخذ بهذا هذا ما يعزز عدم القطع بوجود لغة تسمى أُمَّ اللغات؛ لأن الألسنةَ وُجدت في زمنٍ واحد وهذا من مواضع الفصل الذي دعت إليه هذه المدارسة.

كذلك من ثمار القول بأنَّ الجنس منسوبٌ إلى اللسان إبطال القول بالتضمين أعني تضمين بعض معاني حروف الجر لبعض؛ فالقرآن كتُب بهذه الحروف قبل أن نستنبط

استعمالات العرب وقبل أن نعرف قوانين كلامها وقبل أن نعرف أو نضع معانيَ لحروف الجر؛ فلا يردُّ الأمر إلى استعمالاتهم ويبقى دخول الحرف في هذا الموضع هو الأصلُ والأصحُّ لأنه اختيار من نزَّل القرآن فيتوقف القائلون بالتضمين, ويذهبون بدلاً من هذا إلى استظهار الوجه البلاغي لهذا الاستعمال مستبعدين القول بالتضمين.

ومن هنا فإني أرى القول ينفسح فنقول إنَّ الترادف الذي نقول به من تعدد الأسماء لمسمى واحد لا يبعد أن يكون باقيًا من الألسنة التي عُلِّمها آدم؛ فالآيةُ نصٌّ على أنَّه عُلِّم الأسماء كلها ,و ذهب ابن جني ـ رحمه الله ـ إلى أنَّه عُلِّم الأسماء بجميع اللغات؛ ولا يعني هذا أنَّ الألسنة بعدد ما يوجد من أسماء الاسم الواحد, ولكنْ كلُّ لسان فيه ترادف لمسمياته.

وأمرٌ جديرٌ بتدبره ذلك أنَّ قول الأزهري رحمه الله : (المستعربة عندي : قومٌ من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحَكَوا هيئاتهم وليسوا بصرحاء فيهم) وقول ابن منظور: (ونشأ إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وسلَّم معهم فتكلَّم بلسانهم؛ فهو وأولاده العرب المستعربة)

فولد إسماعيل ـ عليه السلام ـ هم ـ الآن ـ من صريح العرب ؛ وهذه الصراحة في النسب أتتهم من تأصُّل اللسان فيهم وزادوا رفعةً بمحمدٍ صلى الله عليه وسلَّم؛ وهذا عندي أنه من أجلِّ الشواهد على أنَّ نسبتهم الأولى ـ أعني العرب ـ كانت للسان, ثم ذهبت بهم كثرتهم وتباين سكناهم إلى الانتساب إلى العرق, وأصبح بعض القوم يرون أنهم الأفصح ناسبين هذه الفصاحة إلى عرقهم أو مسكنهم, كما هو مشاهدٌ الآن بين اللهجات من أنَّ بعض الأقوام ترى أنَّ لهجتها هي الأم.

ومادام أنَّ التنزيل العظيم ورد فيه : (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)البقرة٣١ فلا أرى وجهًا لأن نقول مشيرين إلى الأسماء: إنَّ أصل هذا مأخوذٌ من كذا؛ وإعادة النظر في مقولة: [هذا مأخوذٌ من هذا] ينبغي أن تكون محلَّ اعتبار ؛ لأنَّ معرفة هذه الأسماء وتعليمها وقع ابتداءً ؛ وهذا لا يتناسب مع التعليم الأول ؛ من هنا فإنَّ قولنا بأنَّ اللسان هو الأصل يمنعُ تتبعَ عللِ المسميات ويمنع القول بإرجاعها إلى أصول؛ لأنَّ الأمر وقع تعليمًا من الله؛ فلم يقل به الناس اصطلاحًا أو محاكاةً للطبيعة.

ثـم نـورد قـول ابـن كثيـر رحمـه اللـه فـي تفسيره (...فَقَـالَ تَعَالَـى: وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْـمَاءَ كُلَّهَـا﴾ وَقَـالَ السُّـدِّيُّ، عَمَّـنْ حَدَّثَـهُ، عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ: ﴿وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْـمَاءَ كُلَّهَـا﴾ قَـالَ: عَـرَضَ عَلَيْـهِ أَسْـمَاءَ وَلَـدِهِ إِنْسَـانًا إِنْسَـانًا، وَالـدَّوَابَّ، فَقِيـلَ: هَـذَا الْحِمَـارُ، هَـذَا الْجَمَـلُ، هَـذَا الْفَـرَسُ, وَقَـالَ الضَّحَّـاكُ عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ: ﴿وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْـمَاءَ كُلَّهَـا﴾ قَـالَ: هـي هـذه الأسـماء التـي يتعـارف بِهَـا النَّـاسُ: إِنْسَـانٌ، وَدَابَّـةٌ، وَسَـمَاءٌ، وَأَرْضٌ، وَسَـهْلٌ، وَبَحْـرٌ، وَجَمَـلٌ، وَحِمَـارٌ، وَأَشْـبَاهُ ذَلِـكَ مِـنَ الْأُمَـمِ وَغَيْرِهَـا. وَرَوَى ابْـنُ أَبِـي حَاتِـمٍ وَابْـنُ جَرِيـرٍ، مِـنْ حَدِيـثِ عَاصِـمِ بْـنِ كُلَيْـبٍ، عَـنْ سَـعِيدِ بْـنِ مَعْبَـدٍ، عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ: وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْـمَاءَ كُلَّهَـا﴾ قَـالَ: عَلَّمَـهُ اسْـمَ الصَّحْفَـةِ والقِـدرِ، قَـالَ: نَعَـمْ حَتَّـى الْفَسْـوَةَ والفُسَـيَّةَ .وَقَـالَ مُجَاهِـدٌ: ﴿وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْـمَاءَ كُلَّهَـا﴾ قَـالَ: عَلَّمَـهُ اسْـمَ كُلِّ دَابَّـةٍ، وَكُلِّ طَيْـرٍ، وَكُلِّ شَـيْءٍ. وَكَذَلِـكَ رُوِيَ عَـنْ سَـعِيدِ بْـنِ جُبَيْـرٍ وَقَتَـادَةَ وَغَيْرِهِـمْ مِـنَ السَّـلَفِ: أَنَّـهُ عَلَّمَـهُ أَسْـمَاءَ كُلِّ شَـيْءٍ، وَقَـالَ الرَّبِيـعُ فِـي رِوَايَـةٍ عَنْـهُ: أَسْـمَاءُ الْمَلَائِكَـةِ. وَقَـالَ حُمَيْـدٌ الشَّـامِيُّ: أَسْـمَاءُ النُّجُـومِ. وَقَـالَ عَبْـدُ الرَّحْمَـنِ بْـنُ زَيْـدٍ: عَلَّمَـهُ أَسْـمَاءَ ذُرِّيَّتِـهِ كُلِّهِـمْ.)

قلت :فانظر إلى قول ابن كثير: (عَرَضَ عَلَيْهِ أَسْمَاءَ وَلَدِهِ إِنْسَانًا إِنْسَانًا وَالدَّوَابِّ، فَقِيلَ: هَذَا الْحِمَارُ، هَذَا الْجَمَلُ، هَذَا الْفَرَسُ... هي هذه الأسماء التي يتعارف بِهَا النَّاسُ: إِنْسَانٌ، وَدَابَّةٌ، وَسَمَاءٌ، وَأَرْضٌ، وَسَهْلٌ، وَبَحْرٌ، وَجَمَلٌ وَحِمَارٌ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمَمِ وَغَيْرِهَا... عَلَّمَهُ اسْمَ الصَّحْفَةِ والقِدر، قَالَ: نَعَمْ حَتَّى الْفَسْوَةَ والفُسَيَّةَ ... عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ دَابَّةٍ، وَكُلِّ طَيْرٍ) ففي هذا التمثيل بعضٌ يغني عن كلٍ ولا يتأتى للمفسر أو اللغوي أو غيرهما أن يأتوا على جميع الأسماء ؛ فليس هذا بطوق بشر, ولكن ذكر ما ورد يغني عما لم يرد بأنَّ التعليم وقع على كل شيء, فمثلا عندما يمضي ابن دريد ـ رحمه الله ـ في كتابه[الاشتقاق] معللاً أسماء المسميات مبينًا اشتقاقاتها فإنه على القول بأنَّ النسبة إلى اللسان تسقطُ هذه التعليلات؛ **فمن ثمار هذا المذهب نقضُ القول باشتقاق الأسماء عامة والأعلام خاصة** لأن التعليم وقع لآدم عليه السلام على الاسم؛ فالمعنى الذي يعيدون إليه المسميات من أين جاؤا به ؛ لأنَّ التسمية وقعتْ ابتداءً.

(واشتقاق لؤي من أشياء) ثم يمضي في ذكرها ... (ابن مالك) ومالك فاعل من الملك...واشتقاق خزيمة من الخزم؛ والخزم شجرٌ له لحاء يُفتَّل منه حبال؛ وعلى هذا النحو سار في كثيرٍ من كتابه الذي بناه على تتبع الاشتقاق ؛ ومن فصوله اشتقاق أعمام النبي صلى الله عليه وسلم , اشتقاق أسماء العشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و اشتقاق ولد النبي صلى الله عليه وسلم.

والأصول العددية أي التي تتحدث عن أصل اللفظة من ثنائي أوثلاثي ونحوهذا ,تختلف عن الأصول اللغوية ؛فالأصول العددية يقبلها هذا المصطلح وتنطوي تحته, **بخلاف الأصول اللغوية ؛ فالقول بها يُفضي إلى إرجاع الألفاظ إلى أصول لغوية بمعنى أنَّ أسماء الأشياء موضوعة لا ملهمة** ؛ ومؤدى الأخذ بأنَّ الجنسَ منسوبٌ إلى اللسان يؤول إلى أنَّ الألفاظ عُلِّمها آدم عليه السلام فهي وُجدت هكذا ولم تسبق بما يصحُّ بأن يقال إنها مشتقةٌ منه.

والعرب العاربة كما عنده رحمه الله سبعُ قبائل هم: (عاد وثمود وعمِليق وطَسْم وجَدِيس وأَمِيم وجاسِم)أهـ

قلت : وقد انقرضوا فلما شاء الله عودة اللسان العربي أنطق به إسماعيل؛ وعادٌ وثمود من الأمم التي قصَّ الله تعالى إهلاكها في القرآن:﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾الفرقان ٣٨؛ وقال ابن دريد: (وقد انقرضوا إلا بقايا متفرقين في القبائل)

قلت: فلما أُهلكتْ زال لسانها العربي معها؛ ومن بقي منهم دخل مع أقوام آخرين فانعدلت لغته إلى لغتهم؛ فنُسي اللسان العربي حتى شاء الله عودته فأنطق به إسماعيل أو يعرب ,قال ابن دريد - رحمه الله- في الجمهرة تحت مادة عرب ص٣١٩ : (وسُمي يعرب بن قحطان لأنه أولُ من انعدل لسانه عن السريانية إلى العربية) قلت : وهذا قولٌ يَسقط إذا أُعيدَ إلى أنَّ القرآن مكتوبٌ باللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ فالعربية لسانٌ قائمٌ بذاته , والسريانية كذلك؛ لكن له أن يقول بدل أنعدل عاد إليه اللسان العربي وقال رحمه الله تحت مادة[رعب] : (والعبرانية لغةٌ معدولةٌ عن السريانية) فابن فارس ـ رحمه الله ـ في مقاييس اللغة يتحدث عن اللفظة بأنها أصل, ثم يتكلم عما أُخِذ منها وكثيرٌ قوله عن لفظةٍ ما بعد أن يُعددَ حروفها إنها أصلٌ واحد يدلُّ على...وهذا هو الأصوب عندي لأنَّ الأسماء هي مداراتُ المآخذ ومنابعُها وعلى هذا يقف رأيي الذي أرى فيه أنَ الاجناس منسوبة إلى اللسان .

والله وليُ الأمر.

ويمتـدُّ الحديـث إلـى الـكلام عـن نشـأة اللغـة ؛ والمقصـود اللغـة الآدميـة التـي تكلَّـم بهـا آدم وولـده عليـه السـلام أول مبـدأ كلامهـم, ولا يُقصرُ الكلام علـى لغـةٍ بعينهـا.

وممـن تكلمـوا بهـذا ابـن جنـي ٣٩٢هـ ـ رحمـه اللـه ـ فـي كتابـه الخصائـص تحقيـق عبـد الحكيـم محمـد: فـي جـ ١ ص ٥١قـال فـي بـاب القـول علـى أصـل اللغـة إلهـامٌ هـي أم اصطـلاح (إلا أن أبـا علـي رحمـه اللـه قـال لـي يومـاً: هـي مـن عنـد اللـه، واحتـج بقولـه سـبحانه: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)البقـرة ٣١ وهـذا لا يتنـاول موضـع الخـلاف. وذلـك أنـه قـد يجـوز أن يكـون تأويلـه: أقـدر آدم علـى أن واضـع عليهـا، وهـذا المعنـى مـن عنـد اللـه سـبحانه لا محالـة. فـإذا كان ذلـك محتمـلاً غيـر مسـتنكر سـقط الاسـتدلال بـه.)

قلت: لا يسقط الاستدلال به بسبب هذا الاعتراض لأنَّ المعترض يقول: قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضَعَ عليها,فإذا كان الله هو الذي أقدر آدم فهذا إلهام يؤيد القول بالتوقيف؛ ثم هي اتفاق مجموعة من البشر على أمر كما سيأتي من قوله: (وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا) فكيف يُواضِعُ آدم من غير أن يكون معه من يواضعه فهو لمَّا تكثر ذريته؛ حتى المواضعة بهذه الصورة هي من الإلهام ؛وقوله: (وهذا لا يتناول موضع الخلاف) أي لا يقطع بأنه توقيف ؛ ثم أورد سبب الاعتراض : (وذلك يجوز... الاستدلال به)

وقال في الصفحة نفسها : (على أنه قد فُسِّرَ هذا بأن قيل: إن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية، والفارسية، والسريانية،والعبرية، والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات)

قلت: هذا كلامٌ يُضعَفه أنـه مُصَدَّرٌ بفعلين وردا بصيغـة التمريض » فُسِّر,قيل « وأيضًا أرى أنَّ هـذا مذهـبٌ لا يصلـح الاحتجـاج بـه مبطـلاً مسـألةً علميـة قطعيـة الدليـل؛ فهـذه الألسـنة المذكـورة لـم تكـن إلا بعـد آدم عليـه السـلام بأزمنـةٍ متطاولـة ؛

في ص ٥١ـ ٥٢ وفي حديثه عن قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)البقرة ٣١قـال: (فـإن قيـل: فاللغـة فيهـا أسـماء وأفعـال وحـروف وليـس يجـوز أن يُكلَّـم المعلَّـم مـن ذلـك الأسـماء دون غيرهـا ممـا ليـس بأسـماء فكيـف خـصَّ الأسـماء وحدهـا ؟قيـل: اعتمـد ذلـك مـن حيـث كانـت الأسـماء أقـوى القُبُـل الثلاثـة ولا بـد لـكل كلام مفيـد مـن الاسـم وقـد تسـتغني الجملـة المسـتقلة عـن كل واحـد مـن الحـرف والفعـل فلمـا كانـت الأسـماء مـن القـوة والأوليـة فـي النفـس والرتبـة علـى مـالا خفـاء فيـه جـاز أن يكتفـى بهـا ممـا هـو تـالٍ لهـا ومحمـول فـي الحاجـة إليـه عليها)أهـ

لكنـي أرى أنَّ هنـا أمـرًا آخـر فـي هـذه المسـألة, وهـو أنَّـه ليـس المقصـود بالأسـماء هـو مـا كان فـي مقابلـة الحـروف والأفعـال ؛ وإنمـا المقصـود مـا يَسِـمُ ويميـز الألفـاظ عـن غيرهـا مثـلاً: نقـوم , يـأكل, أنـام هـذه الألفـاظ ومـا جـرى مجراهـا اسـمها أفعـال؛ وفـي ,ولـم , وهـل , هـذه ومـا جـرى مجراهـا مـن الألفـاظ اسـمها حـروف ؛ فتعليمـه الأسـماء المقصـود بـه ـ واللـه أعلـم ــ هـو تعليمـه التفريـق بـين بـأنَّ هـذا اسـمه اسـم ,وهـذا اسـمه فعـل ,وهـذا اسـمه حـرف.

فمـن الجائـز أن يكـون تعليمـه بـأن عُلِّـم بـأنَّ هـذا الإنسـان رجـل, وهـذا اللفـظ مـن نحـو : جـاء فعل, وهـذا اللفظ مـن قـد حـرف.

ص ٥٤ ج١في حديثـه عـن أصل اللغـة : (... إلـى أنَّ أصل اللغة لا بـد فيـه مـن المواضعـة قـالـوا: وذلـك كأن يجتمـع حكيمـان أو ثلاثـة فصاعـدا، فيحتاجـون إلـى الإبانـة عـن الأشـياء، فيضعـوا لـكل منهـا سِـمَةً، ولفظـا إذا ذُكـر عـرف بـه مسـماه ... فكأنهـم جـاءوا إلـى واحـدٍ مـن بنـي آدم فأومـأوا إليـه وقـالـوا : إنسـان إنسـان إنسـان , فـأي وقـتٍ وقـع سـمع هـذا اللفـظ علـم أنَّ المـراد بـه هـذا الضـرب مـن المخلـوق , وإن أرادوا سِـمَةَ عينـه أو يـده أشـاروا إلـى ذلـك , فقالـوا : يـد, عـين, رأس, قـدم , أو نحـو ذلـك فمتـى سُـمِعتْ اللفظـة من هـذا عُـرف معنيُّهـا ... ثـم لـك بعـد هـذا أن تنقـل هـذه المواضعـة إلـى غيرهـا , فتقـول : الـذي اسـمه إنسـان فليجعـل مكانـه مَـرْد, والـذي اسـمه رأس فليجعـل مكانـه سَـر) قـال فـي هامـش ١ـ٢ : مرد : هـو الإنسـان , وسـر: الـرأس فـي الفارسـية.

قلـت: وفـي هـذا ذكـر رأي مـن يقـول إنَّ اللغـة وُضِعـتْ بالمواضعـة أي الاصطـلاح علـى المسـميات ؛ ورأي القائلين بهـذا تخيُّـلي والحجـة إنشـائية متوهمـة , لـم تُبنَ علـى علـمٍ ودليـلٍ قاطـع ؛ فاتفاقهـم علـى تسـمية مُعيَّـن مـن أيـن جـاءوا بهـذا اللفـظ الـذي اصطلحـوا عليـه اسـمًا لهـذا المُعيَّـن ؛ واختيارهـم هـذا الاسـم أليـس الإلهـام ؛

لأنَّ اللفظ الذي اتفقوا عليه ليس موجودًا في كلامهم ساعة المواضعة والاصطلاح ؛ وهذا أمرٌ لا يسعه خيال ولا يقبله تصور ولا يحده عقل فإذا قضى هذان الحكيمان من الإنسان وأعضائه, ثم انتقلا مثلاً إلى الحيوان فقالا : هذا أسد وهذا ذئب... ثم جاءا إلى الطيور فقالا هذا عصفور هذا صقر... ثم إلى الزواحف ثم إلى الحشرات , ثم ينتقلان إلى أعضاء هذه المخلوقات, وبعد أن يستكملا مخلوقات البر ينتهيان إلى مخلوقات البحر, ثم إلى ما يريانه من مخلوقات السماء وما يقع من مطر ورعد وبرق ,ثم إلى تسمية ما يصيب الإنسان من علل وأمراض , وغاية الأمر أن لا منتهى للقائمة التي يحتاج إلى أسمائها الإنسان, فهل هذا بمقدور بشر؟!

وقع في نفسيي أني أُكبِر أبا الفتح ـ رحمه الله ـ عن هذا القول البارد ولا أظنه إلا من عوارض النقص الذي يعتري ولد آدم؛ وهذا يؤكِّد عجز البشر عن المواضعة , ويؤيد أنها توقيفية اقتضت حكمته تعالى وجودها .

ثـمَّ إنَّ هذيـن الحكيمـين إن لـم يكونـا ألهمـا معنـى الحكمـة وأُلهِمـا مقتضاهـا؟ فكيـف عـرف مـن حولهـم أنهمـا حكيمـان؟, بـل كيـف وقـع فـي نفسـيهما هـذا المعنـى؟ » أعنـي الحكمـة « ومن أيـن جـاءا بهـذه اللفظـة؟ إن لـم يكـن هنـاك لغـةٌ يتحـدثُ بهـا النـاس, ومـآل الأمـر إلـى الإلهـام والتوقيـف ؛ ويضـاف إلـى هـذا أنَّ كلمـة[حكيـم] مـن القـول الـذي يصل إليـه البشـر ويحتاجونـه بعـد تجربـة ؛ ولا يجـري علـى ألسـنتهم إلا بعـد الشِـبَع مـن المعانـي الضروريـة كمعانـي الأكل والشـرب ومـا هـو فـي حكمهمـا ممـا يتداولـه النـاس خاصتهـم وعامتهـم فـي كلٍّ حياتهـم و ليسـت مـن عـام القـول.

ابـن فـارس رحمـه اللـه فـي كتابـه « الصاحبـي « تحقيـق السـيد أحمـد صقـر رحمـه اللـه ص ٦ ومـا بعدهـا: (بـاب القول على لغـة العرب أوتـوقيـف أم اصطلاح؟ أقـول إنَّ لغـة العـرب توقيـف ؛ ودليـل ذلـك قولـه جـلَّ ثنـاؤه: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا) البقـرة٣١ .

(فـإن قـال : أفتقولـون: فـي قولنـا سـيف وحسـام وعضـب, إلـى غيـر ذلـك مـن أوصافـه إنـه توقيـف حتـى لا يكـون شـيءٌ منـه مصطلحًـا عليـه ؟ قيـل لـه: كذلـك نقـول) فابـن فـارس يجـزم بـأنَّ اللغـة منشـأها توقيـف وإلهـام؛ وبهـذا قُضـي الأمـر عنـده فـأراح واسـتراح.

ابن حزم ٤٦٥هـ رحمه الله ص٣٢ في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» بتحقيق محمد بيومي: (في كيفية ظهور اللغات أعن التوقيف؟ أم عن اصطلاح؟قال أبو محمد: أكثر الناس في هذا، والصحيح من ذلك أصل الكلام توقيف من الله عز وجل بحجة سمع وبرهان ضروري. فأما السمع فقول الله عزوجل:﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هَـؤُلاءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾وأما الضروري بالبرهان : فهو أن الكلام لو كان اصطلاحاً لما جاز أن يصطلح عليه إلا قوم قد كملت أذهانهم وتدربت عقولهم ، وتمت علومهم ، ووقفوا على الأشياء كلها الموجودة في العالم وعرفوا حدودها واتفاقها ، واختلافها وطبائعه) واعتراض ابن حزم ورده مذهب الاصطلاح وجيهٌ يتجه الرأي إلى الأخذ به.

مع الدكتور /علي عبد الواحد وافي ١٩٩١م ـ رحمه الله ـ في كتابه «علم اللغة» الطبعة التاسعة ص٩٦:(لاشك أنَّ الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى المجتمع نفسه... ولاشك كذلك أنَّ اللغة ظاهرةٌ اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية فتخلقها طبيعة الاجتماع...)

لا يمكن تصور إيجاد لغة من العدم ؛ فليس هذا بوسع الإنسان ؛ فكيف يُتصور أنَّ هذه المجموعة من الناس سمتْ ما حولها من غير لغةٍ سابقة موجودة؛ لذلك جاء صريح التنزيل : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾البقرة ٣١ لأنه سبحانه عَلِم أنَّ هذا المخلوق بتكوينه الذي قدَّره الله لا يستطيع إيجادَ لغةٍ من عنده، ولا إيجاد مسميات لما كان حصوله بعد الإهباط.

ثم عرّج في ص ٩٨ على قوله تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)البقرة ٣١ فقال: (وهذا النص ليس صريحًا كما يدّعون ؛ إذ يحتمل أن يكون معناه ـ كما ذكر ذلك ابن جني في كتابه الخصائص ؛ وذهب إليه كثيرٌ من أئمة المفسرين ـ أنَّ الله أقدر الإنسان على وضع الألفاظ) هذه الجملة فيه إيحاءٌ على أنَّ هذا القول مما جزم به ابن جني , لكن العبارة التي قاله ابن جني هي (وذلك أنَّه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها) وهي بهذا الإسلوب فيها رخاوة الرأي لا الجزم به.

وقوله : (وهذا النص ليس صريحًا) أقول: بل هو صريح , وتطرُّق الاحتمال إليه ورد على ذهن المؤلف؛ لأنه يرى كما مر أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية ؛ (فتخلقها طبيعة الاجتماع) فكيف نذهب في تأويل [علَّم] الصريحة إلى أنها أقدر وهي آيةٌ محكمة وليس في مدلولها ما يخرج عن المألوف فيحوجُ إلى التأويل؛ فهذا تعسف ؛ فالألفاظ تفسر بلسان من نزلت عليهم ؛ فالعلم هنا عكس الجهل؛ لذلك حكى الله سبحانه قول الملائكة بما يدلُّ على أنَّ المقصود هو العلم المنافي للجهل؛ فقال تعالى: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ٣٢ البقرة؛ وعلى رأيه هل نقول إنَّ ﴿ عَلَّمْتَنَا ﴾بمعنى أقدرتنا و﴿العليم﴾ بمعنى القادر؟!؛فـ (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) صريحةٌ بأنَّ المراد رفع الجهل لا الإقدار على أمر؛ والأمر ليس فيه منكر مخالف لطبيعة الأشياء يجعلنا نذهب إلى التأويل؛ فالقول بالتعليم متوافق مع طبيعة الأشياء , ومع لسان من نزل القرآن عليهم.

واما قوله عن ابن جني - رحمهما الله - فإنه قال في الخصائص: (... إلا أنَّ أباعلي رحمه الله , قال لي يومًا هي من عند الله , واحتج بقوله سبحانه : (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) وهذا لا يتناول موضع الخلاف ؛ وذلك أنَّه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها) قلت: لا يسقط الاستدلال به على التوقيف بسبب هذا الا عتراض لأنَّ المعترض يقول : قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضَعَ عليها؛ فإذا كان الله هو الذي أقدر آدم فهذا إلهام وتعليم يؤيد القول بالتوقيف؛ وكذلك المواضعة هي اتفاق أناس على اسم شيء , فكيف يواضع آدم وهو واحد ليس معه بشر؛ وحتى مواضعة آدم هي إلهام؛ ثم صوغ الرأي بـ « قد « و» يجوز» هاتان عبارتا تمريض تضعفان الأخذ بالخبر.

ثم أورد وافي نصًا من سفر التكوين يقول: (والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء , ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان , فوضع آدم أسماء جميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء وداوب الحقول) ثم عقَّب على هذا النص: (وهذا النص كما ترى لا يدلُّ على شيءٍ مما يقول به أصحاب هذه النظرية بل يكاد يكون دليلا عليهم) ولم يبين مأخذ إسقاطه أو من كونه قد يكون دليلا على القائلين به, مع أنَّ فيها : (ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ)

وإن كنت أجزم برأيي مكتفيًا بدلالة صريح القرآن الكريم؛ إلا أن سوقه نصَّ التوراة يبين أنَّ المسألة تظاهر فيها نصان , وأنَّ المسألة مما تدين به الأديان.

حتى لو ذهبنا إلى الأخذ بتأويل[علَّم] إلى أنها بمعنى [أقدر] فالأمر يؤول إلى التعليم ؛ وليس من صنع البشر حسب حاجتهم؛ فكيف قدر هذا الإنسان من غير تعليم؟!من الله الذي أقدره.

وقوله: أئمة المفسرين ,فلم يذكر هؤلاء الأئمة ولا أمثلةً من أقوالهم وقد مرَّ عليك قبل قليل استعراض طرفٍ مما قاله أئمة المفسرين.

الدكتور/عبد الله ربيع ـ رحمه الله ـ يُزري بمن يذهب إلى هذا الرأي؛ فقال في ص٣٨ وما بعدها في كتابه « في فقه اللغة (لقد بقي أمر اللغة الإنسانية الأولى مجهولا ... فلم تقل فيه بعد الكلمة التي يقرها منهج البحث)

(الآراء في نشأة اللغة١ـ التوقيف والإلهام...وقد لقي هذا الرأي قبولاً عند بعض العلماء . على اختلاف العصور. خاصةً وأنهم استندوا ـ أو هكذا تصوروا ـ إلى نصوص دينية تقول بأنَّ آدم عليه السلام ألهمه الله اللغة , وعلمه إياها) والمأخذ عليه جاء من كلمة « تصوروا » فالأمر حقيقي وليس تصورًا وإنما هو ثابت بأصح مصدر وهو القرآن الكريم﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾البقرة ٣١

والدليل المعزو إلى قوله تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا) تدخل فيه سائر اللغات فهي مقطوع بها من خلال هذا الدليل على أنها توقيف, وأنها موجودةٌ قبل تمايز الناس بأعراقهم وأديانهم ؛ فهم في مبدأ أمرهم منسوبون إلى اللسان فلما اختص كلُّ قوم بلسان جرت النسبة إلى العرق؛ وهذا الانتقال من النسبة إلى اللسان إلى النسبة إلى العرق متوافق مع طبائع الأشياء وترقيها ثم تباينها.

وقوله: (لقد بقي أمر اللغة الإنسانية الأولى مجهولا ... فلم تقل فيه بعد الكلمة التي يقرها منهج البحث) هذا القول لا يستقيم إذا أخذنا بصريح قوله تعالى: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)٣١ سورة البقرة فأيُّ منهج بحث يستبعد ما صرَّحتْ به الآية منهجٌ لا يُعتدُّ به.

وعلى قول من قال إنه علمه أسماء ذريته أجمعين كما ورد في الصاحبي لابن فارس؛ فمن المعلوم المقطوع به أنَّ ذريته لم تبقَ على جنس واحد؛ وإنما تقاذفتها الأعراق وتباينت بها؛ وهذا يستنبط منه أنَّ اللغة المعلَّمة هي اللغة الإنسانية لا لغة قومٍ بعينهم, ويتعين هذا الرأي إذا ضممنا إليه ما ذكره عبد الواحد وافي عما ورد في سفر التكوين.

(وفي مقالةٍ بعنوان «لماذا كانت اللغة العربية أمَّ اللغات» للكاتب / منير صبح سعيد: (تهدف الدراسة إلى إعادة اللغة أية لغة إلى أصلها الأول ... وحين شرع « الإنسان » يؤسس لغته بدأ بالأصوات البسيطة يقلد فيها أصوات الطبيعة مثل:[أبو,إن ,ما , إز, ور,...إلخ ... الكلمة صوت وصورة ومعنى ...

كان الإنسان القديم كالطفل الصغير يسمع الصوت ويراقب الصورة المرافقة له ويستنتج المعنى ... ولوتأملنا الطبيعة في العصور القديمة لما وجدنا فيه مصدرًا معتبرًا وغنيًا بالمعايير كلها سوى القمر فهو إله الخصوبة... الرعد وهو صوت إله الخصوبة بوعده ووعيده ولهذا صاغ الإنسان في مختلف اللغات أصواتًا كثيرة يقلد فيه الرعد في لغتنا المئات...)

يقولك [ولوتأملنا الطبيعة في العصور القديمة] قلت : كيف يتأمل شيئًا لم يره! وهذا رأي مبني على خيالٍ شاطح لا دليل عليه بل ولا رائحة دليل؛ والمقالة طويلة وستأتي بعد قليل كاملةً معقَّبًا عليها .

ومما يضاف هنا الاستدلال بقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ)(عَلَّمَ الْقُرْآنَ) (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) الرحمن ١ ــ ٤؛ فتعليم البيان نعمةٌ امتن الله بها على الإنسان عامة؛ فتعليم البيان هنا ليس مقصورًا على جنس أوعرق وهذا يفضي إلى أنَّ اللغة الإنسان هي من عند الله وعلمها الإنسان.

فالأقـوام إذن فـي منشـأها الأول ليـس لديهـم عـرقٌ أو جنـس فتنسـب إليـه , وإنمـا هـي لغـةٌ كلٍّ قـوم اختصـوا بطـرفٍ منهـا , ثـم تنـاءت الأماكـن وتباينـت البيئـات فنُسـي النسـب إلى اللسـان وحـل محلـه العـرق أو المكان.

والإنسـان بمـا هيـأه اللـه لـه مـن عمـارة الأرض ووهبـه مـن عقـل نجـد أنـه هـو الـذي تباينـت عنـده اللغـات , وتنقلـت بـه الألسـنة مـن حـينٍ مـا أقـدره اللـه علـى الـكلام إلـى يـوم النـاس هـذا إلـى مـا يشـاء اللـه؛ هـذا بخـلاف مـا عليـه سـائر المخلوقـات ذوات الأرواح ؛ فهـي باقيـةٌ علـى مـا أُعطيـت إيـاه يـوم خلقهـا اللـه ؛ وذلـك فـي أصواتهـا التـي تصـل بهـا إلـى شـؤونها وتـؤدي بهـا مـا تقـوم بـه حياتُهـا؛ فالزئيـر للأسـد والرغـاء للإبـل والخُـوار للبقـر والنعيـق للغـراب والفحيـح للأفعـى والعُـواء للذئـب والنُبـاح للكـب والنقيـق للضفـدع والطنـين للذبـاب... إلـخ؛ فهـي باقيـةٌ علـى أصواتهـا هـذه التـي خلقهـا اللـه عليـه.

وبهـذه الأصـوات تتداعـى مـن غيـر اعتبـار لموطنهـا؛ فلـو جئنـا بأسـد مـن أقصـى الشـرق ووضعنـاه أمـام أسـد مـن أقصـى الغـرب فإننـا لا نجـد سـوى الزئيـر معبـرًا عـن الحـال؛ وهكـذا سـائر مـا ذكـرت مـن المخلوقـات يعبِّـر كلٌّ بصوتـه الـذي أُعطـي إيـاه سـاعة خلقـه لـم يختلـف ولـم يتبـدل؛ ولـو بُعـث حيـوانٌ مـن هـذه الحيوانـات مـات مـن آلاف السـنين لاسـتطاع أن ينضـمَ إلـى قطيعـه أوسـربه بغيـر كُلفـة ولا غربـة.

والله يتولى الأمر وإليه مردُّ العلم

ومما استدعاه الكلام أن أعـرِّج على مقالـةٍ بعنـوان : «لماذا كانت اللغة العربية أمَّ اللغـات» منشـورةٍ في مدونـة الباحث/منيـر صبـح سـعيد, يـوم الاثنـين٢٧/ مارس/٢٠١٧م.أُسوقُ نصَّ المقالة ثم أُعقِّبُ بالتعليق عليها.

مقدمـــة

١- تهـدف الدراسـة إلـى إعـادة اللغـة، أيّـة لغـة إلـى أصلهـا الأول وهـو (الأصل الطبيعـي) الـذي هـو منطلق الديـن والفكـر أيضـاً وهـذا عمـل ضـروري ومشـروع ويخـدم وحـدة التصـور الإنسـاني للوجـود ومـن ثـم التنـوع ضمـن هـذه الوحـدة. لقـد تميـز الإنسـان القـديم عـن غيـره مـن الكائنـات الحيّـة بعقلـه وحنجرتـه ولسـانه، وحـين شـرع يؤسـس لغتـه بـدأ بالأصوات البسـيطة، يقلـد فيهـا أصوات الطبيعـة، مثـل: (بـو، إن، مـا، إز، ور... إلـخ) ثـم شـرع يركـب كلمـات مؤلفـة مـن حرفين سـاكنين مـع صوت المدّ الـلازم، (عـن، عـان، عين، عـون، عنـا، عني، إلخ...) وهـذا مـا ندعـوه كلمـات المقطـع الواحـد.

لقـد أحصيتُ هـذه الأصوات الثنائيـة ذات المقطـع الواحـد فـي لغتنـا معتمـداً معجمـي لسـان العـرب لابـن منظـور والمحيـط للفيروزأبـادي فوجدتهـا تزيـد قليـلاً علـى (٦٦٠) سـتمئة وسـتين صوتـاً تتكـون منهـا كل الكلمـات فـي لغتنـا (وفـي سـواها إلـى حـد كبيـر) وممـا يثيـر الدهشـة أن هـذه الجـذور المثنـاة أعطت دلالات خصوبيـة ولـم يشـذ عـن ذلـك جـذر واحـد فـي اللغـة العربيـة.

وأقصد بالدلالات الخصوبية تلك المتعلقة بالحياة والرزق والسعادة والحماية تلك التي اعتقد الأقدمون أنها من عطاء إله الخصوبة، وهذه أمثلة على دلالات هذه الجذور: هو يعطي هواء، ما: ماء، نم: نمو، نر: نور، ضو: ضوء، حي: حياة، بر: كرم وعطاء، خر: خير الخ....

٢- اكتشف الإنسان القديم أن النور والماء والهواء هي أصل الحياة وخص الماء بالاهتمام(وجعلنا من الماء كل شيء حي) ورأى أن الماء الذي يمنح الحياة يسقط من السماء فهو من هبات إله السماء الملأى بالنجوم والكواكب فعبد أكبريها: الشمس والقمر، ورأى في الشمس النور والدفء والحرارة التي تبخر المياه وحاكماً جباراً يستمد منه حمورابي شريعته مثلاً، بينما رأى في القمر اللطافة والنور الذي يبدد الظلام، والبرودة التي تسقط المطر فهو إله خصوبة للأرض والأرحام فهذا حمورابي نفسه يعتقد أنه من نسل (سين) القمر وذلك في مقدمة شريعته، فكما أن مطر السماء هو ماء الإله الذي يدخل رحم الأرض فيخرج النبات، كذلك يفعل ماء الحياة في الأرحام فتلد الأم الأبناء كما في عالمي الإنسان والحيوان.

أطلق السومريون (كما يزعم الآثاريون) على القمر اسم (الإله ثور) ولعل التسمية أقدم منهم، لكن هذه التسمية اقترنت أهميتها بعصر اكتشاف الزراعة وإنتاج الغذاء بالاعتماد على مياه المطر.

في منطقتنا التي أنتجت الغذاء قبل قرابة عشرة آلاف عام وانتشرت مع هذا الاكتشاف طقوس العبادة الزراعية، التي أرست قواعدها المعابد الكثيرة المنتشرة في منطقتنا ثم عمت العالم القديم الذي كان لدى شعوبه تصور موحَد حول الخصوبة والطبيعة وما تزال أنباء الولادة والموت هي الأكثر رواجاً.

٣- سوف يستغرب الذين ليست لديهم قراءات ميثولوجية واسعة من استخدام كلمة ثور بهذه الغزارة وهل يمكن أن نعيد الكلمات إليه وإلى صفاته الخصوبية وأجيب بأنه مادام الماء أصل الحياة وسيبقى فإن الناس كانوا وما يزالون يستسقونه في صلواتهم بل ربما نشبت حروب دولية لأجله كما نشبت في تاريخنا حروب قبلية على مواطنه ومواطن العشب ومن هنا كانت أهمية الإله ثور لدى الشعوب القديمة.

يحتلّ (الثور) الحيوان موقع المحور في الحياة الزراعية منذ فجر التاريخ وحتى القرن العشرين بل إن اكتشاف الإنسان لأكتاف البقرة تحديداً هو الذي أدخله التاريخ وبدون البقرة بقي الإنسان صيّاداً يبحث عن طعامه كل يوم في الأدغال، لكن الزراعة جعلت منه إنساناً أكثر خبرة ونزوعاً إلى بناء المجتمع المدني المتحضر.

٤- تترجم أسماء المواقع في بلادنا وفي العالم كله هذا التصور، بشمولية هائلة، ذلك لأن الإنسان لا ينطق إلا بحاجاته ولا يدعو أويتضرع أو يبكي إلا لحاجاته فمن الطبيعي أن تكون لغته ترجمة لهذه الحاجات وأذكر من هذا القبيل أسماء على سبيل المثال:

عين ترما: قرب دمشق يتكون الاسم من (عين، ثور، ماء) أما العين فتعني الأمير وجمعها أعيان وتعني العين الباصرة وتعني ينبوع الماء وهذه صفات إله الخصوبة فهو أمير النجوم وعين السماء كما سماه قدماء المصريين وهو (عين الماء) الذي يغدق المطر، وفي الساحل السوري شرق اللاذقية قرية ترمي: والاسم مكون من ثور وماء بلهجة (مي) حيث ما زلنا نلفظ الماء بلهجتنا مي، وكذلك ترمانين: في منطقة حلب والاسم ثلاث كلمات هي (ثور، ماء، نين) تعني ثور الماء قمر وقد يستغرب القراء ورود ألفاظ ثور أو بقرة بهذه الغزارة ولكنهم يعلمون أن أول سورة في القرآن هي البقرة وهي الأطول وأن اسم التوراة هو البقرة إذا أخذنا لفظها بالإنكليزية TORAH وأن كلمة انجيل هي (انج+ايل) وكلاهما من أسماء الثور حيث تعني كلمة انج في الهيروغليفة المصرية ؛ ثور وهذا ما نجده في (انجامينا) عاصمة تشاد وكان مينا أقدم تسمية للإله ثور عند المصريين ونجده اتحاد الكلمتين في كلمة (ميناتور) وتوجد في الساحل السوري قرية (طرنجي)

ومثلها في الجولان وهي (طر+انجي) أي الثور مفخماً طر والطاء هو الحرف السادس عشر في الأبجدية العربية المرتبة قمرياً كما سيتضح للقارئ في تحليلنا لكل حرف فيها أي من أحرف البدر ويصبح معنى (طرنجي) الثور المعظم انجي أو البدر (الطارة انجي) (TIRE) أما ايل فهو الثور ايل كما تسميه ملاحم اوغاريت والآثار الكنعانية كما نجد (طر) بدلاً من (تور) في طرطوس أي الثور المعظم طوس وطوس في القاموس من أسماء القمر.

كما تهدف الدراسة إلى عقلنة النظر إلى الميثولوجيا والدين مقابل مرويات وأحاديث لا حصر لها تهدف بدورها إلى اغتيال العقل والفكر باسم المقدس والمحرم.

يقولون: العربية لغة الضاد ولم يسبق لأي من اللغويين العرب أن فسّر لنا معنى الضاد ولا من أين جاء بل نردد حروف أبجديتنا بعطالة تشبه من يردد كلمات لغة لا يفهمها ولم يخطر ببال أحد منهم أن من واجبه أن يبحث عن معانيها وأصولها بل مضى بعضهم إلى البحث عن مخارجها، فهذه أحرف انفية وشفوية أو لسانية وحلقية ورطبة ويابسة إلخ.. ظناً منهم أن هذا يلقي ضوءاً على أصل اللغة ولكن هذا التقسيم سلبي لا يقود إلى أي نتيجة ما دمنا نقلد صوت الرعد بأصوات من كل هذه المخارج: طن وز أز طخ طج دق طق رن صلصلَ دندن دو..دي... كل هذه التساؤلات ستجيب عليها الدراسة التالية والدراسات اللاحقة.

تقديم

ما يزال بيت شاعر النيل: (أم اللغات غداة الفخر أمهما)يثير فينا حماساً مجانياً لا يستند إلى أي بعد معرفي ندركه، فكيف تكون العربية أم اللغات ومن أين لها هذه الخاصة العظيمة؟؟

يدرك الشاعر حافظ إبراهيم قبل غيره أن أحداً من اللغويين العرب قديماً أو حديثاً لم يزعم مثل هذا الزعم بل يقولون: العربية والعجمة، ويضعون للعربية قواعد لا نظير لها في اللغات الأخرى. فإلى أي شيء استند شاعر النيل؟ وتزداد دهشتنا إذا علمنا أنه استند إلى رأي المستشرقين والباحثين في الآثار الشرقية الذين كانوا يعقدون اجتماعات دورية في القاهرة ولاسيما علماء المصريات الذين رأوا أن أسماء آلهة مصر وبابل واليونان..... هي أسماء عربية، لأن اللغة العربية وحدها تقدم تفسيراً تطبيقياً لها جميعاً بدءاً بحروف الجر حتى أسماء الآلهة ومروراً ببقية الكلمات، فالعرب هم الذين عاصروا وورثوا الزمان والمكان من هذه الحضارات الأصلية وتشهد على ذلك لغتهم.

مِنْ مِنَ: الإله المصري (mina+min) ويفيد معناه البداية.

إلى: الإله إل الكنعاني ويفيد معناه الغاية خرجت (من)البيت (إلى) الحقل.

عن: تعني الأمير ونجدها في (عنجر) فالجار في العربية: البعل أي الأمير بعل وما زلنا نسمي الأمير (عين، عان وباختصار الاحرف الصوتية تصبح عن)وكانو يختصرونها.

على: العلا في سورية والحجاز واليمن والعلَمين في مصر,علا+ main: الأمير الذي علا.

تحت: إله العالم السفلي المصري الذي سمي به تحتموس.

راع: الإله المصري، ونحن ما نزال نقول: رعاك الله فالله راع.

آمون الخفي: كمون في العربية تعني الاختفاء وهي (moon+ cow) الثور مون.

حد: البابلي أصبحت الواحد والأحد وما نزال نقول: البيت ما فيه (حد) وأضيفَ إليه المقطع إد= من الأكادية (حدد) ويفيد (إد) معنى العظمة والخطورة وفي القرآن وردت الآية: جئت أمراً إدّاً قرونوس: اليوناني (قرون+ أوس) القوس صاحب القرون وقد كان رمزه عند اليونان قرن ثور تخرج منه الأوراق والأزهارومنه القرن والقرين:البعل, هيرا: يونانية من (القاوهيرا) البقرة هيرا وهو الاسم الفرعوني لموضع القاهرة الذي أطلق عليه المعز الفاطمي اسمه (المعزية) فسقط اسمه وبقي اسمها الأصيل الذي يفسره اسمها القديم الآخر (هرمو) الثور الخصيب لأن (moo) خوار الثور.

بل إن اللاتينية هي أبجدية (اللات) العربية التي سمي بها (تغلاّت) الآشوري وسهل (لاتيوم) الروماني....

إن ما يقدمه هذا المقال هو توثيق لهذه الشهادات التي كان يجهلها شاعر النيل ومعه العرب ويدركها الباحثون الأوروبيون؟!...

قال أبو سهيل صواب الأيه :(لقد جئتم شيئاً إدا) مريم ٨٩ خطيراً وعظيماً.

لماذا كانت الأبجدية قمرية؟

سأبدأ من دون مقدمات:

نأخذ كلمة سنبلة: فهي تتكون من كلمتين مقطعين (سين+بلة) أي القمر بعلة وهذا هو اسم عشتار القمرية العذراء البعلة السماوية والأم الكبرى لدى شعوب الشرق وفي الفرنسية نجد السنبلة (épi) وهو اسم الزوجة البعلة بالفرنسية وفي الانكليزية تسمى السنبلة (Virgo) أي البعلة السماوية العذراء أيضاً. وقد كانت ألهة الخصوبة تمثل بصورة حسناء تحمل سنابل القمح.

نلاحظ أن اللغات الثلاث (العربية والانكليزية والفرنسية)على تباعدها تستند إلى مرجعية خصوبية واحدة نستطيع تعميمها بحكم قانون الطبيعة وليس بحكم أهوائنا وأدياننا.

لقد وجد الإنسان نفسه منذ العصر الحجري في عالم عظيم كثير المجاهيل وأحس بضعفه أمام جبروت الطبيعة (السيول والصواعق والبحار والأنهار والوحوش المفترسة...) وكان يبحث عن طعامه صيداً والتقاطاً في الغابات والجبال وكانت حاجته إلى اللغة تتطور مع تطوره الاجتماعي حتى اكتشف الزراعة وشكل المجتمعات الزراعية فصارت لغته أكثر غنى وحضارية. فكيف تكونت اللغة؟؟

الكلمة: صوت وصورة ومعنى.

حين نسمع كلمة (بيضة) يتبادر إلى ذهننا ذلك الشكل الدحروجي الأبيض كما يتبادر معناها فهي مادة للطعام والتفريخ وهشة سريعة الانكسار... فأقول إن كلمة بيضة صوت (اسم) أحالني إلى (صورة) و(معنى) أما إذا قلت: نجح جارنا بعلامات جيدة فإن كلمة نجح تدل على معيار امتحان وفهم، جارنا: معيار يميزه عن الأخ والابن والصديق والبعيد الخ... العلامات: معيار لوحدات التقويم،...جيدة: معيار لمستوى ورتبة النجاح وهكذا.

إن كل كلمة نسمعها تحيلنا إلى صورة ومعنى ولا نستطيع حتى اليوم بالرغم من التقدم العلمي والتكنولوجي أن نبتكر كلمة واحدة إلا إذا راعينا هذه المعايير عياناً أو تضميناً فحين وضع مصطلح (الإيدز) مثلاً روعي أن يتكون من أول حرف لأربع كلمات تتضمن أربعة معايير هي (متلازمة عوز المناعة المكتسب) وهكذا كان الإنسان القديم كالطفل الصغير يسمع الصوت ويراقب الصورة المرافقة له ويستنتج المعنى، فلا بد للكلمة من صوت معياري وصورة معيارية ومعنى معياري، ويجب أن تكون هذه المعايير معترفاً بها من قبل من يستخدمون هذه الكلمة ولها تقدير وجلال في نفوسهم.

ولو تأملنا الطبيعة في العصور القديمة لما وجدنا فيها مصدراً معتبراً وغنياً بالمعايير كلها سوى القمر فهو إله الخصوبة بما يصدر عنه من أصوات الرعد والرياح والعواصف وكذلك أصوات الحيوانات التي تناديه مثل الديك

(COW)=بقرة ثور هذه الأصوات التي تحيلنا إلى صور ومعان، فلا بد للكلمة من صوت معياري وصورة معيارية ومعنى معياري.

الصوت المعياري:

هناك ثلاثة مصادر له هي: صوت الرعد والرياح وأصوات الحيوان والأصوات العضوية المشتركة بين البشر.

١- الرعد: وهو صوت إله الخصوبة بوعده ووعيده ولهذا صاغ الإنسان في مختلف اللغات أصواتاً كثيرة يقلد فيها الرعد في لغتنا المئات وكلها ثنائية أو مضاعفة مثل (طج ضج دق طق أز وز طخ ونّ همهم طنطن دندن صلصل دو دي.....)

نأخذ اسم بحر البلطيق: (بل+طيق) البعل الذي بلّ الأرض بالماء وهو الراعد (طاق طيق) أما في اللغات الأوربية فلا يوجد طاء وقاف بل تاء وكاف (paltique).

٢- أصوات الحيوان: فنحن نقلد الثور بصوت بع، فنجد كلمة بعثر (بع=ثور) وقد اعتقد قدماء المصريين أن الديك حين يصيح في الصباح الباكر كاو فإنما يخاطب إله الليل: ثور فكانت كلمة كوثر (COW=ثور) كما نقلد الثور بصوت (مع) فنجد كلمة: معاكس (مع=OX) ثور كما نناديه بكلمة: تع فنجد كلمة: تعاكس (تع=OX) ثور ولدينا قرية في الساحل السوري تدعى: تعنيتا (تع=neat) أي بقرة أو ثور بالإنكليزية وهذا اسم إلهة السماء المصرية(نيت)

٣- الأصوات العفوية التي ينطق بها الإنسان في حالات الدهشة والفرح والألم مثل: آي، يا، يه، أوه، أخ، واه... فكلمة هداية: (هد=آية) العجيب والمدهش (هد) وهو بعل أغارت أما عناية فهي: (عين= آية) وقد أطلق على القمر والشمس اسم عيني السماء.....ايليا=ايل+يا! أي ايل العجيب والعظيم.

الصورة المعيارية:

يستطيع الإنسان القديم أن يرى في إله الخصوبة جميع الصور التي يبتغيها فهو الوليد والشاب والشيخ والدائرة والقوس ونصف الدائرة والثور والأسد الزائر والبقرة والحية الكونية والأم والبنت والزوج والزوجة وصهريج الماء ورامي السهام (الصواعق) وناشر الغيم ومخصب الحقول ومفجر السيول وبذرة ذات فلقتين ورحم الأم الكونية والأمير والخادم (كما تخدم الأم أبناءها).

نأخذ اسم: قوسايا. في لبنان فهو قوس+ آية: القوس الآية.

اسم كشمير: (كاش+مير) كشا المرأة: تزوجها فهو الأمير الكاشي أي البعل.

كارادون (إنكليزي)= (كارا+دون) الأمير الكارة البدر المكتمل (الدون في العربية: الشريف والوضيع من الأضداد وكذلك (don وdown) في الإنكليزية.. ومثله:

كارتر: الثور الكارة أي البدر أما في الإنكليزية فهي: حمّال (carter) أما شارلي شابلين: الشاب البدر، (لينا . llena) في الأسبانية تعني البدر.. والبدر هو القمر شاباً.

المعنى المعياري:

لقد استمد الإنسان القديم من القمر كل المعاني التي يحتاجها باعتباره مصدر السعادة والشقاء والحياة والموت والخصب والجدب والأنوثة والذكورة والخوف والثقة والذكاء والحماقة والقسوة والرقة الخ.. وتلمس معاييره الاجتماعية لديه معتمداً الحواس مدخلاً للمعاني نأخذ كلمات مثل:

أطلق البابليون على الإله (زو) اسم خادم الآلهة والزو في العربية: الزوج البعل.

-بخيل: (باخ+ايل) حين (يبيخ) يضعف ضوء القمر يصبح ضعيف الخصوبة بخيلاً .

- (كرمٌ) بالتنوين: (كارة+مون) حين يصبح إله الخصوبة كارة أي دائرة يكون خصباً كريماً.

- (شحيحاً) بالتنوين: (شحي+حان) ينادى الثور بكلمة شح وشيحا وهنا بلدة ترشيحا في فلسطين فحين يكون توراً حانياً ظهره قوساً: يصبح ضعيف الخصوبة بخيلاً.

- معتّر (مع=التور) تطلق على الفقير... فالبدر الخصيب يسمى بعلاً فإذا بلغ الشيخوخة صار تور أيل الذي يفتقر إلى الخصوبة.

- أريحي: كريم وهي: (أر+يح) الذي يئر=يخصب الأرحام (بعل هو (يح) القمر في الهيروغليفية وصف علي بن أبي طالب الديك بقولة: يئر بملاقحة .

- سألني صديقي لماذا كانت الأبجدية العربية قمرية؟ فقلت هل تعلم أن القمر ذُكر في القرآن الكريم (٢٨) مرة بعدد حروف الهجاء منها (٢٧) في السور وواحدة في عنوان سورة القمر ؟.. وأن للأبجدية العربية أربعة عشر شكلاً فقط لأن للقمر أربعة عشر شكلاً يستعيدها في النصف الثاني من الشهر بصورة متناظرة.. وأن عدد الأحرف القمرية أربعة عشر حرفاً اي التي يلفظ معها ال التعريف ,وأن أول دائرة في الأبجدية العربية هي (ص) وتتكون من الدائرة والهلال أي القمر البدر وترتيبه الرابع عشر ويليه: ض.ط.ظ وهي أحرف البدر الأربعة التي تتساوق مع أيام البدر من الرابع عشر حتى السابع عشر وهكذا بقية الأحرف كما رسمت ورتبت في صدر الإسلام وكان العرب اليمنيون المعينيون والحضارمة قد وضعوا أول أبجدية عربية مكونة من تسعة وعشرين حرفاً كل حرف فيها هو إله الخصوبة الذي أطلقوا عليه اسم الإله كاتب وهو في مقابل الإله توت عند قدماء المصريين أي إله الحكمة: القمر .

يقول عالم المصريات السيد والس بدج في كتابه آلهةُ المصريين: إن تحوت يمثل كلاً من قلب ولسان راع بمعنى أنه كان يمثل القدرتين الذهنية والسببية للإله وكذلك الوسائل التي يترجم بها إرادته كلمات ومن هذا المنظور كان يعتبر هو نفسه (الكلمة) . ويمضي إلى القول وفي أزمنة لاحقة أصبح

(تحوت) يمثل كما قال بروجيش اللوغوس الإفلاطوني .

والجدير ذكره أن الأبجدية اليونانية قد أخذت شكلها النهائي الحالي في عصر أفلاطون٤٠٣ ق.م ولدى تحليلنا لكل حرف فيها تبين إن كل حرف في هذه الأبجدية هو القمر معنى ورسماً ويقول بيدج؛ وتحوت في صورته (كاله للكلمات العظيم) وهو رب الكلمات المقدسة أو رب كلمات الله . وكان المصريون يشخصونه تصويراً على هيئة الإنسان برأس طائر يحمل فوق رأسه قرص القمر وفي يمينه القلم وفي الأخرى لوحة الكتابة وقد تبنى عرب اليمن هذه النظرية ومن بعدهم اليونانيون ويمضي بدج إلى القول إن اليونانيين كانوا على حق، عندما عبروا عن حكمة وعلم تحوت وعندما قارنوه بهرمس، فقد وصفوه بأنه مخترع علم الفلك والتنجيم والأرقام والرياضيات.. وهو الذي حدد طقوس الصلوات وابتكر الأشكال والحروف الأبجدية وفن القراءة والكتابة ويقول كليمنت الكسندريان؛ إن كتب تحوت تعدت الإثنين والأربعين كتاباً عند قدماء المصريين وذلك في مختلف علوم الحياة؛ القوانين والآلهة والعبادات والتاريخ والجغرافيا والهيروغليفية والتنجيم والطب .

(الأبجدية العربية والخط المسند)

تضاربت الروايات حول علاقة الأبجدية العربية بالسريانية أو الآرامية أو المسند اليمني لمجرد شبه بين بعض الحروف ولكن الجميع لم يفطنوا إلى أن هذه الأبجدية إسلامية ترتكز على نظرية المسند في رسمها الحروف ففي المصاحف الأولى رسم الألف هلالاً وكذلك الباء والتاء... والحاء قرناً وتحته الهلال أما في وسط الكلمة فتصبح قرنين وهكذا. نأخذ حرف الباء من خلال أسماء المواقع التالية: هلباء (في الجزيرة العربية) الذي هل وهو باء. شعبا (بين جبل طيء) الذي شع وهو باء..شهبا (في سورية) الملك باء لأن الشه والشاه في لسان العرب الملك.. (هدبا) (علم شهرة): الهادي باء وهو اسم بعل أغاريت.وفي حديث نبوي: من استطاع منكم الباءة فليتزوج. فالباء هو الزوج البعل وهكذا فهو الذي: هلَ وشعَ وهدى وهو ملك النجوم... ولهذا ترسم العربية (ب) هلالاً قرناه نحو الأعلى وترسمه اللاتينية (B) فلقتي البدر ونجدها في اسم قرية (بيرين) (Be+rain) أي بعل المطر وفي الاسم الانكليزي (cosby) أي القوس B ولدي عشرات الأمثلة لكل حرف أما الأدلة على جزم (قطع) أبجديتنا من المسند فهي:

١- لا توجد الأحرف اللثوية الثلاثة الثاء والظاء والذال إلا في العربية الفصيحة والمسند وأبجدية أوغاريت .

٢- إن أبجديتنا والمسند تكونان من الحروف ذاتها فالحاء والخاء والدال والذال لا تأتي بهذه الطريقة اللفظية إلا فيهما بدلالة ترتيب الحروف المسجوعة

متجاورة هنا وهناك كالصاد والضاد والطاء والظاء اثنين اثنين ولا ترد مثل هذه الحروف باللفظ أو الترتيب في السريانية ولا غيرها.

٣- ظن الباحثون أن المسند يتكون من أعمدة وزوايا بينما أبجديتنا منحنيات وهذا يعود إلى النقش بالأزميل والمطرقة على الحجر عند الأقدمين حيث يسهل رسم المستقيم والزاوية أكثر من القوس ونجد ذلك أيضاً في الحروف الرومانية واليونانية القديمة وحين استخدم العرب والأوروبيون الجلود والورق مالت الحروف إلى الانحناء. ولو أمعن الباحثون النظر وفهموا النظرية لأدركوا التطابق بين الأبجديتين.. فالصاد دائرة وهلال (ص) وهي كذلك في المسند ( ) وكذلك الضاد عندنا أما في المسند فهي نافذة شطرت عرضانياً إلى نصفين ( ) وكان البدر يسمى نافذة السماء التي تشع النور ومن حولها الظلام والخط الفاصل بين الفلقتين..

أما الطاء فهي نافذة شطرت طولانياً ( ) وأما الظاء (ظ) (دائرة+١+ النقطة) والنقطة رمز للمركز (center) أي تور سين هو المركز وترسم لدى اليمنيين (دائرة+ ١+ هلال) ( ) وهكذا بقية الحروف مما يؤيد رواية ابن عباس وابن خلدون وسواهما أنه جزم من الخط اليمني قبيل الإسلام.

٤- حين ابتكر الأوربيون الحروف الصغيرة في عصر النهضة بدت مخالفة للشكل القديم ولكنها تنطلق منه وتتفق معه في الدلالة فالحرف (A) يمثل القمر صعوداً وهبوطاً وبينهما البدر (أربعة أيام بين ثلاثة عشر يوماً

من اليمين واليسار) فرمزوا للألف بمقطع جانبي لرأس الثور (a)؛ قرن أو قوس في الأعلى ثم الرأس البدر فالعنق او القوس الاسفل لأنه هو إله ثور وروعيت هذه القاعدة في جميع الحروف الصغيرة في اللاتينية واليونانية حيث نجد التطابق واضحاً بين A حرف كبير و a فكلاهما البدر بين هلاليين.

من معجم الخصوبة مادة (لن؛ لين، لون، لان) في العربية : اللين؛ رخاء العيش وخصوبته (يعيش في رغد ولين).

اللون؛ الشكل، الصورة والهيئة، متلون؛ متغير الأشكال وهذا ينطبق على إله الخصوبة Lune.

اللیان؛ رغد العيش والملاينة.

في الفارسية؛

لان؛ مقام، مكان وفور الشيء.

لانه؛ عش الطيور، حظيرة، نداء، صدى.

لنبه؛ كل شيء مدور كروي.

لند، لنک؛ عضو الذكورة.

في الإنكليزية؛

-كلمةLenity؛ رفق لين تساهل (تطابق العربية لفظاً ومعنى؛ (في لينة عيش).

-كلمةLineage: ذرية نسل. (لين+ age) ومازلنا نقول: الحمد الله (إجا) الخير إجا الصبي وإجا الموسم، أما أجأ فهي موضع في اليمن وايجه بحر اليونان وكلا اللفظين يدلان على إقبال الخصوبة والخير.

-كلمةLunar: في اللغات الأوروبية قمري هلالي الشكل.

-كلمةLean: ينحني هزيل نحيل قاحل عقيم: حين يكون إله الخصوبة شيخاً نحيلاً في أواخر الشهر يصبح ضعيف الخصوبة عقيماً ومثلها mean تعني بخيل أيضاً لأنه miniy: صغير نحيل، تتفق العربية معها في كلمة بخيل (باخ إبل) أي ضعف نور القمر فأصبح بخيلاً. باخ الضوء: خفت.

في الفرنسية:

-كلمة,Lune: قمر وتتفق مع الإنكليزية في المعاني السابقة.

في الإسبانية:

-كلمةLlena (لينا) البدر.

وكلمةLuna (لونا) البدر.

الأعلام التي تضم الجذر (لين لون لان) وشهادة العربية وسواها على مادة (لين):

١- لين: ماء بطريق مكة وموضع في مرو (معجم البلدان) ولينا: نهر في سيبيريا.

٢- شارلي (شابلين) (شاب+ لين) يكون القمر بدراً حين يصبح شاباً ويسمى الفتى في الإنكليزية Chap.

٣- برلين: عاصمة ألمانيا: (Berlin) البر الخير والعطاء والبر هو المحسن الكريم وكلاهما من معاني الخصوبة أما الجذر pro في اللغات الأوروبية فيفيد الخصوبة والإنجاب كما في productive.

٤- كريملين Krimlin في الساحة الحمراء (كريم لين) البدر الخصيب الكريم وما يزال العامة يقولون كُريم وكُبير وصغير وتطلق على الحصن المشرف على مدينة روسية.

الجدير ذكره أن الاسم موجود في الجزيرة العربية باسم الكرملين ورد في بيت للشاعر زيد الخيل:

أتاني أنهم مزقون عرضي　　　حجاش الكَرمِلينِ لها فديد

حيث ورد بصيغة المثنى والصواب (الكريم لين) وهكذا أخطأ في اللفظ وحصل مثل ذلك في قول زهير:

ودار لها بالرقمتين كأنها: مثنى (رقمة) وهذا خطأ فلا معنى أبداً لتثنية المكان بل الصواب ودار لها (بالراق. ما. تيني) الذي راق الماء وهو قوس الخصوبة المنحني (التيني) كما نقولها إلى اليوم.

٥- سخالين: جزيرة في بحر اليابان متنازع عليها بين الروس واليابانيين. وهي (سخالين) بدر السخاء أي الكرم وقد كان إله الخصوبة السومري يسمى (كورساخ) أي الكروي الخصيب ويسمى المطر الغزير (سخي) أيضاً أما إلهة الخصوبة المصرية فهي (سخمت) أي البعلةmate)) السخية وفي العربية نقول: (يمتّ) إليّ بصلة القربى فكل قرابة (تأتي من البعولة أي المصاهرة (mate) ومانزال إلى اليوم نقول (سخمت أمه فيه) و(نهر أبوه فيه) حيث (نهر) من أسماء البعل والنهروان في العراق هي (النهر+ وان) بعل الرعد.

٦- يوسف (ستالين) زعيم روسي معروف (Stalin) أي الأسطي بدر أو الأمير، والأصل هو في إله الخصوبة المصري (ست) والطاء والتاء يعبر عنهما حرف واحد في الهيروغليفية هو هلال نصفي ( ) وكان الملك يسمى (سوت) وقد فخمت العربية التاء فنقول سوط وسطوة الملك وسطا، وما تزال قرب دمشق (حر+ ستا)= القمر الأمير حيث نجد حرى تقترن مع moon في (حرمون) واسمه عند قدماء المصريين (عم حرى) وكلمة (عم) من أسماء القمر عند اليمنيين وتعني في العربية السيد كثير الخيرات (المحيط).

٧- حيالين: قرية في سورية (حيا+ لين) الحيا: المطر والحيا: الحياة فهو قمر الخصوبة (الحياة) وهو إله المطر لدى شعوب الشرق.

٨- تالين: في وسط سورية: (تا) في الفارسية: المنحنى وتاو وطاو في العربية تعنيان الانحناء في (ملتوي ومنطوي) وقد رسمت العربية التاء هلالاً ورسمها الخط المسند اليمني (+) صليباً وهذه شارة الموت والميلاد لإله الخصوبة ونجد الصليب مع الهلال في الحرف اللاتيني (G) الهلال وعلى قرنه الأسفل التاو أما التاء اللاتينية واليونانية فهي ما تزال تشبه التاو الفينيقي T أي صليب الخصوبة ونحن نعلم أن التاء في العربية حرف قسم يخص الإله دون سواه (تالله).

٩- كارولين اسم علم وولاية أمريكية (كارولينا) (كارو+ لينا) نسمي الدائرة (كارة) ويكون القمر بدراً حيث يصبح كارة وقد أخذت السيارة اسم car من الدولاب (كارة) ونسميه حتى اليوم (كريجي) وهو اسم العربة بالأنكليزية carriage ونقول جاء يكرج كرج: كالدولاب. أما كارتر فهو الثور الكاره: البدر بينما هو في الانكليزية حمال (carter).

١٠- ميشلين: اسم علم (ميش+ لين) في العربية المشاء: النماء في الرزق والولد وفي لسان العرب سميت الماشية ماشية لأنها تتناسل وتتكاثر وتفيد كلمة (much) الكثرة أيضاً.

١١- عبلين: قرية في فلسطين (عب+ لين) في اللسان عب الشمس: ضوءها وهكذا عبلين تعني: بدء الضياء. ونقول عبّأ فلان المونة، وعبى جيبه مالاً وهذه كلها معان خصوبية تضاف إلى (لين).

١٢- ابعقلين: قرية في لبنان (أب+ عق+ لين) EP في الفرنسية بعل وفي العربية المحيط (الرجل أبو المرأة: زوجها) وعق السحاب: لمع ومنه المعدن الكريم عقيق وهكذا يعني الاسم: (البعل اللامع بدر) ويكون القمر بعلاً إذا كان بدراً لأن كلمة الخصوبة التي نستخدمها (بدار من اسمه البدر): بدرنا الأرض بالقمح أما بذار فهي B: البدر بفلقتين+ ذار:منتج الذرية أو النسل.

١٣- مدلين: اسم علم (مد+ لين) ندعو لفلان بالخير فنقول: الله يمدّه. وفي الانكليزية نستخدم الكلمة للصانع made وفي العربية (ميداء الطريق: وسط الطريق) حيث يتوسط البدر قبة السماء وفي الانكليزية ميديوم: وسط وكذلك medi وسط ونحن نضع الميدي (المائدة) في الوسط عادة أما Mad مجنون فهي صفة إله الخصوبة إله العاصفة والرياح حين يغضب ونقول: ريح مجنونة.

١٤- سنقالين: قرية في الساحل السوري (سين+ قا+ لين) سين: القمر عند الأكاديين والحضارمة وقا: الثور عند قدماء المصريين وقد استمدوه من صوت الديك وهو يناجي إله الليل (قاو أو كاو) ونجدها في (عرقا) لبنان (الثور: قا) وفي (البلقا): الأردن الذي بل الأرض بالماء (بعل) وهو قاو.

وقد جمعت العربية (سين إلى القاف) في كلمة (السنق) وتعني الخير والشبع وهكذا يعني اسم (سنقالين: بدر الخير والشبع) كما كونت الفرنسية رقم خمسة (٥) الذي يشبه البدر في كلمة سنق sinq كما أخذ العدد أربعة من (كا+تر).

١٥- إيفلين: Evelin: تسمى الزوجة Effa باللاتينية وeva بالانكليزية وهكذا يعني الاسم: البدر البعلة بصفته عشتار القمرية وفي الروسية تنتهي أسماء الذكور بـ (F) وأسماء الإناث بـ (Fa) وكذلك في العربية نجد القطيف في الجزيرة العربية والقطيفة في سوريا حيث يسمى البعل الثور (قاط) كما في قلعة (شورقاط) الثور في الأشورية والبابلية (شور) فهو الثور القاط وهوالذي يمنح الري للأرض في اسم الشاعر: قطري بن الفجاءة أو الذي يثرالأرحام أي يخصبها كما في (قط+ أر) وتطلق كلمة قطيفة على الزوجة المأخوذة عنوة في (قط+ إيفا effa) أما بعلها فهو (قط+ إيف ef).

١٦- ليندا‌و: مدينة في ألمانيا (لين+ داو) أي لين الداوي إله الرعد ولدينا شهرة الدو وكذلك في الأنكليزية (ado) تعني الضوضاء والجلبة.

١٧- لينوس (خليفة بطرس) Linus (لين+ أوس): في العربية الأوس لهجة في قوس ونذكر باسم الأوس والخزرج والأوس والإياس: الخير والنعمة.

١٨- نعلين (قرية في فلسطين) (نع+ لين) يقلدون صوت الثور بكلمة (نع) ونجدها في (النعار) موضع في الجزيرة العربية (نع+ عار) أي الثور الذي يعر أو ينعر وفي اللسان ناع ينوع: أمال برأسه والنوعة الفاكهة الرطبة، النعماء: الدعة والمال والنعو: الشق في الدائرة. وكل هذه المعاني خصوبية تتصل بالجذر لين، لأن البدر دائرة بفلقتين.

١٩- ابتعلين (لبنان) (اب+ تع+ لين) EP بعل+تع: ثور وما زلنا ننادي الثور بكلمة تع ونجدها في اسم الشاعر: البلتع (Bull=تع) وتع تعنيتا (قرية في الساحل السوري) تع=neat بقرة ثور وفي كلمة تعاكس (تع=ox) وهو رمز صليب الخصوبة وهكذا يعني الاسم (البعل الثور لين)= ابتعلين.

٢٠- الكاملين: موضع في السودان: (كام+ لين) كام الجمل الناقة: خصبها فالكامي هو البعل في العربية ومن هنا جاء اسم (الكاميرون) (الكامي الأرون) والأرون هو النشيط والخصيب جنسياً. أرن الثور فهو أرون: أراد السّفاد ولا ننسى اسم الأديب الفرنسي البير كامي: أما (كامباينا) فهي في إيطاليا: (كام+ بان+ يا) في اليونانية Pan: البدر وفي العربية بنى الرجل على المرأة فهو (باني) أي بعلها وهكذا يعني الاسم: البدر بعل الخصوبة العظيم لأن صوت يا: يفيد التعجب والتعظيم.

٢١- مارلين: اسم علم (مار+لين) تعني كلمة (مار: سيد) في اللغات الأوروبية وفي العربية. مار فلان بأهله: أحسن إليهم وما تزال البعلة عندنا تسمى (مرا) والكلمة نفسها موجودة في اسم القمر: (قا+مر) وفي اللهجة البدوية طلع القو: مر) gomar حيث ينادي الديك (قا، قو، قي) قَمر، قُومر، والقيمري موضع في دمشق.

٢٢- الجبلين: في السودان: (جب+ لين) جب النخل: لقحه، الجبجاب: الماء الغزير جابت المرأة: ولدت، الجوب الولادة والأبناء هذه المعاني الخصوبية مضافة إلى لين.

٢٣- ريفلين: اسم عبري (ريف+ لين) في لسان العرب الريف: الخصوبة، والرفاء: الخير والنماء رفأ الرجل: تزوج، الرفاغية: سعة العيش والغية: نستخدمها بمعنى الدلال. والريف: السعة في المأكل والمشرب (اللسان) وفي الانكليزية Rife: حافل منتشر ونقول رفل بثوب العز Revel: مستمتع مرح صاخب ومثلها في العربية (رافل) أما رفائيل فهو (قمر الرفاء السعادة في الحياة والبنين).

٢٤- جاكلين: (جاك+ لين) لا توجد في العربية الفصيحة الجيم مع الكاف بل توجد في العامية (جك حالو) أي انغرس في أمر ما وفي الانكليزية Jag: يطعن ينحر ولكن الفارسية هنا تعطي المعنى الأصلي

حيث تعني كلمة (جك)=١٥ شعبان: أي ليلة البدر من شعبان وهذا ينسجم مع لين باعتباره البدر كما تعني الكلمة جيك براءة في الفارسية أما إبريق الماء فهو **Jug** في الانكليزية وقد تصوروا قديماً أن القمر يمتلئ ماء عذباً ثم يدفعه إلى الأرض مع العواصف والرعود.

٢٥- عجلين في فلسطين وعجلون في الأردن (عج=لين=لون) الثور لون ومايزال الفلاح عندنا يقول: يعج مثل الفدان. والعجيج: صوت الماء الهادر أيضاً كما نقول خار الثور وخرير للماء أما عجمان: فهو الثور المان على الناس بالخير والخصوبة.

٢٦- عدلون: في لبنان. (عد+ لون) نسمي الأرض البعلية حتى اليوم (عدي) من اسم البعل عد والعد من أسماء الماء والعد: العدد وقد أستمد الإنسان فكرة الأعداد والتقاويم من أشكال القمر ودورانه أما (عدشيت) في لبنان فتعني البعل الشاتي أو الشيتي بلهجة لبنانية سورية أي مُسقِط المطر (الشتي).

٢٧- بتلون (لبنان) (بت+ لون) في اللسان بات الرجل: تزوج وفي المحيط (البيت: الزواج) والبيت من أسماء الكرم والجاه: صاحب بيت، البت: القطع والتزويج والكعبة والبيتة: القوت، وفي الفارسية بت: صنم ومعشوق أما (بتو) فتعني: مشرق وبات: عرش وسرير وفي الإنكليزية **pet**: مدلل و**pity** عطف ومحبة.

٢٨- الحيلوني: قرية (مصياف): (الحي+ لوني) قمر الحياة أي العيش والخصوبة وفي العربية نجد الاسم (حيدرة) حيث (حي) في العربية اسم الإله وفي الفارسية (دارا) اسم الإله أما (حيفا) فهو الحي الذي فاء علينا بالرزق والولد وكلمة الحياة: هي الحي+آت من أتى الرجل المرأة فهو بعل (آت) أي البعل الحي الذي يمنح الحياة بالخصوبة.

٢٩- باقيلون: قرية في (القرداحة) (الباقي قمر) والبوق والبوقة: دفعة المطر (اللسان) وبقت السماء: كثر مطرها وتتابع: والباقي: الإله: عبد الباقي. وبق النبت: طلع وبقت المرأة: كثر أولادها (اللسان) وباق به: جاء بالشر والخصومة وهما من صفات البعل الغضوب الذي يفتك بخصومه دون رحمة، فالشر: الخصومة والغضب والشرّ: سقوط المطر الغزير من السماء والشار الملك في البابلية. شنشار: الملك شين وهي مساوية للبدرشين في مصر.

٣٠- عين ليلون: قريتان في الساحل السوري وفي محافظة حلب: (عين+ لي+ لون) العين الأمير جمعها أعيان والعين ينبوع الماء والعين الباصرة وقد أطلق على إله الخصوبة عين السماء لأنه يحوي المعاني السابقة.

لي: اللي والطي: الانحناء فهو قوس السماء وLea في الانكليزية تعني مرج أخضر وتسمى منطقة الخصوبة (إلية) (إيل+ يه أو لي+ يه) (إيل) ومقلوبها بالعامية (لي) تضافان إلى يهوه وهو اسم القمر عند الكنعانيين قبل العبرانيين بزمن طويل.

٣١- ابن طولون: حاكم في مصر (طو+ لون) تفخّم كلمة تو بكلمة طو، والتاء رسم هلالاً في العربية أما الطاء فترسم دائرة البدر لأنها الحرف السادس عشر في العربية وذلك بقصد التعظيم بينما تبقى كلمتا طوي وطاوي تعنيان الانحناء ونجد الكلمة ذاتها في طوماس Thomas؛ ففي العربية مس الرجل المرأة وماسها؛ خصبها بينما نجد كلمة ماس تقترن بالثور لتدل على السيادة والمكانة (master).

٣٢- لونبان موضع في أصفهان (ياقوت) (لون+ بان) بان في الفارسية: حارس وبانو: عروس ملكة، وبن: شجرة فهو حارس الليل وهو الملكة عشتار العروس وهو رمز شجرة الحياة أما في العربية فتعني بان: بعل (بنى على المرأة) وتعني البناء: الازدهار أبان المرأة: زوجها وفي الفرنسية Bon؛ خير حسن صلاح، Boni؛ ربح وفير وفي الانكليزية Bonny؛ ممتلئ صحة جميل ممتاز Pan؛ إله المراعي وهكذا فهو حارس وبعل وملكة وخير ووفرة وجميل...

٣٣- بيت العلوني: (بيت العل+ لوني) حطه السيل من عل: أي من مكان عال فهو القمر العالي والعلّ في اللسان: الذي يزور النساء أي بعل، وعال الله الرجل: تكفل عياله، العلل: الشرب تباعاً العل: الكبير في السن ومن هنا جاءت كلمة عليل: حين يشيخ الإله إيل يصبح مريضاً معلولاً (عل=ill) أما علوان فهو (العالي الوان) الراعد الذي يونّ.

٣٤- ابن جلّون: المغرب (جل+ لون) الجليل لون، جلجل: صوت الرعد، جلا فهو جلي أي وضح وبان ومنه شهرة الطبقجلى) (الطبق: البدر الجلي) لأن استدارته تشبه الطبق وجال طاف وأما جلبوع: موضع في فلسطين وهو (جل+ بوع) حيث يقلد الثور بصوت (بوع وباع وبيع) فهو الثور الجليل أو صاحب الجلجلة إلخ..

٣٥- يعالون: اسم عبري إسرائيلي: (يع+ لون) يطلق على الثور في الهيروغليفية (يع أو يح) وتلتقي الفارسية مع اللغة المصرية في كلمة (مهيع) الطريق الواضح حيث (ماه: قمر في الفارسية ويع عند المصريين قمر ولعل الصوت (يع) تقليد لصوت الثور ولهذا نجد ماء لبني يربوع يسمى (ترياع) في الجزيرة أي (الثورياع) أما يعقوب: فهو يع القمر+ القوس المقبب ما يزال الناس عندنا يسمون القوس قوب.

٣٦- رسلان: علم وموضع: (رس+ لان) ندعو الأمير بلفظ: مير أحياناً وفي اللسان رِيس وأريس مثل مِير وأمير أي الأمير الذي جعل العيش ليناً. وتتفق العربية مع الانكليزية في كلمة رئيس التي تفيد العلو والسيادة ومثلها rise يرتفع يعلو وفي اللسان: رس أصلح والرس: الابتداء والرس: بئر الماء والريس والروس: التبختر. وفي الفارسية رس: نضج كمال، راست: صادق صحيح مستقيم يقين، رس: عِنان، أكول شره، رسا: عالم فهيم لائق وفي الانكليزية Race ماء متدفق وسلالة، Racy: نشيط حيوي. وكل المعاني السابقة خصوبية.

٣٧ سولان: واد بالحجاز: (سو+لان) الساو والشاو: علو المكانة والهمة، سوّى: صنع وعدل في خلقه، السواء: ليلة الرابع عشر من الشهر القمري، سواء السبيل: الطريق المستقيم ومن المضحك المبكي قوله : وقد اتحد الجذر (سو) مع البعل (بان) في موقع السوبان: في معلقة زهير فا البيت المشار اليه لا علاقة له بما وقع بذهن الكاتب وتوهم ؛ فزهير يعدد الأماكن التي مرت بها الطعائن ولا علاقة بينها وبين إله الخصوبة التي نبتت في ذهن الكاتب والبيت يقوله:

دارٌ لها بالرقمتين كأنها مراجيعُ وشمَ في نواشر معصمِ

وهنا موضع أثري اسمه (سوكاس) قرب جبله حيث كاس الرجل المرأة: خصبها أما (سو) بالفارسية فتعني النور والنفع وفي التركية سو:الماء وفي الانكليزية saw: الرؤية وsue يغازل فهو البعل المغازل وعين السماء لاحظ جذري:

سوسن: سو في التركية ماء+ سنّ الماء صبّه في العربية.

سوسن: سو في الفارسية نور وفي العربية السنا: النور.

سوسن: سوّى الرجل للمرأة خصبها (عامية): سنّها وفي المعجم سانَ الجمل الناقة.

سو+ سن: Saw seen كلاهما يفيد الرؤية في الانكليزية.

٣٨- السلان: بين تهامة والحجاز: (سل+لان) الذي أنجب السلالات وهو لان: في العربية سل ونسل: أنجب نسلاً والسلى: المشيمة وسلوة العيش: رخاؤه والسلسل: الماء العذب، السيل: الماء الكثير.

وفي الفارسية: سال: سنة وقد دلت الكلمة (سالند) على الشيخ العجوز المسن كما أخذت العربية كلمة مُسن: من سنة وسنَ أي: عُمر أما سل: فتعني قارب في الفارسية. وهو قارب السماء وفي الإنكليزية cell: خلية حية، soul: نفس وفي العربية: سولت نفسه. وكلمةsell يبيع يخون ونحن نسمي البيع النشيط: سيولة والأسل هوالخائن في اللسان، لأن هناك علاقة مابين البيع والخيانة فنحن نقول: باع شرفه أو وطنه: أي خان.

٣٩- شملان: لبنان (شم+ لان) العالي لأن: الشمم: العلو: شام الشيء: نظر إليه، الشيمة: المكرمة العظيمة.

وفي الفارسية: شام أول الليل طعام العشاء، چام: أعوج منحني، آشام: مشرب غذاء. في الإنكليزية: sham: صوري وزائف لأنه صورة غير واضحة،Shame خجل حياء لأن من يشعر بالحياء والخجل يطرق إلى الأرض كما يبدو إله الخصوبة مطرقاً إلى الأرض.

٤٠- سنبلان: أصفهان (سين+بو+لان) بو في العربية الأب وفي الانكليزية Bow قوس فالهلال هو القوس الأب. وفي الفارسية بو رائحة عبير أمل، بوران: مطر ثلج مع ريح ونحن نعلم أن كلمة Rain تعني مطر أما بوكان فتعني: رحم المرأة.

أما البو في العربية فهو ولد الناقة وBoy تعني الولد عموماً. أما كلمة Pow فتعني: رأس وصوت انفجار، ومن هنا جاءت كلمة Power: سلطة قوة.

٤١- رألان بن مازن: اسم علم: (رأ+ لان) الذي رأى وهو لان، لأنه عين السماء ورأرأ السحاب: لمع ومن هنا جاء اسم بصرى (بص+ را): الذي يبص هو الذي يرى أو يبص يلمع والرأرأة اللمعان وكذلك (Ray) الإشعاع أما المشعاع فهو dia+tor+Ra، ثور الضياء الرأراء حيث فخمت العربية الدال في dia فأصبحت ضيا فكلمة day الانكليزية يقابل في العربية (ضي) لأن الدال في العربية قوس نحيل (د) معتم ومن هنا ديجور: ظلام عندنا ونور عن الانكليز والفرنسيين(Jour=day) والضاد هو الحرف الخامس عشر أي البدر ساطعاً (ضي) وليس الهلال معتماً (دي جور).

٤٢- أما علاّن فهو (العالي – لان) وقد تقدم.وبلاّن: اسم علم هو (بل+ لان) الذي بل الأرض بالماء والمطر وهو (لان) وتطلق كلمة بلان على نبات شوكي بعلي ينبت برعاية البعل وسقايته في الأرض البور البعلية.

وهذه قراءة لهذه المقالة

في أول تدبيري عن هذه المقالة رأيت أن أكتب التعليق من غير إيراد نصها؛ ولكني ظهرلي أن إشراك القارئ في قراءة النص كاملاً فيه فائدة, بل قد يستبين له فهمٌ غيرُ فهمي, وينجلي له رأيٌ خفي علي؛ والمقالة فيها من سوء الفهم وشطحات التأويل ما ستراه عيانًا.

يقول الكاتب : (لقد تميَّز الإنسان القديم عن غيره من الكائنات الحية بعقله وحنجرته ولسانه؛ وحين شرع يؤسس لغته بدأ بالأصوات البسيطة؛ يقلد فيه أصوات الطبيعة مثل: [بو,ما,إز,ور... إلخ] ثم شرع يركب كلمات مؤلفة من حرفين ساكنين مع صوت المد اللازم .(عن,عان,عين , عوم,عنا, عني)

قلت: وهذا رأيٌ مبنيٌ على تخيُّل بلا دليل ولاحجة, وهو متولِّدٌ من الأساطير التي يرى الكاتب أنَّ لها قيمةً علميةً ومرجعيةً تاريخيةً يجب أن يصار إليها؛ ومؤداه أنَّ آدم ـ عليه السلام ـ أُهبط بلا غاية ولا لسان؛ ولكنَّ الحقَّ الذي دلَّ عليه الوحي أنه لم يُهبط هملاً بلاغاية, ولم يترك بلا لسان معبرٍ مبين؛ بل إنَّ تكليمه والقول له من الله - سبحانه - وقع قبل إهباطه؛ قال تعالى:

(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) البقرة٣٥ فسمع أمرًا ونهيًا وتخويفا ,وهو إنما أُهبط لغاية عظيمة وهي خلافة الله في الأرض؛ وهذ صريح قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) البقرة٣٠ فلا يُتصوَّرُ أنَّ جعله خليفةً سيكون بغير لسان مبين يصل به إلى مبتغاه؛ ومعلوم ما تتطلبه الخلافة من حاجةٍ إلى لسان, ولا يُتصورُ أنَّ مخلوقًا أسجد الله له الملائكة وكلَّفه بالخلافة أن يكون مبدأُ كلامه محاكاة ما حوله من أصوات البهائم والطيور أو يكونَ كلامه رموزًا من غير لسان ناطق؛ لهذا جاء بعد هذه الآية قوله تعالى:

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) البقرة٣١ فهو ـ عليه السلام ـ أُهبِطَ بعد التعليم وتمليكه لسانًا تقوم به حياته.

وكلامه عن «لماذا كانت اللغة العربية أمَّ اللغات»

لا يعدون - حسب نص كلامه - كونه تعويلاً على القراءات الميثولوجية ـ أي اعتمادالأساطير بأن تكون من مصادر المعرفة؛والأساطير مما رمى به الكفار القرآن الكريم, وجاء عند البغوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: :﴿ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأنعام٢٤: (والأساطير جمع : أسطورة ، وإسطارة ، وقيل : هي الترهات والأباطيل) كذلك جاء في تفسير الجلالين أنها (أكاذيب كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم.

وجاء في ج٣ ص٢٥٠ من كتاب» الموسوعة الموجزة في العلوم والثقافة والفنون من معارف المرحلة الثانية «ط الأولى تأليف/ صالح بن عبد الله العبيري: (الميثولوجيا العلم الذي يبحث عن الآلهة والأبطال , ثم أطلق الميثولوجيا على علم الأساطير والخرافات)

قلت: وهذا التعريف ينطبق حذو القذة بالقذة على ما سار عليه في مقالته؛ فمدار الدليل خرافة وأساطير أو أخبار من تدبير الآلهة وتصريفها .!؛ لذلك نجده يقول مهيئًا ذهن القارئ: (سوف يستغرب الذين ليست لديهم قراءات ميثولوجية واسعة...) فالثقافة الميثولوجية هي المحرك وهي والمصدر؛

فإلـه الخصوبـة منـح الـرزق والسـعادة والحمايـة؛ وإلـه السـماء يمنـح المـاء.

يقـول: (بقـي الإنسـان صيّـاداً يبحـث عـن طعامـه كل يـوم فـي الأدغـال) هـذه شـطحةٌ تظهـر هشاشـة علمـه إن كان لديـه علـم , وأنَّ الأسـاطير هـي التـي تحـرك قلمـه ؛فالإنسـان الأول أُهبـط إلـى الأرض وقـد منحـه الله عقـلاً يقـوده إلـى الغايـة التـي مـن أجلهـا أُهبـط, وهـي الخلافـة فلـم يكـن الإنسـان أولَ وجـوده علـى الأرض صيـادًا يبحـث عـن طعامـه فـي الأدغـال؛ وإنمـا الأمـر أسـمى وأجـلُّ مـن هـذا ؛ فهـو مكلَّـفٌ بعبـادة اللـه وخلافتـه.

فمـن هـذه الأسـاطير: (يحتـل [الثـور] الحيـوان موقـع المحـور فـي الحيـاة الزراعيـة منـذ فجـر التاريـخ وحتـى القـرن العشـرين...)

ومـن هـذا: (ولوتأملنـا الطبيعـة فـي العصـور القديمـة لما وجدنـا فيهـا مصـدرًا معبـرًا بالمعاييـر كلهـا سـوى القمـر فهـو إلـه الخصوبيـة ...)

ومنـه: (... وأن كلمـة انجيـل هـي (انج+ايـل) وكلاهمـا مـن أسـماء الثـور حيـث تعنـي كلمـة انج فـي الهيروغليفيـة المصريـة ثـور وهـذا مـا نجـده فـي (إنجامينـا) عاصمـة تشـاد) قلـت: وهـل هنـاك تقـاربٌ تاريخـي بين تسـمية[إنجامينـا] وتاريخ لغـة المصرييـن القدمـاء؛ وتقـول الموسـوعة الحـرة «الوكيبيديـا» عـن إنجامينـا: (فـي ٦ أبريـل ١٩٧٣م قـام الرئيـس فرنسـوا تومباليـاي بتغييـر اسـمها مـن فـورلا مـي إلـى أنجمينـا والتـي هـي كلمـة مـن أصـل عربـي انجمينـا

أي استرحنا. مأخوذة من الاستجمام. (أنجمينا). وحرفت لأنها باللهجة الدارجية التشادية)

وأمَّا سؤاله : (لماذا كانت اللغة العربية أمَّ اللغات) فقال عن الإجابة :(رأوا ـ يعني علماء المصريات من المستشرقين ـ أن أسماء آلهة مصر وبابل واليونان..... هي أسماء عربية، لأن اللغة العربية وحدها تقدم تفسيراً تطبيقياً لها جميعاً بدءاً بحروف الجر حتى أسماء الآلهة ومروراً ببقية الكلمات، فالعرب هم الذين عاصروا وورثوا الزمان والمكان من هذه الحضارات الأصلية وتشهد على ذلك لغتهم.) فهو يرى أنَّ من أسباب التسمية أنَّ العربية تفسر أسماء الآلهة؛ ثم يمضي كما رأيت بإيراد مجموعة من أسماء الآلهة, وهو يربط بعضها بتعليلات عربية, ويعيد اشتقاقها إلى أصول عربية!. مثل:[مِنْ ربطها مع الإله مِنَ , إلى مع الإله إل... كما هو مبينٌ في نص المقالة أعلاه؛ ثم زاد في بعده حين شطح في تفسير اسم الإله : (قرونوس اليوناني بأنه [قرون+ أوس] ارجع إلى نص المقالة.

فأين هذا المنهج في بيان فضل العربية من منهج كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي أو وكتاب» التنبيه عل حدوث التصحيف « لحمزة بن الحسن أوكتاب الخصائص لابن جني رحمهم الله, وسيأتي الكلام عنهم في هذا الربض إن شاء الله

وسؤاله الـذي يقـول: لمـاذا كانـت الأبجديـة قمريـة؟, كانـت كذلـك لأنـه يزعـم أنَّ القمـر هـو المصـدر الغنـي بالمعاييـر كلهـا؛ قـال:(ولـو تأملنـا الطبيعـة فـي العصور القديمـة لما وجدنـا فيهـا مصـدراً معتبـراً وغنيـاً بالمعاييـر كلهـا سـوى **القمـر فهـو إلـه الخصوبـة بمـا يصـدر عنـه مـن أصـوات الرعـد والريـاح والعواصـف.**

ومـن مضحكاتـه المبكيـات: (عـين ترمـا: قـرب دمشـق يتكـون الاسـم مـن (عـين، ثـور، مـاء) أمـا العـين فتعنـي...) راجـع أصـل المقالـة.

ومن شـطحاته: (سـألني صديقـي لمـاذا كانـت الأبجديـة العربيـة قمريـة؟ فقلت هـل تعلـم أن القمـر ذُكـر فـي القـرآن الكـريم (٢٨) مـرة بعـدد حـروف الهجـاء منهـا (٢٧) فـي السـور وواحـدة فـي عنـوان سـورة القمـر... والجديـر ذكـره أن الأبجديـة اليونانيـة قـد أخـذت شـكلها النهائـي الحالـي فـي عصـر أفلاطـون٤٠٣ ق.م ولـدى تحليلنـا لـكل حـرف فيهـا تبـين إن كل حـرف فـي هـذه الأبجديـة هـو القمـر معنـى ورسـماً ...

ومـن شـطحاته: (نأخـذ اسـم بحـر البلطيـق: (بـل+ طيـق) البعـل الـذي بـلّ الأرض بالمـاء وهـو الراعـد (طـاق طيـق) أمـا فـي اللغـات الأوربيـة فـلا يوجـد طـاء وقـاف بـل تـاء وكاف (paltique).... فكلمـة هدايـة: (هد=آيـة)... نأخـذ اسـم: قوسـايا. فـي لبنـان فهـو قـوس+ آيـة: القـوس الآيـة)

ومن هذا:(وفي حديث نبوي: من استطاع منكم الباءة فليتزوج. فالباء هو الزوج البعل) قلت : هذا تفسير سقيم يظهر فيه سُقْمُ فهمه وتعسفه في الاستدلال ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول الباءة, ثم يأتي هذا المريض فيحرفها متعسفًا ليجعلها دليلاً على رأيه ؛ وهذا الفهم السقيم يزيد ضعف الثقة فيما ذهب إليه؛ وكيف نأخذ بهذا والحديث خطاب للشباب ؛ونصه: (عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.) فإذا فسرنا الباءة بهذا الفهم الأعوج فهل نقول من استطاع منكم الزوج...؛ والباءة هي مؤونة النكاح من مهر وسكن ونفقة وصحة بدنية وعقلية .

وتحت عنوان): الأعلام التي تضم الجذر (لين لون لان) وشهادة العربية وسواها على مادة (لين)... ٤- كريملين Krimlin في الساحة الحمراء (كريم لين) البدر الخصيب الكريم وما يزال العامة يقولون كْريم وكْبير وصغير وتطلق على الحصن المشرف على مدينة روسية.

الجدير ذكره أن الاسم موجود في الجزيرة العربية باسم الكرملين ورد في بيت للشاعر زيد الخيل:

أتاني أنهم مزقون عرضي جحاش الكَرِمَلينِ لها فديد

حيث ورد بصيغة المثنى والصواب (الكريم لين) وهكذا أخطأ في اللفظ وحصل مثل ذلك في قول زهير:

ودار لها بالرقمتين كأنها: مثنى (رقمة) وهذا خطأ فلا معنى أبداً لتثنية المكان بل الصواب ودار لها (بالراق. ما. تيني) الذي راق الماء وهو قوس الخصوبة المنحني (التيني) كما نقولها إلى اليوم.

وهذه شطحةٌ من شطحاته ,يبدو فيها أنَّ الكاتب مصاب بعقله وأنه يحسب أنَّ اللغة لا باب لها وأنها مرعى لاحمى له يستطيع أن يتسورها متى شاء؛ وحين يُجمعُ للمرء بين الجهل وقلة الحياء والعُجب بالرأي وسوء الفهم وتعسُّف الدليل فلا تسأل عما سيصيبُ العلمَ من كدر ؛ فكيف يذهب إلى تفسير[الكَرمِلينِ] إلى أنها مُركَّبةٌ من كلمتين : (الكريم لين) ومصادر اللغة موفورة وفي المتناول؛ وهذا البيت من شواهد ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك ورقمه ٢٦١ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد رحمهم الله؛ وجاء شرحه كمايلي: « جحاش» جمع جحش وهو ولد الأتان, وهي أنثى الحمار» الكرملين « تثنية كرمل ـ بزنة زبرج ؛ وهوماء بجبل من جبلي طي « فديد » صوت أهـ ؛ وجاء في ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة, للأستاذ الطاهر أحمد الزاوي, تحت مادة» ك ر م ل « كِرْمِلٌ كزِبْرِجٍ: ماء بجبلي طي , وحصن بساحل بحر الشام و» ة « بفلسطين؛ قلت : والرمز» ة « يعني قرية.

وأما قوله عن الرقمتين الواردتين عند زهير؛ فهذا صدر بيت من معلقته والبيت كاملاً:

ودارٌ لها بالرقمتين كأنها ... مراجيعُ وشمٍ في نواشرِ معصمِ

جاء في شرح الزوزني ـ رحمه الله ـ للمعلقات: الرقمتان : حرتان إحداهما قريبةٌ من البصرة والأخرى قريبةٌ من المدينة؛ المراجيع جمع مرجوع من قولهم رجعه رجعًا ، أراد الوشم المجدد والمردد؛ نواشر المعصم : عروقه الواحد ناشر, وقيل ناشرة ، والمعصم موضع السوار من اليد، والجمع معاصم؛ هذا ما تقوله كتب العربية ؛ فهل نرده ونقول إنَّ الصواب: (بالراق. ما. تيني) الذي راق الماء وهو قوس الخصوبة) إنَّ هذا لشيءٌ عجاب.

ومن شطحاته أنه حين ذكر (راع) قال: (راع: الإله المصري , ونحن ما نزال نقول : رعاك الله فالله راع) ما هذا الفهم السقيم والربط الأسقم بين اسم الإله [راع] وبين رعاية الله الواحد الأحد؟!.

وقد ورد عنده ذكرُ مجموعةٍ من الآلهة: إله الخصوبة , وإله السماء، والإله ثور, والإله مينا ، مِنَ الإله المصري، إل الإله الكنعاني, تحت إله العالم السفلي المصري, راع، الإله المصري.

قال(كما تهدف الدراسة إلى عقلنة النظر إلى الميثولوجيا والدين مقابل مرويات وأحاديث لا حصر لها تهدف بدورها إلى اغتيال العقل والفكر باسم المقدس والمحرم) قال أبو سهيل : إعطاء الميثولوجيا الصدارة في التعرف على الحقائق وتبني الأفكار مذهبٌ لا ضابط له؛ فهي لا تطلق من مصدرٍ غنيٍ بالعلم يؤدي إلى دليل قطعي؛ بل هي أساطير من بنات الخيال وضعها الإنسان وهو في حالة خوف أو طغيان؛ وقوله: (عقلنة النظر) دعوةٌ إلى إعطاء العقل زمام القيادة

في الرفض والقبول وإخضاع المنقول، وهذا مذهب بلا زمام ولا ضابط؛ فما ينسبه عقل ينفيه آخر؛ فليس هناك عقل يجمع البشر على الرد والتفويض إليه, قال : (اغتيال العقل) سمَّى الرضى و التسليم للنص الشرعي اغتيالاً وهذا مزلقٌ خطِر زلَّ فيه كثيرون قدموا العقل على النقل.

وقوله: (باسم المقدس والمحرم) يطعن بقطعيات الشريعة؛ فما ثبتت قداسته يجب الأخذ به والوقوف عنده؛ من غير اعتبار لقبول العقل أونفيه.

(يقولون: العربية لغة الضاد ...) قلت : ورد في كتاب» العربية هذه اللغة الشريفة» للدكتور رمزي بعلبكي ص٧٠ : (ولعل قولنا إنَّ العربية لغةُ لام التعريف أصوب من القول إنها لغة الضاد ؛فالضاد قد يقترب نطقها في الفصحى من نطقها في بعض اخواتها؛ وأمَّا أداة التعريف ـ وإن تكن أداة صرفية لا صوتًا لغويًا بعينه ـ فهي عربية خالصة تحدد هُويَّة النص أنه عربي ، وتحدد هُوية القوم الذين وضعوه أنهم عرب)

ولا مداناة بنتائج بحوث الدكتور رمزي وهذا البحث السقيم؛ فرمزي علَمٌ عالِمٌ عامل , وله كتب كلها ذات نتائج علمية تولَّدت من دليل وجاءت بعد تمحيص.

ومنير صبح حين لم يرتضِ جعل الضاد دليلاً ، لم يأتِ ببديلٍ علميٍ مقنع ولكنه بنى الأمر على: (رأوا ـ يعني المستشرقين ـ أن أسماء آلهة مصر وبابل واليونان..... هي أسماء عربية، لأن اللغة العربية وحدها تقدم تفسيراً تطبيقياً لها جميعاً)

وأدرج في كلامه عن الضاد ما ظن أنه أسمعنا صوتَ الحكل دقةً وإفهاما ؛ خاصةً حين يقول: (إن ما يقدمه هذا المقال هو توثيق لهذه الشهادات التي كان يجهلها شاعر النيل ومعه العرب ويدركها الباحثون الأوروبيون؟!...) لا ضير أن يجهل شاعر النيل فهو فرد ، لكن حين يكون معه العرب في الجهالة ويختص الباحثون الأوربيون بالعلم فهذا ما لا يمكنُ التسليم له.

ومجمل القول في هذا البحث أنه نتيجة مختلطةٌ برغبةٍ جامحة مبنيةٍ على رأيٍ اعتقده الباحث قبل مبدأ بحثه ، وبناه على دليل واهٍ مستمَدٍ من الأساطير فلا وزن له في مباحث علم اللغة.

ومن المضحك المبكي قوله: (وقد اتحد الجذر (سو) مع البعل (بان) في موقع السوبان: في معلقة زهير) فالبيتُ المشارُ إليه لا علاقةَ له بسما دير الكاتب ؛ فزهير يعدد الأماكن التي مرت بها الظعائن , ولا علاقة لها بإله الخصوبة هذا إن كان للخصوبة إله؛ والبيت يقول:

ووَرّكن في السوبان يعلو متنه   عليهن دلُّ الناعم المتنعم

والسوبان الأرض المرتفعة, والتوريك ركوب أوراك الدابة, تدللت المرأة إذا طاب عيشها .

وأختم تعليقي على ما جرى به قلم الكاتب بأن أدعوَك إلى قراءة ما عدده من الأعلام التي تضم الجذر (لين ، لون ،لان) فقد ذكر اثنين وأربعين علمًا اخترع لها معاني أملاها عليه توهمه واضطراب فكره وسُقم فهمه وتعويله

على الأساطير؛ أدعوك لترى العجائب بنفسك ؛ وكلُّ الأعلام التي ذكرها صالحٌ لأن يكونَ مثالاً على سقم الربط بين العَلَم وبين ما شطح به رأيه؛ بل كلها هذيان ميثولوجيا وانفصام عن العقل والوعي، بلا عمق ولا غور بل بلا حياء.

البــاب الثــانـــي

تعليقـاتٌ كنـت أكتبها على الكتـب أثنـاء قراءتها؛ تصويبًا أو اعتراضًا أو إضافـةً أو إيضاحًـا لمـا قالـه المؤلـف؛ ونحـو هـذا؛ وجمـع هـذه اللفظـة أعنـي تعليقـات رأيتـه يأتـي مرة تعليقـات ومرة تعاليق فاختـرت الأولى لأنـه أول ما وقـع لـي ولا أدري أهـي أصوب أم تعاليق؛ وستجد فيها تعليقًا على كتبٍ في الأدب و التاريخ و النحـو والسـير الذاتيـة؛ كمـا أنَّ مـن هـذه التعليقـات مـا سـميته [شـذرات] رأيـت أنهـا مـن شـوارد المعانـي أو الأفكار أو الآراء التـي يعـزُّ وجودها؛ وحرصت أن أ، أبيِّـن مكان التعليـق مـن الكتـاب واسـم المؤلـف والمحقـق إن كان الكتـاب محققًـا ورقـم الطبعـة ؛ وهـذه التعليقـات لـم أدونها حسـب تواريـخ التعليـق، ولـم أصنفها منسـوبةً إلى فنها العلمي؛ وإنما أرخيت الزمـام ليـدي بأن تسـتلَّ من المكتبـة مـا تقع عليـه.

١

الكتـاب/ مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريـب. المؤلـف: جمـال الديـن بـن هشـام الأنصـاري رحمـه اللـه ت٧٦١هـ. المحققـان: الدكتـور مـازن المبـارك و محمـد علـي حمـد اللـه؛ راجعـه سـعيد الأفغانـي رحمهـم اللـه، الطبعـة : السادسـة بيـروت١٩٨٥م. اقتنيتـه فـي ١٤٠٩/٨/٢٣هـ؛ وتمـزق غلافـه ثـم اعـدت تغليفـه يوم الخميس١٤٣٢/٦/٩هـ وهو عندي من أخصِّ كتب النحو.

ومفتتـح الكتـب المعلَّـق عليها[مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريب]ولـي عليـه بحـث بعنـوان: [توهيمـات ابـن هشـام فـي كتابـه مغنـي اللبيـب] ضمنتـه كتابـي: [المسائل العُمَريـة فـي النحـو] وممـا قلـت هنـاك عـن الكتـاب: (ومما ينبغـي التنبيهُ عليـه أنَّ كتـاب المغنـي يكثـرُ فيـه تداخـلُ التقسـيمات فتجـد أنـه ــ رحمـه اللـه ــ يتحـدث عـن شـروط مسـألةٍ نحويـة فيقـول : الأول الثانـي الثالـث , ثـم يـرى أن الثالـث مثـلاً لـه ضوابـط فيقـول الأول الثانـي الثالـث , فيعـود بعـده ويقـول الرابـع وهـو يعنـي الرابـع مـن شـروط المسـألة , ومـن هنـا يجـب إمعـان النظـر أثنـاء البحـث فيـه أو المطالعـة)

قـال عليـه رحمـة اللـه فـي ص ٨٧٧:[وقلـت يومًا:الفقهـاء يلحنـون فـي قولهـم: البايـع) بغيرهمـز فقـال قائـل قـال اللـه تعالى:﴿فبايعهن﴾ المتحنـة١٢.

قلت: وإيضاح هذا أنّ الباء في البايع منقلبة عن ألف وهي من فعل ثلاثي أجوف أي معتل الوسط وهو باع؛ والصواب في صياغة اسم الفاعل من الفعل الأجوف أن تقلبَ ألفُه همزة مثل: قام قائم بان بائن؛ وهذا هوسبب تلحين ابن هشام لمن قال :البايع بدل البائع. أما الياء في قوله تعالى:﴿فبايعهن﴾ الممتحنة ١٢,فليست منقلبة عن أصل لأنّ اللفظة فعل أمر مثل قايضَ يُقايضُ قايضْ / سايرَ يسايرُ سايرْ .وبهذا يتضح خطأ استشهاد من قال: بصواب صياغة بايع .

التعليق على الكتاب وقع في ١٤٢٧/٩/١٧هـ .

الفرق بين» أو» التي للتخيير والتي للإباحة أنَّ الأولى يمتنع معها الجمع بين ما قبلها وما بعدها : اختر موتًا أو حياة؛ نَمْ أو قم؛ والثانية يجوز الجمع بينهما: كلْ عنبًا أو زبيبًا, سافرْ إلى مكةَ أو المدينة.

قال المحققان رحمهما الله ص ٨: (وُضع المغني لقومٍ كانوا يحفظون القرآن فكان صاحبه يكتفي من الآية بإيراد موطن الشاهد؛ ولكنَّ هذا غيرُ مغنٍ اليوم)

قلت: وأضيف لما قالاه بأنَّ إعادة تنظيم مباحثه أمرٌ تقتضيه حالة طالب العلم اليوم وفرزُ الترقيم واستخدامُ أكثرَ من طريقة والمراوحة في تنويع العلامات عند تفريع المسألة ؛ لإزالة اللبس ؛ فالمسألة التي يقول فيها ـ رحمه الله ـ : الأول الثاني الثالث ؛ ثم يكون لأحد شروطها ضوابط فيقول: الأول الثاني الثالث فيعدد هذه الضوابط قبل إنهاء شروط المسألة؛ ثم يعود فيقول الرابع هنا يرتبك الباحث والقارئ ؛ هل الرابع هذا هو من شروط المسألة أم من ضوابط الشرط الثالث؟ ؛ من هنا يحسن أن نقوم بوضع رموز مثل: أ , ب,ج؛ وهو ـ رحمه الله ـ سلك بعضًا من هذا التنويع؛ فكان في بعض المسائل يقول: الوجه الأول, الحالة الأولى.

من الخُلق الحسن الذي وجدته في ابن هشام ـ رحمه الله ـ أدبُه في الخلاف؛فعبارات ردوده لا تجد فيها نابيًا؛ وإذا أراد التثريب على شخص فإنه لا يذكره باسمه؛ ورد في ص ١١٩: تعليقًا على توهم فهْمِ أحدهم لبيت المتنبي القائل:

أمِنَ ازديارَكِ في الدجى الرقباءُ إذ حيث كنتِ من الظلام ضياءُ

فقال : (أنَّ أمِنَ فعل ماض فهو مفتوح الآخر, لا مكسوره على أنَّه حرفُ جر كما توهم شخصٌ ادعى الأدب في زماننا وأصرَّ على ذلك)

قال أبو سهيل : أشكل عليَّ رفعُ ضياء ؛لأنَّ الواجب نصبُها خبرًا لكان وحين رجعت إلى البيت وجدته بروايةٍ أخرى:

أمِنَ ازديارَكِ في الدجى الرقباءُ إذ حيث أنتِ من الظلام ضياءُ

فعلى هذا الرواية يزول الإشكال وتكون [ضياء] خبرًا مرفوعًا للضمير أنتِ.

والبيت مطلعُ همزيةٍ للمتنبي يمدح أباعلي هارون الأوراجي الكاتب رحمها الله , ورواية المغني خطأ.

ومن شواهد تأدبه ما ورد في ص٣٣: تعليقًا على فهم أحدهم لـ [إلا] في قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾الأنفال ٧٣؛ <u>وقد بلغني أنَّ بعض من يدعي الفضل</u> سأل في﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ فقال: ما هذا الاستثناء ؟ أمتصلٌ أم منقطع؟

قلت : إنَّ [إلاَّ] الاستثنائية حرفٌ واحد, وهي هنا حرفان: إنْ ولا, ثم إنَّ مما يُدفع به هذا التوهم أنَّ الفعل بعدها مضارع منصوب بحذف النون , ومع تسويغ هذا التوهم فلا يرد على البال أنَّ الاستثناء متصل ولا منقطع؛ لعدم وجود مستثنى منه؛ فلو قال المتوهم أهو استثناء مفرغ؟ لكان في الأمر مساغُ توهم.

وقال في ص٣٦عند حديثه عن إنْ المخففة: (ومما يتخرج على الإهمال الذي هو لغة الأكثرين قول <u>بعضهم</u> «إنَّ قائمٌ» وأصله إن أنا قائم فحذفت همزة أنا اعتباطًا وأدغمت نون «إنَّ» في نونها وحذفت ألفها في الوصل وسمع «إنَّ قائمًا» على الإعمال وقول بعضهم نقلت حركة الهمزة إلى النون ثم أسقطت على القياس في التخفيف بالنقل ثم سكنت النون وأدغمت مردود)

ومن هذا ما وردفي حديثه عن « أل « قال في ص ٧٥: (

ولقد جنيتك أكمؤًا وعساقلاً ولقد نهيتك عن بناتِ الأوبرِ

فقيل زائدة للضرورة لأن ابن أوبر علم على نوع من الكمأة ثم جمع على بنات أوبر كما يقال في جمع ابن عرس بنات عرس ولا يقال بنو عرس لأنه لما لا يعقل, ورده السخاوي بأنها لو كانت زائدة لكان وجودها كالعدم فكان يخفضه بالفتحة لأن فيه العلمية والوزن وهذا سهو منه)

إذا ذكر صاحب المغني قولاً نسبه لابن هشام فإنه يعني ابن هشام الخضراوي ٦٤٦هـ ؛ وهو من علماء الأندلس رحمهما الله.

من عميق غوص العلماء والذهاب في احتجاجهم إلى كلٍ مذهب قولهم : (وفي ليس رائحة قولك انتفى)

قال المحققان رحمهما الله في ص ٧: (... ولسنا مغالين إذا قلنا إنه لم تلقَ لغةٌ من أبنائها ما لقيته العربية من عقوق ؛ ولقد خدم أهلُ كلِّ علمٍ علمهم إلا أهل العربية المحدثين) قلت: لا أوافقهما على زفرة التبكيت والتثريب هذه؛ فإني أجدُ من الآثار للعربية والبحوث والدراسات المعاصرة ما يثلج الصدر ؛ وهذا العمل منهما شاهدُ برٍ أم شاهدُ عقوق؟

٢

الكتاب: شرح قطر الندى وبل الصدى ومعه كتاب[سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى] تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله, اقتنيته في ١٤٢٩/٥/١١هـ.المؤلف: جمال الدين بن هشام الأنصاري رحمه الله ت٧٦١هـ.

قال ص ٧٣:[ولن حرف يفيد النفي والاستقبال بالاتفاق ولا يقتضي تأبيدًا خلافًا للزمخشري في أنموذجه] ثم أورد في الحاشية شواهدَ يستشهد بها صاحب كتاب سبل الهدى على أنّ لن لا تفيد تأبيد النفي وقال: لو كانت تفيد ذلك لماكان يحسن ذكر لفظ الأبد بعدها إذ يكون ذكره بعدها تكرارًا, لكنَّ ذكرالأبد بعدها واقع في أفصح الكلام نحو قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٩٥) سورة البقرة , وقوله سبحانه : (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا) المائدة ٢٤ ,وقوله جلت كلمته: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٢٠) سورة الكهف.

وأمَا إفادة التأبيد في نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٧٣)

سورة الحج.وفي نحو قوله سبحانه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧) سورة الحج.فليس مما دلت عليه لن ,بل من دليل خارج.

قلت : أميل إلى تأييد الزمخشري في أ نّ [لن] تفيدُ التأبيد ؛وأما إجابتي عن شواهد ردهم على الزمخشري فإن الجمع بين لفظة لن والتأبيد لا يعني أنّها لا تفيد التأبيد بنفسها ؛وإنما كان الورود للتأكيد كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً﴾ (٥٧) سورة النساء ؛فلفظة الخلود بنفسها تفيد التأبيد, ثم أوردأبداًللتوكيد.وقد وردت لفظة خالدين مقترنة بلفظة أبدا في أكثرَ من موضع في القرآن الكريم.

ومما ورد للتأكيد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٦٠) سورة البقرة.فالعثووالإفساد بمعنى واحد. قال القرطبي :[وتكررالمعنى توكيدا لاختلاف اللفظ.].

وقول المحشي ـ عليه رحمة الله ـ على كتاب قطرالندى:[بل من دليل خارج].فمقصوده ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى فيها دليل خارجي من غير لن أفاد التأبيد وهوتقاصرعلم البشرعن خلق هذا الطائرالضعيف؛فالتأبيد منسوب إلى الضعف البشري وأنّ إحاطة الله واختصاصه ـ سبحانه ـ بعلم الغيب جعلتنا نوقن بتأبيد عجزهم عن خلق الذباب وإن كانوا مجتمعين.

وأما الدليل الخارج في ألآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (٤٧) سورة الحج.فإنّه ما أيقن به المؤمنون من وقوع موعود الله؛فليس تأبيد التيقن للوعد بسبب لن , وإنما بسبب ما تيقنه المؤمنون من وقوع موعود الله, ودليل خارجي آخروهو أنّ إخلاف الوعدلاينشأإلابسبب نقص. كالعجز عن التنفيذأوالخوف أوالنسيان أوغيرهذا مما ينُزهُ الله عنه.

تاريخ التعليق/١٤٢٩/٥/٢٥.

ص٢٧٣) وقولي» تابع « جنس يشمل التوابع الخمسة ؛ووقولي: [موضح أو مخصص]مخرجٌ للتأكيد : [جاء زيدٌ نفسُه ولعطف النسق :[جاء زيدٌ وعمرو؛ وللبدل) قلت: أي بدل بعض من كل أو بدل الاشتمال ؛ أما بد ل كل من كل فهما متقاربان.

قال في هامش ١ص٣٠٠:(قد تأتي [ثم] بمعنى الواو نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا﴾الزمر ٦ ؛وإنما قلنا إنَّ [ثُمَّ] في هذه الآية بمعنى الواو لأنه ورد في آيةٍ أخرى من سورة الأعراف ١٨٩ ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾والقصة واحدة فكان حمل إحدى الآيتين على الأخرى أولى) أهـ؛ قلت: لا أرى ما يدعو إلى حمل آيةٍ على آية ؛ فكلُّ آيةٍ لها مدلولُها الذي لا يتعارض مع بقاء الحرف الآخر على معناه الوضعي؛ فآية الواو تدلُّ على وحدانية خالق النفسين؛ وآية ثم تدلُّ على وجود تراخٍ بين الخلقين,والله أعلم؛ وأيضًا لماذا حمَلَ ثم على الواو ولمْ يحملْ الواو على ثم؟! فلله ـ سبحانه ـ مرادٌ من مجيء الفاء وله مرادٌ من مجيء ثم ؛ ومن المعلوم أنَّ الواو تفيد مطلق الجمع بين المتعاطفات من غير ترتيب؛ وثم تفيد التراخي بين المعطوف والمعطوف عليه, وقوله: [والقصة واحدة] فإنَّ قصص القرآن إذا تكرر فلكِّل إيراد غاية .

قال في ص ٣٠٨ص ـ باب ـ موانع صرف الاسم تسعة؛ ثم قال في ص٣١٤ (العلة السابعة : الجمع وشرطه أن يكون على صيغةٍ لا يكون عليها الآحاد , وهو نوعان : مفاعل كمساجد ودراهم, ومفاعيل كمصابيح وطواويس)

قلت: وهناك ضابط آخر لهذا الجمع هو أدقُّ بخلاف أنه لا يكون له آحاد؛ وهو أن يأتي بعد ألف الجمع حرفان كمدارس, أوثلاثة أحرف أوسطها ساكن كمفاتيح؛ فإن كان أوسطها متحركًا فلا تمنع من الصرف وإن لم يكن لها آحاد؛ مثل: ملائكة , جبابرة, عباقرة؛ والمراد من قوله: (لا يكون عليها آحاد أي لا يكون الفرق بينها وبين مفردها ألفًا ونون كـ [مسلم] مسلمان أو[واوًا ونونا] كـ مسلم مسلمون أو ألفًا وتاء [مسلمات].

٣

الكتاب الأشباه والنظائر في النحو

و ورد في هذا الكتاب ج٢ص٤٥قوله: قال ابن النحاس في التعليقة:[...ومن المبتدآت التي ليس لها خبرقولهم أقل رجل يقول ذلك] وهو يرى أنَ لفظة [يقول] صفة لرجل وليست خبرا بدليل جريه على رجل في تثنيته وجمعه. قلت : معنى قوله: بدليل جريه على رجل في تثنيته وجمعه:أي أننا نقول:أقلُ رجلين يقولان ذلك وأقل رجال يقولون ذلك.فلم تتغير لفظة أقل.

وأما قوله ـ عليه رحمة الله ـ عن لفظة يقول بأنّها صفة فلا أرى هذا. فلو سألنا منشىء الجملة الذي نطقها ابتداء لماذا أنشأت هذه الجملة لقال إنّه أنشأها ليخبرنا بحال أقل الرجال؛ والخبر في اصطلاح النحويين هوما تتم به الفائدة؛ وهذا التعريف ينطبق على لفظة يقول, ولا يمنع جواز إطلا ق [أقل] في حال التثنية والجمع من جعل[يقول] خبرا.

ومن الأمثلة على قولهم :أقل رجلين ... أن نقول :

أجودنخلة تثمرصيفاًوشتاء.

أجودنخلتين تثمرصيفاًوشتاء .

أجودالنخل تثمرصيفاًوشتاء .

ومما يستطرد به هنا أن أقول:إنّ من الأخبارمالايكون متممًا للفائدة كقولنا :[ما أمرك] فما الاستفهامية في هذه الجملة تعرب اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ وما بعدها يعرب خبرا ؛ومن هذا قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٥٧) سورة الحجر

وقع التعليق في١٢/١/١٤٣٠هـ

٤

الكتاب/شرح ملحة الإعراب؛ للحريري رحمه الله؛ تملكته بالشراء من مكتبة الرشد في ١٤٢٧/٣/٨هـ وقيمته ثلاثون ريالاً ؛ تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم

ص٤٢.حيث قال[... والفرق بين حرف المعنى وحرف الهجاء،أنّ حرف الهجاء جزأمن الكلمة وحرف المعنى كلمة بذاتها.]

قلت : كما أنّ حرف المعنى قد يتركب من أكثر من حرف مثل،بل حرف للجواب.إنّ للتوكيد لن للنصب وهكذا. وأقول ،يتركب ولا أقول ينطق،فالحرف [إنّ] ينطق على حرفين وهومكون من ثلاثة,ولعلّ ينطق على ثلاثة وهومكون من أربعة للتشديد في آخره. أمّا حرف الهجاء فيتركب من حرف واحد. وقع التعليق في ١٤٢٧/٦/٢٣.

كذلك في كتاب ملحة الإعراب قال المؤلف في معرض حديثه عن غرض الإضافة ص٨١،[وأمّاإضافة اسم إلى اسم فالغرض التعريف أو التخصيص ألا ترى أنّك إذا قلت هذا غلام زيد فقد عرفت الغلام...واذا قلت هذا جَلُّ الفرس فقد خصصت الجل بإضافته إلى الفرس]

قلت : أرى أنّ الصواب[جَلُّ فرس] بدون أل التعريف,بتنكير فرس لأنَّ المضاف إليه إذا كان نكرة فإنّه في هذه الحال يُكسب المضاف التخصيص.

والجَل بفتح الجيم هوماتغطى به الدابة لتصان؛ومنه قولهم جلَّل فلانٌ فلانًا بالسيف أي غطّاه به.كناية عن شدة الإيقاع؛ والجُل بضم الجيم معظم الشيء.

في ص٧ أورد بيتين للزمخشري يمدح بهما المقامات فقال:

أقسم بالله وآياته ومشعر الحجِّ وميقاتِه

أنَّ الحريريَّ حريٌّ بأن تُكْتَبَ بالتبر مقاماته

قلت: ليستقيم نصب [مقامات] فلابد من أن يكون الفعل [تُكْتَبَ] مبنياً للمعلوم فنقول: [تَكْتُبَ] ليسوغ نصب مقامات, كما أنَّ القسم بالمشعر والميقات لا يجوز.

وفي ص ٣٧قال:

اسمع هُديتَ الرشد ما أقولُ وافهمه من له معقول

قلت: صحة النظم بإضافة [فهْم] على الشطر الثاني:

اسمع هُديتَ الرشد ما أقولُ وافهمه فهْم من له معقول

ليستقيم الوزن؛ وللتثبت من صواب ما أقول رجعت إلى نسخة أخرى للمتن؛وهو المتن الذي نشرته دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ .

وقع التعليق في ١١/٣/١٤٢٧هـ.

٥

الكتاب بدائع الفوائد /المؤلف ابن قيم الجوزية رحمه الله؛ تحقيق علي بن محمد العمران؛ إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله؛ تمويل مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية. قلت في الصفحة الأولى من الكتاب؛ ملكت هذا الكتاب بأجزائه الخمسة بالشراء من تركة والدي . رحمه الله . المتوفى ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان ١٤٢٦هـ بمبلغ مائة ريال.

كما قلت في المقدمة؛[لما تحويه هذه الموسوعة بأجزائها الخمسة من مسائل نحوية ولغوية فإني أسأل الله أن ييسر لي أولغيري من إخواني من يقوم بإخراج مباحثها النحوية واللغوية في كتاب مستقل لأن فيها آراءَ ونقاشاتٍ يحسن إخراجها مستقلة؛وقد يخفى على مجموعٍ من الناس معرفة وجودهاأوالتنبؤبها بسبب أنّ بن قيم الجوزية . عليه رحمة الله . معدودٌ من علماء الشريعة لا من علماء اللغة مع ما يملكه من علم زاخرفي اللغة.

كتبت التعليق في ١٤٢٨/٩/٢٥هـ.

وتأملت المكتوب ص ١٨٨وما بعدها عن عظمة العربية , فوجدته نفيسًا في بابه لمن أراد أن يظهر له سر العربية بالمقارنة بين نصوصها ؛ وقد تأملته وأنا أُعدُّ بحثي؛ [نظرات في سر العربية] فلم أجد فيه ما يفيد منهج بحثي ؛

ذلك أني لا أرى سرَّ العربية إلا حين تنفردُ عن بقية اللغات بخصيصة لا توجد إلا بها ؛ أمَّا المنهج الذي سار عليه ابن القيم ـ رحمه الله ـ فهو دراسة العربية من الداخل أي الموازنة بين لهجات العرب أو الموازنة بين نصوصٍ عربية.

ومما علقت على الكتاب؛ حين نقول إنَّ اللفظ مناسب لمعناه ومدلوله ؛ فهل يعني أنَّ الألفاظ مصطَلَحٌ عليها أي أنَّ اللغة تواضعٌ واصطلاح ؛ فهم نظروا مثلاً إلى الحال التي يؤل إليها الماء في بعض أحواله فسموها غليان؛ وما يحدث من حركة مضطربة فسموها هيجان؛ فإن ثبتت الدلالة فهي لا شك عندي أنها أُلهِمت المتحدثين بها من قبل خالقها وخالق المسميات ؛ فمن غير المتصوَر أن يكون هناك لسانٌ يتحدثون به ثم يجتمع جماعة فيقررون لفظًا لمعنى؛ وأمرٌآخر استدلُ به على أنَّ اللغة إلهام من الله سبحانه وليست مواضعة أنني أقرأ تعليلاتهم بأنَّ كذا سمي كذا لأنه يدل على كذا؛ فأنا قبل أن أقرأ هذا التعليل لا أحسُّ بأثر عفوي بأنه يدلُّ على مسماه المتواتر , مع أني من أهل اللسان والمشتغلين به.

٦

الكتاب/الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت عبدالواحدصالح/رحمه الله؛ اقتنيته في ١٤١٩/٣/١٤هـ

ج٢ص٢٦٦ /فقد أعرب نون النسوة الواردة في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾ (٢٥) سورة النساء أعربها فاعلا والصواب ـ حسب القراءة المشهورة ـ أن تعرب نائب فاعل لأنها اتصلت بفعل مبني للمجهول وهو. عليه رحمة الله ـ أعرب﴿أُحْصِنَّ ﴾ فعلاً مبنيا للمجهول فالنون إذن نائب فاعل.

وفي إعرابه (يحي) الوارد في قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾٣٩آل عمران؛ قال: ﴿ بيحي ﴾جار ومجرور متعلق بـ ﴿يبشرك﴾ وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف؛ وهو ممنوعٌ من الصرف للعجمة)قلت: الممنوع من الصرف يجر بالفتحة؛ ويحي ممنوع لعلتين العلمية والعجمة؛ فهو مجرور بالفتحة, ويجوز أن يكون منْعُه للعلمية ووزن الفعل.

وفي إعرابه الآية ٥٠ من النساء: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴾قال: (الباء حرف جر زائد ؛ والهاء ضمير متصل مبني على الكسر مجرور لفظًا مرفوع محلاً على أنه فاعل) قلت:

الضمير لا يعرب مجرورًا لفظًا؛ إنما هو مبني على حسب حركته؛ وهوهنا مبنيٌ على الكسر في محل جر؛ ولوكان مجرورًا لفظًا لظهرت عليه حركة الجر؛ والكسرةُ الظاهرةُ هنا هي حركةُ بناء وليست حركةَ إعراب؛ ولهذا قد تظهر الضمة على الضمير المجرور ؛ مثل: «عليكُم» فالكاف ضميرٌ مبني على الضم في محلِ جر؛ وقد تطهر الفتحة مثل: «بكَ» فالكاف ضمير مبني على الفتح في محل جر؛ وقد لا يظهر حركة إذا كان الضميرمبنيًا على السكون مثل: «بنا» فناء ضمير مبني على السكون في محل جر؛وإنما يقال مجرور لفظًا إذا كان الداخلُ على الاسمِ حرفَ جرٍ مؤكّدا؛ وهو الذي يسميه بعضهم حرفَ جرٍ زائد مثل: «خالق»من قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ) ٢ فاطر؛ فـ (خالق) مرفوعة في الأصل لأنها مبتدأ؛ و(بشير) من قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) ١٩ المائدة؛ فـ (بشير) فاعل مجرور لفظًا مرفوع محلا؛ وهذا الخطأ تكرر في أكثر من موضع من هذا الكتاب؛ فكلُّ ضميرٍ قيل فيه : مجرور لفظًا يصحُّ عليه هذا التصويب.

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾الأعراف ٨٢؛ قال: (جَوَابَ) اسم كان مرفوع بالضمة؛ والصواب أنها خبر كان مقدم؛ وقال في إعراب قومه: (... والهاء ضمير متصل مبني على الكسرفي محل جر مضاف إليه ثان) قلت: لا وجه لوصف المضاف إليه أنه ثان؛لأنَّ قوم مضاف إلى جواب؛ والضمير(الهاء) مضاف إلى قوم؛ فليسا مضافين لاسمٍ واحد حتى يقال بهما هذا الوصف.

وقد أعرب ﴿جواب﴾في سورة النمل في الآية ٥٦ ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾أعربها خبركان مقدما؛ فالمسألة سهوٌ لا جهل.

كذلك ورد في ج٣ص٢٥٥عندإعراب قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٧٣) سورة الأنعام. قال عن الضمير المستتر في﴿ كن﴾بأنَّه مستترجوازًا. وهذا سهومن المؤلف. غفرالله له. فقد قال عن ضميرفعل مثله في سورة النحل بأنَّ الضميرمستتروجوبًاوهذا هو الصواب؛ ومواضع الاستتار وجوبًا هي : عندما يكون الضمير المستتر للمتكلِّم[أقوم , نقوم] أو للمخاطب: [تقوم] أوفعل أمر[قم]

كذلك أعرب تجهلون الواردة في قوله تعالى :﴿ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (٢٩) سورة هود.أعربها على أنّها جملة في محل نصب حال والصواب أنّها في محل نصب صفة لقوم فهي جملة وردت بعد نكرة ؛والجُمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال؛ وأظن هذا سهوًا منه غفر الله له؛فقد أعرب تجهلون الواردة في الأعراف وفي النمل وفي الأحقاف أعربها صفة مما يدل على أنّ إعرابها حالا هنا بسبب السهو وليس الجهل.

كذلك قال ـ عليه رحمة الله ـ بأنّ لفظةالرأي في قوله تعالى:﴿ ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) سورة هود.قال:إنها مضاف إليه مجرو بالياء.وهذا سهو والصواب أنّها مجرورة بالكسرة.

كذلك أعرب (قطعًا) الواردة في قوله تعالى:﴿ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧) سورة يونس.أعربها تمييزًا ؛والصواب أنّها مفعول ثان؛فقد ضُمّنت﴿ أُغْشِيَتْ﴾ معنى أُلبست وكُسيت.

وتضمين الفعل أغشيت معنى ألبست كتضمين ﴿أُحْضِرتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٢٨) سورة النساء.فالشح مفعول ثان لأنَّ الفعل أحضرت ضمِّن معنى الفعل أعطيت.

وفي سورة يونس أيضًا حين أعرب قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ سها عن إعراب الضمير» هم « المتصل بوجوه؛ وإعرابه: الهاء ضمير مبني على الضم في محل جر بالإضافة, والميم علامة جمع الذكور.

ومما فيه ما ورد في ج٩ص٤٤٨عندإعراب قوله تعالى ﴿حَسْرَةً﴾ الواردة في قوله تعالى:﴿ ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ (٣٠) سورة يس؛حيث قال عنها بأنها نكرة مقصودة.والصواب أنّها منادى شبيه بالمضاف لأنَّ النكرة المقصودة لا تنصب وإنما تبنى على ما ترفع به؛ ولفظة حسرة وردت هنا منصوبةً منونة.

والمنادى الشبيه بالمضاف هو : ما اتصل به شيءٌ من تمام معناه؛ ومتمم المعنى قد يكون مرفوعًا مثل:ياعظيمًا قدره فـ (قدره) فاعل مرفوع,وقديكون منصوبا مثل: يا مطيعًا ربَه و(ربه) مفعول به منصوب,وقديكون مجرورًامثل:يارحيمًابوالديه. والديه اسم مجرور.ومثله الآيةُ مدارُالتعليق.

وهنا خطأ مطبعي ورد في إعراب قوله تعالى﴿ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ الحاقة٧ فقال : خاوية صفة « لتحل » يعني لنخل.

وفي الآية ٢١من سورة الإنسان ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[وَحُلُّوا] ... والواو ضمير في محل رفع نائب فاعل) قلت وهي أيضًا في محل نصب مفعول أول لـ [حُلُّوا] باعتبار أنَّ [حُلُّوا] ضُمنت معنى أُلبِسوا وكُسُوا.

٧

الكتاب/ الجامع لأحكام القرآن ؛ المؤلف أبو عبد الله محمد الأنصاري رحمه الله. المعروف بتفسير القرطبي ،ج٤

قال رحمه الله:[وروى أنَ عمربن عبدالعزيزلماولي الخلافة كتب إلى سالم بن عبدالله أن اكتب إلي بسيرة عمر لأعمل بها فكتب إليه سالم:إن عملت بسيرةعمرفأنت أفضل من عمرلأنَ زمانك ليس كزمانه ولارجالك كرجاله. وقال:كتب عمر إلى فقهاء زمانه.فكلهم كتب إليه بمثل قول سالم]

قول سالم رحمه الله:[إن عملت بسيرةعمرفأنت أفضل من عمر] لايقصد به أنَه يفوق عمر في جميع جوانب الفضل والخيرية وإنما لأنَّ زمانَ عمربن عبد العزيز أبعد من زمان عمربن الخطاب . رضي الله عنهم . عن زمن النبزة, فإنَ التمسك بالدين وإقامته مع كثرة الشر يعد المؤمن هنا قد بلغ من الخيرية ؛فالخيرية تقدر بحسب المكان و القرن أي الجيل الذي عاش في المؤمن؛ فمن عاش متمسكا بدينه وهو في قرن كثرت فيه المعاصي والفتن خير ممن عاش في قرنٍ غلب عليه الخير وتمسك الناس بدينهم؛ وقع التعليق في٩/٣/١٤٢٧هـ .

قال ـ رحمه الله ـ في حديثه عن الآية ١٧٧ البقرة ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾فيه ثمان مسائل: الثانية: قرأ حمزة وحفص «البرَّ» بالنصب ؛لأنَّ ليس من أخوات كان يقع بعدها المعرفتان فتجعل أيهما شئت الاسم أو الخبر؛ فلما وقع بعد « ليس »« البرّ» نصبه وجعل ﴿ أن تولوا﴾الاسم وكان المصدر أولى بأن يكون اسمًا لأنه لا يتنكر, والبرّ قد يتنكر؛ والفعل أقوى في التعريف) أهـ , قلت: قوله : [والفعل أقوى في التعريف] يعني الحدث وهو المصدر؛ وليس المقصود الفعلَ بأنواعه المعروفة: الماضي, المضارع, الأمر. فهذه لا يدخلها التعريف ولا التنكير؛ لأنَّ التعريف والتنكير من خصائص الأسماء؛ والإما م القرطبي رحمه الله له تضلع وعناية في النحو لهذا نجد الشذرات النحوية مبثوثةً في كتابه .

قال عند تفسيره لقوله تعالى﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾الكهف ٢٢) الضمير في «سيقولون » يراد به أهل التوراة ومعاصري محمد صلى الله عليه وسلم) قلت: لعل هنا خطأً في الطباعة أسقط حرف الجر« من » الذي قبل [معاصري] ؛ لهذا أرى أنَّ الصواب[من معاصري] محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ الذين قالوا هذا هم معاصروه صلى الله عليه وسلم من أهل التوراة ولم يقله كلُّ معاصريه ؛كما أنَّ جرَّ لفظة معاصريه يؤيد رأيي ؛لأنها لو كانت هي المرادة لجاءت مرفوعة [معاصروه] لأنها معطوفةٌ على نائب الفاعل[أهل] وقع التعليق في ١٤٢٧/٦/١٦هـ.

٨

الكتـاب /المحاسـن والأضداد/لأبـي عثمـان عمروبـن بحـر الجاحـظ البصـري المتوفـى ٢٥٥هـ رحمـه اللـه؛ قـدم لـه وراجعه/الدكتـور عصام عيتانـي؛ اقتنيتـه فـي ٢٨/٦/١٤٢٦هـ وكتبـت علـى صفحتـه الأولـى: مـا فـي هـذا الكتـاب يسـتأنس بـه ولا يعـوَّل عليـه لأنَّ غثـه أفسـد سـمينه.

قـال فـي بـاب ضـد محاسـن الكتابـة والكتـب:[...وكان الوليدبـن عبـد الملـك ـ رحمـه اللـه ـ لُحَـنَة]قال أبـو سـهيل ؛ ولُحَنـة لفظـةٌ بضـم الـلام وفتـح الحـاء علـى وزن فُعَـلة وهـي لفظـة تقـال مبالغـةً لمـن عـرف بمدلـول ماجـاء علـى هـذا الـوز؛ ومنـه قولـه تعالـى: ﴿وَيْـلٌ لِّكُلِّ هُمَـزَةٍ لُّمَـزَةٍ﴾ (١) سـورة الهمـزة. فلُحَـنَة علـى هـذا المعنـى أي كثيـر اللحـن. ومـن هـذا , أي مـن دلالـة الـوزن علـى كثـرة وقـوع الحـدث قولـه صلـى اللـه عليـه وسـلم:[ليـس الشـديدبالصُرَعة].

وقال:[...فدخـل عليـه أعرابـي يومًـا فقال:أنصفنـي مـن ختنـي ياأميرالمؤمنـين. فقال:مـن ختنـك؟قال:رجـل مـن الحـي لا أعـرف اسـمه.فقال عمربـن عبـد العزيـز. رحمـه اللـه ـ: إنّ أميـر المؤمنـين يقـول لـك: مـن ختنـك فقـال: هـوذا بالبـاب فقـال الوليـد لعمر:ماهذاقال:النحوالـذي كنـت أخبرتـك عنـه...]

قلت: يحسن هنا أن أعلق بما يوضح ويفيد، وهذا أنّ الوليد قال:[من ختنَك]؟بفتح النون وهذا جعل الأعرابي يفهم أنّ أمير المؤمنين يسأل عمن قام بالختان؛ فكانت الإجابة على حسب السؤال؛ والصواب أن الوليد ينبغي أن يقول: من ختنُك؟ بضم النون ليكون السؤال عن الخَتَن لاعن الخِتَان. فقول الوليد بالفتح تصبح اللفظة فعلا ماضيا أمّا نطقها بالضم فهي اسم. والخَتَن هوقريب الرجل من جهة زوجته.

قال أيضًا:[...وسمع أعرابي مؤذنًايقول:أشهدأن محمدًا رسولَ الله .فقال الأعرابي يفعل ماذا...]

قلت :وإيضاح هذا أنّ المؤذِّنَ نصبَ لفظة رسول ففهم الأعرابي أنّها بدل من محمد والصواب أن تكون مرفوعة لتكون خبرًا لـ[أنَّ] ;ونصبها يفيدأنَّ الكلام معلقٌ وناقص غيرُ مفيد؛ لهذا استفهم الإعرابي قائلا للمؤذن: ما يفعل؟

ومثل هذا أن تقول عندما تريد أن تخبر بأنّ الصديقيّة منزلةٌ خاصةٌ لأبي بكر رضي الله عنه:إنّ الصديَّق أبابكر؛ ثم تقف فحسب القواعدالنحوية فإنّ الصواب أن تقول:أبوبكرلأنهاخبرإنّ ;والمتحدث أراد أن يخبرنا بأن منزلةَ الصديقيَة خاصةٌ لأبي بكر رضي الله عنه. أما نطقها منصوبة فهذا يوهم أنّ المتحدث لم ينتهِ كلامه .

وقال أيضًا في باب ضد محاسن الولاية:

كـم تائهٍ بولايةٍ وبعزلِه يعدوالبريد

سُكْرالولايةِ طيبٌ وخماره صعبٌ شديد

نسب الجاحظ هذين البيتين لابن المعتز وهماله حقيقة. كما ورد في موسوعة الشعر العربي؛ لكن الإشكال كيف يرويهما الجاحظ عن ابن المعتز،والمعروف أنّ الجاحظ ـ رحمه الله ـ توفي سنة٢٥٥هـ وابن المعتز رحمه الله مولودسنة٢٤٧هـ فهل سيروي عنه الجاحظ وابن المعتز عمره ثمان سنوات؟!. وعلى افتراض صحة الرواية في غيرهذا فهل سيُحسِنُ ابن المعتزالقول في هذاالمعنى وهوابن ثمان سنوات؟؛ وهذا الشعر لا يقال إلا ممن جرَّب الحياة وتقلب بصروفها.

وقال في باب محاسن طلب الرزق:

فسرْ في بلاد الله والتمسْ الغنى تعيــش ذايسارٍأوتموتَ فتعذرا

ولا ترضَ من عيشٍ بدونٍ ولاتنم وكيف ينامُ الليل من كان معسرا

قلت: الصواب في [تعيش] أن تكون هكذا[تعش] بدون ياء لأنَّها جواب الطلب والطلب هنا هو فعل الأمر[سر] فيكون الفعل مجزمًا بالسكون فتحذف الياءلا لأنها علامة الجزم ولكن لالتقاء الساكنين.وقد ينشأ إشكال هنا وهولماذا لم نقل بأن الفعل مجزوم بحذف حرف العلة؟ مع أنَّ المحذوف من الفعل ياء وهي من حروف العلة, والجواب على هذا أنَ حرف العلة

لايعتبرعلامـَة جـزم إلا عندمـا يكـون فـي آخـر اللفظة,مثـل يرمـي, يخشى , و يسـمو .

كما أن وجودالياء يسبب خللاً عروضيافينكسرالبيت.والبيت من بحرالطويل.

وأورد رحمه الله ـ قول الشاعر:

وليس الرزق عن طلبٍ حثيثٍ ولكن أدلِ دلوَك بالدلاءِ

تجئك بملئها وحينـا وطورًا تجيءُ بحمأةٍ وقليلِ ماءِ

قلت: إنَّ الـواو الـواردة قبـل[حينـا] زائـدة؛ لأنَّ إيـرادهـا يسـبب كسـرالبيت؛والبيت من بحرالوافر.وتفعيـلات الوافـر هي:

مفاعلتن مفاعلتن فعول مفاعلتن مفاعلتن فعول .

[تجيءُ] الصواب أن يقال: تجئك ليسلم البيت من الخلل.

٩

الكتاب/ اللغة بين العقل والمغامرة/تأليف /دكتور/مصطفى مندور رحمه الله/ رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة أسيوط/الناشرمنشأةالمعارف بالإسكندرية.جلال حزى وشركاه.

التعليق:كتبت على الصفحة الأولى [مُهدى من أخي العزيزحمد بن إبراهيم القنيبط أبي أسامة في ١٤٠١/٧/١هـ؛ وأخي أبو أسامة بيني وبينه صحبةٌ قديمةٌ متقادمة؛ فهي من سنة دخولنا المدرسة السعودية, في الصف الأول عام ١٣٨١هـ, ثم بقينا ننتقلُ من مرحلةٍ إلى مرحلة حتى أنهينا الجامعة, ثم دخلنا سلك التعليم وتقاعدنا منه مبكرا, هو عام ١٤٢٧هـ وأنا عام ١٤٢٩هـ, و لازالت صحبتنا قائمة ـ ولله الحمد ـ حتى كتابة هذا الحروف ١٤٤٥هـ؛ ومن مبادئه بالحياة أنَّه يقول إذا حدثتني نفسي بالتقتير والإمساك فإني أكسرُ رغبتها فاشتري أشياء لا حاجة لي بها, مخافة أن استسلم لإغرائها بالبخل وهو مبدأ قويم؛ وكنا في ثانوية الشبيلي أنا معلمٌ لغة عربية وهو مدير ومن نجاحه في إدارة المدرسة أنَّ الطلاب كانوا يزد حمون على التقديم عليها وبعضهم لا يمكنه الدخول إلا بشفاعةٍ من مدير التعليم؛ ثم انتقلنا مشرفَين تربويَين, هو مشرف للتربية الوطنية، وأنا مشرف للغة العربية .

ومن ثمار أبي أسامة التربوية أنه كان لنا صاحب أصيب أخوه بمرضٍ في نفسه ، فاعتزل الناس , ثم اعتزل أهلَه، فاستعصى عليهم أمره وأهمتهم

حالـه؛ وضاقـت بهـم سـبل علاجـه, فبـادر أبـو أسـامة يعـرض علـى أخ المصـاب الجلـوس مـع أخيـه ومحاولـة إقناعـه بالخـروج مـن هـذه العزلـة, فرحّـب بهـذا ثـم بـدأ معـه جلسـات فـي منزلهـم حتـى استطاع -بتوفيق اللـه- إخراجـه مـن هـذه العزلـة، فاسـتقامت حالـه وواصـل حياتـه كغيـره مـن الأسـواء حتـى أنهـى تعليمـه ملتحقًـا بأحـد القطاعـات العسـكرية.

ومـن مواقـف وفائـه أنّـه كان لنـا صاحـب أيـام الطلـب فـي المعهـد العلمـي, فبـدأ يتأخـر عـن الحضـور ثـم بـدأ يتخلـف عـن الدراسـة, فـكان أبـو أسـامة يذهـب إلـى بيتهـم كلّ صبـاح فيحضـره إلـى المعهـد, وبقـي علـى هـذا حتـى أعيـاه الأمـر, وتمكّـن المـرض النفسـي مـن صاحبنـا ولازمـه حتـى وفاتـه عليـه رحمـة اللـه, وكان هـذا الطالـب بمـكانٍ مـن الـذكاء والعانيـة بلباسـه .

ولأبـي أسـامة بسـتانٌ فيـه أنـواعٌ مـن ثمـار النخيـل؛ ومـن أجودهـا نـوعٌ يسـمى (حسـاوية) وكان يبادرنـي بإهـداء بواكيرهـا ؛والكتـاب المقـروء أحضـره معـه بعـد زيـارةٍ لـه لمصـر.

تعليق:قـال المؤلـف :[... ليسـت وظيفـة الاسـم محصـورةً فـي قبـول الجـر أوالتنويـن أو...] أقـول:إنّ النحـاة لـم يقولـوا إنّ وظيفـة الاسـم محصـورة فيماقال؛وإنمـا قالـوا:إنّ علامـات الاسـم هـي الجروالتنويـن ودخـول أل. ؛وعلـى هـذا فالوظيفـة التـي ذكرهـا المؤلـف للاسـم وهـي؛

؛[أنّ الاسم يقوم لتأكيدجانب خاص من الشيء المسمى] من الممكن الأخذبها،وبهذا نقول إنّ الفرق بين الوظيفة والعلامة هوأنّ الوظيفة يقصد بها ما يقوم به الشيء ويؤديه ويطلب منه؛أماالعلامة فهي ما تميزه عن غيره؛ فأقول مثلا إنَ الوظيفة التي يؤديها علم الإعراب هي بيان الأثرالذي تحدثه الأدوات الداخلة على الألفاظ، وإيضاح المعاني التي تتعاقب على لفظةٍ من الألفاظ بإعطاءكل معنى ما يناسبه من الحركات, بينما علاماته هي أصوات ورموز تتمثل في فتحة أوضمةأوكسرة أوسكون هذا في العلامات الأصلية أماالفرعيةفتكون العلامة حرفًاالواووالنون والألف للرفع والياءوالألف للنصب والجر...إلخ.

وكتبتُ على صفحته الأولى: كنت أوازن بين تاريخ نشره وبين تاريخ نشر كتاب مشابهٍ له بعنوان « الغريزة اللغوية كيف يبدع العقل اللغة » فلم أجد تاريخًا لنشره ؛ ولكنَّ تاريخ الاقتناء أفادني؛ وهذا من ثمار تدوين تاريخ الاقتناء, وتاريخ نشر كتاب الغريزة ١٤٢٠هـ .

١٠

الكتاب/المتنبي/المؤلف/أبوفهر/محمود محمد شاكر رحمه الله/الناشر/مطبعة المدني بالقاهرة/دار المدني بجدة, تاريخ الاقتناء ١٤٢٩/٢/١٩هـ

كتبت على صفحته الأولى: تملكته بالشراء من مكتبة الرشد في بريدة في ١٤٢٩/٢/١٩هـ بقيمة ٤٥ خمسة وأربعين ريالا ,وقد أحضره لي من المكتبة ابني أنس جزاه الله خيرا؛ وكنت قرأت إشادةً به من الأديب المطبوع المتذوق غازي بن عبد الرحمن القصيبي رحمه الله.؛ وكتبتُ أيضا: أعاود القراءة في هذا الكتاب لما أجد فيه من تنمية الأسلوب وجدية البحث؛ وقلت: ليته استفرغ هذا الوسع وهذه الطاقة ليخرج لنا خيرًا من هذا, قلت هذا قبل أن يخرج كتابه:(الأحرف السبعة) فقد وجدت فيه بعضًا مما كنتُ أُأمِّله من الشيخ.

ومما قلته إني لم أجد فرقًا بين منهج المؤلف التذوقي وبين المنهج التحليلي فكلاهما يرمي فيه الناقد بصره وبصيرته لاستخراج ما تخفيه النصوص وأرى أنه من أصعب المناهج مركبًا وأمنعها قيادًا , ولا يُجيدُ خوض غماره إلا من أوتي بصيرةً ولديه حاضرةٌ ذهنية تمكنه من الربط.

ومما لمسته من فرقٍ أراده شاكر بين التذوق والتحليل أنه مما يقصد بمنهج التذوق اكتشاف الخصائص المميزة لشعر عصرٍ عن آخر وهذا يتطلَّبُ إطالة الاطلاع على شعر كلٍّ عصر حتى يتمكن الناقد

من ذوقٍ تأصيلي في نفسه منه يفرِّق مباشرة في القطعة الشعرية ثم ينسبه إلى عصرها أوقائلها؛ وأحسب أنه ملك هذا.

وفي كتابي (دراسة تحليلية لأساليب محمود شاكر) إضافات عن هذا الكتاب, وتفصيلٌ عن منهج التذوق.

وفيما يخصُّ منهج التذوق قال ص ٨ فقرة٤: (ولا أزعم ـ معاذ الله ـ أني ابتدعتُ هذا المنهج ابتداعًا بلاسابقة ولا تمهيد , فهذا خطلٌ وتبجح)

وحين قرأت كلام المؤلف عن منهجه في القراءة حيث قال: (... بدأت بإعادة قراءة الشعر العربي كله, أو ما وقع تحت يدي منه يومئذٍ على الأصح...فأقدمت إقدام الشاب الجريء على قراءة كلٍّ ما وقع تحت يدي من كتب أسلافنا : من تفسير لكتاب الله , إلى علوم القرآن على اختلافها إلى دواوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم... إلى كتب الفقهاء... وكتب الملل والنحل, ثم كتب الأدب وكتب البلاغة...) قلت : إنَّ قراءة المؤلف ـ رحمه الله ـ لهذه العلوم لشيءٌ يبهر ويدلُّ على جلدٍ وصبر , وإني أجزم بأنَّ هناك تراثًا ضخمًا جديرًا بأن يجمع وينشر قد دوَّنه على كتبه من خلال تعليقه على ما قرأ ؛ولا أظن من بلغ هذه المنزلة سيدع الكتب من غير تعليق عليها؛ فلعل الله ييسر من يجمع هذه التعليقات والتهميشات ويخرجها في كتاب أو كتب ليطلع عليها أهل العلم. كتبت هذا التعليق في ١٤٣٣/٣/٧هـ .

ومما علقته: من أثمن ما في هذا الكتاب فصلٌ بعنوان(بيني وبين طه) ففيه مناقشة علمية مؤصلة محاطة بصفاء الذهن ولمِّ المتفرق.

كذلك قلت: في بعض فقرات الكتاب لا أقرأ للعلم بمعلومة أو البحث عن صواب رأي ،لا لقلة الاحتفاء بالعلم ؛ ولكن لأني أعلمها من قبل ؛ فتكون قراءتي لأتعلَّم المنهج الذي يسير عليه شاكر رحمه الله في إثباته أو نفيه.

ومن التعليق ما سميته : (قاعدة في الفهم): يذكر المؤلف عن عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - قاعدة ذهبية لمن أراد المعرفة أو التدرب على دقة التعبير وحسن اختيار اللفظ المعبِّر عن المعنى المقصود قال في ص١٠: (ومن أخصِّ شيءٍ يطلب ذلك فيه الكتبُ المبتدأة الموضوعة في العلوم المستخرجة) ويشير بقول: [ذلك] إلى الكتب التي أبدع مؤلفوها علمًا لم يُسبقوا إليه؛ وهي كتب الأصول التي استقرأ مؤلفوها كلامًا وقعَّدوا منه قواعد علمٍ من العلوم ؛ فهم أي هؤلاء العلماء يكونون في عبارتهم أشملَ وأدقَّ؛ لأنهم استوعبوا النصوص وفهموا مرادها ؛ وقلَّبوا الأمر والرأي قبل القول به.

ومما كتبته على جلدة الكتاب: قرأت ماكتبه طه حسين وما ردَّ به محمود شاكر رحمهما الله ,حول أب وأمِّ المتنبي رحمهم الله, فوجدت أنه مبحثٌ لا يثري العلم ولا يقدِّم للأدب ثمرة؛ وأنَّ الردود والتعقُبَات لا تعدو أن تكون دفاعًا عن حظوظ نفسية؛ بخلاف ما كتبه الرافعي ـ رحمه الله ـ في كتابه(تحت راية القرآن) ردًا على طه حسين؛ على كتابه (في الشعر الجاهلي) كتبت هذا التعليق في ١٤٤٢/٥/١١هـ .

وردفـي هامش٢مـن ص ١٨٥ :أن قـول المتنبي:[فـي زي مُـحرِم]في بيتـه أدنـاه.
أن هـذه اللفظـة كنايـة عـن فقره،لقلـة ثيابـه التـي تستره,والمحرم مـن الحـاج لا
يلبـس إلاإزاريـن غيـرَ مخيطـين إهـ

أقـول:أرى أنّ المتنبـي لا يكنـي بهذاعـن فقـره، وإنمـا هوتقريـع لنفسـه مـن
نفسه ليقول لهـا: إلـى متـى ستبقى على غيرحقيقتك؛ فهي عبـارة مـع التقريع
يستنهض بهـا نفسـه إلـى أن تتسـنمَ منزلتَهـا التـي يؤمـنُ بهـا والتـي تحدثـه
نفسـه عنهـا كثيرا.كتبـت هـذا يـوم الخميس٥/٣/١٤٢٩هـ.

وأمَّـا الفقـر فـلا أظنـه فـي معاناة معـه, وكيـف وقـد كثـرت وَفَداتـه علـى الـولاة
والأمـراء وغيرهـم ؛وهـو ممـن يُخطـبُ وده ويسـتلانُ جانبُـه ويسـتدعى شـعره
ويسـتوهبُ لسـانه ؛ والمـالُ أو جـبُ وأسـرعُ داع عنـد الشـعراء ، إلا أن يكـون بخيـلا.

وممـا أسْنُـد بـه رأيي.ورودالاسـتفهام الاسـتبطائي فـي قولـه: [وَحَتّـى مَتـى].
فهويسـتبطيء بقـاءه علـى هـذه الحـال , ومعلـومٌ أنَّ لبـاس الإحـرام لا يطـول بمـا
يسـتدعي هـذا الملـل؛ كمـا أن قولـه:[فـي شـقوة] يؤيـد هـذا فهوفـي صـراعٍ وشـقاء
مـن داخلـه يسـتحث نفسـه علـى الخـروج والخـلاص منـه.

إِلى أَيِّ حينٍ أَنتَ في زِيِّ مُحرِمِ وَحَتّى مَتى في شِقوَةٍ وَإِلى كَمِ

ومن التعليق على هذا الكتاب:قال محمودشاكر. عليه رحمة الله . ص ٢٣٠ :[ثم لما كتب قصيدته الأخرى الدالية ,ذكرأبياتايزعمون أنها تدل على مذهبهم في ثلب الرجل وهي قوله:

أَمالِكَ رِقّي وَمَن شَأنُهُ　　　هِباتُ اللُجَينِ وَعِتقُ العَبيدِ

دَعَوتُكَ عِندَ اِنقِطاعِ الرَجاءِ　　　وَالمَوتُ مِنّي كَحَبلِ الوَريدِ

دَعَوتُكَ لَمّا بَراني البَلاءُ　　　وَأَوهَنَ رِجلَيَّ ثِقلُ الحَديدِ

وَقَد كانَ مَشيُهُما في النِعالِ　　　فَقَد صارَ مَشيُهُما في القُيودِ

قا ل :[ونحن لا نرى في هذه الأبيات شيئًا يزري به؛ لأنه إنما أرادان يترفق لغرض الحيلة حتى يخلص من السجن...ثم يخاطب ابن طغج مخاطبة الند فيسأله على وجه التقريع واللوم فيقول:

فَما لَكَ تَقبَلُ زورَ الكَلامِ　　　وَقَدرُ الشَهادَةِ قَدرُ الشُهودِ.

ثم ينهاه ناصحًا:

فَلا تَسمَعَنَّ مِنَ الكاشِحينَ　　　وَلا تَعبَأَنَّ بِمَحكِ اليَهودِ

ثم يأمره على وجه التعليم والتنبيه.

وَكُن فارِقاً بَينَ دَعوى أَرَدتُ　　　وَدَعوى فَعَلتُ بِشَأوٍ بَعيدِ

أهـ.

التعليق:إن المرحومحمود شاكرتكلَّف تحميل هذه المعاني لهذه الأبيات؛فلادلالة فيها تدل على أن المتنبي يخاطب ابن طغج مخاطبة الند للندأوأنّه يلوم أويقرع.بل هذه ألفاظ من الشائع تداولها في مثل هذه الحال. ولشاكر ـ حمه الله ـ دأبٌ في تحميل الألفاظ دلالاتٍ يُفضي بها إلى مقصوده, وإن كانت بعيدةً ولا تُحتَمل, كما فعل حين تحليله قصيدة تأبط شرًا:

إنَّ بالشِّعْب الذين دون سَلْع

وهذا في كتابه: نمط صعب ونمط مخيف؛ وهي قصيدةٌ وقعت في ستةٍ وعشرين بيتًا, والكتاب بني على دراسةٍ لها مجيبةٍ على أسئلة من يحيى حقي رحمه الله.

كماأنّه ليس من الحكمة أن يكون مصيرالمرأبيدشخص ذي سطوة قادر على العقوبة. ثم يطلب منه فكاك أسره وهويتعالى عليه!.

والاستكانة ملاذ تلوذ به النفس في حال الضعف,وليس المتنبي بدعًا في هذا.ولايعاب على العاقل أن يتلبس بالاستكانة ويجعلها مسلكًاله إن كان حقه عندمن يملك المنع والإعطاء ممن يخشى منه عدم الإنصاف.

وهذا التكلف في تحميل الألفاظ مالا تطيق من المعاني قديشيرإلى منهج من مناهج البحث والتفكير وهو:أنّ الإنسان في بعض حالاته يعتقدثم يستدل.أي يوقن بنفسه بوجود أمرمعين ويكون مسارتفكيره متوجهًا إلى إثبات هذه الحقيقة التي ألزمَ نفسَه بها, وقديقوده هذا إلى ضعف الموضوعية وضعف التجرد للبحث أي أنّه قديمرعليه أدلةٌ تخالف معتقده فيتعامى عنها أويبحث لهاعن تخريجات بعيدة ليبعدها عما يناقض فكرته وهو يجعل الرأي هو الذي يولد الدليل والصواب أن يكون الدليل هو الذي يوجه ويولد الرأي ، ولكنّ المنهج السليم في التفكير الذي يوصل إلى الحقائق بصدق أن يكون الباحث متبعًا منهج الاستدلا ثم الاعتقاد فهو يقرأ متجردًا ثم تبدوله الحقيقة عفوًابعدهذا يحاول إبقاءها في ذاكرته من غير نفي أوإثبات فإن تبين له من خلال قراءته ما يثبتها أثبتها أوتركها.

أعودإلى مسألة استعطاف المتنبي لابن طغج فأقول: إنّ الاستعطاف منهج سار عليه الشعراءوالكتاب.قديماوحديثا ؛وميدان الحديث فيه خصب فلعل أحدالدارسين ينهض بمشروع علمي يخدم هذا الفن, وهودراسة تحليلية لأدب الاستعطاف في شقيه الشعري والنثري ويكون من محاور البحث فيهاالغوص على الجانب النفسي لهذه النصوص.

ومن تعليقاتي؛أنَ المؤلف ـ رحمه الله ـ أثقل كتابه بكثرة الإحالات على سابق أولاحق.

ومن التعليقات؛قلت؛إنَ الكنز المعرفي الذي يمتلكه المؤلف وحماسته لقضيته يجعلانك تحس بتدافع وتسابق فقراته ,وأفكاره. تجد هذافي نفسك وأنت تقرأ؛فالحال الشعورية التي تعتريك تجعلك تحسُ بتتابع أنفاسك المتأثرة بتتابع أنفاس المؤلف الذي تكاد تكون أفكاره وآراؤه وليدة اللحظة التي يكتب فيها؛فهو يستحث قلمه على الكتابة مخافة انسلال شيء من هذه الأفكار.

ومن التعليقات قلت؛في هذا الكتاب لاتجدالباحث يقدم دراسة فنية لشعر أبي الطيب.بل هو يريدأن يكشفَ قضايا وخبايا نفسية كتمها المتنبي فهي في معظمها دراسة تحليلية عميقة جدَايغوص فيهاالباحث منبُشًا عن المعاني النفسية.فهويقرأ النص قراءة نفسية لا فنية.ومن ثم يستنبط حالاً شعورية يرى أنَ أبا الطيب ـ رحمه الله ـ كان يخفيهافي نفسه.لهذا نجدأنَ اللفظة العلمية الجادة هي التي يدير بها الباحث معانيه؛كماأنَ القاريء يفقد المتعة الأدبية للفظة فالكاتب هنا محلل ومؤرخ لا أديب.

ومن محاسن استخدام الأسلوب العلمي لا تكاد تجد التكرار اللفظي في معالجة المعاني.

بالإضافة إلى القراءة النفسية هناك قراءة تاريخية يريد أن يثبت الباحث من خلالها قضايا. على رأسها التحقق من صحة نسبه العلوي.

يغالي أبو فهر ـ رحمه الله ـ في قيمة منهج التذوق الذي يرى أنه يسير عليه في كتاباته؛ وقد وقع في نفسي سؤال بعد قراءة ما يعنيه بهذا المنهج فقلت: هل هناك فرق بين منهج التذوق وبين المنهج التحليلي الذي يُعنى باستخراج الدفائن والدقائق ؟ فأقول : إنَّ منهج التذوق يؤول في نهايته إلى المنهج التحليلي ؛ وكلٌّ منهما ناتجٌ عن الآخر ؛ فلا تذوق بدون تحليل ولا تحليل بدون تذوق؛ فالتحليل الصحيح مبنيٌّ على تذوقٍ سليم؛ ومن الفروق بين منهجي التحليل والتذوق , أنَّ التحليل استنباط من نصٍ موجود والتذوق استدلال من قراءة طويلة يتبيَّنُ فيها القارئ أوجه الشبه والاختلاف؛ فإدامة القراءة تُنشئ في وجدان القارئ خصائص ما يقرأ.

ص١١(وعبد القاهر حكم حكمًا لم يبين لنا مأتاه ولا تفصيله حين قال: إنَّ المعنى الذي جاء في معنى كلام سيبويه هو قولهم: (والفعل ينقسم بأقسام الزمان : ماض، وحاضر، ومستقبل)ثم قال وليس يخفى ضعف هذا في جنبه وقصوره عنه ، ولم يزد على هذا شيئًا) قال أبو سهيل : ما أشد على طالب العلم أن يدع عالمٌ إيضاح مبهمٍ معوّلاً على وضوحه عنده ؛ فكان الأولى بالإمام - رحمه الله-

أن يبيِّنَ وجهَ القصور في كلام أبي علي رحمه الله , ولا يكِلُ القارئ إلى فهمٍ قد يند عنه ؛ وهذه قاعدةٌ يحسن الأخذ بها ؛ فلا ينبغي للعالم أن يدعَ شرحَ مسألةٍ عازيًا الأمر إلى فهم القارئ, أو أنه ليس هذا مجالَ بحثها.

ص ١٢ومما علقته إيضاحًا:(وأما الزمن الثاني ,فهو الذي عبَّر عنه سيبويه بقوله: [وما يكون ولم يقع وذلك حين تقول آمرًا : اخرج فهو مقترنٌ بزمنٍ مبهمٍ مطلقٍ معلَّق)

قلت : مبهم أي لا يُعرف زمن حدوثه , مطلق أي قد يقع الحدث زمن التكلُّم مباشرة وقد يطول الفاصل بين الأمر والامتثال, معلَّق فلا تحكم بحدوثه بمجرد النطق ؛ فهو مرهونٌ بمن يقع منه الحدث, كتبت التعليق في ١٧/١٢/١٤٣١هـ .

ص١٣) وأمَّا الزمن الثالث فهو الذي عبَّر عنه سيبويه بقوله: « وما هو كائن لم ينقطع « فإنَّه خبرٌ عن حدث كائنٍ حين تخبر به كقولك: « محمد يضرب ولده » فإنه خبرٌ عن ضربٍ كائن حين أخبرت في الحال ولم ينقطع الضرب بعد مضي الحال إلى الاستقبال؛ ويُلحق بهذا الزمن الثالث أيضًا مثال الفعل الماضي كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾النساء ٩٦

قلت: « محمد يضرب ولده « مثالٌ على كائنٍ لم ينقطع ؛ أما الآية فهي مثالُ حدثٍ لا ينقطع ؛ والفرق بينهما أنَّ ما لم ينقطع أي لما يقع فإذا وقع انتهى حتى يتكرر ؛ أما لا ينقطع فمعناه أنَّ هذا الحدث ليس له نهاية ,وهو حدثٌ متجدد الحدوث, وهذا هو الأمر في مغفرة الله سبحانه.

ص ٧٠: (فقبل كلِّ شئ , أنى للمستشرق أن يحوزَ ما لا يحوزه إلا من وُلد في بحبوحة اللغة وثقافتها منذ كان في المهد صبيا...) قلت إذا أخذنا بهذا مع ما نجد من براعة بعض المستشرقين في عرض الرأي , فهل نعزو تلك البراعة إلى جودة الترجمة وعمق المترجم في اللغتين؟ أقول اللهم نعم؛ لأني أجد في بعض الترجمات غشاوةً تحول بيني وبين الاستمرار بالقراءة,والمستشرق يدرك المعنى بعقلة ولكنه ضعيف في أحساسه بوجدانه .

ص ١٦٤ـ١٦٥:(أنه كما قال علي بن حمزة البصري راوية المتنبي كما سماه أهل المغرب: » بلوتُ من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة , وتلك أنه ما كذب, ولازنى ولا لاط) قلت نفي الكذب يصح محمدةً لأنه مما يكون وقوعه في الناس وخاصةَ الشعراء منهم ؛أمَّا » ولازنى ولا لاط « فلولا أنه مغموزٌ بهما أويخشى عليه منهما لارتياده مواطن الريبة؛ أو أن يكون الراوي أراد خيرًا فأساء العبارة؛ كمن يشهد لرجلٍ معرفٍ بالصلاح بأنه لا تفوته الصلاة؛ فهذا فيه تعييبٌ مشموم، وإن لم يكن صريحا؛ لأن من شُهد له الصلاح فمن المتعين أنه يقيم الصلاه .

ص ١٧١ـ ١٧٢: قال شاكر: (... حتى كان من أمره ماكان من ادعائه العلوية بالشأم) قلت: مادام شاكر يرى حقَّ علويته فكان الأصحُ أن يقول: حتى كان من أمره ماكان من إظهار علويته؛ كما قال هذا في ص ١٧٢: (... وأخبروها (جدة المتنبي) أنهم قد أجمعوا رأيهم على منعه من دخول الكوفة بعد ما كان من أمره وهو بالشام من إظهار العلويَّة)لأن الادعاء يوصف به من يُشكُّ بمقاله.

في ص٤٤٦: قال أبو الطيب:

ولولم تكوني بنت أكرم والدٍ   لكن أباك الضخمَ كونُكِ لي أمّا

قلت: لم يجد أبو الطيب ـ رحمه الله ـ أفضلَ من هذه الألفاظ وهذه الصياغة لإعلان فكرته؛ فهذا البيت خلوٌ من البلاغة ظاهر التعقيد والتكلف, وليته لم يفُهْ به.

استطراد

ومما أفرزتْه قراءة هذاالسفرالذي أبدع فيه محمودشاكر. عليه رحمة الله ـ أن أستطردفي ذكرشيء مما أراه عن المتنبي رحمه الله.

فأقول :أرى من دواعي اعتداد المتنبي بشخصيته.أنّه عندمارأى ما استشرى من فسادخاصة مايتعلق منه في أمر الولاية وعندما عاشرالناس وقاسهم لم يجدفيهم من يرى عنده القدرة على تدارك أمرهم:

أَنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللَهُ   غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ

فحمّل نفسه هذا الأمروهوفوق ما يملك من آلة يستطيع بها تحقيق هدفه؛ لهذا أرى أنّ كثيرًامن الأبيات التي نسب فيها القيادة أو الشجاعة لأشخاص بأعيانهم وأبدع فيها. أرى أحدأمرين.إما أنّه يقصدامتداح نفسه,أوأنّه يقصد الممدوح ولكن فعل هذا الممدوح حرّك آمالاً راكدة في نفسه؛لهذانلمس الصدق الفني فيما يتعلق بخصال الإقدام والشجاعة في مثل قوله:

قَد نابَ عَنكَ شَديدُ الخَوفِ وَاصطَنَعَت لَكَ المَهابَةُ ما لا تَصنَعُ البُهَم

أَلزَمتَ نَفسَكَ شَيئاً لَيسَ يَلزَمُها أَن لا يُوارِيَهُم أَرضٌ وَلا عَلَمُ

أَما تَرى ظَفَراً حُلواً سِوى ظَفَرٍ تَصافَحَت فيهِ بيضُ الهِندِ وَاللِمَمُ.

أوقوله.

بَناها فَأَعلى وَالقَنا تَقرَعُ القَنا وَمَوجُ المَنايا حَولَها مُتَلاطِمُ

أَتوكَ يَجُرّونَ الحَديدَ كَأَنَّهُم سَرَوا بِجِيادٍ ما لَهُنَّ قَوائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلمى هَزيمَةً وَوَجهُكَ وَضّاحٌ وَثَغرُكَ باسِمُ

فهويعني بهذانفسه.أوأنّ هذاالتعبيرانطلق في نفسه من شيم كان يكتمهافي شعوره.فتفيض عفوًا عندما تجدمايحركها.

ولصدق العاطفة هنا فإني أقول عن نفسي بأني عندما أقرأ مثل هذه المعاني أجد فيهامحركًا قويًا للإقدام وخوض المعارك .

وقفة حول أبي الطيب ـ عليه رحمة الله ـ

وخولة أخت سيف الدولة

ومماافتضاه الا ستطرادفي التعليق على كتاب محمودشاكر المتنبي. أن أتحدث عن حب أبي الطيب ـ لخولة أخت سيف الدولة ـ على الجميع رحمة الله ـ .فهناك من يقول إنه يحبها وفي رأيي الذي أراه بعد تحليل بعض الأبيات أنّ هذاصحيح؛فعندما نقف عندقوله مثلا في ميميته التي يعاتب بها سيف الدولة؛حيث وردفيها قوله؛

واحَــرَّ قَلبــاهُ مِمَّــنْ قَلبُـهُ شَبِـمُ وَمَن بِجِسمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ

مالي أُكَتِّمُ حُبّاً قَد بَرى جَسَدي وَتَدَّعي حُبَّ سَيفِ الدَولَةِ الأُمَـمُ

إِن كانَ يَجمَعُنا حُــبٌّ لِغُــرَّتِــهِ فَلَيتَ أَنّا بِقَـدرِ الحُـبِّ نَقتَسِمُ.

ففـي هـذه الأبيـات وفـي ثانيها علـى الأخـصّ ما يؤيـد هذا المذهب فلم نعهدمن الشـعراء أنّهـم يحدثـون عـن ممدوحهـم بهذاالصيغة؛ولـم نجدهـذه المعانـي التـي ذكرهـا المتنبـي فـي مدائحه.لـم نجدهـا فـي مدائـح زهيرأوالأعشـى أوعنـد شـعراء عصربنـي أمية.بـل فـي شـعره هوإذامـدح غيرسـيف الدولـة فإنّـه لايجـري علـى لسـانه مثـل هـذه الألفـاظ الموحيـة. فحـرارة الاسـتفهام المحيـة بلوعـة فـي قوله:[مالـي أكتـم حبًا قدبرى جسـدي] تـكاد تلمـس أنَ الأمريتجاوزحـب المحامد الرجوليـة الجالـب لحـب الرجـال فالإيحـاءات قويـة أنَ هـذه نفثـاتُ عاشقٍ مغرم لا مدائـح مـن أعجبتـه الشـجاعة أو اصطنعـه الكـرام أوالمكارم والعطايـا.

الزفـرة والنفثـة المسـتوحاة مـن حـرارة المطلـع[واحرقلبـاه] فيهـا فيـضٌ ودفـقٌ عاطفـي يتعـدى كونـه مماتُمـدح بـه الرجـال.إلـى أنّـه تعبيـر عمـا يضطـرم مـن حـرارة الشـوق فـي داخلـه.

وقولـه:[قدبـرى جسدي]فيهاأيضًاماايشيرإلى المعانـاة التـي يجدهـا الشـاعر فـي نفسـه .وهـذه الجملـة ممايأنـف الرجـال أن تقـال عنهـم أوفيهـم.

وكنـت كلماقـرأت هـذه الأبيـات أقـف عندهاوأقـول فـي نفسـي: إنّهـا ألفـاظ غـزل ونفثـات عاشـق.

ومما يؤيد ماذهبت إليه أنّ الإلغازوالتكنية كثيرة في شعر المتنبي ؛فمن هذا ما سبق الحديث عنه حول قوله:

إلى أيِّ حينٍ أنتَ في زيِّ مُحرِمِ   وَحَتّى مَتى في شِقوَةٍ وَإلى كَمِ

ومن إلغازه ماذكروه من قول أبي فراس ـ رحمه الله ـ وكانوافي مجلس سيف الدولة فحين وصل إلى قوله في الميمية السابقة:

أُعيذُها نَظَراتٍ مِنكَ صادِقَةً   أَن تَحسَبَ الشَحمَ فيمَن شَحمُهُ وَرَمُ

وَما اِنتِفاعُ أَخي الدُنيا بِناظِرِهِ   إِذا اِستَوَت عِندَهُ الأَنوارُ وَالظُلَمُ

فيقال إنّ أبا فراس عندما سمع هذا القول التفت إلى سيف الدولة وقال له إن المتنبي يعرِّض بك وبابن عمك يعني نفسه؛وأبوفراس يقصد من هذا أن يشير إلى أنّ أبا الطيب يعرِّض بأنّ سيف الدولة لا يفرق بين غث الشعروسمينه؛فلا قيمة لناظرلايميزفي نظره وعقله بين ماهوشحم حقيقي أوبين ماهوورم يغري الناظرين وسراب قول لايغني سامعه, ولاينتفع ناظرلايفرق بين الأنوار ويعني بهذا شعره ,والظُلَم التي هي شعرأبي فراس. ومن أبعد الإلغاز غوراً قوله :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا   وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ توجه بها إلى كافور؛ وهو يعبِّر عن المضض الذي يكنه في نفسه من جراء حاجته إلى مدح كافور مع ضعته في دخيلة أبي الطيب فغاية البلاء وعِظَمه أن تتمنى الموت ؛ وهي حالتي حين أجاأتني صروف الدهر إلى مدح من لا يستحقُّ المدح؛ ولذلك نجد أنَّه في نهاية الأمر هجا كافورًا؛ بخلاف حاله مع سيف الدولة ؛فإنه عاتبه وغضب من تفضيله أو مساواته لمن لا يدانيه شعرًا وشجاعة.

الإلغازوالتكنية في شعرالمتنبي يحتاج إلى بحث مستقل؛ ولكن هذه إشارة إليه فحسب، وكافرياته من أخص مكامن التكنية .

١١

الكتــاب قصائدأعجبتني.المؤلف/الدكتورغـازي بـن عبدالرحمـن القصيبـي رحمـه الله,ط٢خاصـة بمكتبـة العبيـكان.

ما كانَ أَخلَقَنا مِنكُم بِتَكرُمَةٍ لَو أَنَّ أَمرَكُمُ مِن أَمرِنا أَمَمُ

التعليـق أنَّ لفظـة أخلقنـا مكتوبـة بالكتـاب بضـم القاف؛وهذاخطأطباعـي إذ الصـواب بالفتـح فهـي فعـل تعجـب فعـل مـاض, وأصـل الـكلام ماأحقناوأولانـا ؛وكان زائـدة هنـا ؛ ومـن مواضـع زيـادة كان وقوعهـا بـين مـا التعجبيـة وفعـل التعجـب ؛ مـاكان أولاك بالكـرم ــ مـاكان أصـدق خبـرَك.

قـال المؤلـف عـن بدأقطـع العلاقـة بـين سـيف الدولـة والمتنبـي :[... هـو موقـف الحبيـب الـذي يحسُّ بفتورحبيبه.ثـم وضـع بـين قوسينْ قولـه:«إن كنـت لاتحبنـي فسـوف أذهـب! »المعنـى الـذي أراده غـازي معنـى جميـل لكنـه سـاقه بلفـظ سـوقي لايتناسـب مـع منزلـة بقيـة ألفاظـه فـي تحليـل أجـواء القصيـدة. حتـى إنـي ظننـت فـي أول وهلـة لقراءتـه أنَّ غازيًـا أورده للسـخرية مـن الذيـن يعبـرون عـن هـذا المعنـى بهـذا اللفـظ ولوأنـه قـال أي غازي[هجـر بهجـر] لـكان. فـي ظنـي. أليـق بأسلوبه. وعندمـا نعيـش اجواءالقصيـدة سـنرى بـأن هـذ اللفـظ لايناسـبها ؛فأجواؤها توحـي بالعـزة وهـذا التعبيرفيـه ضعـف.

كتبت هذافي ١٤٢٩/٢/٦هـ.

وشرٌ ما قَنَصته راحتي قنصٌ   شهب البزاة سواءٌ فيه والرَّخَمُ

علَّق على البيت بقوله: (والقَنَص هنا ليس الكسب المادي ـ بل المعنوي كما يوضح البيت التالي:

بأي لفظٍ تقول الشعر زِعْنِفةٌ   تجوز عندك لا عربٌ ولا عجمُ

قلت: هذا معنى ودًّ القصيبي ـ رحمه الله ـ أن يُراد ؛ لكنَّ لفظة « راحتي » تأباه وتوحي بأنَّ المراد الكسب المادي؛ فالراحة هي أداة القبض والإعطاء لما يوهب للشعراء وغيرهم؛ ومن هذا ماقاله جرير يمدح عبد الملك بن مروان رحمه الله:

ألستم خيرَ مَن ركب المطايا   وأندى العالمين بطونَ راحِ

الزِعنفة بفتح الزاي وكسرها: الطائفة من الناس, وتطلق على الرديئ من كلِّ شيء؛ وجو القصيدة يوحي بأنَّ الشاعر يقصد هذا المعنى.

البزاة جمع باز وهو من كرام الطير, الرَّخم جمع رَخْمَة وهي من خِساس الطير.

وبعد أن فرغت من قراءة تحليل غازي لهذه القصيدة قلت ولي تعليق:ذلك أنَّ القصيبي.فيما ظهرتلبس بشخصية المتنبي وهو يقرأ أبياته ويحللها. حيث قرأها قراءة نفسية قراءة من تمثَّل الحالة الشعورية للمتنبي ,وقدأسقط مواقف القصيدة على مجريات مربها هو. حين قال يعاتب ويودع الملك فهد رحمهما الله.وهذا موقف فيه من الشبه كثيرين موقف المتنبي معاتبًا سيف الدولة ، وموقف القصيبي معاتبا الملك فهد.حيث قال:

(بيني وبينك ألفُ واشٍ ينعبُ) فعلام أُسهِمُ في الغناءِ وأطنبُ

صوتي يضيعُ ولا تحسُّ برجعِه ولقد عهدتُك حين أنشدُ تطربُ

وأراك ما بين الجموعِ فلا أرى تلك البشاشةَ في الملامحِ تعشبُ

وتمرُّ عينُك بي وتهرع مثلما عبر الغريبُ مروعًا يتوثبُ

(بيني وبينك ألفُ واشٍ يكذبُ) وتظلُّ تسمعُه ولستَ تكذِّبُ

خدعوا فأعجبك الخداعُ ولم تكن من قبلُ بالزيفِ المعطَّرُ تعجبُ

سبحان من جعل القلوب خزائنًا لمشاعرٍ لمّا تزل تتقلب

(قل للوشاةِ أتيتُ أرفعُ رايتي الـ بيضاءَ فاسعوا في أديمي واضربوا)

هذي المعارك لستُ أحسنُ خوضَها من ذا يحارب والغريم الثعلبُ؟!؟

ومَنِ المناضلُ والسلاحُ دسيسةٌ ؟ ومَنِ المكافحُ والعدوُ العقربُ؟

تأبى الرجولةُ ان تدنّسَ سيفَها قد يغلِب المقدام ساعة يُغلَبُ

في الفجرِ تحتضنُ القفارُ رواحلي الحرُّ حين يرى الملالةَ يهربُ

ستقالُ فيك قصائدٌ مأجورةٌ فالمادحون الجائعون تأهبوا

دعوى الودادِ تجولُ فوق شفاههم أما القلوبُ فجال فيها أشعبُ

لا يستوي قلمٌ يُباع ويُشترى ويراعةٌ بدم المحاجر تكتبُ

أنا شاعرُ الدنيا تبطَّنَ ظهرَها شعري يشرِّق عبرها ويغرِّبُ

أنا شاعرُ الأفلاكِ كلُّ كُليمةٍ مني على شفقِ الخلود تلَهبُ

والبيتان الأخيران فيهما نَفَس قوي من أنفاس المتنبي .

١٢

الكتاب : » إعراب القرآن « المؤلف/ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، ٣٣٨هـ؛ تحقيق الدكتور / زهير غازي زاهد- رحمهما الله -/ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، اقتنيته في ١٤٠٧/٦/٢٦هـ .

ومما علقته في ص ٨٩ ج١ إيضاح عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾٥٨ النحل؛ قال أبو جعفر: (ويجوز عند سيبويه والفراء[ظلَّ وجهه مسودٌّ] يكون في « ظلَّ » مضمر والجملة خبر)

قلت: مضمر يعود على المبَشَّر أو أحدهما ؛ أي ظلَّ المبَشَّرأوظلَّ أحدهما ؛والمقصود بالجملة: (وجهه مسودٌّ).

في ج ١ ص ٣٠٧ : كان حديثه عن إعراب » قتالٍ « في قوله تعالى﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾ البقرة ٢١٧ (... وقال أبوعبيدة هو مخفوض على الجوار ؛ قال أبو جعفر : لا يجوزُ أن يعربَ شيءٌ على الجوار في كتاب الله عزَّ وجلَّ ولا في شيءٍ من الكلام؛ وإنما الجوار غلط ؛ وإنما وقع في شيءٍ شاذ ؛ وهوقولهم : هذا جحر ضبٍ خربٍ ؛ والدليلُ على أنَّه غلط قول العرب في التثنية: هذان جحرا ضبٍ خربان)

قلت: وأنا أميل وأذهب إلى ما ذهب إليه أبو جعفر رحمه الله ؛ وإعراب (قِتَالٍ) بعد رد الجر على الجوار يكون بدلَ اشتمال.

ومما علقته استطرادًا على هذه المسألة؛ أنَّ مما أعرب في الجر على الجوار قول امرئ القيس في معلقته؛

كأنَّ ثبيرًا في عرانين وبله كبيرُ أناس في بجادٍ مزمَّلِ

فالجر الواقع على « مزمَّلِ « يردونه إلى أنه بسبب مجاورته لـ « بجاد » وإلا فالأصل فيها الرفع لأنها صفةٌ لـ «كبير» خبر كأنَّ .

قلت : ولا أرى غضاضةَ أن يقال في الإعراب؛ مجرو جوارًا مرفوع محلاً؛كما يقال في إعراب الضمير المجرور في مثل قولنا؛ «كتابك» ؛ فنعرب الكاف ضميرًا مبنيًا على الفتح في محل جر؛ وكما في إعراب المجرور بحرف جرٍ مؤكد وهو الذي يطلق عليه بعضهم حرف جر زائد مثل قوله تعالى : « أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ « المائدة ١٩فـ « بَشِيرٍ « مجرور لفظًا مرفوع محلاً على أنّه فاعل. لـ « جَاءَنَا « أوبالباء بعد « كفى » كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾٦ النساء؛ فالله مجرور لفظًا مرفوع محلاً؛ وهذا عندي أنه أيسر من القول بالجر بالمجاورة.

وماذا علينا لوقلنا بانَّ « مُزمَّلِ « صفةٌ لأناس؛ ولا مانع من وصف الجمع بمفرد كما ورد في قوله تعالى: (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)الحاقة ٧، في من أعرب (خاوية) صفة لنخل كذلك تأتي الحال مفردةً من الجمع كقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) غافر٦٧فـ (طِفْلًا) حالٌ من ضمير الجمع في (يُخْرِجُكُمْ)

كما أتى الجمع بدلا من المفرد في قوله تعالى) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ)(جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ)الرعد٢٢ـ ٢٣فـ (جَنَّاتُ) بدلٌ من (عُقْبَى) ومن قوله تعالى:(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا)(جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا) مريم ٦٠ـ ٦١فـ (جَنَّاتِ) بدلٌ من (الْجَنَّةَ)

ومن التخريجات التي يُستبعدُ بها القول بالجر بالمجاورة في بيت امرئ القيس أن نقول عن لفظة (مزمَّل) بصيغة اسم المفعول، أن نحولَّها إلى اسم فاعل (مزمِّل) فتكون صفةً لبجاد.

وهذا المثال ناقشه ابن جني ـ رحمه الله ـ في الخصائص في باب: «باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة» حيث قال: (فمما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدئ هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم :هذا جحر ضبٍ خربٍ؛ فهذا يتناوله آخرٌ عن أول وتالٍ عن ماض على أنه غلط من العرب , لا يختلفون فيه ولا يتوقفون عنه, وأنه من الشاذ الذي لا يحمل عليه ولا يجوز رد غيره إليه...

وذلك أنَّه على حذف المضاف لا غير... وتلخيص هذا أنَّ أصله : هذا جحر ضبٍ خربٍ جحره فيجري « خرب » وصفًا على ضب وإن كان في الحقيقة للجحر)

قلت: وهذا المقال: (هذا جحر ضبٍ خرب) أضعف الاستشهاد به الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله؛ حيث ورد في كتاب (آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي) ج٢ ص٤٤ جمع وتقديم نجله / أحمد طالب الإبراهيمي: (... لكن المثال البارد الفج ((الصامط)) الذي لا يثير في النفس اهتماماً, بل يثير فيها اغتماماً؛ هو المثال الذي تعلمناه من كتب النحو، وهو قولهم: هذا جحرُ ضبٌّ خربٍ.يُمثلون به للجر بالمجاورةِ أو بالتوهمِ لا أدري! وإنما الذي أدريه هو أنَّ هذا النوع مِن الجرِّ مسموعٌ عن العرب, وهو مِن شذوذاتهم اللغوية وانحرافاتهم عن مقاييس لغتهم, وهو مقبول منهم، لكنه مقصورٌ على ما سُمِعَ منهم, فلا يسوغ لنا نحن طرده من كلامنا حتى لا نفسد اللغة على أنفسنا بهدم القواعد الصحيحة والجري على غير منهاج... وإذا كان هذا النوع مِن الجرِّ مسموعاً موقوفاً على السماع فلستُ على ثقةٍ من أن مثال النحاة مسموعٌ من العرب, وإنما هو مثالٌ سوقيٌّ انتحلوه، ثم قلَّد آخرُهم أولَهم فيه على عاداتهم, وهل يصحُّ لهم أن يمثلوا لمسألةٍ سماعيةٍ بمثالٍ مصنوع؟ لا.ودليلي على أن المثال مصنوع أمران:

- الأول: أنَّ نطق العرب لا يساعد على ما ادَّعاه النحاة فيه؛ لأن كلمة خرب التي يَدَّعي النحاة جرها جاءت مقطعاً في الجملة لم تعقبها كلمة أخرى، فإذا نطق بها عربيٌّ نطق بها ساكنةَ الآخِر بلا شك، فمن أين يظهر الجرُّ الذي ادَّعوه فيها؟... والثاني: أن معنى المثال على برودته وجفافه لا يتفق مع ما يَعرف العرب عن الضب مِن أنه لا يحفر جحره إلا في الكدى (جمع كدية) وهي جبيلٌ صلبُ الأرض متماسكُ التراب، ولذلك يضيفونه إليها كثيراً، فيقولون: ضب الكدية، وضب الكدى، يستعملون هذا كثيراً في كلامهم)

ثم استشهد أبو جعفر على القول بأنه غلط، بعيبٍ يحدث في القافية وهو الإقواء فقال: (وإنما هو بمنزلة الإقواء)

قلت: الإقواء هو أحد عيوب القافية ؛ وهو أن يكون حرف الروي على إعرابٍ واحد ثم يأتي بيتٌ مختلف الحركة؛ كما وقع في معلق النابغة:

أمِن آل نعمٍ رائحٌ أو مغتدِ ... عجلان ذا زادٍ وغير مزودِ

أزف الترحلُ غير أنَّ ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قدِ

زعم البوارح أن رحلتنا غدًا ... وبذاك خبَّرنا الغراب الأسودُ

فالبيتُ الأول والثاني حرفُ الروي فيهما مكسور، ثم جاء الثالث مرفوعا.

ويقال إنَّهم أرادوا إظهار الإقواء للنابغة، فأمروا جارية تغني القصيدة على مسمعٍ منه , فلمَّا سمع أدرك فقال:

زعم البوارح أن رحلتنا غدًا ... وبذاك تنعابُ الغرابِ الأسودِ

ومن هذه التعليقات ما كتبته في ص٦٧ ج١: (وكان البصريون يفتخرون على الكوفيين قائلين : نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ؛ وهؤلاء يأخذونها عن أهل السواد , وأصحاب الكوا ميخ والشوازير)

فقلت : حرشة الضباب هم صائدوها؛ وهو كناية عن أنهم يأخذون اللغة من أهلها وأربابها الخُلَّص الصُرَحاء؛ والكواميخ أطعمةٌ تقدم قبل الأكل لفتح الشهية؛ والشوازير اللبن الرائب؛ وهذه الأكَلات ليس من عادة العرب أكلُها .

وللزمخشري ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه : (أساس البلاغة) كلام جميل يصفُ في مصادر كتابه هذا : [... فليتُ العربية وما فصُح من لغاتها وملُح من بلاغاتها وما سمع من الأعراب في بواديها ومن خطباء الحلل في نواديها ومن قراضبة نجد في أكلائها ومراتعها ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجمعها، وما تراجزت به السقاة على أفواه قلبها، وتساجعت به الرعاة على شفاه علبها، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماتنة، وما تزاملت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة؛ وما طولع في بطون الكتب)

وفي ص٤٣١ج١قال في شاهد جواز العطف على الضمير؛ وهو الشاهد٩٢:

وما بينها والكعبِ عوطٌ نفانفُ

وقال في هامش٦: والشاهد لمسكين الدارمي؛ وصدره:

تُعلَّقُ في مثل السواري سيوفنا

قلت : الصواب غوط لا عوطٌ ؛ جمع غائط وهو المنخفض من الأرض؛ والبيت يمدح فيه الشاعر قومه بأنهم طويلوالقامات يشبهون السواري وهي الأعمدة؛ وأنَّ ما بين مكان التعليق والكعب غائط أي منخفض.

وفي ج٢ص٣٩٦ في الآية ٤٢ من النحل(الَّذِينَ صَبَرُوا) في موضع رفع على البدل من « الين» والصواب الذين.

وفي ص ٣٩٧ في حديثه عن الآية ٤٨ رُسمت إحدى كلماتُها خطأً (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَقيَّأُ) والصواب:(يَتَفَيَّأُ).

١٣

الكتاب: الاشتقاق ؛ المؤلف ابن دريد رحمه الله؛ تحقيق: عبد السلام محمد هارون رحمه الله, اقتنيته في ٢٧/٦/١٤٠٠هـ.

ورد في ص٤:(وأخبرنا أبو حاتم بن محمد السجستاني قال : قيل للعُتبي: ما بالُ العرب سمَّت أبناءَها بالأسماء المستبشعة، وسمت عبيدَها بالأسماء المستحسنة؟ فقال: لأنها سمَّت أبناءها لأعدائها وسمَّت عبيدَها لأنفسها)

يقصد العُتبي أنَّ العدو حين يسمع مثل: مُرة ، قتادة ،حنظلة، كلب، فاتك فإنه تداخله الهيبة، لكنْ بما يردُّ العتبي حين يسمع مثل: يربوع ،ضب، ثور، حمار، حرقوص ؛ فهي أسماء مستبشعة ولا توقع في النفس هيبة فمع التعليل الذي ذكره إلا أننا لم نرَ الأسماء المستبشعة هي القاعدة أو هي الكثرة؛ بل هي شواذ لا يجوز أن يبنى عليها غاية؛وهذا أرى أنَّه مما طُعن به على العرب؛ انظر كتب التراجم و كتب الأنساب فستجد ما يردَّ هذه الكثرة ويكفيك أن تقرأ ما ورد في هذا الكتاب من الأسماء لتجد خلاف ما قيل عن كثرة الأسماء المستبشعة.

ص ٢٠٢ـ ٢٠٣ قال بطون بني مالك بن عمرو بن تميم... واشتقاق (حرقوص) من دُويبةٍ أصغر من الحلمة تلصق بأرفاغ الناس وما تحت أُزُرِهم مثل القردان للإبل؛ قلت : « أرفاغ « جمع رَفَغ وهو موضع اجتماع الأوساخ من البدن.

في ص١١ تورَّع رحمه الله عن الخوض في اشتقاق لفظ الجلالة فقال: (فأمَا اشتقاق اسم [الله] عزَّ وجلَّ فقد أقدم قومٌ على تفسيره ولا أحبُّ أن أقول فيه شيئا)، وقوله :(أقدم) فيه رائحة إنكار عليهم

في ص٢٣ قال: قال الراجز:

زوجك ياذات الثنايا الغرّْ والرَّتِلات والجبين الحُرّْ

لم يبين معنى الرَّتِلات فقلت: الثنايا الَرتِلات هي الحسنة التراصّ شديدة البياض.

ص ٧٣ قال الشاعر:

فلاتُلمِسِ الأفعى يديك تثيرُها ودعها إذا ما غيَّبتْها سَفاتُها

قلت: قد يرد على الذهن أنَّ الفعل [تثير] من حقه الجزم على الطلب جوابًا لـ[تلمس] ولكنَّ المعنى الذي أراده الشاعر هو:لا تلمس طالبًا الإثارة ؛ فجملة [تثير] في محل نصب حالاً من ضمير [تُلمِس] ومعنى البيت يلتقي مع معنى المثل القائل: « اترك الشر يتركك « .

ص١٧٤قال : (قال أبو حاتم سمعت الأصمعي يقول :النُّفاثة أن تبقى شظيةٌ من السواك بين الأسنان فينفثها الرجل أي يلقيها) قلت: وهذا من دقائق الإطلاقات اللغوية؛ ومن دقائق الاطلاقات اللغوية ما ذكره القالي رحمه الله في كتابه الأمالي ج١ص ٩٧: (الدُّواية وهي جلدةٌ رقيقة تركب اللَّبن)

ص١٩٢: قال جرير:

وما أمُّ الفرزدق من هلالٍ   وما أمُّ الفرزدق من صُباحِ

ولكنْ أصلُ أمِّك من شتيم   فأبصر وسمَ قِدحِك من القداح

قلت: يُقرأ الشطر الثاني من البيت الثاني باختلاس النون ؛ فيقال: م القداح. حتى يستقيمَ عروض البيت .

ص٢٠٥ من المباينة في الفروق اللغوية : أنَّ الكِبا بالقصر الكُناسة, والكِباء بالمد البخور.

كنت أظن أنَّ بَيْب لفظةٌ أعجمية حتى وجدت عربيتها في ص ٢٢١ بنفس المعنى المستعمل عندنا الآن؛ قال في حديثه عن رجال بني سليط: (ومن رجالهم الحارث بن بَيْبَة و[البَيْبَة] المثعب ينصبُّ منه الماء إذا أُفرِغ من الدلو في الحوض؛ وهو البَيْب والبَيْبَة.

يظن البعض أنَّ التنمُّر ادعاء الشجاعة اشتقاقًا من النمر السبُع المعروف قال في حديثه عن غَطَفان ص٢٧٥ـ ٢٧٦: (وأنمار من التنمُّر وهي زعارةُ الخُلق وشراسته)والزعارة سوء الخُلق.

١٤

الكتـاب/ فقـه اللغـة العربيـة المقـارن/ دراسـات فـي أصـول العربيـة وصرفهـا ونحوهـا علـى ضـوء اللغـات السـامية، المؤلـف/ الدكتـور رمـزي منيـر بعلبكـي الطبعـة الأول نيسـان/ إبريـل ١٩٩٩م، اقتنيتـه مـن المعـرض الدولـي للكتـاب فـي الريـاض ، فـي ١٤٣٥/٥/٧هـ، قيمتـه ٣٥ ريـالا.

كتبتُ علـى جلدتـه : هـذا الكتـاب مـن الكتـب التـي تعلِّمـك العلـم وصناعتـه فالمؤلـف يُبيِّـن كيـف وصل إلـى هـذا الـرأي الـذي يـراه؛ ولا يعطيـك الدليـل فقـط وانمـا يبيَّـنُ مأخـذه؛ وهـو كتـابٌ علمـيٌ مفيـدٌ جدًا فـي موضوعـه؛ وهـو مـن الكتب التـي تُقـرأُ بتمهـل وتـؤدة فـلا حشـوَ فيـه ؛وقـرأت أجـزاء منـه أكثـر مـن مـرة وفـي كلِّ قـراءة أخـرج بفائـدة؛ وهـذا منهجٌ للدكتـور رمـزي , ويزيـد تأكيـدُه مـن قـراءة كتـابٍ آخـر للمؤلـف هـو: « العربيـة هـذه اللغـة الشـريفة » سـيأتي الحديـث ـ إن شـاء اللـه ـ عنـه بعـد الانتهـاء مـن تدويـن تعليقاتـي علـى هـذا الكتـاب .

وكتبـتُ أيضًـا: هممـتُ أن أكتـب لـه خاتمـة لخلـو الكتـاب منهـا مـع غـزارة مـا انفـرد بـه الكتـاب مـن آراء؛ ولكنـي هممـتُ ولـم أفعـلْ فقـد خشـيتُ أن يكـون هـذا تعديًـا علـى حقـوق المؤلـف ؛ ولعـل هـذه الخاتمـة تكـون حقًـا لمـن أراد تحقيقـه أو إعـادة طبعـه فـي قابـل الأيـام ، بعـد أن يكـون الكتـاب ملكًا للتاريـخ ؛ ولا أدري أتـرك المؤلـف الخاتمـةَ سـهوًا ـ وهـذا بعيـدٌ فـي ظنـي ـ أم تركهـا اعتمـادًا علـى فطنـة القـارئ؛لأنـه سـيجد فـي ثنايـا الكتـاب مـا يمكـن أن يكـون خاتمـة؛ أم أنـه لا يـرى مـا يدعـو إليهـا.

وفـي الجملـة أرى أنَّـه لـو كتبهـا لـكان مضمونُهـا تفضيـلَ العربيـة علـى بقيـة الســاميات؛لأنَّ هــذا مــا يُفهــم مــن مقارنتــه العربيــة بأخواتهــا الســاميات؛ فقــد عقـد فـي ص ١٤١فصلاً ذكـر فيـه خمـس عشـرة خصيصـة تفـردت بهـا العربيـة مـن خـلال موازنتهـا بلغـاتٍ سـامية.

قـال فـي ص٧(ولئـن كان مجـرَّد قيـام هـذا الكتـاب علـى المنهـج المقـارن يَنْميـه إلـى صنـف مـن التأليـف نـادرٍ فـي العربيـة لمـن المؤمَّـل أن يكـون فـي مادتـه ونماذجـه مـا يجعلـه فريـدًا فـي بابـه) قلـت: صحيـحٌ أنَّ علماءنـا عليهـم رحمـة اللـه قـد لا نجـد لهـم كتابًـا بهـذا الاسـم» فقـه اللغـة العربيـة المقـارن « أو بنحـوٍ منـه؛ إلا أنـي مـن خـلال مطالعـة كثيـرٍ مـن تـراثهـم وجـدتُ أنَّ منهـج المقارنـة لـم يغـب عنهـم وهـو مبثـوث فـي أكثـر مـن كتـاب ؛ولووُضـع كتـابٌ يسـتقصي مـا كتبـه العلمـاء عـن الموازنـة بـين العربيـة وغيـرهـا مـن اللغـات قبـل اسـتحداث مصطلـح» اللغـات السـامية ١٧٨١م» لوجـد مـادةً علميـةً وفيـرة تُبيِّـن جهـودَ اللغويـين العـرب فـي مجـال موازنـة العربيـة مـع غيـرهـا مـن اللغـات ؛ وأنَّ هـذا المنهـج» الموازنـة» لـم يكـن غائبًـا عنهـم ؛ومـن الكتـب التـي تفيـدُ فـي هـذا البحـث:

كتـاب الزينـة فـي الكلمـات الإسـلامية العربيـة لأبـي حـاتم أحمـد بـن حمـدان الـرازي٣٢٢هـ رحمـه اللـه, وكتـاب» التنبيـه عـل حـدوث التصحيـف « لحمـزة بـن الحسـن الأصفهانـي رحمـه اللـه ٣٦٠هـ ,

الخصائص لابن جني رحمه الله٣٩٢هـ بن فارس رحمه الله ٣٩٥هـ في كتابه (الصاحبي) أبو حيان الأندلسي رحمه الله ٧٤٥هـ ذكر عند حديثه عن الأية٧٦ من سورة الأنعام أنَّ له كتابًا اسمه: « جلاء الغبش عن لغة الحبش » مقدمة ابن خلدون ٨٠٨ هـ رحمه الله ؛ وفي كتاب :(العربية هذه اللغة الشريفة) وهو لرمزي بعلبكي ص١٠١ـ١٠٢

قال: (لم يكن النحويون العرب بغافلين عن العلاقة بين العربية وأخواتها الساميات) وبعد أن ذكر شواهده على هذا ختم هذه الفقرة فقال: (ويكفي بهذا دلالةً على إدراك اللغوين القدماء العلاقة الجامعة بين هذه اللغات)

قال في ص٩:(وقد حاولنا جاهدين ألا نقع فيما وقع فيه صنفان متناقضان ... فالأول يجهد ليثبتَ أنَّ العربيةَ أقربُ من سائر الساميات إلى اللغة الأم المفترضة) قلت: لا ضير على الباحث أن يجهد في هذا إذا كان يذهبُ في بحثه مذهبًا علميًا مبنيًا على أدلةٍ علمية يثبتها بدراسةٍ مستفيضة ؛ لا أن تكون أدلةً عاطفية أو حماسة عرقية ؛ ثم هنا ك فرقٌ بين الأقرب والأفضل؛ وبأدلةٍ استقرَّ عليها رأيي رأيت أنَّ العربية هي الأفضل؛ وقد فصَّلتُ هذا في مبحثٍ بعنوان: [نظرات في سر العربية]

ومما كتبته على غلافه: حين قرأت فوائدَ تعلُّم أكثرَ من لغة : من الأمور التي ندمتُ عليها وقتَ الفتوة الذهنية والنشاط أني لم أتعلمْ أكثرَ من لغة؛ ولواستقدمت من أمري ما استدبرت لأخذت بمجامعي وتعلمتُ ما وسعني من اللغات.

لأنـي رأيـت ثمـرة هـذا لـدى مـن يجيـد ألسـنةً متعـددة, والحمـد للـه علـى كلٍّ فلـو قُـدِّر هـذا لـكان.

ص ٧٨ قـال: (دراسـة التغييـر الصوتـي باعتبـار درجتـه : تقـوم القسـمة الرئيسـية فـي هـذا النمـط علـى التفرقـة بـين التغييـر الصوتـي الفـو نيمـي... والتغييـر الصوتـي الألوفونـي) قلـت: الفونيـم هـو الحـرف والتغييـر الفـو نيمـي هـو تغيـر المعنـى بتغيـر حـرف واحـد فـي اللفظـة مثـل : غـاب, جـاب , عـاب , نـاب, عـاد , فـاد, حـاد , جـاد, جنـود , جنـون , جنـوح, مسـاكين , مسـاجين...إلخ؛ والفونيـم هـو أصغـر وحـدة فـي اللفظـة.

والتغيير الصوتي الألوفوني هو: اختلاف نطق الحرف باختلاف اللهجات.

ص ٧٩ قلـت: الألفـون: هـو تغيـر الصوت فـي الحـرف من حيث الترقيـق والتفخيم أو اختـلاف اللهجـات مـع اتحـاد المعنـى؛ قـال تعالـى : (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) الشـورى ١٩ (لِلَّـهِ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) المائـدة ١٢٠ ؛ فآيـة الشـور نُطِـقَ لفـظ الجلالـة بتفخيـم الـلام؛ وآيـة المائـد بترقيقهـا ؛ ومنـه الإمالـة , وهـي إمالـة الألـف قريبًـا مـن اليـاء.

١٥

الكتاب: « العربية هذه اللغة الشريفة » وصلني إهداءً من ابني محمد جزاه الله خيرا, في ٢٣/رجب/١٤٤٤هـ؛ والطبعة التي بين يدي هي الطبعة الثانية ١٤٤٠هـ

قلت عنه: قرأت للدكتور رمزي هذا الكتاب , وكتاب « فقه العربية المقارن » فرأيت أنهما يعلِّمان العلم وصناعته ؛ فهما يثيران فيك لذة وجدان المعرفة ولا تكاد تنحّي عنك القلم وأنت تقرأ له؛ فهذا تعليق استدعته القراءة؛ وهذا رأيٌ جدير بالتدوين؛ وأرى أنَّ كتب الدكتور رمزي لا تقرأ مرةً واحدة ففي كلِّ قراءة ستعرف جديدًا لم تعرف في قراءتك السابقة؛ ومن باب الموازنة فقد قرأت كتابًا بالموضوع نفسه هو : « منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة » للدكتور عبد المجيد الطيب عمر فلم أجد فيه من العلم ما وجدته مع بعلبكي ، وفي كلٍّ خير.

قال في ص ٣٥ : (في تعليل بناء الأسماء... وإن يكن ذلك الاجتهاد نفسه مما لا تدعو إليه الحاجة التعليمية ولا وظيفة النحوي) قلت: إغفال البحث عن العلل أو الجهل بها لا يمنع من الانتفاع بعلم النحو الذي مخه الإعراب فمن عرف كيف يوقع الحركات الإعرابية إيقاعًا صحيحًا فقد بلغ الغاية من تعلُّم النحو؛ وتقصي العلل الذي يصل إلى حدِّ التكلُّف مما أثقل به بعض النحاة أنفسهم ، ومن ثم نُسِب مأخذًا على صعوبة النحو وهو منه بريء

وإنما هو ولعٌ وحاجةٌ نفسية ؛فلو أيقظتَ رجلاً من أهل السليقة وسألتَه لِمَ رفع ولِمَ نصب؟ لقال سمعته من أبي عن أبيه.

ومما لا حظه بعلبكي فيما يخصُّ البناء ص٣٧:(... مثال ذلك الإعراب المعروف للأفعال الماضية؛ فهي تارة مبنية على الفتح وتارة مبنية على الضم وتارة مبنية على السكون) قلت: يعني أنَّ هذا يتعارض مع قاعدة أنَّ المبني يلزم حركةً واحدة ثابتة؛ مثل: عيسى, ليلى, فلا أثرَ لتغيُّر موقعها الإعرابي على حركة آخرها؛ ومن الأمثلة على التغيُّرات التي طرأت على حركة بناء الفعل الماضي: ذهبَ مبني على الفتح, ذهبُوا مبني على الضم، ذهبْن، ذهبْتُ ذهبْنا مبنيات على السكون؛ وهذا التغيُّر حدث لوجود مؤثر خارجي؛ فالبناء على الضم بسبب دخول واو الجماعة، والبناء على السكون بسبب دخول نون النسوة وتاء الفاعل وناء الفاعلين.

قلت : إنَّه يُفضِّل أن تسمى العربية « لغة لام التعريف » بدلاً من لغة « الضاد » توصَّل إلى هذا التفضيل بعد أن درس مجموعةً من النقوش فقال في ص٧٠: (ولعل قولنا إنَّ العربية لغةُ لام التعريف أصوب من القول إنها لغة الضاد ؛فالضاد قد يقترب نطقها في الفصحى من نطقها في بعض اخواتها؛ وأمَّا أداة التعريف ـ وإن تكن أداة صرفية لا صوتًا لغويًا بعينه ـ فهي عربية خالصة تحدد هُويَّة النص أنه عربي , وتحدد هُوية القوم الذين وضعوه أنهم عرب) قلت: قوله : « أداة صرفية » أي تتميَّزبها المعرفة من النكرة والصوت اللغوي هو أحد الحروف الهجائية.

ص٨٥ في مبحث: [الإشكالات والعوائق التي تواجهها المنظمات الدولية في استخدام العربية]قال في ص ٩٧: (... فلا نؤملنَّ خيرًا في تجاوز العقبات التي فصلّناها أعلاه مالم نحصّن مجتمعاتنا في أمنها اللغوي) قلت: اتلّقى التخوف على العربية بنَفَسٍ بارد ؛ ليقيني أنها محفوظة بحفظ الله وباقيةٌ إلى أن يرفعَ الله القرآن ؛كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : (لَيُسْرَيَنَّ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مُصْحَفٍ وَلا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إلا رُفِعَتْ)

ولا أجد نفسي في مصافةٍ مع العسكر الذين يخافون عليها من الانقراض لكنَّ الإقصاء لها والتزهيد بها حاصلٌ بلاشك؛ وهذا مرض يوشك أن تتعافى منه .

أمَّا النظرة الدونية للغة فهي لم تأتِ من داخل اللغة وإنما بمؤثرٍ خارجي وهو ضعفُ أهلِ اللسان أمام الأمم وهو ضعفٌ لا شك في زواله إذا عادت إلى أهل اللسان هيبتهم بين الأمم.

وكذلك أتت من عدوٍ مبارزٍ و خفي؛ فهم يعلمون قوة العربية ويعلمون أثرها في بناء الأمة؛ وهم لم يقولوا بضعفها إلا محادةً ومحاربة ولكن هذا من باب (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) النمل١٤ ؛ فلم يقولوا بضعفها وعجزها عن مصافة ومواكبة اللغات الأخرى موقنين ؛ وإنما قالوه خائفين من عودة أثرها.

ص١٠٠ فيها مبحثٌ بعنوان [نحو دراسة النحو العربي دراسة سامية مقارنة] قلت: في هذا المبحث يعزو خلافات النحويين في تعليل بعض الظواهر إلى لغات ساميّة.

ص ١٠٧ قال: (التلتلة : في كتاب سيبويه شرحٌ مستفيض لهذه المسألة وان لم يسمها بمصطلحها هذا بل شرحها بقوله:) هذا باب ما تُكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء) قلت : في لهجتنا العامية نكسر أول المضارع مع بعض الأفعال ؛ فنقول: تِجي ، تِجون، تِجين لخطاب المؤنثة؛ وكسر أول الفعل المضارع في الفعل الأجوف: قام يِقوم ,باع يِبيع ؛ وسمعت لهجاتٍ في بعض مناطق سدير وهو أحد أقاليم نجد تُكسر فيها تاء المضارع في عاميتهم فيقولون: تِبي أي تريد.

ومما يتعلق بتفضيل العربية على كثيرٍمن غيرها , ما جاء في مقدمة كتاب « الموسوعة الشعرية » بقلم مطاوع صفدي عندما تحدَّث عن العلاقة بين اللفظ ومعناه في العربية قال ص٢١ـ ٢٢: (... في حين أنَّ أكثر اللغات الأوربية خاصة، قد عانت نهائيًا من الا نفصام الصوتي والتجريبي بين الألفاظ وموسيقاها، وبين المعاناة؛ فأصبحت أقرب إلى المصطلحات الموضوعة وكرموزٍ اتفق على دلالاتها بفعل الوعي والحاجة ؛ في حين أنَّ اللغة ذات المنشأ والتطور العضويين يمكنها أن تقبل بالاصطلاح, وتبتعد عن الصيغة البنيوية لجذر ألفاظها ، وحركاتها وتكيفها مع بنية المعاناة, في لحظة القول والفعل.

وتتضح هذه الفروق ، بين اللغة ذات البنية العضوية ، وبين اللغات الأوربية, وبالأخصِّ منها اللاتينية ، في أنَّ هذه الأخيرة, قد اعتمدت مسألة الإضافة الخارجية إلى جذورها, فيما يدعى بالمسبق والملحق وخضع تغيُّرُ الجذر في معانيه وأحواله الزمانية والخطابية، إلى مصطلحات الإضافة في أول الجذر أو آخره ، من الحروف ؛ على أنَّ التغيُّر في اللفظ العربي لا يلحق المبدأ أو الملحق من حروفها, بقدر ما ينبجس من صميم بنية الحرف.

قلت: وقوله: (اتفق على دلالاتها بفعل الوعي والحاجة) أي ما وُجد بفعل الوعي والحاجة فإنَّه يزول بزوال حاجته, ثم تأتي ألفاظ أخرى يولِّدها تجددُ الحاجات, وهكذا حتى تجد أنَّها بعد زمن قد انتقلت من لغة إلى لغة لا علاقة لها باللغة السابقة؛ وهذا فارق يمسُّ جوهر اللغة ؛ فاللغة العضوية تبقى متجددة ، بخلاف اللغة الموضوعة المصطلح على دلالاتها التي تتقلب وتتبدل دلالاتها، وستتعرف على قصورَ أكثر حين تقرأ التعليق التالي على كتاب الدكتور عبد المجيد عمر.

١٦

الكتاب/ « منزلة اللغة العربية » تأليف الأستاذ الدكتور/ عبد المجيد الطيب عمر, أستاذ اللغة الإنجليزية بجامعة أم القرى الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ , القراءة من نسخة إلكترونية.

يقول المؤلف في ص ١٩: (والحقيقة التي لا خلاف عليها, أنَّ قمة ما تبلغه لغةٌ ما من الشرف وعلو المكانة,أن تكون لغةً مُبِينة قادرةً على الإشفاف والإفصاح عما في نفس المتحدث ؛ وبنفس القدر تكون معقولة ومفهومة من قبل السامع والمتلقي ... فماهي إذن تلك السمات التي خصَّ الله سبحانه بها اللغة العربية)

قلت: كل اللغات مشترِكةٌ بهذا ؛ بل ليس لغةٌ موجودة إلا بقصد الإبانة والإفصاح عما في أنفس متحدثيها؛ فهذه الخصيصة لا أراها مما تفْضُل به العربية غيرَها؛ وقوله: (معقولة ومفهومة من قبل السامع والمتلقي) هذا تذييل يريد به تخصيص العربية به ؛ ولكنه قدرٌ مشترك بين جميع اللغات؛ فليست هذه الخصيصة مقصورةً على العربية.

* ص١٢٨: (... قـام الملـك إدوارد الثالـث لأول مـرة بمخاطبـة البرلمـان ــ برلمـان بريطانيـا باللغـة الإنجليزيـة بعيـد منتصـف القـرن الرابـع عشـر ؛ وتحديـدًا فـي العـام ١٣٦٢م ... ولكـن كانـت هنـاك مشـكلة قصـور اللغـة الإنجليزيـة ...فقـد اعتمـدت اللغـة الإنجليزيـة علـى الاسـتلاف بـلا تحفـظ مـن اللغـات الكلاسـيكية مثـل اللاتينيـة والإغريقيـة للتعبيـر عـن المفاهيـم العلميـة والأدبيـة والفلسـفية الجديـدة التـي لـم تكـن اللغـة الإنجليزيـة مؤهلـةً للتعبيـر عنهـا بحكـم محدوديتهـا؛ وانحصـار تداولهـا واسـتخدامها علـى طبقـات المجتمـع الدنيـا ؛إنَّ هـذا الاسـتلاف غيـر المحـدود مـن اللغـات الأخـرى قـد أحـدث تغييـرًا جوهريـا فـي نظـام اللغـة الإنجليزيـة كلـه وشـمل ذلـك نظامهـا الصوتـي والصرفـي والنحـوي والصوتـي ... حيـث وفـدت إليهـا أصـوات لـم تكـن موجـودة فيهـا أصـلاً ,واختفـت أصـوات أخـرى كانـت منطوقـة وتعدلـت أصـوات واختلـف نطقهـا قليـلاً أو كثيـرًا عمـا كانـت عليـه فـي السـابق ؛ ويتمثـل هـذا الأخيـر فـي ترقيـق بعـض الأصـوات ,وتقـدم مخارجهـا إلـى الأمـام ,وخروجهـا مـن الفـم بـدل الحلـق والخياشـيم؛ كمـا قصـرت كثيـر مـن الأصـوات التـي كانـت طويلـة نسـبيًا ؛ حـدث هـذا كلـه قبيـل نهايـة القـرن السـابع عشـر)

من هنا أقول إنه من الضيم للعربية الموازنة بينها وبين الإنجليزية.

ص١٢٩ قـال عـن أثـر الاسـتعارة فـي اللغـة الإنجليزيـة مـن حيـث الأثـر الصوتـي: ((وقـد أحـدث هـذا الأمـر تغيـرات إضافيـة فـي النظـام الصوتـي فـي اللغـة

الإنجليزيـة, وترتـب علـى هـذه التبـدلات والتحـولات الصوتيـة ظهـور لغـة جديـدة تختلـف تمامًـا عـن اللغـة الإنجليزيـة القديمـة ، واللغـة الإنجليزيـة الوسـيطة التـي لـم يعـد يفهمهـا أحـد مـن المتحدثـين بالإنجليزيـة الآن)

(التحـول الصوتـي العظيـم ظاهـرة غريبـة اعترت اللغـة الإنجليزية في القرن الخامس عشـر الميـلادي ... والتحـول الضخـم فـي النطـق بالأصوات الإنجليزيـة, تغيـرت اللغـة الإنجليزيـة حتـى أصبحـت خلقًـا آخـر ,وأصبح مـن الصعوبـة بمكان أن يفهـم شـخص إنجليـزي مـن القـرن السـادس عشـر لغـة القـرن الرابـع عشـر ,خصوصًـا إذا مـا نطقـت بنفـس الطريقـة التـي كانـت تنطـق بهـا فـي ذلـك الحـين)

١٧

الكتاب: «في اللهجات العربية» المؤلف: الدكتور إبراهيم أنيس- رحمه الله - الطبعة الرابعة,اقتنيته في ١٣/ ١/ ١٤٣٢هـ

قال في ص ٤٣:(وتلك اللغة الأدبية التي خطب بها الخطباء وشعر بها الشعراء ونزل بها القرآن الكريم, لم تكن لغةَ تخاطبٍ للناس في حياتهم العامة ... لم تكن إذن لغة سليقة يتكلُّمها الناس دون شعورٍ بخصائصها ...أمَّا لغة التخاطب فهي تلك التي يمكن أن يقال إنَّ الناس كانوا يتكلمون نها بالسليقة , ويؤدون بها التافه من شؤونهم و لا يعمدون إليها عن قصد, ولا يتخيرون ألفاظها)

يبني إبراهيم أنيس ـ رحمه الله ـ كلامه في تصنيف اللغة إلى لغتين؛ لغة أدبية وهي : (تلك اللغة الأدبية التي يخطب بها الخطباء ويشعر بها الشعراء ونزل بها القرآن الكريم) اللغة الثانية هي لغة التخاطب وهي: (تلك اللغة التي يمكن أن يقال إنَّ الناس كانوا يتكلَّمونها بالسليقة ويؤدون بها التافه من شؤونهم)

قلت: بلى إنَّ هذه اللغة الفصيحة التي نباهي بها هي التي كانوا بها يتكلمون في مجالسهم ونواديهم؛ حتى في خصوماتهم وفي حياتهم العامة كلها؛ وهي اللغة التي كانت النساء تُرَقِّصُ بها أطفالَها وتمازحهم بها؛ كما روي أنَّ أعرابيةَ كانت تقول وهي تُرقِّصُ ولدها:

يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد
أهكـــذا كـــلّ ولد أم لـــم يلـد مثلي أحد

وبهذه اللغة الفصيحة كانت الزوج تعاتب زوجها؛ ومنه ما روي عن زوج أبي حمزة الضبي, الذي كان يكنى بأبي حمزة من غير أن يكون له حمزة؛ فكان لا يولد له إلا بنات ، فعزم على مفارقة زوجته ، أو اتخاذ ضرةٍ لها، فلما عرفت منه هذا قالت تخاطبه وتعاتبه:

ما لأبي حمزة لا يأتينا؟ يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا تالله ما ذلك في أيدينا!
وإنما نأخذ ما أُعطينا نُنبت ما قد زرعوه فينا!

ولا شك أنَّ هنا فصيحًا وأفصح يجري على ألسنتهم , وهذا التفاوت عائدٌ إلى المتكلِّم لا إلى اللغة ؛فاللفظ موجود ولكنَّ هناك من وُهبَ الأفصح وهناك من وُهب الفصيح, كما هو جارٍ على ألسنة الكتاب والمتحدثين في كلِّ جيل.

وإنما بعُد الأمر في ذهنه لما يراه من بُعْدٍ بعيدٍ بين عاميات العرب الآن وما يُروى عن فصاحتهم في الجاهلية؛ وحين ما يرى ـ أيضاـ ما يكتبه أو يتحدث به العلماء والأدباء الآن من مباينةٍ بين فصيح اللغة وعاميها.

كذلك حين نسمع ما جرى من أمثالهم ومبادهاتهم نجد أنه جرى على ألسنتهم من غير قصد وتعمُّل بل جرى مجرى السليقة والجبلَّة؛فما وصف به عامتهُم من أنهم كانوا يتكلمون بالسليقة ينطبق بتمامه على أمثالهم ومبادهاتهم.

كذلك حين نزل القرآن الكريم لم يستعصِ فهمه على كبيرهم أوعلى ناشئتهم؛ونجد أن ناشئتهم يتكلمون باللسان الذي يتكلَّم به كبراؤهم .كما أنَّ تحديَّهم بالإتيان بمثله أو بسورة دليلٌ على أنَّه نزل بلسانهم الذي به يتحدثون.

ومما يروى عن فصاحة ناشئتهم , ما أورده الميداني ـ رحمه الله ـ في كتابه [مجمع الأمثال] مع المثل٢٨٧٨: (... وإن عامراً مُلاَعِبَ الأسِنَّة وعَوف بن الأحوص وسُهَيلَ بن مالك ولبيدَ بن رَبيعةَ وشَمَاساً الفَزَاري وقلابة الأسَدِي قَدِمُوا على النعمان، وخَلَّفُوا لَبِيداً يرعى إبلهم، وكان أحْدَثهم سِنّاً ... فلما رأى أصحابه وما بهم من الكآبة سألهم: مالكم؟ فكتَمُوه، فقال لهم: والله لا أحفظُ لكم مَتَاعاً ولا أسْرَحُ لكم إبلاً أو تُخْبِرُونى بالذي كنتم فيه ... وقَالوا لبيد: أوَعندك خير؟ قَال: سترون، قَالوا: نَبْلُوك في هذه البَقْلة، لبَقْلَةٍ بين أيديهم دَقِيقَة الأغصان قليلة الأوراقَ لاصقة بالأرض تدعى التَرِبَةُ صِفْهَا لنا واشْتُمْهَا، فقال: هذه التربة التي لا تُذْكِى ناراً، ولا تؤهل داراً، ولا تَسُرُ جاراً، عودها ضئيل، وفرعها كَليل، وخيرها قليل، شَرُ البقول مَرْعى، وأقصرها فَرْعا، فَتَعْساً لها وجَدْعا، إلْقَوابى أخا عبس، أردُه عنكم بتَعس، وأدعه من أمره في لَبْس... فخرج القومُ وهو معهم حتى دخلوا على النعمان وهو يتغدّى والربيعُ يأكل معه، فَقَال لبيد: أبيتَ اللّعن! أتأذن لي في الكلام؟ فأذن له، فأنشأ يقول:

يَا رُبَّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهْ ... أكُلَّ يَوْمٍ هامتي مُقَرَّعَهْ
نَحْنُ بَنُو أمِّ البَنِينَ الأرْبَعَهْ ... وَنَحْنُ خَيْرُ عامرِ بنِ صَعْصَعَهْ
المُطْعِمُونَ الجَفْنَةَ المُدَعْدَعَهْ ... وَالضَّارِبُونَ الهَامَ تَحْتَ الخَيضَعَهْ
يا واهبَ الخَيْرِ الكَثيرِ مِنْ سَعَهْ ... إليكَ جاوَزْنَا بلاداً مَسْبَعَهْ
نُخْبِرُ عَنْ هذَا خَبيراً فَاسْمَعَهْ ... مَهْلاً أبيْتَ اللَّعْنَ لاَ تَأكُلْ مَعَهْ
إنَّ اسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ ... وَإنَّهُ يُدْخِلُ فيهَا إصْبَعَهْ
يُدْخِلُها حَتَّى يُوارِي أشْجَعَهْ ... كأنَّهُ يَطْلُبُ شَيئاً أطْمَعَهْ

ويروى «ضَيّعَهْ» فلما سمع النعمانُ الشعرَ أفَّفَ، ورفع يَدَه من الطعام، وقَال للربيع: أكذاك أنت؟ قَال: لا، واللاتِ لقد كَذَبَ ابنُ الفاعلة، قَال النعمان: لقد خَبُثَ عليَّ طعامي) فها هو لبيدٌ الصبي كيف قال وأحسن؟!.

ومما يشهد بأنه قال هذا على البديهة ومن غير رويةٍ أو إعداد , وأنَّ هذا اللسان الفصيح أمرٌ فُطِروا عليه أنَّ قومه لم يكونوا يعهدون منه هذا, فأبوا أن يأخذوا بقوله أو يصدقوه حتى يمتحنوه.

كذلك من الأدلة على أنَّ هذه اللغة هي اللغة الفصيحة التي نباهي بها هي التي كانوا بها يتكلمون في مجالسهم ونواديهم؛ حتى في خصوماتهم وفي حياتهم العامة كلها , ما روي لنا من المبادهات التي تأتي عفوًا من غير إعداد من المتكلِّم؛ ومن هذا ما روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قال لعمرو بن الاهتم:

أخبرنا عن الزبرقان، فقال: إنه مطاعٌ في أدنيه، شديدُ العارضة، مانعٌ لما وراء ظهره؛ فقال الزبرقان: يا رسول الله، إنه ليعلمُ مني أكثرَ من ذلك، ولكن حسدني، فقال عمرو: والله يا رسول الله، إنه لزمِرُ المروءة، ضيقُ العطن، حديثُ الغنى، أحمقُ الوالد، لئيمُ الخال، وما كذبتُ في الاولى، ولقد صدقتُ في الاخرى؛ رضيتُ فقلتُ بأحسنَ ما علمت، وسخطتُ فقلتُ بأسوأَ ما علمت) أليس هذا دليلاً على أنه سليقةٌ فُطِروا عليها؟ ؛قد يقول : إنَّ هذا من كلام الخاصة وسُراة القوم؛ لكنَّ التذكير بمأخذ الزمخشري والميداني للغة يردُّ هذا.

الزمخشري رحمه الله ذكر في كتابه « أساس البلاغة « القومَ الذين كان يأخذُ منهم اللغة وهم قراضبةٌ نجد في أكلائها ومراتعها ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجمعها، وما تراجزت به السقاة على أفواه قلبها؛ فالقراضبة هم اللصوص فهؤلاء بمكانٍ قصيٍ عن السيادة, ومثلهم السماسرة والسقاة؛ وانما الأمر سليقةٌ أوتيها القومَ جميعَهم.

كذلك مما يُردُّ به على هذا الرأي أنَّ اللغويين حين بدأوا جمع اللغة صنفوا ما كان مباينًا للفصيح فقالوا هذه لغاتٌ رديئة وهذه منكرة وهذه مذمومة .؛ وقد سمَّى ابن فارس ٣٩٥هـ ـ رحمه الله ـ في كتابه الصاحبي أحد الأبواب» باب اللغات المذمومة « وذكر منها العنعنة, والكشكشة,والكسكسة ؛ثم ذكر العنعنة والكشكشة وهي لغات ليست من الشيوع بمكان يجعله الأصل ويجعل

تناهـي الفصاحـة بينهـم هـو الشـاذ؛ وإنمـا هـي لغـة التخاطـب الدونـي كبعـض أحاديـث السـمر.

ومـن خصائـص الأمثـال واتخاذهـا دليـلاً علـى أنَّ هـذه اللغـة الفصيحـة هـي اللغـة التـي يتكلمـون بهـا فـي مجالسـهم ورود المثـل علـى الذهـن عفـوًا مـن غيـر تحبيـرٍ أو تـروٍ ممـن نطـق بهـا؛ لذلك نجد أنَّ بعض الأمثال تُعقَّبُ بقولهم: فسـارت مثلاً؛ مما يؤكِّد أنَّ هذه الجملة وردت على الخاطر ساعة نطقها ؛والأمثـال أرى أنهـا مـن أجلـى الأدلـة علـى أصالـة الفصاحـة فـي ألسـنتهم؛ وقـد ذكـر الميدانـي فـي مقدمـة كتابـه «مجمـع الأمثـال» ـ وهـو عنـدي أفضلُ مـا وُضـع فـي هـذا البـاب ـ قـال عـن بعـض مصـادر أمثالـه: (... هـذه الأمثـال التـي هـي لُمَظَـاتُ حرشـة الضبـاب , ونُفَثَـات حَلَبـة اللقـاح وحَمَلـة العـلاب) وهـؤلاء الموصوفـون بأنهـم ممـن أُخـذت عنهـم الأمثـال لا شـك بأنهـم مـن أوسـاط النـاس لا مـن سـراتهم.

ومـن الأمثـال التـي لاشـكَّ أنهـا وليـدة سـاعة الحـدث فلـم يُسـبق بأنـاةٍ ولا تحبيـر؛ وإنمـا قيـل ارتجـالاً, من هـذا قـول الزبـاء: [بيـدي لا بيـد عمـرو] وقولهم : [لأمـرٍ مـا جـدع قصيـرُ أنفـه] [اليـوم لا يطـاع لقصيـرٍ أمـر] وهـي كلهـا فـي حادثـةٍ واحـدة وهـي التـي حدثـت بـين الزبـاء وجذيمـة.

ومن هذا ما أورده أبو منصور الأزهري ـ رحمه الله ـ ٢٨٢هـ ـ ٣٧٠هـ في خطبة كتابه: « تهذيب اللغة » (وكنتُ امتُحنتُ بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهَبير, وكان القوم الذي وقعت في سهمهم عربًا , عامتهم من هوازن , واختلط بهم أصرامٌ من تميم وأسد بالهَبير ... ويتكلَّمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوا عليها ولا يكاد يقع في منطقهم لحنٌ أو خطأٌ فاحش) مع ملاحظة تاريخ وفاته رحمه الله.

كذلك لم نسمع أنهم كانوا يلقِّنون أبناءهم فصيح الكلام ولم ينقل أنَّ أبناءهم يتعلمونها دراسةً من معلم, وإنما الأمر شيءٌ فُطِروا عليه وأخذوه من محاكاة لاحقٍ لسابق, وبقوا على استقامة حال حتى فسد اللسان, ولعل شيوع هذا الفساد وتمكُّنه من الألسنة, وصعوبة تأصيل الفصاحة على اللسان هو الذي دعا أنيسًا ـ رحمه الله ـ إلى القول بهذا؛ لأنَّ الأمر بعُد عليه في الذهن أن يكون العموم يتكلمون بهذه اللغة الشريفة كما وصفها ابن جني رحمه الله.

ومما يضاف أنَّهم خصصوا أصواتًا يغرون بها حيواناتهم بالشرب وبالحث على السير وبالسكون أثناء الحلب ؛ حتى إشلاء الكلاب للصيد لهم أصواتٌ يغرون بها كلابهم عند إطلاقها للصيد؛ فهل يرد على الذهن أنَّ هذا من لغة الخاصة؟! ونحن نعلم أنَّ صبيانهم ونساءهم أكثر من يقوم برعاية حيواناتهم.

ومما يتعلق باللهجات أن أشير إلى ما قاله الدكتور/حمزة بن قبلان المزيني، في كتابه «واستقرت بها النوى» ص ٣٨٩ الطبعة الأولى: (... وهو رصدٌ يَلزمُ إنجازه قبل أن تختفيَ بعض تلك التنوعات نتيجة لانتشار التعليم والراديو والتلفزيون ، وانتقال متكلمي تلك اللهجات من أماكنهم الأصلية إلى أماكن جديدة للدراسة أو العمل)

وكلها أسباب وجيهة، إلا أني أرى أنَّ السبب الأقوى هو قوله: [وانتقال متكلمي تلك اللهجات من أماكنهم الأصلية] ؛لأنَّ المتحدث الذي أراد تغيير لهجته يريد الانضمام في سلك مجتمعه الجديد ، وهذا يتحقق سريعًا إذا ترك لهجته وتكلَّم بلهجة من انضمَّ إليهم.

وهذا يلتقي مع ما ذكره ابن حزم ـ رحمه الله ـ في كتابه: (الإحكام في أصول الأحكام ص٣٤ـ٣٥) عن تبدُّل اللغات وتداخلها: (إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم)

والحروف المكتوبة تشبه اللهجة المنطوقة، وتساويها من حيث اختلاف اللهجات؛ وذلك أنَّ ما كتبه الفقيه قد يشّذُّ بشيءٍ من معانيه عند الأديب وما كتبه الأديب قد يُزري به الفقيه ويراه تطويلاً وتفصيلاً غيرَ مفيد ذلك أنَّ عبارة الفقيه تكون محدَّدةً للمعنى بدقة؛ بخلاف عبارة الأديب التي يجوز فيها المجاز.

ويجوز فيه تقليب المعنى على أكثر من وجه ؛ والفقيه لا يلتفت إلى تجويد بلاغة اللفظة وجمالها بقدر التفاته إلى دقتها في التعبير ؛ والأديب يرى أنَّ من لوازم لفظه وحروفه جريانها بأسلوب بليغ؛ واختلاف المكتوب هنا كاختلاف اللهجة المنطوقة فهي تختلف في بعض معانيها من لهجةٍ إلى لهجة.

١٨

الكتاب/ أباطيل وأسمار،ط٣ المؤلف/ أبو فهر محمود محمد شاكر رحمه الله، اقتنيته في ١٤٣٤/٦/١٦هـ، من مكتبة العبيكان في عنيزة وقيمته ثلاثون ريالاً

ومما علقته على الغلاف: محمود شاكر رحمه الله قرأت من كتبه: المتنبي، وأباطيل وأسمار , ونمطٌ صعب ونمط مخيف، وطرفًا من كتاب» جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر» وهي مقالات جمعها تلميذه الدكتور/ عادل سليمان جمال.،وقضية الشعر الجاهلي، وتحقيقه لطبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلاَّم الجمحي رحمه الله ،و برنامج طبقات فحول الشعراء، وقراءته وتعليقه على كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني رحمه الله , وكتاب الأحرف السبعة؛ وهو صاحب أسلوبٍ فخم يتعلم منه القارئ جدية الطرح وعمق الرد على المخالف مع التأدب في العبارة وعفة القلم , يسخر أحيانًا بالطرف المخالف لكنها سخرية الأشراف لا سخرية السوقة ؛ فهو لا يُسِفُّ في العبارة ؛ ومن محاسن أسلوبه التوسع في البحث والاستطراد المفيد والتقصي في تثبيت الرأي أونفيه، كما ينفرد عرضه لموضوعه الذي يريد الحديث عنه بسلاسة السرد الذي يأخذك لمتابعة ما تقرأ؛ ويولي عنايةً للتفصيلات الداعية للكتابة؛ وقد أَلَّفتُ عنه كتابًا مستقلاً اسمه : [دراسة تحليلية لأساليب محمود شاكر]

ومما كتبته على غلاف أباطيل وأسمار: إذا قرأت خبرًا قيل عن فلان فإن كان الناقل غير معاصرٍ للمنقول عنه ، فإنَّ من التثبت أن تنظر عمن روى الناقل؛ فقد يكون أحدثه ولم ينقله عن معاصر للمنقول عنه؛ هنا يبطل الاستدلال بالخبر وهذا كما فعل القِفْطي مع خبر دير الفاروس الذي أبطله محمود شاكر حيث إنَّ القفطي ليس معاصرًا للمعري ولم يروِ عن معاصر له.

ومما كتبته على غلافه: حين أسمع دعوة من يدعو إلى كتابة العربية بحروف لاتينية , لا أذهب إلى المحاجَّة في إبطال هذا الدعوى وإظهار استحالتها؛ فحفظ كتابة حروف اللغة محفوظٌ بالقرآن العظيم ؛ وهي دعوة من المحال وقوعها بمنزلة ما قال سيبويه رحمه الله: [وأمَّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس] لا أذهب إلى إبطالها, لكنِّي لا أغفل عن الاعتبار بدركة الخذلان التي هوى إليها صاحب هذه الدعوة, وللتنبيه ومن قال بها هو عبد العزيز فهمي باشا وقدَّمها مشروعًا إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية» .

وأيضًا ومما كتبته على غلافه: أطال محمود شاكر ـ رحمه الله ـ كثيرًا بقيمة صحيفة الأهرام, وأنها صحيفة العرب والمسلمين وكلامٌ طويل ومتكرر في هذا المعنى نفسه , وحاول أن يستنهضَها ويثيرَها لعلها تعْدِل عن مسارها , ولكنها لم تفعل , ولم يذكر لنا مواقف كانت الصحيفة محافظةً على أهميتها العربية أو الإسلامية, ولا ننسى أنَّ مؤسسها هو بشارة تقلا وهو نصراني لبناني جاء من لبنان واستوطن مصر , وهنا لا أرى الغرابة التي رآها شاكر.

ومما على الغلاف ؛ من أشقى الكُتَّابِ شقاءً من يسعى إلى نقض أو إبطال أمرٍ قضى الله به أن يكون وقضى به أن يبقى؛ وفي الكتاب من هذا النوع الدعوة إلى هجر الفصحى وإحلال العاميات مكانها , وهذا لن يكون مع اللسان العربي ؛ فالعربيةُ محفوظةٌ بحفظِ الله لها حين اختار بحكمته أن تكون لسانَ القرآن الكريم , ولولا هذا الاختيار لأصبحت العاميات لغاتٍ مستقلة؛ لتباعد ما بين بعضها في المعاني والمرادات والأصوات , كما هو الشأن في اللغة اللاتينية حيث تحولت لهجاتها إلى لغاتٍ متناحرة؛ والدعوة إلى العامية لا يكاد يَعرفُ بها إلا من يعرف كاتبها ؛ فهي دعوةٌ على ـ أقصى درجاتها ـ لم تتجاوز محيطها الجغرافي الذي قيلت فيه؛ وفي كثيرٍ لم تتجاوز الصفحة التي كُتبت فيها؛ بل هناك من الدعوات إلى نبذ الفضائل ما يكون الردُّ عليها داعيًا إلى انتشارها والتعريف بها ووجود مناصرين ,

إلا الدعوة إلى نبذ الفصحى فلا تأثير لها لأنها لا تعني السواد الأعظم ؛ فليست كالدعوة إلى السفور والتبرج ونبذ العفة فهذه قد تلقى من الرواج والمتابعة ما يعين على نشرها ؛ لأنها تخاطب الغوغاء والعامة وتستثير الغرائز وتغري ذوي الشهوات والشبهات.

ولأنَّ الحال الأولى في نبذ الفصحى متوجهةٌ إلى من يعرفونها حق المعرفة وهم العلماء بها ؛ فليست كسائر دعوات نبذ الفضائل التي قد تجد من السوقة والعوام من يناصرها ؛ولا أدري كيف يرى الداعي لهذا وهو يكتب حروف سقطته هذه بحروف فصيحة بليغة, وكفى بهذا واعظًا وزاجرًا لوكان له قلبٌ أوألقى السمع وهو شهيد.

ودعوته تلك وردنا عليها تشبه من حاول خفض العربية زمن الزمخشري رحمه الله ٥٣٨هـ؛ فإنَّ من حجته في الرد ما ورد في كتابه « المفصَّل في صنعة الإعراب» ص١٨ ؛ حيث رأى هؤلاء الطاعنين يكتبون طعونهم بهذه اللغة التي يريدون خفضها: (... ولعل الذين يغضون من العربية, ويضعون مقدارها ... وبهذا اللسان مُنَاقلَتِهم في العلم ومحاورتهم , وتدريسهم ومناظرتهم؛ وبه تقطر في القراطيس أقلامهم, وبه تُسطِّرو الصكوكَ والسجلاتِ حكامهم ؛ فهم متلبسون بالعربية أيةَ سلكوا غير منفكين منها أينما وجهُّوا كلٌّ عليها حيثما ساروا) قوله: [مُنَا قلَتِهم في العلم] أي تناقله بينهم.

ومما خطر تعليقه على هذا الكتاب: أنَّ كتاب» المتنبي» لمحمود شاكر رحمه

الله أخذ حظًا من الذيوع أكثرَ من كتاب «أباطيل و أسمار»و هذا عائد إلى أنه كتاب في الأدب فهو له فن ينسبُ إليه وفئةً ينصرونه؛ لكني أرى أن أباطيل وأسمار أجلُّ أثرًا وأعظمُ نفعًا من كتاب المتنبي لأنه يبحث في موضوع يعني الأمة بكاملها لا فئة الأدباء ومؤرخي الأدب.

في ص ٨ قال متحدثًا عن كريسوفر سكيف: (... وأنه كان جاسوسًا محترفًا في وزارة الا ستعمار البريطانية , وأنه أيضًا مبشرًا ثقافيًا شديدَ الصفاقة سيءَ الأدب, وأنه كان ما كرًا خسيس الطباع , وأنه كان يفرق بين طلبة القسم...) قلت: قوله :[وأنه أيضًا مبشرًا ثقافيًا] إيراده مبشرًا ثقافيا بالنصب وظاهر السياق على أنها مرفوعةٌ خبرًا لإنَّ ؛فهي إما أن تكون سقطت منها » كان « لأنها وردت في الكلام قبل وبعد هذه الجملة, وإما أن نأخذه إلى تأويلٍ آخر فنقول: إنَّ النص على نية حذف كان واسمها ثم تكون كان واسمها وخبرها خبرًا لإنَّ, وهذا خلاف القياس لأنَّ هذا الحذف لا يكون إلا بعد لو أو أن الشرطيتين:

ومنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم [النَّاسُ مَجْزِيُّوْنَ بَأعْمَالِهِمْ، إنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وإنْ شَرًا فَشَرٌّ]

قال الشاعر:

لا يَأْمَنُ الدَّهْرَ ذُو بَغْيٍ وَلَوْ مَلِكًا　　　جُنُوْدُهُ ضَاقَ عَنْهُمْ السَّهْلُ وَالجَبَلُ

وتعليقٌ على ما قاله في المقالة الثالثة: (وأيضًا ليس حسنًا بل قبيحًا أن ينتفخ كاتب...) قلت: الصواب [بل قبيحٌ] بالرفع على أنها خبرٌ لمبتدأٍ محذوف ؛ وأمَّا نصبها فإنَّ التأويل يعكس المعنى المراد ؛ فيكون التأويل : بل ليس الأمر قبيحًا؛ ومن هذا قول الفرزدق رحمه الله:

فلوكنتَ ظبيًا عرفتَ قرابتي　　　ولكنَّ زنجيًا غليظَ المشافرِ

ولكنَّك كنت زنجيا...

قال في ص ٢٩: (وواضح جدًا » أنَّ الذهبي « إنما نقل عن القِفْطي الذي انفرد إلى سنة ٦٤٦هـ برواية هذا الخبر , ولكنه اختصره وغيَّر بعض ألفاظه , ومهمٌّ للدارس الجامعي , بل لكلِّ ذي عقل لم تتلقفه رعونةٌ أو إدمان , أن ينظر فيما فعله الذهبي؛ فإنَّ القِفْطي يقول : [كان به راهبٌ يشدو شيئًا من علوم الأوائل , فسمع منه أبو العلاء كلامًا من أوائل أقوال الفلاسفة] وفي هذا بيان واضحٌ على أنَّه راهبٌ مبتدئٌ قليل البضاعة , وقد تخطَّف كلمات من أوائل [أي مبادئ] أقوال الفلاسفة ؛ فجاء [الذهبي] فقال في صفة هذا الراهب [كان به راهبٌ له علمٌ بأقاويل الفلاسفة] فرفع باختصاره شأن هذا الراهب المبتدئ الشادي , بما يَهِم أنَّ له علمًا بأقاويل الفلاسفة؛

وهذا عملٌ غيرُ مرضي , وإساءة من الذهبي)

قلت: هنا وقفةُ اعتبار وتدُّبر , انظر كيف يؤول إليه مسار التراجم عندما نتصرف في نقل كلام العلماء, فالعلم يوجب علينا إذا أردنا الاستشهاد بنص أن ننقل كلام أهل العلم بنصه لا بما نفهمه ؛ ثم لِننظر القيمة العالية لثمار التثبت والتدقيق والمآلات التي يثمرها الشكُّ العلمي في الرواية .

وأخالف أبافهر قليلاً في شأن ما ترتب على تغيير الذهبي, فلا أرى أنَّه بهذا الذي رآه به, والأمر لا زال يدل على قلة بضاعة ذلك الراهب ولا يرفعه إلى أقدار العلماء , انظر إلى قول الذهبي : [كان به راهبٌ له علمٌ بأقاويل الفلاسفة] فعبارة (له علم) لا شكَّ عندي أنها دالةٌ على قلة علمِ هذا الراهب , فلم تبرح عبارة الذهبي مدلول قول القِفْطي في الدلالة على قلة العلم؛ واستدلالي مبنيٌ على تنكير المبتدأ (علم) ولو كان التركيب (له العلم)لاختلفت الدلالة وأصبح له الإحاطة في هذه المسألة .

ورد في ص٣٢٧من ضمن المقالة الثامنة عشرة المنشورة في ٢٦/محرم/١٣٨٥هـ: (... والتي أفضت منذ قريب إلى قيام بعض الكنائس بإحلال أخبث انحراف جنسي يصاب به إنسانٌ شريف وجعله عملاً من الأعمال المباحة) ثم قال في هامش ٢: (أعني إحلال الكنيسة الإنجليزية إتيان العمل المنكر بين الرجل والرجل!!)

ومما كتبته: أنَّ لفظ (شرلتان) ترد كثيرًا في هذا الكتاب فأحببت أن أبينَ المقصودَ منها ,فوجدته في ص ٣٣٧ حيث قال: (فأصل الشرلتان عند الأعاجم هو المشعوذ الذي يقف على لَقَم الطريق) واللَقَم بفتح اللام والقاف وسط الطريق أورأسه يحسِّن بضاعته لتنفُقَ عند الناس، ويزيِّن عُوارَها وفسادها بألفاظٍ مفخمة محبرة تميل إليه أسماع العامة وتأخذ من غَفَلاتهم فيكونون أسرع استجابةً للفظه وتكون أيديهم أعجل إلى جيوبهم فهو سارق أموال باللفظ المحبَّر! ثم استُعمِل الشرلتان لأخيه وشبهه ، وهو الرجل الذي لا يزال يلوك ألفاظًا يتلقَّطُها من هنا ومن ثَمَّ بلا عقلٍ وبلا تمييز , ثم يتخذ الدعوى العريضة وسيلةً للإ قناع ، ثم يلبس من التظاهر لباسًا كالطبل ظاهر ضخم وباطنه أجوف , ثم يصنع من هذه الأخلاط الثلاثة جُرعةً مسكرة للعامة وأشباه العامة ، ليقال إنه عالمٌ واسع العلم متبحر, وحاذقٌ لطيف الحذق مترفق, وبارعٌ تامُّ البراعة متفوق! فهو سارق عقول باللفظ المحبَّر ! ولكنهما جميعًا لا يسرقان إلا السخيف العقل الذي لا ينظر ولا يتماسك)

في ص٢٢قال عن إنطاكية والمعري نقلاً عن لويس عوض: (... وتعلَّم بها وهو صبي ... فقد كان يختلف إلى مكتبتها مع أسامة بن منقذ فيما روت كتب القدماء ، وكانت فيها يومئذٍ حضارةٌ زاهرة حسب ما روى ياقوت)

قلت: أسامة بن منقذ صاحب كتاب الاعتبار ٤٨٨هـ ـ ٥٨٤هـ؛ وأبو العلاء توفي ٤٤٩هـ فأبو العلاء متوفى قبل ولادة أسامة بن منقذ بما يقرب من أربعين سنة؛ فكيف يختلفان إلى المكتبة؟!؛ ثم إنَّ جملة : (فيما روت كتب القدماء) لا يستقيم إيرادُها والاستشهادُ بها في مبحثٍ علمي تحقيقي فما هذه الكتب ومن هؤلاء القدماء ؟

ص ٧٦: قال : (... يقول علانيةً أنَّه جاء يعلِّم الناس) قلت : الصواب كسر همزة إنَّ لأنَّ الهمزة بعد قال يقول تكسر، أمَّا بعد القول فإن كان ما بعده مستأنفا فتكسر ، مثل : القول إنَّ هذا كريم ؛ ومنه قوله تعالى: (فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) يس ٧٦, وان كان جائزًا تأويله بمصدر فالأولى الفتح: القول أنَّه محقٌّ فيه نظر, أي القول بأحقيته.

قال جرير:

لبستُ سِلاحي ,والفرزدق لعبةٌ عليه وشاحًا كُرَّجٍ وجلاجله

قلت: الصواب: [وشاحا] بالتثنية والألف فيه هي علامة الرفع مبتدأ مؤخرلـ» عليه « ليستقيم الوزن والإعراب؛ فالبيت من بحر الطويل؛ وإذا قلنا: وشاحًا فلا مسوِّغ للنصب؛ قال شاكر: [الكُرَّج] بضم الكاف وفتح الراء المشددة لُعْبةٌ يلهو بها الصبيان , تُزيَّن بالوشي وتُعلَّق عليها الجلاجل والأجراس]

والجلاجل الصوت, وقلت : إنَّ هذا البيت مما يستشهد به الرجلُ يريد مناظرة صاحبه , فيأتي أحدهما مفرطًا بزينة لباسه معتدًا بها, أو مباهيًا بنصرةٍ من ناصر , فلم يكن له سببٌ من عند نفسه, ثم يأتي الآخر متبذلاً بلباسه متسلحًا بعلمه.

شذرة : قال في ص ٢٤٠ـ ٢٤١: (وهذا كلامٌ حسن أونصفُ حسن أورُبعُ حسن أو دن ذلك فصبًا [نقيض قولك فصاعدًا]) قلت: وهذا مما يُحتاج إليه فبعض التعبيرات يحسن أن تعبر بها عن نقيض فصاعدا , فهذا هو الجواب.

ص٢٤٢(... وسيف أبي حيَّة النميري) قلت: أبو حيَّة النميري هو أحد المشهورين بالجبن ، وله سيفٌ من خشب كان يسميه « لعاب المنية)

قال في ص ٢٤٣: (... ويودعهم مثل ملاجئ الزَّمَنى وذوي العاهات) قلت :الزَّمنى جميع زَمِين وهم المرضى والضعفاء الذين لا يفارقهم المرض والضعف.

١٩

الكتاب/ دلائل الإعجاز في علم المعاني تأليف الشيخ الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ٤٧١هـ أو٤٧٤هـ رحمه الله قرأه وعلق عليه/ أبو فهر محمود محمد شاكر؛ أحضره لي ابني محمد من مكتبة الرشد فرع حائل؛ وقيمته خمسون ريالا جزاه الله خيرا.٩/رجب/ ١٤٣٤هـ

ومما علقته على الغلاف: تُحِسُّ وأنت تقرأ كلام الشيخ عبد القاهر ـ رحمه الله ـ في الرسالة الشافية أنه يكتبُ بتؤدةٍ وروية , وأنَّه لا يكاد يضع اللفظة حتى يروزها بعقله ليعرف مقدار كفايتها في التعبير عن المعنى الذي يريده.

ومما كتبت : [أُخَذَة]: أي هيبة تمنع ردَّ القول على صاحبه , وكأنهم لطول الإلف لأقوال هذا الرجل قد غُيِّبوا عن عقولهم فلم يستطيعوا النظر في صواب أوخطأ ما سمعوا.

قال شاكر في المقدمة: (... بل كان عمله وهو يؤسس هذا العلم الجديد مشوبًا بحميةٍ جارفة لا تعرف الأناة في التبويب والتقسيم والتصنيف وكأنه كان في عجلةٍ من أمره , وكأنَّ منازعًا ينازعه عند كلِّ فكرة يريد أن يُجلِّيَها ببراعته وذكائه وسرعة لمحه, وبقوة حجته ومضاء رأيه) قلت: وهذا استشفافٌ يدركه من عاش في قراءة إبصار وانصات لما توحي به الحروف, ويحسن بل يلزم لكلِّ من أراد أن يصدر حكمًا أورأ يًا على مؤلف أو علمٍ من العلوم أن يقرأ بهذا الإبصار, وبهذا الحضور الذهني.

وحين قرأتُ كتاب شاكر[المتنبي] وكانت قبل قراءتي للدلائل قلت عن شاكر: كلماتٍ هي قريبةٌ من هذا المعنى , وهي موجودة في تعليقي سابقًا على كتاب المتنبي.

قال عبد القاهر ص١٩٩: هذا فصلٌ في الذي خصوصًا(اعلم أنَّ لك في «الذي» علمًا كثيرًا ... فمن ذلك قولهم: [إنَّ الذي اجتُلب ليكون وصلةً إلى وصف المعارف بالجُمل) قلت : ليستبين الأمر فإنَّ لفظة « اجتُلب» هي خبر إنَّ, فيكون معنى الجملة : أنَّ سببَ إيرادِ لفظةِ الذي أنها مجتلبةٌ جيء بها ليكون وصلةً إلى وصف المعارف بالجُمل ؛ أقول هذا حتى لا يلتبس عليك الأمر حين تضع جملة [ليكون وصلة] خبرإنَّ.

قال في ص ٦٠٢-٦٠٣: (... كما قضى الجاحظ لبشار في قوله:

كأنَّ مُثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

فإنه أُنشد هذا البيت مع نظائره ثم قال: وهذا المعنى غلب عليه بشار كما غلب عنترة على قوله:

وخلا الذباب فليس ببارحٍ ... غَرِدًا كفعل الشارب المترنم

هَزِجًا يحكُّ ذراعَه بذراعِه ... قَدْحَ المكبِّ على الزنادِ الأجذمِ

قلت: لكنَّ الصورة التي أبدعها عنترة لا تدانيها جمالاً ولا عمقًا صورةُ بشار؛فصورة عنترة مركبةٌ من حركات وصور؛ وهي مولدةٌ من عنترة لم أر من سبقه إليها ؛ والهيئة العجيبة المعجبة التي تأخذ بالنفس هي قدرة عنترة وغوصه على استخراجٍ دقيقٍ لطيف لحركة ذراعي الذباب , وهو يحكُّ ذراعًا بذراع ؛ فهما قصيران ويشبهان تمامًا ذراعي رجلٍ أجذم؛ والتصوير الفني عند عنترة يحتاج إلى بحث مستقل؛ ومعلقته وسائر شعره فيهما الكثيرُ من هذا.

قال في ص ٥٨٨ عن تقوُّل العرب على القرآن وحيرتهم في هذا: (... وإلى أنه مأخوذٌ من فلانٍ وفلان) قلت: يعنون بهذا أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلَّم أخذ القرآن من بشر علمه إياه كما في قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)النحل ١٠٣، قلت: ليس من الجاري بطبائع البشر أن يكون لدى أحدٍ منهم منزلةٌ يمكنه بها إعجابُ غيرِه ثم يتحلل منها لبشرٍ آخر؛ فالنفوس جُبلتْ على حبِّ الذيوع والثناء والتفرد, ثم إنهم لو كانوا صادقين بدعواهم لأتوا هذا البشر وطلبوا منه أن يقولَ لهم كما قال لمحمد صلى الله عليه وسلَّم ؛ ومن ثمَّ تكون المعارضة؛ كما كان بإمكانهم أن يذهبَ أحدُهم ويطلب من هذا الذي يدَّعون أنه يعلِّم محمدًا صلى الله عليه وسلم, ثم يطلب منه كلامًا يضاهي به ما لدى محمد صلى الله عليه وسلَّم؛ فيكونون بهذا أتوا بمثله, الذي قرَّع مسامعهم طلبه!.

٢٠

الكتاب/ شرح ديوان الحماسة لأبي تمام تأليف أبي علي المرزوقي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ٤٢١هـ, علَّق عليه وكتب حواشيه غَريد الشيخ رحمهما الله, وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين, الطبعة الثانية وصلني إهداءً من ابني أنس جزاه الله خيرا الأربعاء ١٤٤٠/٦/٨هـ

كتبت على غلافه: إذا لم أكن مشغولا بالتأليف فإنَّ من عادتي أن أضع بجواري في مكتبتي بعضَ الكتب التي أرواحُ بين قراءتها ، فلما حلَّ علي هذا الضيف نحَّيتُ ما كان بجواري إكرامًا له, واختصصته بوقتي حتي قضيت منه نهمتي.

كتبتُ على الغلاف:في شرح المرزوقي ـ رحمه الله ـ لا يتعرض لجمال البيت أوقيمته من الناحية الجمالية البلاغية ؛ فعامة كلامه عن الجانب النحوي واللغوي , فنجد الفرق البيِّن بين أسلوبه في المقدمة وأسلوبه في الشرح؛ فهو في المقدمة رجلُ بيان وبلاغة وتأصيل لقواعد النقد , ثم يغيب هذا عند شرحه , حتى لتكاد تقول إنّ كاتب المقدمة غيرُ الشارح للمباينة بين الأسلوبين, وإنِّي لأعجب من بُعْد الفرق بين جمال أسلوبه في المقدمة ودقة تعبيره وعنايته باصطفاء اللفظة المعبرة الآخذة , وبين عبارته في الشرح .

ومما يَفْصلُ الشرح عن جمال القصيدة أن يأخذها الشارح بيتًا بيتًا ولا ينظرُ إليها كاملة, وهذا الأسلوب يُغيِّب الربط البياني الجمالي بين الأبيات.

ثم وقفتُ بعد أن كتبتُ هذا الكلام على كلامٍ لمحمود شاكر ـ رحمه الله ـ ورد في كتابه: [نمطٌ صعبٌ ونمطٌ مخيف] ص يبيِّنُ فيه مناهج القدامى في شرح الشعر١٣٦: (ومراجعة أكثر شروح الشعر, تدلنا على أنَّ هؤلاء الشراح كان أكثرُهم أقربَ إلى أصحاب اللغة وأهل النحو... وجمهرة شروحهم مبنيةٌ على تفسير ألفاظ اللغة, وعلى بعض ما يتصل بالنحو)

ص ٧ قال : (... وعلى الطاهرين من أصحابه) قلت: لأمن اللبس في المعنى المراد , ولكيلا يذهب الفهم مذهبًا غير مقصود كان الأولى أن تكون العبارة: وعلى آله الطاهرين ؛ فقد يُفهم من عبارة المؤلف أنَّ هناك آلاً غيرَ طاهرين.

ص٨: قلت: الترسل هو إرسال الكلام عفوًا من غير قيدٍ بقافية أو سجع ؛ ومن المترسلين كُتَّابُ الدواوين الذي كانوا يكتبون للخلفاء والوزراء , وكان المجيد من هؤلاء يبلغ الغاية من الجاه؛ وفي هذه الصفحة قال: (... ولماذا كان أكثر المترسلين لا يُقْلِقون) قلت: السياق يؤيد أنها يُفْلقون, بالفاء أي يجيدون.

في ص٩قال: (... ويُعلمَ أيضًا فرقُ ما بين المصنوع والمطبوع , وفضيلة الأتي السمج على الأبي الصعب) قلت: لعلها « السمح » لأنَّه هو الأتي الذي يواتيك بسهولة ؛ كذلك فإنَّ « السمج » هو المجوج ؛ ثم إني بعد أن كتبت هذا بزمن وجدت في موقع » الموسوعة الشاملة) أنها السمح فلله الحمد والمنة.

قال في ص ١٦ : (والثاني أنهم اتخذوا الشعر مكسبةً وتجارة... حتى قيل الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني) قلت: [أدنى مروءة السري] أي جعل مروءة الشريف النابه في قومه وأهله ناقصةً بسبب الهجاء ؛ وجعل مروءة الدني الخسيس عالية ؛ لأنَّ الشاعر يمدح طمعًا ويهجو يأسًا .

ص٣٠ وفي شرحه لبيتٍ لشهل بن شيبان الزِّمانّي:

وطعنٍ كفم الزِّق   غذا والزِّقُ ملآنُ

قال: « إذا في موضع نصبٍ على الحال والأجود يُجعل قد مضمرة » قلت: قال بإضمار قد لأنَّ جملة الفعل الماضي لا تقع حالاً إلا بعد قد ظاهرةً أو مقدرة , ومنه قوله تعالى: (أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ) النساء ٩٠ فجملة (حَصِرَتْ) في موضع الحال ويقدر قبلها قد, ومثله قول زهير:

ومن يعصِ أطراف الزِّجاجِ فإنه   يطيع العوالي رُكِّبتْ كلَّ لهذمِ.

(رُكِّبتْ) أي مركبةً؛ وهذا البيت من معلقته وهومن حكمه أيضًا , وهو يجري مجرى المثل : أي من لم يرتدع من صغائر المخيفات والنُذر , فسيذعن لكبارها إذعان ذلٍ وهوان, ويجرُّ على نفسه سوءًا؛ فالارتداع بأوائل النُذُر أدعى للسلامة , وأحفظ للنفس والكرامة.

الزِّجاجِ : جمع زجٍّ وهو الحديدة في أسفل الرمح, العوالي جمع عالية وهي التي يوضع فيها السنان , لهذم: السنان القاطع.

ورأيت أن من الا ستطراد المفيد أن أذكر طرفًا من حكم زهير الواردة في معلقته, كما أنها من المأثور الذي يشهد أنَّ العربية طريةٌ يفهمها جيل زهير, كما نفهمها نحن مع تطاول الفارق بيننا وبين زمن الشاعر ؛فمما قال قبل هذا البيت:

وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ ... وَلكِنّني عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْهُ وَمَنْ تخطئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرةٍ ... يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يُوفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ ... إِلى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَكُنْ حَمْدُهُ ذماً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرافَ الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ ... يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسلاحِهِ ... يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُواً صَدِيقَهُ ... وَمَنْ لا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّمِ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أمرِيءٍ مَنْ خَلِيقَةٍ ... وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ ... وَإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ

٣ـ يصانع: وهذا اللفظ أرى أنَّه من جوامع المعاني؛ فهو بمعنى يجامل ويترفق ويتغاضى ويداري ويداهن؛ فمن لا يتخلَّق بهذا فإنه يكون مضغةً تلوكه الأضراس , فيكون موضع ذمٍ وغرضًا تتعاقبه الألسنة وا[يوطأ بمنسم] أي يداس ويهان ويُذل, كالهيِّن الحقير الذي تدوسه الأبل بأخفافها.

ومما يضاف إلى لفظ يصانع من الألفاظ الجامعة لأكثر من معنى: قوة العارضة فهي تعني حدة الذكاء وسرعة البديهة وقوة الحجة وصحة الفهم؛ ومن هذا الحُبُور فهو النعيم والسرور والإكرام وما لذَّ سماعه؛ قال تعالى(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) الزمر ١٥ ؛وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره: (والحبور مما لا يقدر أحد أن يصفه) ومنه: الحصيف وهي تعني العاقل الحازم الحكيم ذا الأناة الحليم؛ ومنه : الباءة وتعني مؤونة الزواج من سكن ونفقة وقدرة بدنية وصحة عقلية .

٤ـ ومن يبذلْ معروفه للناس فإنَّ المعروف يحفظه , ويحول معروفه هذا بين الناس وعرضه, والوفرة الزيادة , ومن لا يعصمْ نفسه من مواطن الذم , ومن يعرِّض نفسه فلا بد أن يناله الذم؛ والعِرض أمرٌ معنوي ولكنَّ زهيرًا جعله كالأمر المحسوس.

٥ـ ومن تكن لديه زيادة في مالٍ أو منزلة في جاه فيبخل بماله أو جاهه؛ فإنَّ الناس ستنصرف عنه وستنال بغيتها من غيره, وسيبقى مذموما.

أعود إلى أبي علي ص٣٠ قال النابغة الذبياني:

بضربٍ يزيل الهام عن سكناته وطعنٍ كإيزاع المخاض الضوارب

قلت :(الإيزاع) من شوارد المعاني التي يقلُّ ورودها وهو دفعُ الناقةِ بولَها أي تَفَرُّق البول اندفاعًا بكلِّ اتجاه, كما أنَّه مما تحسن الإشارة إليه أنَّ آلة الضرب(بضرب) هي السيف, وآلة الطعن (بطعن) هي الرمح؛ والدم يخرج إثر طعننا الأعداء كما يتفرق البول من الناقة.

ص ٤٠ بيَّن فيها اختلاف العطف بثُمَّ حين يكون مفردًا على مفرد أو يكون جملةً على جملة , وذلك حين وقف عند بيت جعفر بن عُلْبَة الحارثي:

ولا يكشفُ الغَّماءَ إلاَّ ابنُ حُرَّةٍ يرى غمراتِ الموتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

قلت: ومن نظراته النحوية : (فإن قيل لِمَ عطف الزيارة على رؤية الغَمَرات بحرف المُهلة, وهلا جعلها عقِبَ الرؤية؟ قلت: إنَّ ثُمَّ وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدلُّ على التراخي فإنه في عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك) ثم استشهد على صواب رأيه بقوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) (فَكُّ رَقَبَةٍ) (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) العقبة١٢, ١٣, ١٤, ١٥, ١٦, ١٧ ؛والمرزوقي روى هذا البيت بغير الواو التي في أوله , وإسقاطها يُعيبُ الوزن الذي هومن بحر الطويل.

ومن هذا قوله في البيت الوارد ص ٥٢:

سأغسل عني العار بالسيف جالبًا　　　عليَّ قضاء الله ما كان جالبا

(... وذكر بعضهم أنَّ كان من قوله: « ما كان جالبا » في معنى صار قال ومثله :

بتيهاءَ قفرٍ والمطيُ كأنَّه　　　قطا الحزنِ قد كانتْ فراخًا بيوضُها

قلت: وشاهده في الدلالة على أنَّ كان تأتي بمعنى صار أظهرُ في الدلالة من بيت الحماسة؛ ومما يأتي بمعنى صار : ظلَ قال تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) النحل ٥٨ ؛ كذلك تأتي أضحى بمعن صار:

ثُمَّ أَضْحُوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جفَّ　　　فَأَلْوَتْ بِهِ الصَّبا وَالْدَّبُورُ

ص ٨١ قال:

لوكان في الألف منا واحدٌ فدعوا　　　من فارسٌ خالهم إياه يعنونا

يعني بقوله: « فدعوا » أعلنوا الاستغاثة بيال فلان, ومن فتى.

قلت : يبدو أنَّ من مجاري الاستصراخ في عرفهم أن يقولوا: « من فتى » يعنون من منكم به الفتوة والقدرة على الغَلَبة؟ ؛ ومن شواهد هذا : قول طرفة:

إذا القوم قالوا من فتى خلتُ أنني　　　عنيتُ فلم أكسل ولم أتبلد

وقول الأسعر الجعفي:

وكتيبةٍ لبَّستها بكتيبةٍ　　　حتى تقولَ سراتهم هذا الفتى

لبستها: أي خلطتها وهو كناية عن شدة إيقاعه بهم, وسراتهم أي سادتهم وعِلْيتهم؛ فإذا أثنى عليك هؤلاء وعجبوا من فعلك بهم فغيرهم تبعٌ لهم.

ج ١ص ١٢٢:قال عن بيتٍ لسيَّار بن قصير الطائي:

ولا حقةِ الآطال أسندتُ صفَّها إلى صفَّ أخرى من عدىً فاقشعرتِ

(يقول ورب خيلٍ قد لحقت بطونها بظهورها , وارتفعت جنوبها إلى متونها , أنا أملتُ صفها إلى صف خيلٍ مثلها من الأعداء) قلت : وأجود منه في أداء المعنى المراد البيت السابق للأسعر الجعفي:

وكتيبةٍ لبَّستها بكتيبةٍ حتى تقولَ سراتُهم هذا الفتى

وفي ص ٥١١قال عن بيتٍ للأخفش بن شهاب يقول فيه:

فمن يكُ أمسى في بلادٍ مُقامُه يسائلُ أطلالاً لها لا تجاوبُ

فلابنة حِطانَ بن قيسٍ منازل كما نمَّق العُنوان في الرق كاتبُ

قال: (وتشبيه آثار الديار بالكتابة مألوف في طرائقهم) قلت: ومن هذا البيت الذي يروى أنَّ الفرزدق سجد حين سمعه , وهو قول لبيد رضي الله عنه في معلقته:

وجلا السيولُ عن الطلولِ كأنَّها زُبُـرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها

وهي صورةٌ لأطلالٍ أصابتها السيول, حتى بدت آثار السيول تشبه الخطوط التي تكون على الكتب حين يصيبها الماء, فتسيل الأحبار بهيئةٍ متعرجة فكأنَّ الأطلال كتبٌ تجددُ الأقلام كتابتها.

في ص ٧٨٣ في حديثه عن بيتٍ لمسكين الدارمي رحمه الله:

وفتيانِ صدقٍ لستُ مطلعَ بعضهم   على سرِّ بعضٍ غيرَ أني جماعها

(الجِماع: اسمٌ لما يجمع به الشيء؛ والضمير من جماعها يعود إلى الفتيان, ويجوز أن يرجع إلى ما دلَّ عليه الكلام من ذكر الأسرار) قلت: قوله: ويجوز يدلُّ على أنه يرى أنَّ عوده على الأسرار مرجوح, ولكنَّ الذي أميل إليه أنَّ عوده إلى الأسرار أولى؛ لأنَّ الحديث عن تمدحه بحفظ الأسرار.

٢١

نسخة ثانية لكتاب/ دلائل الإعجاز في علم المعاني تأليف الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني رحمه الله تحقيق/ الدكتور عبد الحميد هنداوي الطبعة الأولى, اشتريته من مكتبة العبيكان يوم الاثنين ٥/ جمادى الأولى /١٤٣٤هـ وقيمته عشرون ريالا.

مما كتبته على الغلاف: هذا سؤالٌ أطرحه على نفسي : هل الإمام عبد القاهر ـ رحمه الله ـ نظر إلى الأساليب والتراكيب النحوية, فقدح منها هذا العلم ؟, أي أنه لم ينظر إلى الأدوات النحوية معتبرًا اثرها الإعرابي من رفعٍ ونصبٍ وجر, وإنما نظر إلى أثرها البلاغي, بل هو لم ينظر إلى أثرها الإعرابي وإنما إلى معاني النحو؛ ومعاني النحو مفصلٌ في كتابٍ اسمه » معاني النحو « للدكتور فاضل السامرائي ؛ وهذا السؤال أثيره لأقرأ الكتاب بعناية وتدبر ؛ وإثارة الأسئلة من أنجح الوسائل في الفهم ومتابعة خيوط الحقائق؛ ثم إنَّه ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر أنواع التعلُّق قال: (فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلِم بعضها ببعض , وهي كما تراها **معاني النحو**) اذاً هو نظر إلى معاني النحو.

قال في ص١٤ هامش ٥ (قال في اللسان ... والعَقْد التفاهم بعقد الأصابع)

قلت : هذا هو ما نسميه اليوم (لغة الإشارة) وهي ما تعارف البُكم من أنَّ لكلِّ معنى إشارةً تؤديه وتدلُّ عليه؛ وقد بهرني ذات يوم أن كنت جالسًا بمفردي , وبجواري أناسٌ بُكم , كادت أيدهم تتشابك من كثرة الحركة التي يميزون بها ما يريد أن يقولَ بعضُهم لبعض, والأخصُّ من هذا أنَّ التفاهم بينهم يكون من غير معاناة, ومن قوة معرفة بعضهم لما يريد البعض أنَّ ضحكهم لا ينقطع, فسبحان من أعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدى.

ومما كتبته على الغلاف: القول بالصَّرفة قول لأبي إسحاق النظَّام رحمه الله , وخالفه الجاحظ, وقال: إنَّ أبا إسحاق يتوهم الأمر حتى يتمكَّن ويستحكم في نفسه, ثم يظنه حقيقة؛ قلت: وأبو إسحاق والجاحظ من المعتزلة, وخلاصة القول بالصَّرفة أنَّ العرب صُرِفوا عن مجاراة النظم القرآني, وهذا رأي رده بعض أهل البيان وعلوم القرآن؛ وسيأتي تفصيلٌ أكثر عن الصِرفة في الحديث عن تفسير التحرير والتنوير إن شاء الله .

وقال في ص٢٩٤ (واعلم أن القول الفاسد والرأي المدخول إذا كان صدوره عن قوم لهم نباهة وصيت وعلو منزلة في أنواع من العلوم غير العلم الذي قالوا ذلك القول فيه، ثم وقع في الألسن. فتداولته ونشرته، وفشا وظهر،

وكثـر الناقلـون لـه والمشـيدون بذكـره، وصـار تـرك النظـر فيـه سـنة، والتقليـد دينـاً. ورأيـتَ الذيـن هـم أهـل ذلـك العلـم وخاصتـه والممارسـون لـه والذيـن هـم خلقـاء أن يعرفـوا وجـه الغلـط والخطـأ فيـه لـو أنهـم نظـروا فيـه كالأجانـب الذيـن ليسـوا مـن أهلـه فـي قبولـه والعمـل بـه والركـون إليـه، ووجدتهـم قـد أعطـوه مقادتهـم، وألانـوا لـه جانبهـم، أو أوهمهـم النظـر إلـى منتمـاه ومنتسـبه، ثـم اشـتهاره وانتشـاره وإطبـاق الجمـع بعـد الجمـع عليـه، أن الضـن بـه أصـوب، والمحامـاة عليـه أولـى. ولربمـا - بـل كلمـا- ظنـوا أنـه لـم يشـع ولـم يتسـع، ولـم يـروه خلـف عـن سـلف، وآخـر عـن أول، إلا لأن لـه أصـلاً صحيحـاً، وأنـه أُخِـذ مـن معـدن صـدق واُشـتُق مـن نبعـةٍ كريمـة، وأنـه لـو كان مدخـولاً لظهـر الدَخَـل الـذي فيـه علـى تقـادم الزمـان وكـرور الأيـام. وكـم مـن خطـأٍ ظاهـر ورأيٍ فاسـد حظـي بهـذا السـبب عنـد النـاس حتـى بـوّؤوه فـي أخـصّ موضـع قلوبهـم، ومنحـوه المحبـة الصادقـة مـن نفوسـهم، وعطفـوا عليـه عطـف الأم علـى واحدهـا. وكـم مـن داءٍ دوي قـد اسـتحكم بهـذه العلـة حتـى أعيـا علاجـه، وحتـى بعـل بـه الطبيـب)

وقولـه: [أن الضـن بـه أصـوب] الضَّـنُ هنـا بالضـاد هـو البخـل ,وامـا والظـن فهـو الشـك وتأتـي لليقـين؛ فمـن الضـن بمعنـى البخـل قولـه تعالـى: (وَمَـا هُـوَ عَلَـى الْغَيْـبِ بِضَنِـينٍ) التكويـر٢٤ ومـن الظـن بمعنـى الشـك والتوهـم قولـه تعالـى :

(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) الحديد ٢٤ ومن الظن بمعنى اليقين قوله تعالى: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) البقرة ٤٦

علَّقت على هذا الكلام فقلت: هذا كلام نفيس وهوقولٌ لم أرَ مثله في بابه ؛ وذلك أنَّ الآراء في بعض مسائل العلم قد يقولها من له شهرةٌ ومنزلة في علمٍ من العلوم , ثم يقول رأيًا في علمٍ بعيدٍ عن علمه الذي عُرف به بعيدًا عن الصواب, لكنَّ حظوته عند طلابه ومريديه ,وصِيْتَه بين معارفه يجعل لهذا القول قبولاً ويهيئ مشيعين ومدافعين؛ وهذه آفةٌ يؤتى منها العلم ؛ وهذا الكلام من عبد القاهر يحتاج إلى تفضيل وإذاعة بين أهل العلم.

قوله: (وصار ترك النظر فيه سنة، والتقليد ديناً)أي أنَّ هذا القول بلغ من التسليم له والقبول به مبلغًا مستحكِمًا في النفوس , فانصرفت العقول عن النظر فيه لتمكُّنه من القبول بسبب من صدر عنه لا بسبب صوابه, مع ما خالطه من خطأ.

وعبد القاهر رحمه الله لم يقل هذا الرأي المصوغ بعبارةٍ معبِّرة؛ ولم ينطلق بهذا النَفَس الثائر والنَّفْث الحار إلا لأنَّه وجد علمًا يراه فاسدًا أطبقَ الجمع على قبوله والأخذ به, لكنَّه لم يبين هذا العلم ولا هذا العالم لأمرٍ كتمه مجبرا , إما لجاه ذلك المأخوذ عنه, أو مخافة رد قوله إذا تعارض مع رأي من سلَّم الناس له, وليته فعل فقال مثل العالم الفلاني أو العلم الفلاني ؛ وعندي أنَّ الأمر حقيقته مدفونة في تراث الشيخ وسيرته ؛

ولو قرئ هذا قراءةً فاحصة مستثبته لجُمعتْ شذراتٌ إذا أُلّف بينها تجلّى الأمر؛ ولا يمكن أن يكون التعبير بهذه المرارة عن أمرٍ متوهم أو مسلك مخشي لمّا يقع؛ وهذا النهج من الناس في قبول قول من قال بعلمٍ هو ليس من أهله نهجٌ مستحكمٌ في الناس , لا يكاد يخلومنه قرن.

ولكنَّ أبافهر محمود شاكر ـ رحمه الله ـ كفانا مؤنة البحث عن هؤلاء فقد قال في ص ج من مقدمة تعليقه على كتاب عبد القاهر: (من يكون هؤلا ء القوم الذين الذ ين لهم نباهةٌ وصيتٌ وعلوٌ منزلة في نوعٍ من أنواع العلوم غيرِ علم الفصاحة؟... وفتشت ونقّبت فلم أظفر بجوابٍ أطمئن إليه, وتناسيت الأمر كلّه إلا قليلاً نحوًا من ثلاثين سنة؛ حتى كانت سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م وطبع كتاب (المغني) للقاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهَمَذَانيّ الأُسدباذي... في تلك السنة صدر الجزء السادس عشر من كتاب »المغني«... فلما قرأته ارتفع كلُ شكٍ, وسقط النقاب عن كلٍ مستتر وإذا التعريض الذي ذكره عبد القاهر... لا يعني بهذا التعريض وبهذه الصفة أحدًا سوى قاضي القضاة المعتزلي عبد الجبار؛ فهو المعتزلي النابه الذكر البعيدُ الصيت في علم الكلام والأصول , بيد أنه هو الخاملُ الذكرِ , الخالي الوِفاض من علم البلاغة والفصاحة والبيان) .

٢٢

الكتاب/ الإمتاع والمؤانسة تأليف أبي حيان التوحيدي اعتنى به وراجعه/ هيثم خليفة الطعيمي رحمهما الله, اشتريته من مكتبة جرير يوم الثلاثاء ١٤٣٥/٥/١٧ هـ, بطريقة المقايضة بنقط قطاف الممنوحة من شركة الا تصالات السعودية.

وكتبتُ على الغلاف: لا يُظنُّ أنَّ هذا الكتاب كتاب حكايات ومسامرات يُمضى به الوقت , أو أنَّه كتابٌ هزله قبل جده وغثه أُشرِب سمينه, بل هو كتابٌ علميٌ أدبيٌ تاريخي.

في ص٢٦: (وقد ظلَّ ابن سعدان في الوزارة إلى سنة ٣٧٥هـ حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف, فظلَّ يكيدُ له وينصبُ الشباك للإيقاع به... فقال أبو القاسم لصمصام الدولة: « إنَّ ابن سعدان قد استولى على أمورك وملك عليك خزائنك ... ثم قبض على ابن سعدان وأصحابه وأودعوا السجن ... ولم يكتفِ أبو القاسم بمجلس ابن سعدان فانتهز فرصة خروج ثائر على صمصام الدولة... فدسَّ أبو القاسم إلى صمصام الدولة أنَّ ابن سعدان متصل بهذا الثائر... فأمر صمصام الدولة بقتله فقتل سنة ٣٧٥هـ)

قلتُ معلقًا على هذه المكائد إنَّ مكائد الوزراء لبعضهم , ووشايتهم فيما بينهم تحفز إلى أن أجمعَ ما تيسر من هذا الباب في كتاب أقصد به الاعتبار للوزراء , وعدم الركون إلى سكرة الجاه وسلطان الوزارة , فلعلي أصنع هذا , ففيه من النفع والنصح للخاص والعام, وحتى لو ألفت هذا الكتاب فإنَّ في الأمر سعة يستطيع غيري أن يضيف ما لم أقل.

وفي ص ٢٤: (... ذلك أنَّ أبا الوفاء المهندس كان صديقًا لأبي حيان وللوزير أبي عبد الله العارض ... فقرَّب أبو الوفاء أبا حيان من الوزير ووصله به... ثم طلب أبو الوفاء من أبي حيان أن يقصَّ عليه كل ما دار بينه وبين الوزير من حديث , وذكَّره بنعمته عليه في وصله بالوزير مع أنه « أي أبا حيان « ليس أهلاً لمصاحبة الوزراء لقبح هيئته وسوء عادته وقلة مرانته وحقارة لبسته , وهدده إن هو لم يفعل أن يغضَّ عنه, ويستوحش منه, ويوقع به عقوبته وينزل به الأذى, فأجا أبو حيان...)

قلت: حاشية الوزراء قد ينسلخون من ثياب الوقار وأخلاق الخاصة إلى ثياب الوحوش وأخلاق السوقة .

ص ٤٦(... وسألت أبا سعيد السيرافي الإمام: هل تعرف العرب أنَّ معنى القديم ما لا أول له؟ فقال : هذا ما صحَّ عندنا عنهم ولا سبق إلى وهمنا هذا منهم)

قلت : (ما (في قوله:) ما صحَّ (هي نافية , وقلت هذا حتى لا يخطرَ في الذهن أنها موصولة: أي بمعنى الذي ,وكان الأولى أن يقال: « هذا لم يصحَّ « حتى لا يطرأ اللبس.

ص ٣٩٤: (وقال لنا القاضي أبو حامد المروروذي: أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين في أن أصححَ عندهم أن بغداد أطيبُ من البصرة، وأنا اليوم في كلامي معهم كما كنت في أول كلامي لهم، وكذلك حالهم معي.

أنظر إلى فضلٍ ومرعوش- وهما من سَقَط الناس وسِفْلَتِهم- كيف لهجَ الناس بهما وبالتعصب لهما حتى صار جميع من ببغداد إما مرعوشيًا وإما فضليًا.)قلت: فضل ومرعوش رجلان مشهوران بالعدو ؛ وهما في زمن الدولة البويهية؛ ويقال إنَّ أحدهما كان يسير في اليوم نيفًا وأربعين فرسخًا, وكان أحدهما ساعي السُّنة والآخر للشيعة, ورأيت في بعض المصادر أنه برغوش لا مرغوش؛ ومقدار الفرسخ من أربعة إلى ست كيلو متر؛ والنِّيف: من واحد إلى ثلاثة.

٢٣

الكتاب/ وحيُ القلم/ تأليف مصطفى صادق الرافعي رحمه الله١٢٩٨هـ ـ ١٣٥٦هـ قرَّظه/الشيخ محمد عبده, قدم له محمد سعيد العريان ضبطه وفسَّر غريبه وعلَّق عليه يوسف علي بديوي, اقتنيته شراءً من مكتبة التدمرية العصيمي في بريدة يوم الأثنين ٢٢/٥/١٤٤٠هـ وقيمته ثمانيةٌ وثلاثون ريالاً.

مما قلت عن الرافعي: براعة الأسلوب عند الرافعي لا تكمن ـ فحسب ـ باختيار الألفاظ التي يعبِّر بها عن المعاني , وإنما في ابتداع صور للمعاني الذهنية تكون بها المعاني ماثلةً مرئية, فالأسلوب البياني الجمالي الذي فاق به غيره هو جِبلَّته المفطور عليها في ابتكار الصور وتقريبها ,كما أنَّ قوة أسلوبه تدعمها كثيرًا قوة حجته ؛والقراءة في كتاباته تعلِّمك قوة الحجة؛ ومن مباني أسلوبه السخرية الجادة التي ترد كثيرًا عنده, وإليك صورًا منها.

قال في ص ٦٧١: (جاءني يومًا صحفي إنجليزي من هؤلاء الكتاب المتعصبين ... ودخل علي هذاالكتاب في الساعة التي خرج فيها من غرفتي صاحب جريدة أسبوعية في مدينتنا , كان قد نفخ الضفدع , ليجعلها ثورًا... وعلم آخرًا أنَّ الذي يكذب فيسمي الخروف جملاً , لا يقبل منه أن يكذب على الكذب نفسه, فيزعم أنَّ الناقة هي التي انتجت هذا الخروف)

ص ٦٧٥: (إنَّ التعصب في حقيقته هو إعلان الأمة أنها في طاعة الشريعة الكاملة... أيُعابُ هذا على المسلمين , إلا بالألفاظ التي يعيبُ اللص بها أهلَ الدار لأنهم يحكمون في وجهه إقفالَ الباب)

ص ٦٧٦(... يابني ! إنَّ أحد الكلاب كان شاعرًا فيلسوفًا, فنظر ليلةً في النجوم , فراعته وحيرته فآلى أن يفهمها بعقله, وتفرغ لدراستها مدة طويلة, ثم وضع فيها كتابًا نفيسًا ضخمًا , كان أعظم كتب الفلسفة وأشدها غموضًا عند الكلاب , وكان اسمه: العظام المبعثرة فوقنا)

وفي ص ٦٨٠ مثالٌ على إبراز صورة ذهنية بصورةٍ محسوسة :(... وهو يعرف أنَّ سياسة قومه لا تدخل في شيءٍ إلا دخول الإبرة بخيطها في الثوب ,إن خرجت هي تركت الخيط وقد جَمَع وشدَّ)

وهو يعني أنَّ السياسة الإنجليزية إذا خرجت من البلد لا تدعه حتى تضع فيه ما يبقي أثرها.

٢٤

الكتاب/ على السفود نظرات في ديوان العقاد / المؤلف / مصطفى صادق الرافعي الطبعة الثانية صححه وعلق عليه/ حسن السماحي سويدان راجعه وقدم له/ الدكتور عز الدين البدوي النجار رحمهم الله, اقتنيته في ١٤٢١/١٢/١٩هـ

من أولِ ما لفت نظري في هذا الكتاب فارقُ الزمن بين الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ والطبعة الثانية ١٤٢١هـ , فبين الطبعتين ثلا ث وسبعون سنة, وهذا فارق لم أره قبل هذا الكتاب, والرافعي ـ رحمه الله ـ توفي ١٣٥٦هـ ؛ فالطبعة الثانية بعد موته بخمسٍ وستين سنة.

في ص٣٥ـ ٣٦من التصدير قال النجار رحمه الله: (وأسلوب الكتاب الذي كتب به أثرٌ من آثار مزاج الرافعي الذي يصدر عنه الرافعي حين يكتب ... وصدقه هذا الذي نذكره غيرُ غلُوِّه حين يغلو) قلت: خيطٌ رقيقٌ بين الصدق والغلو؛ الصدق يجذبك ويثريك , والغلو ينفرك ويقصيك عن مسايرة الكاتب , والأخذ برأيه ؛ وإن استطعت التفريق بينهما(الصدق والغلو) فقد يثيرك هذا على الكتاب , وقد تدع سمينه المخلوط بغثه وتدعو ك نفسك إلى مجانبته , والالتفات إلى الخصم , وكلما أوغل في الغلو زاد بعدك عنه ؛ والغالي يأخذ طرف الطرف , ثم يبدأ النفخ فيه حتى يوهم نفسه بأنه شيءٌ وهو ليس بشيء؛

ومن علا مات الغالي أنه يمضي طويلاً في طرح أدلته ويقلِّبها على أكثر من وجه , ليقنع القارئ بما يرمي إليه, وقد لا يظفر .

قال في ص ٨: (... نشأ فن الهجاء , وتفنن الناس فيه, واعتبره النقاد أقوى الأنواع الشعرية؛ لأنه صادق التعبير عن نفسية قائله ومشاعره... فالمتنبي مدح كافورًا , ولم يصدق أحدٌ هذا المدح , ثم هجاه , فكان صادقًا في كلِّ كلمة منه)

قلت: أرى أصدق منه الغزل والرثاء خاصةً حين يكون المرثي من خاصة الشاعر لا من ذوي الجاه والسلطان, الذي يكون دافع القول فيهم طمعًا في جاه أو عطاء .

وأمَّا عن كافور, فليس وصف المتنبي بالصد ق على إطلاقه ؛ فحين يقول عن كافور وأهله:

ما يقبضُ الموتُ نفسًا من نفوسِهم	إلا وفي يدِه من نتنِها عودُ
من علَّم الأسودَ المخصيَ مكرمةً	أقومُه البيضُ أم آباؤه الصيدُ
أم أذنه في يدِ النخاسِ داميةً	أم قدره وهو بالفلسين مردودُ
أولى اللئامِ كويفيرٌ بمعذرةٍ	في كلِّ لؤمٍ وبعضُ العذرِ تفنيدُ

وانما هـو صـادق فـي تجربتـه الشـعورية أي أنـه يهجـو عـن مـرارة وجدهـا فـي نفسـه، ففـي القصيـدة صـدقٌ فنـي بلاشـك، فأنـت تقرأهـا وتطـرب لمعانيهـا ؛ أمَّـا أن يكـون المهجـوُ متصفًـا بمـا وُصـف بـه ففـي هـذا حيـفٌ يؤيـده ذكـاء كافـور الـذي اسـتطاع أن يمنِّـيَ أبـا الطيـب بولايـة حتـى اسـتخرج منـه دررًا فـي المـدح مـن مثـل قولـه:

قَواصِـدَ كافـورٍ تَـوارِكَ غَيـرِهِ ... وَمَن قَصَدَ البَحرَ استَقَلَّ السَواقِيا

فَجاءَت بِنـا إِنسـانَ عَـينِ زَمانِـهِ ... وَخَلَّـت بَياضـاً خَلفَهـا وَمَآقِيـا

نَجـوزُ عَلَيهـا المُحسِنينَ إِلى الَّذي ... نَـرى عِندَهُـم إِحسـانَهُ وَالأَيادِيـا

فَتىً ما سَرَينا في ظُهورِ جُدودِنا ... إِلـى عَصـرِهِ إِلّا نُرَجّـي التَلاقِيـا

تَرَفَّـعَ عَـن عُـونِ المَكارِمِ قَـدرُهُ ... فَمـا يَفعَـلُ الفَعَـلاتِ إِلّا عَذارِيـا

يُبيـدُ عَـداواتِ البُغـاةِ بِلُطفِـهِ ... فَـإِن لَـم تَبِـد مِنهُـم أَبـادَ الأَعادِيـا

أَبا المِسكِ ذا الوَجهُ الَّذي كُنتُ تائِقاً ... إِلَيـهِ وَذا الوَقـتُ الَّـذي كُنـتُ راجِيـا

أَبـا كُلِّ طيـبٍ لا أَبـا المِسـكِ وَحـدَهُ ... وَكُلَّ سَـحابٍ لا أَخُـصُّ الغَوادِيـا

إِذا كَسَـبَ النـاسُ المَعالـيَ بِالنَـدى ... فَإِنَّـكَ تُعطـي فـي نَـداكَ المَعالِيـا

اسـتقل السـواقيا: رآهـا قليلـة بالنسـبة لسـعة البحـر، والسـواقي هـي المجـاري الضيقـة للمـاء.

وقد مرَّ فيما سبق تعليقي على قوله:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

وهذا البيت هو مطلع هذه القصيدة التي منها هذه الأبيات؛ ومما ذكرت هناك, أنَّ البيت يعبِّر عن المضض الذي يكنه أبو الطيب في نفسه من جراء حاجته إلى مدح كافور مع ضعته.

ومضة عن أسلوبي الرافعي وشاكر رحمهما الله

من أجنحة الأسلوب ما طار به مصطفى صادق الرافعي و محمود شاكر رحمهما الله ؛ فالرافعي يبتدع الصور ويبرز المعاني الذهنية بصورة محسوسة؛ وشاكر يمثل جزالة اللفظة وحرارة التجربة والقدرة على التسلسل في رواية الحدث؛ ويشتركان في إيراد السخرية الجادة في كتابتهما لتقريب المقصود وهذا اللون من الأدب عزيز وقليلٌ من يحسنه؛ وهذه السخرية عند الرافعي أكثر وأعلى بيانًا وأدق في الإصابة وأجمعُ في تمثيل الصورة ؛ وأما عن المخالفين في الرأي فلسان شاكر أعفُّ وقلمه أجرى في المعرفة وأكثر تدفقا وأوسع في الاستشهاد؛ ولفظة شاكر أعمقُ وآصل ؛ وذلك راجعٌ إلى العمق في معرفة التراث التي تكاد تكون محيطةً به؛ وفي الكتابة عن المسائل الاجتماعية تكون اللغة الأدبية عند الرافعي أعلى من شاكر؛ فكتابة شاكر عن شأنٍ اجتماعي أقلُّ بمراحل من كتابته عن شأنٍ علمي؛ و القراءة لهما مفيدةٌ ومقومةٌ للقلم واللسان.

٢٥

الكتاب/ الوساطة بين المتنبي وخصومه المؤلف / القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم و وعلي محمد البجاوي رحمهم الله. اشتراه لي ابني أنس جزاه الله خيرا ١٣/٦/١٤٣٤هـ.

ومما كتبت على الغلاف : من محاسن أسلوب أبي الحسن القاضي الجرجاني - رحمه الله - في كتابه هذا , تتابع الأضداد اللفظية مما يفهمك بغيته ويدلُّ على تمكنه من ناصية اللغة , ويظهر على أسلوبه أصالة الطبع؛ فأنت تقرأ مستمتعًا بجمال عبارته ونضارة ذوقه, ويملك من جمال التعبير ما يجعله ينقل فكرته بعبارةٍ لينة مطواعة؛ لهذا أرى أنَّ هذا الكتاب من الكتب التي تسمو بالأسلوب وتثريه وتدرِّبك على أن تنهج بكتاباتك منافذ بلاغية جمالية؛ وشخصيته باديةٌ بوضوح آرائه , والتذوق هو معياره؛ ولا أجد أنه يذكر رأيه معرضًا بغيره وهذا من خلق العلماء.

ومما أعجبني من جمال تعبيره وحسن اختيار لفظه قوله في المقدمة معلقًا على بيتٍ لأبي تمام:

وإذا أرادَ اللهُ نشْرَ فضيلةٍ طُوِيَت أتاحَ لها لِسانَ حسودِ

: (صدق والله وأحسن! كم من فضيلة لو لم تستَثِرْها المحاسد لم تبرحْ في الصدور كامنة، ومنقبةٍ لو لم تُزْعِجْها المنافسة لبقيتْ على حالها ساكنة! لكنها برزتْ فتناولتْها ألسنُ الحُسَّد تجلوها، وهي تظنُّ أنها تمحوها، وتُشهَرُها

وهـي تحـاول أن تسـتُرَها؛ حتـى عثَـر بهـا مَـن يعـرف حقهـا، واهتـدى إليهـا مَـنْ هـو أولـى بهـا، فظهـرت علـى لسـانه فـي أحسـن معـرِض، واكتسـت مـن فضلـه أزيـنَ ملبـس؛ فعـادت بعـد الخمـول نابهـة، وبعـد الذبـول ناضـرة، وتمكنـت مـن بـرِّ والدهـا فنوّهـت بذكـره، وقـدِرتْ علـى قضـاء حـقِّ صاحبهـا فرفعـت مـن قَـدْره (وعَسـى أن تكْرَهـوا شـيْئاً وهُـوَ خيـرٌ لكُـم)

قـال فـي ص ٦٣: (فلـو كانـت الديانـةُ عـارًا علـى الشـعر، وكان سـوءُ الاعتقـاد سـببًا لتأخـر الشـاعر لوجـب أن يمحـى اسـم أبـي نـواس مـن الدواويـن، ويحـذف ذكـره إذا عـدت الطبقـات، ولـكان أولاهـم بذلـك أهـل الجاهليـة ومـن تشـهد عليـه الأمـة بالكفـر ولـو جـب أن يكـون كعـب بـن زهيـر وابـن الزبعـرى وإضرابهمـا ممـن تنـاول رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم وعـاب مـن أصحابـه بكمـا خرسـا وبِكاء مفحمـين ، ولكـنَّ الأمريـن متباينـان، والديـن بمعـزل عـن الشـعر)

وهنـا وقفـةٌ أحببـت أن أقفهـا مناقشًـا الشـيخ رحمـه اللـه قـال : (فلـو كانـت الديانـةُ عـارًا علـى الشـعر، وكان سـوءُ الاعتقـاد سـببًا لتأخـر الشـاعر لوجـب أن يمحـى اسـم أبـي نـواس مـن الدواويـن) قلـت : وأبـو نـواس وإن لـم يُمـحَ فقـد أقعـده تهتكـه عـن اللحـاق بالفحـول مـع كثـرة جيـد شـعره رحمـه اللـه, ومـن شُـهِر بشـيْ نُسـب إليـه, بـل سـوء الاعتقـاد وفـوات المبـالاة عـارٌ علـى الشـاعر خاصـةً إذا أظهـره فـي شـعره, كمـا فعـل أبـو نـواس؛ والاسـتدلال بكعـب بـن زهيـر وابـن الزبعـرى رضـي اللـه عنهمـا دليـلٌ علـى أبـي نـواس وليـس لـه؛ لأنهمـا قـالا مـا قـالا فـي رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم

وهما على الكفر, وهذا يفضي إلى القول بأنَّ سبَ الدين أوسوءَ الاعتقاد أو إظهارَ المجون لا يجرؤ عليه ذودين (والدين بمعزل عن الشعر) هذه دعوى عريضة من المؤلف عفا الله عنه ؛ فإذا أبحنا للشاعر التوسع في إظهار مجونه وتهتكه فماذا نحرم عليه ؛ وهذا المنهج من الشيخ يتوافق مع المذهب الحديث في النقد وهو القول بأنَّ الفن للفن؛ فلا حاجز للشاعر فليقل ما أراد إذا كسا شعره بجمال.

وهنا مقولة للأصمعي نقلها المرزباني: (طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى حسان بن ثابت علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي وحمزة وجعفر رضي الله عنهما وغيرهم، لان شعره وطريق الشعر هي طريق الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة.. فإذا أدخلته في الخير لان) ومقولةٌ أخرى لقدامة بن جعفر في كتابه [نقد الشعر] : (وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح والعضيهة، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى النهاية المطلوبة.. إلى أن يقول: وليست فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه)

٢٦

الكتاب مدخل إلى كتابيّ عبد القاهر الجرجاني والكتبان هما : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز

ومما على الغلاف؛ مما انتفعتُ به من هذا الكتاب : ألا تقرأ لتعرف مسائل العلم فقط؛ وإنما تقرأ لتعرف مع معرفة العلم كيف وصل العالم إلى هذه المسألة, وكيف استقرَّ في ذهنه صوابها أو خطؤها ؛ ومن هنا أحسست بأني بحاجةٍ إعادة القراءة لجميع ما قرأت منذ عقلت القراءة.

كتب الشيخ أبو موسى فيها بركة العلم, وهذا سرٌ يكرمُ الله به من يشاء من عباده ؛ فقراءتي لكتبه تفتح لي مغاليقَ لم تخطر لي على بال, ولم تكن مقصودة للبحث عنها , وإنما هي بركةٌ ينبهك إليها قلمه , اللهم أحسن إليه.

تنبيه قلت: « كتب الشيخ أبو موسى » وكان من حقها أن نقول: أبي موسى لأنها مضاف إليه؛ ولكنه علمٌ على العائلة وليست كنيةً للشيخ؛ فهي تُجر بكسرةٍ مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

ومما كتبته: يبلغ المؤلف أيُّ مؤلف درجة الإحسان إذا أخبرَ القارئَ كيف وصل إلى هذا الاستنباط ؛ فلا يقتصر على تبليغ العلم ,وإنما يهدي القارئ إلى السبيل الذي وصل به إلى هذا المذهب؛ لينيرَ له طريقًا يعرفُ به صناعة العلم , فلا يتوقف عند تعريفه المسألة.

قال في ص ٢٠: (... وكلُّ عقلٍ يهزك بنبوغه وراءه عقلٌ هزه بنبوغه, وقد يخفى هذا الأثر ويساعد على خفائه سخاء العقل الثاني) قال هذه العبارة مبينًا علاقة القارئ الجيد مع المؤلف , وأنَّك إذا أعجبك كلام المؤلف فقد استفاده من آخر.

قال في ص ١٠٣: (... يجب أن يتوخى دائبًا فيهم ما يتوخاه الطبيب في الناقة) قلت: الصواب: « الناقه » كما هو موجود في كتاب « دلائل الإعجاز» وهي من النقاهة أي إشباع النفس من الراحة , وليست الناقة التي هي أنثى الجمل؛ والناقه هو من يحتاج لراحة يستعيد بها نشاطه المفقود وقت مرضه؛ فهي بالهاء لا بالتاء المربوطة.

قال في ص ١٠٧:(... وأنَّك إذالم تتمم كلام الشيخ بالكدح والقدح...) قلت: ليس المقصود هنا بالقدح اللوم والتثريب ؛ وإنما المقصود قدح الأفكار والاستنارة بفهم النص , واستخراج المعاني المخبوءة.

٢٧

الكتاب/ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية المؤلف الدكتورناصر الدين الأسد رحمه الله , الطبعة الخامسة , اقتنيته في١٣/١/١٤٣٢هـ

ومما أقوله عن هذا الكتاب: ينبغي أن نتخذ هذا البحث وجَلَد هذا الباحث قدوةً في الدراسات عامة لا في الدراسات الأدبية فقط.

قال في ص٥ عن تعلقه بالشعر الجاهلي: (... كان يزيد حتى ليطغى على غيره؛ وكان شعورًا ساذجًا غير معلل, وما كنت مستطيعًا تعليله لو أردت).

قلت: هذه هي حال كلّ ما كان الإعجاب به مبنيًا على الذوق فاستعصاء التعليل هو المصاحب لمثل هذه الحال؛ وقوله :ساذجًا أي عفويًا من غيرتطلُّبٍ ولا تكلُّف

ص٦ قال عن دراسته للشعر الجاهلي: (... وأن أبحث هذا الشعر بحثًا مجديا لا يتم إلا عن طريق دراسة خارجية) قلت : الدراسة الخارجية هي أن تدرس النص موازنًا بغيره من النصوص المشابهة, بخلاف الدراسة الداخلية وهي التي تنطلق من داخل النص باحثةً عن مكامن الجودة والرداءة, والقبح والجمال, والضعف والقوة في قدرة اللفظة على تأدية المعنى المراد ؛ والدراسة الخارجية يُعنى بها مؤرخو الأدب و النقاد والبلاغيون, الذين يدرسون النص الذي أمامهم على أنَّه نصٌ أدبي من غير اعتبار لثبوت نسبته إلى عصره أوقائله.

قـال فـي ص ٨ عـن منهجـه: (إنَّ كلَّ رأيٍ فـي هـذا الكتـاب قـد قامـت مـن بـين يديـه وفـرةٌ مـن النصـوص قـادت إليـه وانتهـت بـه ؛ وأنَّ النـص هـو الـذي وجَّـه البحـث إلـى مـا فيـه مـن آراء , وليسـت الآراء هـي التـي وجهـت البحـث إلـى النصـوص يجتلبهـا , ويقتضيهـا ويسـتكثر منهـا ,ويقسـرها قسـرا لمـا يريـد)

قلت: معلقًا على هذا الكلام: وهذا منهجٌ سديد وهو أن يكون النص خادمًا للرأي لا أن يكونَ الرأيُ هو الذي يخدم النص بمعنى أنَّ الرأيَ المنبعثَ من نص هو الأصوب في المسار وبهذا المنهج يُعذر السالك إن أخطأ, وهذا مما يزيد القارئ اطمئنانًا إلى ما وصل إليه الباحث, ويلتمس له العذر فيما لم يوفق فيه إلى الصواب.

أما أن يُعتسفَ النصُ إلى رأيٍ يريده الكاتب ابتداءً فهذا ما يتعارض مع المنهج العلمي السليم, والكاتب إن سار بهذا المنهج فقد جعل الرأي هو الحكم واعتقدَ قبل أن يستدل .

٢٨

الكتاب/ مع المتنبي المؤلف / طه حسين رحمها الله الطبعة العاشرة

كتبت على صفحته الأولى: جمعت بين قراءته وبين كتاب « المتنبي » لمحمود شاكر رحمهما الله , فجعلت أقرأ من هذا ثم أقرأ من هذا, فما وجدت ما أصف به كتاب طه حسين موازِنًا له بكتاب شاكر إلا أنه خواطر كتبها أحد طلاب التعليم العام في صحيفة حائطية مدرسية, فلا تجد فيه معاناة الباحث , بل هي أحاديث تسير بك كأنك تسمعها في مجلس مسامرة ؛ وكتاب طه صدر بعد كتاب شاكر الذي طار به المجتمع الأدبي, وحلَّ كتاب شاكر من أهل الأدب محل المتنبي نفسه حين يقول عن شعره:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصمُ

وكتاب شاكر صدر ١٩٣٦م, وكتاب طه صدر ١٩٣٧م, فكأنَّ طه كتبه مناكفةً لشاكر, ولكنَّ المثل العربي يقول: مرعى ولا كالسعدان, وتجد أنه كتبه بأسلوب المستعفي من تَبِعة ما فيه , ولكنَّ هذا لا يعفيه من المؤاخذة؛ والكتاب طارت به شهرة الكاتب وصيته ولم تَطِرْ به قيمةٌ علمية؛ ومما قال طه في مقدمة كتابه: (لأني لا أريد درسًا ولا بحثًا وإنما أريد صحبة ومرافقة ليس غير هذا ... لأنَّ المتنبي كان وما زال حديث الناس... لا أريد أن أدرس المتنبي إذن؛ فالذين يقرءون هذه الفصول لا ينبغي أن يقرأوها على أنها علم , ولا على أنها نقد

, ولا ينبغي أن ينتظروا منه ما ينتظرون من كتب العلم والنقد... وقل ما تشاء في هذا الكلام الذي تقرأه : قل إنه كلامٌ يميله رجلٌ يفكر فيما يقول وقل إنه كلامٌ يهذي به صاحبه هذيانا, قل إنه كلام يصدر عن رأيٍ وأناة, وقل إنه كلامٌ يصدر عن شذوذ وجموح فأنت محقٌ في هذا كله)

قلت: « فكأنَّ طه كتبه منا كفةً لشاكر » ومن مؤشرات هذا الرأي أنَّ أولَ قضيةٍ طرحها طه هي حديثُه عن أُبُوة المتنبي حيث قال في ص ١٢: (وقد تعود الناس أن يؤمنوا بأنَّ المتنبي رجلٌ عربي خالص النسب؛ ينتهي من قبل أبيه إلى جعفى, ومن قبل أمه إلى همْدان) وهذا تشكيك ودعوةٌ إلى الشك في نسبه؛ وأقول إنَّ هذا من مؤشرات المناكفة لشاكر لأنَّ قضية نسب المتنبي هي أخطر قضيةٍ درسها شاكر؛ ومما ورد عندشاكر قوله في ص ٤١٥ـ قال بعد أن ذكر كثرة من ترجم عن أبي الطيب وكثرة من شرحوا ديوانه٤١٦(... وما رأيت أحدًا من هؤلاء شك في نسب أبي الطيب أو في اسم أبيه المتداول, فكلهم من ألف سنة إلى أول يناير ١٩٣٦م إجماعٌ على التسليم بصحة ما رواه الرواة)

وسواءً ذهبتُ مع شاكر في رأيه أم خالفته, فلا مداناة بين منهج الرجلين بالتحقيق؛ فحرفُ شاكر حرفُ باحثٍ قدح دليلاً من دليل فخرج منهما برأيٍ جديد, أما طه فهو كما قال عن نفسه ص ٨: (ولا أريد أن أدرس المتنبي...

وانما اصطنعتُ هذا كله طلبًا للراحة) وهذا كلامٌ إذا قيس بكلام أهل العلم هوى وسقط؛ وشاكر كتب عما بينه وبين طه كلامًا طويلاً مفصلاً من صفحة ٣٩٩ـ ٥٣٠ ضمَّنه كتابه » المتنبي « بعنوان: « بيني وبين طه » يحسن لمن أراد المزيد الاطلاع عليه؛ والطبعة المقروءة هنا لكتاب طه حسين هي الطبعة العاشرة , ولم أجد في الكتاب ما يغري بهذا العدد من الطبعات إلا صيت المؤلف .

٢٩

الكتاب / النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم تأليف الدكتور محمد عبد الله دَرَاز رحمه الله /اشتريته من مكتبة الرشد في بريدة يوم الأحد١٢/١٢/١٤٣٣هـ بأربعة عشر ريالا , وهو من مراجع كتابي(مِنْ وأخواتُها مؤكدات لا زوائد)

كتبت على غلافه: من القواعد المهمة أثناء القراءة أن تنظر في فائدةٍ ما , ثم تترقى وتنعم النظر لتعرف كيف استنبط هذا العالم هذه الفائدة؛ فإنَّ معرفة دلائل الاستنباط والردِّ والترجيح أو التضعيف أنفعُ من الاقتصار على اقتناص الفائدة فهذه المعرفة زادٌ يصاحبك في مقروءا تك كلها.

لوقُدِّرلي أنْ أدخلَ مناظرة أو أكتبَ عن أدلةِ صحةِ إنزال القرآن الكريم من الله سبحانه؛ أوصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلَّم ؛ فإنَّ كتاب» النبأ العظيم» من أولى الكتب بالرجوع إليه والإعداد منه.

حالات الصفاءِ والفتح التي يعلو بها الإنسان فيجري على قلمه أو لسانه ما يتزكى به علمه , يبدو ـ والله أعلم ـ أنَّها مع ما فيها من رفعةٍ في الدنيا أنها مما يدخِّره الله لعبده بعد موته ؛ إن كان اغتنامها فيما يُرضي الله ليكون التنبُه لها من القارئ علمًا يُنتفع به من بعد الكاتب؛ فتفتقُ هذه الحروف التي كُتبِت في حال إشراق في ذهن القارئ علمًا يكون الكاتب الأول هو سبب إلهامها .

ومـن الأدلـة التـي أوردهـا علـى أنَّ القـرآن الكـريم ليـس مـن عنـد محمـدٍ صلى الله عليـه وسلَّم ؛ قولـه في ص ٢٣ : (... أي مصلحـة للعاقـل الـذي يدعـي لنفسـه حـقَّ الزعامـة ... أمَّـا أنَّ أحـدًا ينسـب لغيـره آثـار عقلـه وأغلـى مـا تجـود بـه قريحتـه, فهـذا مـا لـم يلـده الدهـر بعـد) قلت: وهـذا دليلٌ يشـهد لـه الحسُّ والواقـع والتجرِبـة, ولـم اقـرأ التعبيـر عـن هـذا المعنـى قبـل هـذا الكتـاب.

ذكرَ الحالات التي من الممكن أن يظهر الإنسان بسببها ما يُكنه: (... لا يخلو مـن فلتـاتٍ فـي قولـه, وفعلـه تنـم علـى طبعـه إذا أُحفـظ, أوأُحـرج, أو احتـاج , أوظفـر, أوخـلا بمـن يطمئـن إليـه)

أُحفـظ: وقـع لـه مـا يثيـر حفيظتـه أي غضبـه وكرهـه وحسـده وحقـده؛ والحفيظـة هنـا فعيـل بمعنـى مفعـول: أي مـا يسـتفزه فيظهر محفوظـه ومكنونه؛ وظهـور الطبـع الخفـي يظهرمـن أحـد الأضـداد ؛ فقـد يغضـب الإنسـان فيظهـر منـه مـا يشـفُّ حقيقتـه , وقـد يفـرح فرحًـا فيتفلـت منـه مـا يكنـه؛ وهـذا مـن نـوع مـا يسـمى التـوازن الانفعالـي؛ فبعـض النـاس يغضـب فيبـدي أويفـرح فيبـدي.

قلـت ـ ومـن المعلـوم أنَّـه صلـى اللـه عليـه وسـلَّم أُرسـل وعمـره أربعـون سـنة؛ فلوكانـت هـذه الأخبـار عـن الأمم السـابقة عنـده لحـدَّث بهـا؛ فأيـن هـي قبـل بلوغـه الأربعين؛ فلـم تحـدَّث قريـش ـ ولوكذبًـا ـ أنـه كان يـروي لهم أو يحدثهم بشـيءٍ مـن هـذا؛ لـم يقولـوه ولـم يحدثـوا بـه مـع فـرط وعظيـم حرصهـم علـى كلِّ مـا يطعـن بصدقـه صلـى اللـه عليـه وسـلم؛ ومصـداق هـذا فـي قولـه تعالـى:

(قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يونس ١٦

قلت: ليس من الجاري في سنن العرب ـ قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ـ وبعدها بسنين تأليفُ الكتب, كذلك من الجاري في سنن المؤلفين أن يؤلِّف الرجلُ أكثرَ من كتاب ؛ فإن كان ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ ألف القرآن فما الكتاب الذي سبقه؟ وما الكتاب الذي لحقه؟ خاصةً أنَّ إقرارهم بتفوق القرآن ذائعٌ مشتهر؛والقرآن الكريم لم يكن له معالجة أو تغيير في ألفاظه لتناسب الأجيال التي تتلوه, بل هو يتلى كما أُنزل أولَ ما أُنزل؛ فكثيرٌ من العلوم البشرية يُسعى إلى صياغتها وتغيير طريقة عرضها بين الحين والحين , لتتناسب مع ما يجري من تبدُّلٍ في حياة الناس وأعرافهم ومفاهيمهم؛ ومن هذا ما نجده في كتب الأسلاف عليهم رحمة الله التي يتناولها المحققون؛ فالكتاب الواحد إذا تعددت تحقيقاته تجد بين نُسخ المحققين فروقًا بيِّنة.

٣٠

الكتاب/موسوعة الشعر العربي اختارها وقدم لها مطاوع الصفدي وإيليا حاوي ,المشرف الدكتور خليل حاوي التحقيق والتصحيح أحمد قدامة اقتنيته في ١٤٠٠/٤/٦هـ وهذه الموسوعة خمسة أجزاء ؛وقيمتها أربعمائة ريال.

ص ٢١ يقول عن الشعر الجاهلي: (... فليس هذا الشعر شيئًا مختلفًا عن بنية العربية , ليس فرعًا أو تطبيقًا عاليًا لها)

قلت: التطبيق هو ما عليه الشعرُ منذ اختلال اللسان واندثار السليقة ؛ ويظهر جريان هذا التطبيق وتمكُّنه من لساننا يظهر واضحًا في العصور اللاحقة لعصر السليقة وفي عصرنا الحاضر حيث إنَّ الشعر الفصيح عبارةٌ عن تطبيق لقواعد اللغة ,بخلاف الشعر الجاهلي الذي هو صميم لغةٍ يتحدثها الشاعر في حياته اليومية, ويؤنس ويستأنس بها في مجالس سمره ومع أهله وذويه, ويحدوبها إبلَه ويزجر بها خيلَه ويُشلي بها كلَبه وسائر حيواناته؛ وإشلاء الكلب إغراؤه بالصيد وتهييجه على المصيد؛ كما أنَّ الإشلاء يكون بإغراء الحيوان بالأكل, وترويضه للحَلْب.

وقال في الصفحة نفسها : (... أنَّ الصوت المعبِّر عن توافق الوعي عند الإنسان العربي مع الظرف الحيوي الذي يؤلف لحظة القول , لحظة الكلام هو نفسه الذي ألَّف جذر الكلمة في اللغة)

قلت: هذا مذهب يمضي بصاحبه إلى أنَّ هناك علاقةً بين الأصوات أي الحروف وبين دلالتها المعنوية؛ فكأنَّ (الوعي) أي دخيلة الإنسان , (الظرف الحيوي) أي الحالة الآنية للمتكلم, هو الذي حدد الحرف أي الصوتَ الناقل, فجعله ما ثلاً للسامع والقارئ.

وقد تحدث عن هذه العلاقة ابن جني رحمه الله في كتابه » الخصائص « ومما ورد عنده في الجزء الثاني بتحقيق عبد الحكيم بن محمد: ص٧٤ فيها بابٌ عنوانه:(بابٌ في تلاقي المعاني, على اختلاف الأصول والمباني).

رأيتُ أن أذكرَ طرفًا منه هنا: نحتاج هنا إلى تمهيدٍ مختصر يكون إيضاحًا لمراد أبي الفتح رحمه الله , فأقول: هذا الباب لم تأتِ فائدته بذكر المسمى يكون له أسماءٌ كثيرة وإنما ليكشف عن جانب بلاغي وتأصيل لغوي وهوأنّ أصل الاسم يفضي إلى معنى صاحبه وما سمي به فهناك علاقة معنوية مستكنة بين الاسم والمسمى فهذه اللغة من عجائبها أنها لم تطلق بها الأسماء على المسميات ارتجالا , مما يشير إلى أنها لغةٌ توقيفيةٌ مُلهَمة وأنها لسانٌ محكم.

ومما ورد عنده في هذا الباب)... وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماءَ كثيرة فتبحثُ عن أصلِ كلٍّ اسم منها, فتجده مفضيَ المعنى إلى معنى صاحبه) ثم ذكرَ عددًا من الأمثلة على مذهبه ومنها:

(وذلك كقولهم : (خُلُق الإنسان) فهو (فعُل) من خلَّقتُ الشيء أي ملَّستُه؛ ومنه: من ذلك قولهم للقطعة من المسك (الصُوار) ... فقيل له (صُوار) لأنه من (فُعال) من صاره يصوره إذا عطفه وثناه. قال تعلى :﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ البقرة ٢٦٠ومنه: ومن ذلك قولهم : صبي وصبية وطِفل وطِفلة وغلام وجارية, وكله للين والانجذاب وترك الشدة والاعتياص)

وقال في ج٢ص٩٥: باب تصاقب الألفاظ لتعاقب المعاني؛قلت: التصاقب هو التقارب.

قال :(وهذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به, وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غُفلا مسهوًا عنه وهو على أضرب,ثم ذكر على هذه الأضرب أمثلة منها:

أـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (٨٣) سورة مريم.أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزا,والهمزة أخت الهاء فتقارَبَ اللفظان لتقارب المعنيين .

ب ـ [واستعملوا تركيب (ح ب ل) و (ح ب ن) و(ح ب ر) لتقاربهما في موضع واحدوهوالالتئام والتماسك.

ثم أعود لموسوعة الشعر العربي, إذ في الصفحة نفسها قال عن الصوت المعبِّر) ... ليؤلِّفَ جذر التفعيلة في الوزن الشعري)

قلت: جذر التفعيلة لا يقصد به التفعيلات العروضية من مثل: مستفعلن, مفاعيل, مفاعلتن..., وانما يقصد أصوات وحروف اللفظة التي جاءت على هذا الوزن.

ثم واصل كلامه قائلاً: (... وأنَّ تغير هذه الجذور بالحركات هو تخصيص للأنغام الأساسية بلونيات الأحوال المرتبطة بالفعل) قلت: لعله يقصد أنَّ الحركات الإعرابية لها تأثر بالحالة الشعورية للمتحدث أو الكاتب, أي لها دلالة من فرح أو ترح من سعادة أوشقاء من رضى أوسخط؛ وسيبني على هذا أنَّ العربي ينطق بالحركة المعبِّرة الحاكية المثلة لما يحسه ؛ فلا يرفع الفاعل لأنه فاعل ,ولا ينصب ولا يجر بسبب عامل , وإنما الأمر يتعلق بتحديد المعنى؛ فهو الذي يحدد الحركة؛ هذا إن أخذنا به فهو يمثل الحال زمن السليقة؛أمَّا الآن فلا نتبين الفاعل إلا بحركة إعرابية أو حرف, ونجد أننا نقول هذه اللفظة مرفوعة لأنها فاعل ؛ ومما يوهن أثر الحركة في تحديد المعنى أنَّ العربي الآن يتحدث بلغةٍ خاليةٍ من الحركات ويفهم بعضهم بعضا.

وفي ص ٣٨ قال عن نسبة الشعر الجاهلي إلى الجاهلية: (... وحديثًا حين أثار طه حسين عاصفة التشكيك في جميع ذلك الشعر... فإننا نرفض أن نعلق هذا الشعر كلَّه في الفراغ بسبب اتهامات وشكوك, وتناقض روايات, ونعتمد في إثبات صحة انتماء هذا الشعر إلى الجاهلية,

على الأدلة الداخلية المتضمنة في بناء القصيدة ومعانيها, وإشاراتها التاريخية , وأسلوب صياغتها, ولغتها)

قلت: قوله: «الأدلة الداخلية « هذه جملة ثرية وميزان سليم يستطيع الدارس المتمكّن من تذوق الشعر الجاهلي مع إدامة النظر فيه و قراءته أن ينسبه إلى ذلك العصر بكلٍّ ثقة؛ والمقصود بالأدلة الداخلية هي الأدلة المستنبطة من الشعر , فهي كالقيافة التي يُثبت ويُنفى بها ؛ فالقيافة تعتمد على آثار داخلية للمنظور فيه من لون وطول وقصر وصوت وعيوب ومحاسن في الخِلْقة وغيرها مما يرى القائف أنها تؤيد رأيه إثباتًا أونفيا.

ثم يمضي متوسعًا في رأيه في نسبة الشعر الجاهلي بمعايير يراها كافية مقنعة: (... حتى ولوكان هناك بعض الشعر الذي نظم في عصر التدوين , فإنه إذا ما بلغ درجة إتقان النموذج الذي يقلده , فإنه يكفي أن ننسبه إلى المدرسة الجاهلية فنيًا ولغويًا, وإن لم تثبت نسبته تاريخيا... ويسمح للدارس المحلل... ويصل إلى محاولة تذوق هذا الشعر , وفهمه داخليًا, والكشف عن بنيته الثقافية وعلاقتها ببنية التجربة الجاهلية كلها؛ فيتضح له أنَّ أكثرَ هذا الشعر صحيحُ النسبةِ إلى روح تلك التجربة)

فـي ص ٤١ ومـن التعليقـات أننـا نجـد أنَّ الموسـوعة تعطـي تفسـيرًا فلسـفيًا لسـبب الوقـوف علـى الأطـلال(... وكان اليقـين بالعـدم ,يعطـي للعربـي موقفًـا خاصًـا مـن الزمـن... ذلـك أنَّ الوقـوف علـى الأطـلال ,لـم يـأتِ تقليـدًا عرضيًـا ؛ ولكنـه عكـس جوهـر الفعـل الفنـي , وهـو لوعـة الإنسـان مـن الـزوال ؛ فالعربـي المرتحـل عبـر المفـازات والبـوادي , كان هـو المرتحـل أيضًـا بـين آنـات الزمـن... فـإنَّ التجربـة إذن قدمـت للشـاعر أعمـق منهلٍ للخيـال والانفعـال, ... فالوقـوف علـى الأطـلال مدخـلٌ شعوري كيانـي للقصيـد الجاهلـي, وإن كان موضوعًـا غريبًـا علـى ذوقنـا وتجربتنـا الحديثـة؛ وهـو يلخِّـص فـي حقيقتـه , أفجـع مـا فـي تجربـة الغربـة الدائمـة للعربـي , فـي المكان اللا متناهـي)

وفـي ص ٤٤ــ ٤٥ تعطـي الموسـوعة تحليـلاً يؤكِّـد وحـدة الموضـوع فـي القصيـدة الجاهليـة , يربـط فيـه الكاتـب بـين الوقـوف بالأطـلال , ووصـف الناقـة وأحـوال الرحلـة؛ فيقـرأ القصيـدة ويسـتنبط التوافـق بـين أجزائهـا ؛ و يربطهـا بتحليـلٍ مقنـع.

(... ومـا أن يسـتنفد تشـوق الشـاعر إلـى أرض الحبيبـة , والتغـزل بجمالهـا والشـكوى مـن بعادهـا , حتـى ينطلـق فـي رحلتـه علـى ناقتـه, وقـد خلَّـف وراءه الأطـلال والأشـواق؛ فينكفـئ إلـى وصـف ناقتـه, وهنـا يأخـذ الناقـد علـى الشـاعر القـديم, هـذا الانتقـال مـن وصـف الحبيبـة إلـى وصـف الناقـة؛ ولكـنَّ تسلسـل الحركـة يبـدو منطقيًـا بالنسـبة للشـاعر, الـذي ابتـدأ بالوقـوف علـى الأطـلال

ثم تحوَّل إلى متابعة ارتحاله على ناقته, وهذا بالنسبة لدوافع تأسيس ذلك التقليد عند شعرائه الأوائل؛ ومن الطبيعي بعد ذلك أن يصف الشاعر الطريق, والأهوال التي يواجهها في المفازات ؛ وهنا يُبْرِزُ الشاعرُ الجاهلي مقدرته المتنوعة؛ فهو لابد أن يصفَ أنواعَ سيرِ الناقة, حسب طبيعة الأرض التي تقطعها , والهدف الذي تسعى إليه ؛ وعليه أن يكون وصفه مطابقًا لخبرة العربي, ومعرفته عن الناقة , وأنواعها وأشكال جسمها وأعضائها... وينتهز الشاعر هذه المناسبة ؛ ليشبه ناقته بحيوانات الصحراء الأخرى, تارةً بالحمر الوحشية أو الثور, أوذكر النعام... يبقى أنَّ القصيدة, عندما تبلغ موضوعها الأصلي كالمديح والثاء والفخر, فإنها تكون قد مرت بذلك , عبر أجواء الشاعر وعالمه الذاتي, ومن خلال مناظر الأطلال والأحبة والنياق ووحوش الصحراء , وأنواع مفازاتها, وإطارات الأنواء فتمتزج هكذا رحلة الشاعر مع عواطفه وأفكاره , وبرحلته في عالمه الخارجي مع الحيوان والطبيعة القاسية المهولة؛ وإذا بالقصيدة هي أيضًا , قافلةٌ من المشاعر والأوصاف والانفعالات, لها حركة الارتحال والمشقة من طبيعة الرحلة الدائمة في حياة العربي الصحراوية)

قلت: أراه يكتبُ هذا الكلام وهو يستحضر في ذهنه كثيرًا من القصائد الجاهلية , وخطوات وحَدَاتها وأجزائها,فتغلغلت في نفسه وعاش التجربة الشعورية التي عاشها الشاعر؛ وهنا يبلغ الناقدُ غايةَ الإبداع بغوصه ونبشه, فتتوهج مشاعره فيجري على لسانه الصدق الفني بما استنارت به دخيلته, حتى حطَّ عصى النقد حيث وقفت رحلة الشاعر.

ولكي لا نغمطَ حقًا سُبقتْ إليه الموسوعة ؛ فإنَّ هذا التحليل لأجزاء القصيدة وإبانة الربط بين أطرافها, وأنَّ بعضها مفضٍ إلى بعض قد ورد مبكرًا في تاريخنا الأدبي, وروى معناه ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ ٢٧٦هـ, وكتبه بحروف عصره ,وأسلوب دهره, وتحليل الموسوعةِ أشملُ وأنسبُ لأسلوب هذا العصر؛ يقول ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ في كتابه «الشعر والشعراء» بتحقيق الدكتور/ مفيد قميحة ومراجعة نعيم زرزور, الطبعة الثانية, قال في ص ٢٧ ـ ٢٨: (قال أبو محمد : وسمعتُ بعض أهل الأدب يذكر أن مُقَصِّد القَصِيد إنما ابْتدأَ فيها بذكر الدِّيارِ والدِّمَنِ والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الرَّبْع ،واسْتوقفَ الرفيقَ ، ليجعلَ ذلك سبباً لذكرِ أهلها الظَّاعنين عنها ، إذ كان نازلةُ العَمَدِ في الحلول والظَّعْن على خلاف ما عليه نازلةُ المَدَر، لانْتقالهم عن ماءٍ إلى ماءٍ ، وانْتجَاعِهم الكَلأ ، وتَتَبُّعِهم مَسَاقِطَ الغيث حيث كان . ثمَّ وصلَ ذلك بالنَّسيب ، فشكا شدةَ الوَجْد وألمَ الفِراق وفرْطَ الصَّبابة والشوق ليُميلَ نحوَه القلوب ، ويصرفَ إليه الوجوه ،وليَسْتدعِيَ به إصْغاءَ الأسماع

إليـه ، لأن التَّشْـبيب قريـبٌ مـن النفـوس ،لائـطٌ بالقلـوب ، لِمَـا قـد جعـل اللـه فـي تركيـب العبـاد مـن محبـة الغزل،وإلْـفِ النِّسـاء ، فليـس يـكادُ أحـدٌ يخلـو مـن أن يكـونَ مُتَعَلِّقـاً منـه بسـببٍ،وضارباً فيـه بسـهمٍ ، حـلالٍ أو حـرامٍ ، فـإذا علـم أنـه قـد اسْـتَوْثَقَ مـن الإصغـاء إليـه ، والاسـتماعِ لـه ، عَقَّبَ بإيجـابِ الحقـوق ، فرحـل فـي شـعره، وشـكا النَّصَـبَ والسَّـهَر ، وسُـرَى الليـلِ وحـرَّ الهجيـر ،وإنْضَـاءَ الرَّاحلـةِ والبعيـر ، فـإذا علـم أنـه قـد أوجـبَ علـى صاحبِـه حـقَّ الرجـاء ، وذِمَامـةَ التَّأميـل ، وقـرَّرَ عنـده مـا نالَـهُ مـن المكاره فـي المَسـير ،بـدأ فـي المديـح ، فبعَثَـه علـى المكافـأة وهَـزَّه للسَّـماح ، وفضَّلَـه علـى الأشـباه ، وصغَّـرَ فـي قـدْرِه الجزيـل)

وممـن كتـب عـن أجـزاء القصيـدة العربيـة وأنَّ بعضهـا مفضٍ إلـى بعـض وعـن إبانـة الربـاط بـين أطرافهـا, وعـن ردِّ دعـوى الاختـلال فـي الانتقـال بـين المعانـي, محمـود شـاكر رحمـه اللـه ١٤١٨هـ , وذلـك فـي كتابـه « نمـطٌ صعـبٌ ونمـطٌ مخيـف» الطبعـة الأولى١٤١٦هـ ص ١٢٩ :(وقضيـة ترتيـب أبيـات القصيـدة مُعضلةٌ , والاجتـراء عليها أمرٌ صعب , وتَيَسُّـر أداتها لمن يحسـن الفصل قليـل) ثـم فـي ص ٢٩٨: (...أنَّ دعـوى اختـلال ترتيـب بعـض القصائـد , دعـوى لا تقـوم أحيانًـا كثيـرة علـى أسـاس صحيـح , ومردُّهـا إلـى سـوء الفهـم, وإلـى قلـة التحـري عـن معانـي الكلمـات فـي موقعهـا مـن الشـعر وإلـى الجهـل بأسـاليب الشـعراء فـي بيانهـم عـن ضميـر أنفسـهم بهـذه الألفـاظ والتراكيـب وإلـى الإبهـام الـذي ينشـأ مـن التهـاون فـي تمييـز الفـروق بـين المعانـي المشـتركة فـي الألفـاظ والتراكيـب والـى العجـز عـن تمثُّـل القصيـدة بمناهجهـا ومعانيهـا وظلالهـا ,

، ومواقع جثمان ألفاظها على أجزاء النغم في بحر الشعر= وإلى ما تضمنته الألفاظ كلٌ شاعر على حِدته من ألوان الإسباغ والتعرية= ثم إلى الخلط الشديد ينزلق إليه من لا يستطيع أن يفرق بين اختلال الترتيب في رواية الرواة, وبين التشعيث الذي هو سرٌ من أسرار البيان الإنساني ، إن وجدته قليلاً عند الشعراء من غير العرب ، فإنك واجده في أشعار الجاهلية أشدَّ ظهورًا وتفشيًا وعمقًا ومهارةً وغموضا.)

وبالموازنة بين ما كُتب في الموسوعة وما ورد عند ابن قتيبة مع ما ذكره شاكر في كتابه » نمطٌ صعبٌ ونمطٌ مخيف « نجد أنَّ شاكرًا أقلُّ حظًا في إبان ة العلاقة بين أبيات القصيدة.

نلاحظ أنه لم يرد ولم يوضِّح معاقد التلاؤم بين أجزاء القصيدة ، وإنما كلامه بُني على إبانة النقص في منهج القائلين بالاختلال, وكان الحقُّ أن يُتبِعَ كل نقيصة بمثال يدفع به هذا الجانب القائل بالاختلال.

وما روى ابن قتيبة والموسوعة في هذا الموضوع لا تحسُّ أنه مكتوبٌ بنَفَس المدافع, وإنما بنَفَس الناقد, وهذا يجعلك إلى أسلوبهم ورأيهم أميَل.

في ص٥٥ ـ ٥٦ أثبت بأدلة فنية تحليلية نسبةَ لاميةِ العرب إلى العصر الجاهلي ، يستوي عنده كونها للشنفرى أولتأبط شرًا, ولكنها ليست لخلف الأحمر قطعًا: (أمَّا القول : بأنَّ « لامية العرب « وهي أهم ما في ديوان الصعاليك ، أوعلى الأقل هي أفضلُ ما وصلنا من ديوانهم ، هذه اللامية منحولة كلها قد صنعها » خلف الأحمر» فذلك أمرٌ لا يمكن قبوله

تاريخيا ؛ إذاً « خلف الأحمر» الذي انتحل وصنع قصائد كثيرة, ونسبها إلى شعراء عرب كبار وحوَّر وعدَّل , أتمَّ ونقص من قصائد وأبيات , لم ينظم قصيدة الشنفرى كلها, وهو على أبعد حد, وقد مارس هوايته العجيبة, في التحوير والتغيير في مقاطع أو أبيات , أو أجزاء من أبيات في هذه القصيدة ؛ ولولا نَفَسُها, وجوُّها الذاتي , بما تحمله من جميع خصائص التجربة , التي تميزت بها حياة هذه الفئة الغريبة من فرسان العرب ومتشرديها , ولولا الوحدة القوية , التي تسيطر على كلِّية القصيدة , لأمكن القول أنها تَمُتُّ إلى عصرٍ غير العصر الجاهلي , وإلى شاعرٍ ليس من الصعاليك , كخلف الأحمر مثلاً.

إنَّ مضمون هذه القصيدة الفريد , وأسلوب صياغتها المتين المبدع , والحماسة النفسية التي توقَّدَ وَهْجُها , كل هذا يجعلها بعيدةً أن تكون مصنوعة, أو منحولة على يد ليست يد شاعر , ولشاعرٍ ليس من الجيل الجاهلي , ولشاعرٍ جاهلي ,وليس من طائفة الصعاليك .

ولا يهم بعد هذا إن كان صاحب القصيدة هو الشنفرى أو تأبط شرًا, ما دام في عضوية القصيدة, تترددُ روحٌ واضحة , لا يمكن أن تتكرر, فيما عدا ذلك العصر ,ولدى فئةٍ ليست من جذور الصعلكة والبداوة الفردية , والتجربة الطبيعية المباشرة التي اختصت بها لا مية العرب... فما يهتم به الناقد الحديث , هو مدى تطابق التجربة, وأسلوب التعبير عنها على خصائص العصر, والشعراء المنسوبة إليهم تلك القصائد.

قولـه: (وجوُها الذاتـي) يقصـد أنهـا معبـرةً عـن ذاتيـة قائلها مترجمـة عـن نفسـه؛ التـي تنفـي نسبتها إلـى خلـف.

في ص ١٦٠ نقل رائية عروة بن الورد التي مطلعها:

أقلي علي اللوم يا بنت منذر　　　ونامي وإن لم تشتهي النوم فاسهري

ثـم وجـدت عـروة مـن البيـت الثالـث عشـر إلـى البيـت الحـادي والعشـرين، يـوازن بـين صعلوكـين، وهـو خيـالٌ أحببـت الوقـوف معـه حيـث قـال:

لَحى اللهُ صُعلوكاً إذا جَنَّ لَيلُهُ　　　مُصافـي المُشـاشِ آلِفـاً كُلَّ مَجـزَرِ
يَعُدُّ الغِنـى مِن نَفسِـهِ كُلَّ لَيلَةٍ　　　أَصابَ قِراهـا مِـن صَديـقٍ مُيَسَّـرِ
قَليلُ التِماسِ الزادِ إِلّا لِنَفسِـهِ　　　إِذا هُـوَ أَمسـى كَالعَريـشِ المُجَـوَّرِ
يَنـامُ عِشـاءً ثُـمَّ يُصبِـحُ نـاعِسـاً　　　يَحُتُّ الحَصى عَن جَنبِـهِ المُتَعَفِّرِ
يُعينُ نِسـاءَ الحَيِّ مـا يَستَعِنَّـهُ　　　وَيُمسـي طَليحـاً كَالبَعيـرِ المُحَسَّـرِ
وَلَكِنَّ صُعلوكاً صَفيحَـةُ وَجهِهِ　　　كَضَـوءِ شِـهابِ القابِـسِ المُتَنَـوِّرِ
مُطِلّاً عَلـى أَعدائِـهِ يَزجُرونَـهُ　　　بِسـاحَتِهِم زَجـرَ المَنيـحِ المُشَـهَّرِ
إِذا بَعُـدوا لا يَأمَنـونَ اقتِرابَـهُ　　　تَشَـوُّفَ أَهـلَ الغـائِـبِ المُتَنَظَّـرِ
فَذالِـكَ إِن يَلـقَ المَنِيَّـةَ يَلقَهـا　　　حَميـداً وَإِن يَستَغنِ يَومـاً فَأَجدَرِ

لَحى اللهُ صُعلوكاً إذا جَنَّ لَيلُهُ مُصافي المُشاشِ آلِفاً كُلَّ مَجزَرِ

لحاه الله أهلكه وقبَّحه , جنَّ الليل: غطىَّ بظلامه ,مصافي: من المصافاة وهي الإلفة, المشاش الأطراف اللينة للعظام , آلفًا معتادًا أما كن الذبح يلتقط منها ساقط اللحم, أهلك الله وأخزى هذا الصعلوك الذليل, الذي لا يُغيرُ لكسب عيشه, وإنما هو يبقى قعيد مكانه حتى يأتي الليل فيذهب إلى الأماكن التي ينحر بها القوم, فيقتات على ما تركوه من رديء اللحم, والصعلوك هنا مرادٌ به المعنى اللغوي وهو الفقير الذي لا مالَ له؛ ولكنَّ الصعلوك الآخر هو الذي اعتاد الكسب بالإغارة والنهب, وستأتي صفاته.

يَعُدُّ الغِنى مِن نَفسِهِ كُلَّ لَيلَةٍ أَصابَ قِراها مِن صَديقٍ مُيَسَّرِ

ومن سَقَطَات خلق هذا الصعلوك أنَّه يرى الغنى فيما يصيبه ويجده من كرم القوم المُيَسَّرين الذين كثُرَ إنتاج إبلهم , فهم ينحرون لضيوفهم, ثم يأتي هذا الذليل فيكتفي برديء اللحم, الذي يتركه الضيوف ؛ فهو لا يصيب طعامه بإغارة ولا ترويع ؛ لأنه جبانٌ ذليل.

قَليلُ التِماسِ الزادِ إِلّا لِنَفسِهِ إِذا هُوَ أَمسى كَالعَريشِ المُجَوَّرِ

وهذا البيت فيه هجاءٌ لهذا الصعلوك على دنو همته؛ فلا حظ له في بذل الزاد للضيف ولا للمحتاج وإنما غايته وهمه مقصوران على نفسه, ثم إنَّ هذا الصعلوك يصورّه عروة بهذه الصورة المزرية إذ هو إذا شبع يلقي بنفسه نائمًا كأنّه خيمةٌ سقطت على الأرض ولك أن تسرح بخيال لتستقصي حال الصعلوك لتراه نائمًا على ظهره مباعدًا بين رجليه قد انتفخ بطنه , أو تتمثله منبطحًا على بطنه لا تسمع إلا غطيطه , فلا غيرةَ على ولدٍ ولا حليلة , ولا فرح بضيفٍ أو طارق.

يَنامُ عِشاءً ثُمَّ يُصبِحُ ناعِساً   يَحُتُّ الحَصى عَن جَنبِهِ المُتَعَفِّرِ

ينام عشاءً: يقضي ليله بالنوم من أوله فهو لا يسهر حتى إذا أخذ الأعداء مضاجعهم أغار وآبَ بالنهاب, فهو ينام الليل كلَّه فيبتدره من أوله, يُصبِحُ ناعِساً يأتي عليه الصبح وهو في كسل يمطط فاه بالتثاؤب؛ ثم يبدأ بتتبع الحصى اللاصق على جنبه واختيار «يحتُّ» للدلالة على طول البقاء نائمًا حتى إنَّ الحصى الذي نام عليه هذا الذليل يحتاج إلى قَشر لأنه تمكّن من بدنه.

يُعينُ نِساءَ الحَيِّ ما يَستَعِنَّهُ   وَيُمسي طَليحاً كَالبَعيرِ المُحَسَّرِ

هـذا الصعلـوك قعيـدُ نسـاء ,يشـاركهن فـي الخدمـة ويصغـي ويصغـين لـه فـي الحديـث؛ فحديثـه أحـوالُ نسـاء لا همـةَ رجـال؛ وقولـه : (مـا يَسـتَعنُّهُ) أي أنَّ الأصل فـي الرجـل أن تسـتغيثه النسـاء حـال الإغـارة عليهـن ويسـتعنَّ بـه ؛ فهـو ليـس ذا نخـوة , ويعـين تنقـضُ معنـى يسـتعين أي أنـه يحاكيهـن بالقيـام بمـا يقمـن بـه , و ينـام علـى كسـلٍ وعجـز, ثـم يعـاودُ الكـرةَ عائبًـا هـذا الصعلـوك بأنـه يلقـي بنفسـه علـى الأرض فيقـع وقـوع البعيرالمذلَّل.

وَلَكِنَّ صُعلوكاً صَفيحَةُ وَجهِهِ كَضَوءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ

بعـد أن شفى نفسـه فـي ذمِّ هـذا الصعلـوك, دخـل علـى النقيـض المناقـض, وهـو مـدحٌ وإظهـار صفـات الصعلـوك الـذي يرتضيـه ويـرى أنَّـه جديـرٌ بالثنـاء؛ ولـه صفـات فـي جسـمه وفـي خُلقـه وأفعالـه؛ فمـن صفاتـه الخَلْقيـة مـا يظهـر علـى وجهـه مـن نـورٍ يشبـه القبـس المضـيء مـن النـار .

مُطِلّاً عَلى أَعدائِهِ يَزجُرونَهُ بِساحَتِهِم زَجرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ

ثـم ينتقلُ مـن خلْقِـه إلـى خُلُقـه وأفاعيلـه بالأعـداء : (مُطِلّاً) الإطلال التشـوف مـن علـو؛ فهـذا الصعلـوك فـي مكـانٍ مشـرفٍ علـى الأعـداء؛ والإطـلال ألطـف فـي تأديـة المعنـى مـن النظـر فكأنـه يتخفـى ويسـارق النظـر إليهـم ليبغتهـم؛ فـإن رأوه صاحوابه,كمـا يصـاح بالمنيـح, وهوأحـد قِـدَاح الميسـر , وقـداح الميسـر عشـرة، أولهـا الفـذ ثـم التـوأم ثـم الرقيـب ثـم الحلـس بالحـاء ثـم النافـس ثـم المسـبل والمعلـى ثـم الوغـد ثـم السـفيح ثـم المنيـح.

إِذا بَعُدوا لا يَأمَنونَ اقتِرابَهُ   تشَوُّفَ أَهلَ الغائِبِ المُتَنَظَّرِ

ثـم يصـف اضطـراب القـوم الذيـن يخشـون بغتـةَ هـذا الصعلـوك ؛ فهـم فـي وجـل ولوبعُـدوا عنـه ؛ ثـم صـوَّر اضطرابهـم ووجلهـم بأنهـم كأهـل غائـبٍ عـن أهلـه يتـراءون ويترقبـون وصولـه.

فَذالِكَ إِن يَلقَ المَنِيَّةَ يَلقَها   حَميداً وَإِن يَستَغنِ يَوماً فَأَجدَرِ

ثـم يختـم موازنتـه عـن الصعلـوك الفذ ؛ وأنـه إن مـات حمـده النـاس لإقبالـه وشجاعته, وإلا هـي الأخـرى وهـي عودتـه إلـى أهلـه غانمًـا سالمًا.

وذكر في ص ٣٩٤ قصيدةً لقيس بن الخطيم وقفت مع ثالثها:

أَتَعرِفُ رَسمـاً كَـاطِّرادِ المَذاهِبِ   لِعَمرَةَ وَحشاً غَيـرَ مَوقِفِ راكِبِ

دِيارَ الَّتي كادَت وَنَحنُ عَلى مِنىً   تَحُلُّ بِنا لَولا نَجـاءُ الـرَكـائِبِ

تَبَدَّت لَنا كَالشَمسِ تَحتَ غَمامَةٍ   بَدا حاجِبٌ مِنها وَضَنَّت بِحاجِبِ

أعجبتنـي المطابقـة بـين التبـدّي والاحتجـاب؛ بأنـه لـم يعبِّـر بنقيـض (بـدا) وإنمـا عبَّـر بمـا يفيـد التمَنُّـع والتدلـل حيـث قـال: (ضنـتْ) أي بخلـتْ.

ومن جميل المقابلات على هذا النحو قول الشنفرى:

وَباضِعَةٍ حُمرِ القِسِيِّ بَعَثتُها   وَمَن يَغزُ يَغنَم مَرَّةً وَيُشَمَّتِ

والمقابلـة بـين يغنـم ويشـمَّت؛ فهـو إمـا غـانم بإغارتـه بعـد غـزوه, أونَّـه عـرَّض نفسـه للشـماتة والسـخرية منـه لعـدم قدرتـه علـى الغنيمـة وعـاد بخيبـة؛ والتشـميت هنـا بخـلاف تشـميت العاطـس الـذي حمـد اللـه؛ فمعنـاه هنـا الدعـاءُ لـه بالرحمـة.

وفي المجلد الثاني من الموسوعة ص٤٦٩قال في تحليله لمعلقة لبيد رضي الله عنه: (ولئن جرى لبيد مجرى سواه في وصف ناقته وتشبيهها بالبقرة الوحشية ,وأنه خطر بفلذةٍ عميقة الوجدانيَّة ؛ عرض فيها لتلك البهيمة من الداخل , ممثلاً بها مصيرًا إنسانيًا فاجعًا... ولم يبق من أثر الحياة في تلك الظلمة المدلهمة , إلا عيناها اللتان تلتمعان ببريق الرعب واليأس ؛ والشاعر لم يصف البقرة بذلك الوصف؛ إلا كتعبير غامض في نفسه عن تجربة الصراع في العالم بين الأحياء والقَدَر المسلط عليهم ؛ وضياع الفرير والتشرد في أثره تحت وابل المطر , رمز الإنسان الذي يعدو وراء نفسه في ظلمة الحياة, وقد أحاطت به المصائب , وانصبَّ عليه سيل القدر)

غوص نقدي للمحلل , يفيد كثيرًا في معرفة بواطن النصوص , لكنَّه بالغَ في إسقاط ما يعانيه هو على مراد الشاعر؛ فقد أوغلَ في البعد والتفسير الفلسفي , الذي تأباه الطبيعة فطرة للإنسان العربي في باديته , الذي استمد عفويته من هذه الصحراء التي لا يعرف أهلُها الحياة المعقدة التي عاشها كاتب التحليل ؛ فهو يحمِّل لبيدًا ـ رضي الله عنه ـ ويسقط عليه تعقيداتِ حياةٍ عاشها هو ولم يعشها الشاعر.

قوله: والقدر المسلط عليهم: وصف القدر بالتسلط فيها تجاوزٌ بإعطاء القدر منزلة الفاعل بنفسه ؛ وما يقع أمرٌ من القدر إلا بتقدير الله.

قلت ،وقوله من الداخل: تعني أنه نقل معاناتَها واضطرابَ حالتِها الشعورية وحيرتَها كأنه في لحظته تلك يعيش ما تعيش.

وفي المجلد الخامس ورد ت قصيد الشماخ, وسماها « رائعة الشماخ » ومما ورد فيها أبيات يصف بها الشماخ قوسه؛ ومن هذا قوله:

إذا أَنبَضَ الرامون فيها ترنمت　　　تَرَنُّمَ ثكلى أوجعتها الجنائز

أَنبَضَ: جذب وتر القوس ليرسل سهمها.

وا زنتُ بين هذا البيت وبيت الشنفرى في لاميته يصف قوسه:

إذا زلَّ عنها السهم حنتْ كأنها　　　مُرَزَأةٌ ثكلى ترِنُ وتعوِلُ

فرأيت أنَّ بيت الشنفرى أوصفُ وأوقعُ في النفس بلفظة(زلَّ) و ترنُّ (تعوِل)؛ والشطر الثاني للشماخ كاد أن يأخذ ما عند الشنفرى (أوجعتها الجنائز) ورائعة الشماخ هذه هي التي بسببها صنع محمود شاكر ـ رحمه الله ـ قصيدة القوس العذراء.

٣١

الكتاب خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم البيان

المؤلف/ محمد محمد أبو موسى, اشتريته من مكتبة العبيكان عنيزة في ١٦/٦/١٤٣٤هـ, وقيمته ثلاثةٌ وثلاثون ريالا.

كتبتُ على صفحة غلافه: كُتب الشيخ أبو موسى من الكتب التي استمتع بصحبتها؛ لما فيها من الأعتراف لأهل الفضل ومن وقار العالم ,وسعة العلم والتأدب مع المخالف , وجمال الصياغة , ودقة النظر في المسألة, والدلالة على مأخذ الرأي.

قال في ص ج من مقدمة الطبعة السادسة) وطول تصفحي لكلام علمائنا دلني على أنهم كانوا في اللغة يأخذون بشدائد عمر؛ مع أنهم في الفقه كانوا كثيرًا ما يأخذون برخص ابن عباس رضوان الله عليهم جميعا)

قلت: وهذه شذرةٌ وثمرة يظفرُ بها من طهَّر قلبه وقلمه من تتبع العثرات وحبِّ الوقوع عليها؛ وهذا المسلك من الأسباب الخفية لقبول العالم وبركة علمه.

وقوله: [بشدائد عمر] الصحيح المروي هو: [شدائد ابن عمر] رضي الله عنهما؛ وهذه مقولةٌ منسوبةُ إلى أبي جعفر المنصور قالها للإمام مالك رحمهما الله وذلك حين طلب منه أن يضع كتابًا فقال أبو جعفر للإمام مالك (وطئ لنا كتاباً وتجنب فيه رخص ابن عباس، وشدائد ابن عمر، وغرائب ابن مسعود)

قوله: وطئ : يعني: ذلل وسهَّل.

ومما كتبت على الغلاف استنباطًا من كلام البلغاء: ما تحكمُ به الأذن عن البلاغي المتمكن حكمٌ غيرُ قابل للنقض ولا الاستئناف ؛ وقد يصعب تعليله؛لأنَّ مبناه على الذوق.

قال في ص هـ من هذه المقدمة: (قرأت منذ زمن كلامًا يقول صاحبه إنَّ البلاغة بلغت حد اليأس , وتجمَّدت , وعَقُمت)

قلت: على بعد هذا عن الحقيقة إلا أنه كلامٌ صيغ بعبارةٍ بليغة , وأعني بهذا أنَّ من هاجم البلاغة لم يستطعْ أن ينقلَ ما في خاطره إلا بعبارةٍ بليغة؛ شهدتْ على أنَّ رحم البلاغة لازال منجبًا وإنَّ قال ما قال سواءً كان عقوقًا أو غيابَ وعي أو تلمُّسَ شهرة؛ فكيف به أن يقول ما قال وقد تلبَّست عبارته بمثل قوله: [بلغت حد اليأس] فهذا وإن كان ذمًا إلا أنه بعبارة بيانية انقذفت على قلمه من غير شعور؛ فقد شبه يُبْسَ رحمِ البلاغة بيُبْسِ رحم امرأة انقطعت عن الإنجاب بسبب تقدُّم سنها, ما يدلُّ على أنَّ وجدانه يسخو بالبلاغة؛ ومثل هذا قوله:[تجمدت, وعَقُمت] فعلمٌ يثريك أيها الكاتب بهذا البيان من التنكُّر للحقيقة أن تصفه بهذا الوصف.

وانكار تجدد التدفق البلاغي بأسلوب كهذا , يوشك أن يكون منهجه كمن يدعو إلى نبذ الفصحى, وإحلال العامية مكانها, يدعو إلى هذا وهو يسجِّل حروف دعوته بلغةٍ عربيةٍ فصيحة, يفعل هذا لأنَّه عاجزٌ عن إيصالِ غايتِه إلا بهذه الحروف التي يفهمهما من يخاطبهم.

قال في ص١١: (... وقواعد أي حرفة لا تكسب المهارة فيها, وانما الذي يكسبك المهارة هي الممارسة, والممارسة في هذا العلم تحليل الشعر والأدب لا غير)

قلت : يعني أنَّ الا قتصار على معرفة القواعد معزولةً عن التطبيق لا يخلق منك بلاغيًا, ولا يمنحك المهارة في تقويم اللسان؛ ثم بين السبيل الموصول إلى التمكن من البلاغة, بأنه إدامة تحليل نتاج الأدباء بشقيه المنثور والمنظوم.

قال في ص ٤٨ نقلاً عن عبد القاهر: (... وهل قالوا لفظةٌ متمكنة, ومقبولة , وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها, وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم)

قلت: ويبلغ الكاتب الغاية في ترابط الأسلوب, حين يستطيع أن يجعلَ كلَّ لفظةٍ رحمًا لما بعدها .

في ص٦٦ ورد هذا البيت من ضمن مجموعة أبيات لأبي تمام رحمه الله:

رموك فنعاس دهرٍ حين يُحْزِنهُ أمرٌ يشاركه آباءَ قنا عيسا

قلت : وقفت طويلاً لأعرف سبب نصب (قناعيسا) فالمتبادر للذهن أنها مرفوعةُ فاعلاً لـ « يشاركه » لكن القافية منصوبة إذ قبل البيت:

قد قلت لما اطلَّخمَّ الأمر وانبعثت عشواءُتاليةٌعُبْسًا دهاريسا

وبعد البيت:

لله أفعالُ عيَّاشٍ وشيمته يزدنه كرمًا إن ساس إن وسيسا

ومع الإشكال النحوي إشكالٌ عروضي؛ فالبيت من بحر البسيط؛ والشطر الثاني لا يستقيم, فرجعت إلى الديوان فإذا البيت:

نَمَوْك قِنْعاسَ دهرٍ حين يُحزِنهُ أمرٌ يشاكه آباءَ قناعيسا

فزال الإشكال, بظهور سبب النصب؛ فـ[قناعيسا] صفةلآباء التي هي مفعول به؛ كذلك زال الإشكال العروضي لأنَّ البيت استقام برواية الديوان.

ثم وقفت عند البيت التالي:

يحرسن بالبذل عرضًا ما يزال من الآفات بالنفحات محروسا

فإذا في الشطر الثاني ما فيه من خللٍ عروضي؛ فرجعتُ إلى الديوان فإذا البيت:

يحرسن بالبذل عرضًا ما يزال من ال آفات بالنفحات الغرِّمحروسا.

وفي بيت ثالث :

فرعٌ سما في العزِّ متخذًا أصلاً ثوى في قرار المجد مغروسا

وقفت عند خللٍ عروض في الشطر الأول؛ فإذا هو في الديوان:

فرعٌ علا في سماء المجد متخذًا أصلاً ثوى في قرار المجد مغروسا

٣٢

الكتاب/ أسرار البلاغة المؤلف/ الشيخ عبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ تحقيق / محمد الفاضلي اشتراه لي ابني أنس جزاه الله خيرا في ١٤٣٤/٦/١٣هـ.

ومما كتبتُ على الغلاف ،مما ينبغي أن تتفطن له وأنت تقرأ أسرار البلاغة أنك تريد أن تتعلم من الشيخ عبد القاهر رحمه الله أصول تحليل النصوص الأدبية؛ وحبذا لونهض ناهضٌ يبيِّنُ بدراسة تفصيلية أصول التحليل عند الإمام.

ومما على الغلاف: في أولِ ساعةٍ من ساعات المطالعة, قد أحسُّ أحيانًا استغلاقًا في الذهن فلا يصل المقصود إلا بكدٍ غيرِ معتاد, بل قد يستعصي الفهم , ولكني لا أقف هنا ؛ فاستمرُّ في مطالعتي؛ لأني أرى أنَ الذهن بحاجةٍ إلى وقتٍ ينشط فيه ,وعند ما أسير قليلاً في مطا لعتي تبدأ يقظة الذهن في النشاط, والإصغاء بحضور ذهني للمقروء , وبعد أن أسير وأتأكد من عودة الصفاء أتوقف لأعاود قراءة ما لم أفهم, فينفتحُ لي ما استغلق, فإن رأيتَ في نفسك شيئًا من هذا الا ستغلاق فلا تقلق فهذا دواؤه بإذن الله.

وكتبتُ أيضًا: الأديب إذا لم يكن نحويًا فلن يدركَ الغاية, لا لأنه يستطيع تطبيق قواعد النحو والإعراب , ولكن لأنَّ علم النحو علمٌ عقلي صرف, والأدب فنٌ يترجم عن المشاعر والعواطف والوجدان ؛ فإذا انضمَّ العقل إلى الذوق , تولَّد ما يسرُّ الخاطر ويُبهِجُ النفس ؛ ولا يعيب النحوي ألا يكون أديبًا , ويعيب الأديب أن يقصِّر في علم النحو؛ وعليك أن تنظرَ في هذا إلى آثار ابن جني والرماني عليهما رحمة الله؛ فقد جمعا بين علم النحوي وعبارة الأديب.

كذلك مما على الغلاف: تغير المعنى بتغير حركات الإعراب لا يدركه ـ بعد زوال السليقة ـ إلا العارفون بالإعراب , فلوقلت لمن يعرف الإعراب : إنّ البيت جميلاً يريحُ النفس, فسيدرك بأنَّك لا تتحدث عن جمال البيت, وانما تخبر عن الحال من أثر جماله.

قال في ص ٩: (... وإنَّ الصفة لا تتقدم على الموصوف إلا أن تزول عن الوصفية إلى غيرها من الحكام) قلت: إنَّ الصفة إذا تقدمت على الموصوف تكون حالاً مثل: جاء رجلٌ راكبٌ جواده؛ فإن قدمت قلت: جاء راكبًا جواده رجلٌ.

في ص٢٨ وقال آخر:

فبتنا جلوسًا لدى مهرنا ... وننزع من شفتيه الصفار

قال: (فاستعمل الشفة في الفرس وهي موضوعة للإنسان) قلت: الفروق باب طريفٌ مفيد, عقد له ابن قتيبة رحمه الله في كتابه أدب الكاتب فصلاً بعنوان « الفروق»

والصفار: نباتٌ يابس شائك يعلق في أنوف الأبل حين ترعاه.

قال في ص ٨٦: (... بيان هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: الناس كأبلٍ مائةلا تكاد تجد فيها راحلة) وقال في ص ١٨٣: (... وهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم : الناس كإبلٍ مائة لا تجد فيها راحلة) قلت: النصُّ في ص١٨٣ سقطت منه لفظة « لا تكاد » فتغير المعنى؛ فبوجودها يكون المعنى أنَّك ستجد ولكن على قلة؛ وبسقوطها تنفي الوجود ، ورواية الحديث بوجودها .

في ص ١٩٢تعبيرٌ بليغٌ أعجبيني , يجري مجرى الاستعارة, هي تعني أنَّ الشخص قد يُرخى له بالنعمة ويُنوَّعُ له بها , فينسى حق المنعم وينقلب الشكر كفرا, فتكون سببًا في هلاكه؛ وذلك من قول داود بن علي: (... أَظَنَّ عدوُ الله أن لن نظفرَ به؟ أن أُرخيَ له في زمامه حتى عثر في فضل خطامه , فالآن عاد الأمر في نصابه، وطلعت الشمس من مطلعها، والآن أخذ القوس باريها، وعادت النبل إلى النَزَعة) قلت: هذا كلامٌ شريف يحسنُ الوقوف على فِقَره

فقولـه: (أُرخـي لـه فـي زمامـه) كنايـةٌ عـن تتابـع الإنعـام عليـه, حتـى ألِـفَ النعمـة وظـنَّ أنها حـقٌ مطلقٌ لـه لا ينـازعُ عليها, ولا يخطـر ببالـه تحوُلُها عنـه (حتـى عثـر فـي فضـل خطامـه) الخطـام حبـلٌ يوضـع فـي أنـف البعيـر, ليمنـعَ مـن النِفـار , وينبغـي أن يكـون خطـا مـه بقـدر مـا ينفعـه فـإن زيـد فيـه جـرَّه فوطـأه فعثـر؛ ومـؤداه أنَّ تتابـع الإنعـام عليـه أدخـل عليـه الغـرور وظـن أنـه حـقٌّ لـه لا تفضـلٌ مـن المنعـم (وعـادت النبـل إلـى النَزَعـة) النبـل السـهام, النَزَعـة جمـع نـازع وهـم الرمـاة, وهـي جملـةٌ اسـتُعيرت للإعـلام بـأنَّ الحـق عـاد لأهلـه وأنَّـك لا بـد أن تعـرف مكانتـك.

٣٣

الكتاب الشعر والشعراء

أو

طبقات الشعراء

ومما كتبت على غلافه: (قاعدة نقدية), قد تقرأ القصيدة فتعجبك وتطرب لمعانيها ويهزك مبناها, ويأخذك تشبيهٌ هنا واستعارةٌ هناك, وبعد أن تنهي من القراءة تجد المؤلف ذمَّها وأبان ـ برأيه ـ ما فيها من اختلال هنا عد إلى قراءتها ,فإن لم يفارق وجدانَك استحسانُها, ولم يبارحك الاهتزازُ بها, فدع المؤلفَ ورأيَه ؛ فهو يحدثك عما وجد وأحسَّ , ويترجم عن دخيلته؛ والتذوق هو الفاصلُ بينكما ؛ أقول هذا إن كنتَ ممن يفرِّق بين الجيد والرديء والغث والسمين.

ومن هذا قلت : إذا كانت القصيدة من بحر الوافر أو البسيط أو الكامل أو الطويل أو المتدارك؛ فإنَّ هذه البحور الغالب عليها أني أُقبِل عليها؛ وإن كانت من غير هذه البحور فإني إن رغبت في القصيدة فإني أقرأها أكثر من مرة, حتى استبينَ تذوقي إما نفورًا أوقبولا. أقرأها أكثر من مرة لأحدث أُلفة بيني وبين بحرها .

فرَّقَ بين الشاعر المتكلِّف , وبين الشعر المتكلِّف, فقال عن الأول في ص ٢٩ـ ٣٥ ,٣٦: (ومن الشعراء المتكلِّف والمطبوع؛ فالمتكلِّف هو الذي قوَّم شعره بالثقاف ,ونقَّحه بطول التفتيش , وأعاد فيه النظر بعد النظر ...

والمتكلَّف من الشعر وإن كان جيدًا محكمًا فليس به خفاءٌ على ذوي العلم لتبيُّنهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني إليه حاجة إليه وزيادة ما بالمعنى غنى عنه ... وتتبينُ التكلُّف في الشعر أيضًا بأن ترى البيت فيه مقرونًا بغير جاره ومضمومًا إلى غير لِفْقه)

ومما يروى حول قيمة الإلف والتناسب بين الأبيات, ماقاله عمر بن لجأ لبعض الشعراء: «أنا أشعر منك»، قال: «وبم ذلك؟» فقال: «لأني أقول البيت وأخاه، ولأنك تقول البيت وابن عمه»

وقوله: لتبيُّنهم فيه ما نزل بصاحبه فيها إشارة إلى التحليل والاستنباط المثمر هذا الحكم؛ وهذه في مجملها قواعد نقدية ينبغي على الناقدِ أن يستحضرَها وهو يدارس النصوص.

(قوَّم شعره بالثقاف) الثقاف حديدة تقوَّم بها الرماح , وهي مفرد جمعه ثُقُف.

قال في ص ٣٢ عن مثيرات الشعر) وللشعر أوقاتٌ يسرعُ فيها أتيُّه ويسمح فيها أبيُّه منها: أولُ الليل قبل تغشي الكرى ومنها صدر النهار قبل الغداء ومنها يوم شرب الدواء ومنها الخلوة في الحبس والمسير , ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب)

قلت: وكلٌّ هذه معينةٌ لا صانعة ؛فسماحة القول وانثياله من شعرٍ أو نثر تابعةٌ لحرارة الدافع ؛ فقد يستغلق القول أو يأتي باردًا إذا لم يكن مدفوعًا بجيشانٍ قوي من الداخل ؛ والفتح قد يستعصي مع قوة الدافع؛ وساعة المواتاة ليس لها زمنٌ تُعرف به فتُنتظر وإنما هي توهبُ بوقتٍ لا تستطيع استجلابَها إليه ؛ و قد تولد الفكرة أو الخاطرة في قيلولةٍ قائلة وقدتولد بين خرير الماء وتغريد الأطيار وقدتولد تحت لهيب الشمس وتحدُّر العرق.

وفي ص ٤٣روى بيتًا للبيد رضي الله عنه:

تَرَّاك أمكنةٍ إذا لم أرضها ... أو يتعلق بعض النفوس حمامُها

ورواية الشطر الثاني تفسد عروض البيت ومعناه, وصواب البيت:

تَرَّاك أمكنةٍ إذا لم أرضها ... أو يعتلقْ بعضَ النفوسِ حمامُها

والبيت يستشهدُ به على اضطرار الشاعر إلى تسكين ما ينبغي تحريكه؛ وقد سكَّن (يعتلقْ) من غير داع ؛ والبيت في المعلقة؛ والمعنى لا يؤيد عطفَ (يعتلقْ) على « أرضها » فأنا أترك الأمكنة التي لا تميل إليها نفسي ولا ارتضيها, ولا أبقى فيها إلا أن تحولَ المنية بيني وبين تركها؛ فإن جُزِم « يعتلق » فيكون المعنى أنني لا أبقى في هذا المكان إذا لم أرضه ولم أمت.

٣٤

الكتاب/ مجمع الأمثال المؤلف / أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني رحمه الله ٥١٨هـ حققه وفصّله وضبط غريبه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد رحمه الله ١٣٩٢هـ.

مما على الغلاف: أحرصُ على مطالعةِ هذا الكتاب ولا انقطع عنه ؛ فالأمثال تزيد في البيان وتعليه , وتعلّمك الإيجاز النافذ المصيب , وتطوي لك تاريخًا للأمم , وتطلعك على طبقات الناس وتفاضلهم , من علماء وجهال وخاصة وعامة وسوقة وذوي جاه ودهماء , وتعينك على بيان مرادك حين تردِف مع رأيك مثلاً يزيدُ في إيضاح مقصودك, ويبين منزلة من تخاطب رفعةً أوضعة مدحًا أوذما, وهي فوق هذا سياحةٌ علمية لذيذةٌ المأكل عامرةُ الأصناف ؛ فهي بخلاف ما تقرأ من كتابٍ واحد يبحثُ في مسألةٍ واحدة , وهي من أنفع ما يبدأ به المبتدئ بالقراءة ؛وهذا لا يعني أنَّ كتب الأمثال تفوق أو تغني عن مطالعة كتب العلماء, بل هي لقاحُ للسان والعقل.

هذا الكتاب تتناثر فيه الشذرات النحوية واللغوية , لعل الله ييسر لي أو لغيري جمعها في مبحثٍ مستقل, كذلك في الكتاب مقطعات شعرية أسبابها طريفة يحسن جمعُها.

وفـي هـذا المَجْمـع تكتـب اليـاء كتابـة الألـف المقصـورة بـدون نقـاط مـن تحتها؛فيكتبـون : ينجلـي ينجلـى, عيالـي عيالـى, التـي التـى تجـري , تجـرى؛ وهـذا تنبيـهٌ حتـى لا يختلـطَ عليـك المعنـى ؛وهـذه الكتابـة سـنةٌ جـرت عليهـا الطباعـة فـي مصـر ثـم عدلـوا عنهـا.

ومـن طرائـف أسـباب الشـعر مـا ورد فـي المثـل ١٤٥وهوقولهـم: (إنـك خيـرٌ من تفاريـق العصـا) قالـوا أول مـن قـال هـذا غنيـة الأعرابيـة لا بنهـا, وكان عارمًـا كثيـر التلافـت إلـى النـاس مع ضعـف أَسْـرٍ ودقـة عظـم، فواثـب يومـاً فتـى فقطـع الفتـى أنفـه، فأخـذت غُنيَـة دِيـةَ أنفـه، فحَسُـنت حالهـا بعد فقـر مُدْقِـع، ثم واثب آخـر فقطـع أذنـه، فأخـذت دِيَتَهـا، فـزادت حُسْـنَ حـال، ثـم واثـب آخـر فقطـع شَـفَتـه، فأخـذت الديـة، فلمـا رأت مـا صـار عندهـا مـن الإبـل والغنـم والمَتَـاع، وذلـك مـن كَسْـب جـوارح ابنهـا حَسُـن رأيهـا فيـه وذكرتـه فـي أرجوزتهـا فقالـت:

أَحْلِفُ بالْمَرْوَةِ حَقّاً وَالصَّفَا   أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا

قولـه : (كثيـر التلافـت) قلـت: لعلهـا التفلـت فهـي أوفـق للمعنـى ,ثـم رأيـت الخبـر فـي البيـان والتبييـن ج٣ ص٤٩ بتحقيـق عبـد السـلام هـارون رحمهمـا اللـه, رأيتـه بلفـظ التفلـت.

ثـم أدرجَ الميداني مـع المثـل هـذا الكلام:(قيـل لأعرابـي: مـا تَفَاريـقُ العصـا؟ قـال: العصـا تُقْطـع سـاجورا، والسَّـوَاجير تكـون للكلاب وللأسْـرَى مـن النـاس، ثـم تقطـع عصـا السـاجور فتصيـر أوتـاداً، ويفـرق الوتـد، فتصيـر كل قطعـة شِظَاظا، فإن جعـل لـرأس الشِّظَاظ كالفَلَكـة صار للبُخْتـي مِهَارا، وهـو العـود الـذي يدخـل فـي أَنْـفِ البُخْتـي، وإذا فـرق المِهـار جـاءت منـه تَـوَادٍ، وهـي الخشـبة التـي تشـد علـى خِلْـفِ الناقـة إذا صُـرَّت، هـذا إذا كانـت عصـاً، فـإذا كانـت قَنَـاة فـكل شَـق منهـا قَـوْس بنـدقٍ، فـإذا فرقـت الشـقة صـارت سـهاماً، فـإن فرقـت السـهام صـارت حِظـاء، فـإن فرقـت الحظـاء صـارت مغـازل، فـإن فرقـت المغـازل شَـعَبَ بـه الشَّعّابُ أقداحـه المَصْدُوعَـةَ وقِصَاعـه المشـقوقة علـى أنـه لا يجـد لهـا أصلـح منهـا وأليـق بهـا)

* السَّاجُورُ : القِلادَةُ التي تُوضَعُ في عُنُق الكلبِ.

* شظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الكيس، جمع : أشظة

*البُخْتي: بالضم ، الإبل الخراسانية ذوات السنامين.

* تَـوَادٍ :جمـع تَوْدِيَـة كتوريـة, وهـي خَشَـبَات تُصَـرُّ بهـا أخـلاف الناقـة لئـلا يرضعهـا الفصيـل.

الشَّعاب : هو الذي يلُمُّ ما تفرق بسبب الكسر من الآنية .

المصدوعة : المكسورة.

القصاع : جمع قصعة وهي إناءً من خشب .

ومـن الشـذرات اللغويـة مـا ورد فـي المثـل١٠: (إنَّ الجبـان حتفـه مـن فوقـه) الحتـف الهـلاك, ولا يبنـى منـه فعـل؛ ومـن هـذا مـا ورد فـي ص٦ مـن المقدمـة: يقـول الميدانـي رحمـه اللـه: (قلـت: أربعـة أحـرف سـمع فيهـا فَعَلٌ و فِعْلٌ , وهـي مَثَلٌ ومِثْل, وبدَلٌ وبِدْل, ونَكَلٌ ونِكْل... وفعيـل لغـةٌ فـي ثلاثـةٍ من هـذه الأربعـة , يقـال: هـذا مثيلـه وشـبيهه وبديلـه) ومنـه مـا ورد تحـت المثـل ٨٥٦: جـاء بعـد اللَّتيـا والتـي... والتـي عبـارة عـن الداهيـة التـي لـم تبلـغ تلـك النهايـة, وهمـا علمـان للداهيـة ,ولهـذا استغنيا عـن الصلـة) قلـت: وقولـه: استغنيا عـن الصلـة أي صلـة الموصـول؛ فالاسـم الموصـول يبقـى معنـاه معلقًـا حتـى تُذكـرَ صلتُـه؛ فـلا يسـتقيم المعنـى أن تقـول: جـاءت التـي , ثـم تقـف , بـل لا بـد مـن ذكـر الصلـة.

ومـن هـذه الشـذرات مـا ورد تحـت المثـل ١٢٥٩: الخيـل تجـري علـى مسـاويها: قـال اللحيانـي: لا واحـدَ للمسـاوي ومثلهـا المحاسـن والمقاليـد) قلـت: اللحيانـي أحـد أئمـة الكوفيـين ٢٢٠هـ رحمـه اللـه؛ ومـن هـذه الشـذرات مـا جـاء فـي المثـل ٩٠١: (جـاء يَنْفُضُ مذرويـه, المذروان فرعـا الإليـة ولا واحـد لهمـا , ولـوكان لهمـا واحـد لوجـب أن يقـالَ فـي التثنيـة مِذْرَيـان, كمـا يقـال مِقْليـان فـي تثنيـة المِقْلـى)

قلت: وقال: مقليان, ولم يقل مقلوين؛ لأنَّ الألف أصلها ياء.

وممـا علقتـه علـى هـذا الكتـاب , أنَّ المؤلـف استطرد عنـد حديثـه عـن المثـل ٧١٢ فـي روايـة مـا جـرى بـين هنـد بنـت أسـماء بـن خارجـة وجريـر حتـى قالـت: هـات قولـك:

يا عاذلي دعا الملامة واقصرا طال النوى وأطلتما التفنيدا

قلت: البيت من بحر الكامل: متفاعلٌ متفاعلٌ متفاعل...

وليستقيم الوزن يكون الشطر الأول: يا عاذلي دعا الملام واقصرا

قلت: هند بنت أسماء بن خارجة: هي زوجة الحجاج رحمهم الله.

٣٥

الكتاب/ تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ المؤلف / إحسان عباس ٢٠٠٣/ رحمه الله تاريخ الاقتناء ١٤٣٢/١/١٣هـ

المؤلف هنا ـ رحمه الله ـ قرأ كثيرًا وأخرج الزبدة ؛ فهو يعصر رأي النقاد ثم يعبر عن رأيه؛ ولهذا ترى شخصيته ظاهرة في كتابه , ويكثر نقله بالمعنى لا بالنص؛ والمؤلفون قبله وبعده يذكرون آراءهم ثم يعضدونها نصًا من كتب السابقين ؛ وهذا الطريقة أبلغُ بالتوثيق وأسلم للأمانة.

ومما كتبت على الغلاف: الشاعر الذي يقول عن طبع هو الذي يأخذك شعره من غير استجلاب , فتجد أنَّك تسيح مع شعره , وتجد شعره يموج في نفسك من غير أن تتطلب هذا, وهو نهجٌ يكون في قصيدة الشاعر ويذهب في أخرى , وقد تجد في القصيدة الواحدة ما نبع من طبع وما جرَّه التكلف وغلبته الصنعة , وهذا عائدٌ إلى عمق أو قرب المأخذ والداعي إلى قول الشعر.

ومما على الغلاف : السذاجة تتكر هنا ,وليس المقصود سطحية أو تفاهته المعنى أو سوقية اللفظ, ,إنما القدرة على جعل المعنى قريبًا إلى ذهن السامع والقارئ, ومنطلقًا من العفوية والبساطة.

مصطلح السرقات الشعرية, وقولهم : إنَّ الشاعر أخذ هذا من قول الشاعر الفلاني , وأنَّ هذا البيت حكمةٌ يتنا قلها الناس ثم صاغها الشاعر بيتًا لا يقع مني موقع قبول ,أقرأ هذا فيقع في نفسي شيءٌ من عدم التسليم له ؛ وذلك أنَّ المعاني لا تفنى ولا تستحدث فهي موجودة مذ وُجد الإنسان , ثم تتعا ورها الألسنة والأقلام ؛وأعزو هذا إلى توارد الخواطر؛ وذلك أنَّ مُهيِّجَ المعاناة يكون واحدًا بين الشعراء ؛ فهذا يمدح للسبب الذي مدح من قبله , وكذلك من يهجو أويرثي أو يتغزَّل, ثم تؤول المعاني إلى نبعٍ واحد , لكن يختلف اللفظ الناقل, وقديمًا قيل في تعليل تطابق المعاني إنه من وقع الحافر على الحافر.

إلا أن تكون السرقة بمعنى استدعاء المعاني المحفوظة في الذهن لغيرنا من غير أن نشعر بها, فإن كان الأمر على هذا التأويل فلا سرقة؛ لأنَّ السرقة تعمُّد أخذِ حقٍّ لغيرنا؛ وقد رأيت بعض النقاد ابتعد بالسرقة عن المعنى المذموم ورأى أنها فنٌّ دقيق المأخذ يأخذه الشاعر أو الكاتب فيُلبِسه معنى جديدا.

ومما يؤيد ما قلت ما ورد في كتاب[جمهرة مقالات محمود شاكر] وهو من الكتب التي سيأتي الحديث عنها, قال في ج٢ ص٦٨٠: (... وإلا فإنَّ المعاني الشعرية لا تزال قائمةً في أنفس الشعراء من أول عهد الإنسانية إلى هذا اليوم؛ ولا يتقدم شاعر على شاعر إذا تساويا في المعاني إلا بالبصيرة البيانية

النافذة التي تقع به على الألفاظ والأساليب التي تطابق المعاني القائمة في نفسه)

كذلك شاع في كتب الأدب مصطلح سرقة المعاني ؛ وأرى أنَّه مصطلحٌ تعوزه الدقة ؛ إذإنَّ المعاني التي يعالجها ويعبِّرُ عنها الكتاب والشعراء واحدة منذ كتب الله الكلام وأنطق به الإنسان ؛ وهي معانٍ لا يستطيع الأديب أو الشاعر أو الخطيب أن يخلق جديدًا لم يقله غيره؛ لكنَّ هناك معاني لا تنال إلا بالحروف التي قيلت فيها؛ وذلك حين ينسِجُ المعنى فردٌ من أهل البيان, هنا من الجائز أن نقول إنه تفرد بالدقة والإصابة في التعبير عن هذا المعنى, لا أنه أوجد هذا المعنى.

وقال المؤلف عن هذا الجانب في ص ٧٠: (الاهتمام بإبراز المعاني المشتركة بين الشعراء , وهو اهتمامٌ أدَّى إلى تتبع السرقات... وكان العكوف عليها يبرز مدى اطلاع الناقد أكثر مما يبرز إيمان ذلك الناقد بأنَّ الأخذ قد تمَّ على النحو الذي يقرره) قلت: وهذا عندي تعليلٌ مرْضيٌ مقبول؛ لأنَّ حقيقة الأخذلاتستبان إلا بدليلٍ يقيني كأن يقول اللاحق عن نفسه بأنَّه وجد هذا المعنى عند فلان فزاد عليه أو نقله بعبارةٍ أبلغ وأشمل؛ كما هو جارٍ عند المؤلفين إذ يقول لاحقهم عن سابقهم إنه وجد قصورًا أوخطأً عند من سبقوه , فأتمَّ وجبر.

والحديث عن هذا السرقات الشعرية تحدث عنه الدكتور بدوي طَبانة رحمه الله في كتابه : (السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها)

ومما ورد عنده في ص ١٦١: (عد الأقدمون « السرقات » ضربًا من الفنية الأدبية ... ولذلك تلطَّف بعض النقاد , فأطلقوا على تلك السرقة اسم» حسن المأخذ)

قال إحسان في ص ١٥قال عن الأصمعي رحمهما الله: (... نظر إلى الشاعر ـ أيًا كان ـ فوجده أحد اثنين إما فحلٌ أو غير فحل) قلت: أرى أنَّ النفي بإيراد الضد أبلغ من النفي بأداة النفي؛ فنقول في هذا المعنى: شاعر فحل وشاعر مفحَم؛ أي عاجز مقصِّر ؛وهي نقيض مفحِم أي ماهر مجيد ؛ فمتى أمكن النفي بإيراد الضد فهو أحسن؛ ومنه قوله تعالى: (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)يوسف٥٨؛ فـ (مُنْكِرُونَ) نقيض (فَعَرَفَهُمْ)

في ص ٤٩ قال : (... وفي مقدمة تلك القواعد ما يمكن أن نسميه « الاستواء النفسي» أي أن يظل الشاعر ملتزمًا بمستوى واحد في النظرة إلى الحياة وقيمها)

في ص ٤٨ ذكر أربعة أبيات لامريء القيس أحببت أن أقفَ عندها ؛ لأنها تظهر بجلاء أثر الحالة الشعورية للشاعر, وتباين ما تفرزه تلك الحالة من معاني شعرية تكون معبرةً عن لحظة القول.

ولو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشة   كفاني ولم أطلب قليلٌ من المالِ

ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثلٍ   وقد يدركُ المجدَ المؤثلَ أمثالي

والبيتان الآخران هما:

لنا غنمٌ نسوِّقها غزار   كأنَّ قرون جلتها العصيُّ

فتملأ بيتًا أقطًا وسمنًا   وحسبُك من غنى شبعٌ وريُ

فهو في البيتين الأولين طالب مجد مستحضرٌ عزه وسطوته ؛ وأنه لا يسعى لتحصيل العيش, ولو كانت هذه غايته لكفاه قليل المال, ويضفي على نفسه القدرة على إدراك ما يريد.

ثم نراه في البيتين الآخرين وقد ضعُفت همته وتردت غايته وانتكست حالته ,فيكتفى من المال بأهونه(غنم) ثم إنَّ هذه الغنم ماعز وهي أقلُّ شأنًا من الضأن عند العرب, وقلت ماعز بدلالة قوله: (كأنَّ قرون...) والقرون للماعز أكثر من الضأن .

٣٦

الكتاب/ الأحرف السبعة المؤلف محمود محمد شاكر رحمه الله١٤١٨هـ

وصلني إهداءً من ابنتي رغد جزاها الله خيرا في ١٤٤٤/٢/٢١هـ قيمته الأصلية خمسةُ وأربعون ريالا يضاف ثلاثون ريالاً أجور توصيل.

وهذا هو الكتاب الوحيد الذي وقفت أمام تدوين تعليقاتي عليه مُتلدِدًا, لا أحسنُ كيف أبدأ, لأثرةٍ في موضوع الكتاب وجدتها في نفسي, ولتنوع وكثرة التعليقات, وللمنهج الذي اتخذه في كتابه؛ ولأني كلما قرأت همة المؤلف رحمه الله في كتبه غير هذا, ولِمَا عرفت عنه من أنَّهَ يكاد يكون قرأ كلَّ التراث ,وهذا كما حدَّث عن نفسه قائلاً في كتابه المتنبي ص٧: (... بدأت بإعادة قراءة الشعر العربي كلِّه, أو ما وقع تحت يدي منه يومئذٍ على الأصح...فأقدمت إقدام الشاب الجريء على قراءة كلِّ ما وقع تحت يدي من كتب أسلافنا : من تفسير لكتاب الله , إلى علوم القرآن على اختلافها إلى دواوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم... إلى كتب الفقهاء... وكتب الملل والنحل, ثم كتب الأدب وكتب البلاغة, وكتب النحو وكتب اللغة , وكتب التاريخ , وما شئت بعد ذلك من أبواب العلم) وهذا الكلام كتبته في موضعٍ سابق, ولا رأيتُ مانعًا من إعادته هنا ؛لتجدد المناسبة واختلافها ؛ فهناك استشهدتُ به لبيان منهجه في القراءة وهنا أسوقه مزيدًا في الاقتباس؛ لأنَّ الغاية للإعلام عن سعة اطلاعه.

ومما على الغلاف: من المفاتيح المهمة للداخل على قراءة هذا الكتاب أن يُعرف المراد بالقراءة ومتى تسمى قراءة؛ وذلك مبيَّنٌ في ص٦٩ حيث أكَّد أنه لا يصح أن تسمى قراءة:(... لم يصح عندنا أنَّ أحدًا منهم كان يتلوها في صلواته , ولا أنه كان يلقِّنها من عَرَض عليه القرآن من الحَفظة والقَرَأة, ولا أنها كانت كذلك في مصحفه الذي عرفته الأمة من العلماء وقيدتْ خلافه لما عليه المصحف)

فلا تسمى قراءة حتى تستوفيَ هذه الشروط: أن يكون يتلوها في صلاته أو يلقِّنها غيره, أوقُرِأتْ في مصحفه.

كذلك من وسائل الضبط في القراءة لمحمود شاكر ـ رحمه الله ـ أن تعرف أنه يطيل في مناقشة المسألة إطالةً قد تنسيك ما أنت فيه؛ فأنت مضطرٌ في بعض المناقشات إلى إعادة قراءة المسألة حين تصل آخرها؛ أقول هذا عن تجربةٍ ودراية؛ فقد ألَّفتُ عن أساليبه كتابًا قائمًا برأسه اسمه: [دراسة تحليلية لأساليب محمود شاكر)

وأضيف هنا أنَّ من أساليبه ـ رحمه الله ـ في عزوِ خبرٍ لا نصَّ على تاريخه أنه يحلل الألفاظ, ويفحص الأحداث, ثم يولِّدُ من هذا رأيه في تاريخ الخبر والحدث ؛ وهذا الأسلوب مأخذه موجود ص٨٧ـ٩٢) وفي حديث عمر الذي صدَّرنا به هذا الفصل , كلمةٌ توشك أن تدلَّ على أنَّ هذا الخبر كان قريبًا جدًا من وقت فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ...

فإنَّ عمر عندما أراد أن يحدث الناس بما كان بينه وبين هشام بن حكيم من الاختلاف في قراءة سورة الفرقان ... استفتح كلامه بقوله: « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم... وعندي أنَّ الذي ألقى هذه الكلمة على لسان عمر رضي الله عنه حافزٌ خفيٌ كان شديد الأثر على عمر، وسأحاول أن أستشف هذا الحافز من حديث عمر الذي رويناه آنفًا) ثم يذهب فاحصًا الخبر بتتبع ولادة ووفاة عروة بن الزبير، والمسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبدٍ القاريّ، ثم قال عن كلمة عمر: [في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم] : وأنا حين أتذوق هذه الكلمة أجدُ فيها من الرقة والكآبة ما يجعلها عندي أرجحَ الدليلين على ما ذهبت إليه) قلت: وفي هذا إشارة إلى أن من معاني منهج التذوق ومقاصده أن يعيش الحالة الشعورية التي وُلد فيها الكلام.

قلت : الأحرفُ السبعة ليست هي القراءات السبع، وبيان ذلك ما أورده المؤلف ؛ حيث قال في ص ٧١: (فصلٌ في بيان معنى قوله: صلى الله عليه وسلم» إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» وظنَّ قومٌ أنَّ القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ... وقال ابن عمار لقد فعل مسبِّع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة ... وليته إذ اقتصر، نقص على السبعة أو زاد، ليزيل الشبهة)

وقلت: كذلك ليس المقصود بالحروف السبعة سبعةً من حروف الهجاء « أ ب ,ت ... « فالحرف في الاصطلاح هنا هو اللغة أو اللهجة التي اختصت بها قبيلةٌ من قبائل العرب، وأطلاق الحرف وإرادة اللهجة له شواهد كثيرة فمن شواهد هذا ما ورد عند ابن دريد ٣٢١هـ رحمه الله تحت مادة برع : (وبَرْوع اسم من أسماء النساء؛ الواو زائدة وهو من البراعة ؛ ويقول قومٌ بِرْوع وهو خطأ؛ وليس في كلامهم فِعْوَل إلا حرفان: خِرْوَع وهو كل نبتٍ, وعِنْوَد وهو وادٍ أو موضع) ؛ومنه ما ورد في كتاب العشرات في غريب اللغة لأبي عُمَر الزاهد ٣٤٥هـ رحمه الله, تحقيق يحي عبد الرؤوف جبر ص ٣٣قال ابن خالويه ـ رحمه الله ـ يقال: بالطَّمِّ بفتح الطاء , وإذا أزوجته بالرِّم كسرت الطاء فقلتَ: جاء بالطِّمِّ والرِّمِّ, وهذا حرفٌ نادر فاعرفه) قوله : [وهذا حرفٌ...] يؤكِّد أنَّ المقصود بالحرف عند اللغويين في مثل هذه المسألة هو اللهجة واللغة؛ وقوله: [وإذا أزوجته] أي أردفت معه.

وكذلك ورد في المزهر في علوم اللغة وأنواعها, لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ رحمه الله الطبعة الأولى, صنع حواشيه : مكتب البيان للدراسات الإسلامية وتحقيق التراث, ورد في النوع الثالث عشر ص١٥٨:(وقال ابن خالويه في شرح الدريدية : يقال أكبَّ لوجهه أي سقط , وكبَّه الله ؛وهذا حرف نادر جاء خلاف العربية)

ومما ورد عن الأزهري رحمه الله في كتابه تهذيب اللغة في خطبة الكتاب: (وهو ـ الكسائي ـ ثقةٌ مأمون واختياراته في حروف القرآن حسنة... وامَّا أبو محمد يحي بن المبارك اليزيدي فإنه جالس أبا عَمْر بن العلاء دهرًا وحفظ حروفه في القرآن حفظًا زَينًا ... وأخبرني المنذري عن الحين المؤدب أنَّ المسعري أخبره أنه سمع أبا عبيد يقول كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة , أتلقف ما فيه من أفواه الرجال , فإذا سمعت حرفًا عرفت له موقعًا في الكتاب بتُّ نلك الليلة فرحا)

وورد في كتاب(مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس) تحقيق الدكتور/محمد أحمد الدالي ص٨ : (الشعر ديوان العرب فإن خفي عليهم الحرف من القرآن الذ ي أنزله الله بلغة العرب رجعوا إلى ديوانه فالتمسوا معرفة ذلك منه)

ومن هذا ما ورد في ص٦ من مقدمة كتاب « الأمثال» للميداني ٥١٨هـ رحمه الله : (قلت أربعة أحرف سُمع فيها فَعَل وفِعْل: مَثَل ومِثْل, شَبَه و شِبْه وبَدَل وبِدْل و نَكَل نِكْل)

ومن هذا ما ورد في كتاب « رسيس الهوى» الذى ألَّفه الدكتور عبد الرحمن قائد , وسماه [بقية تراث شيخ العربية] حيث قال في ص ٩٨ عن الشعر الجاهلي: (وكلُ ما عند القدماء من ذكر الشعر الجاهلي في تفسيرهم أنهم يستدلون به على معنى حرف في القرآن)

واختـم هـذه الشـواهد بمـا ورد عنـد محمـود شـاكر نفسـه فـي كتـاب[جمهـرة مقـالات محمـود شـاكر] جمعهـا وقـرأهـا وعلّـق عليهـا الدكتـور / عـادل سـليمان جمـال؛ ورد فـي ج١ ص١٠٩و١١٠: (... ذهـب العلـم إلا غُبّـراتٍ فـي أوعيـة سـوء... وقـد ورد هـذا الحـرف[غُبّـرات] فـي حديـث عمـرو بـن العـاص يقـول لعمربـن الخطـاب رضـي اللـه عنهمـا: » إنـي واللـه مـا تأبّطتنـي الإمـاء , ولا حملتنـي البغايـا فـي غُبّـرات المآلـي) والمآلـي خـرق النسـاء يكـون فيهـا الـدم؛ قلـت المقصـود دم الحيـض، وقـد أطلتُ بذكـر الشـواهد لمـا رأيتـه مـن خلـط فـي هـذا المصطلـح .

مـدار الحديـث فـي هـذا الكتـاب كلّـه حـول قولـه تعالـى: (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) الرعـد ٣١.ثـم فـي الحديـث عـن الأثـر: (حدثنـا أحمـد بـن يوسـف قـال حدثنـا القاسـم , قـال حدثنـا يزيـد بـن جريـر بـن حـازم, عـن الزبيـر بـن الخريّت= أو يعلـى بـن حكيـم عـن عكرمـة , عـن ابـن عبـاس أنـه كان يقرأهـا » أفلـم يتبيـن الذيـن آمنـوا » قـال كتـب الكاتـب الأخـرى وهوناعسٌ)

وممـا قلتـه تعليقـًا: أنَّ تَفَـرُّقَ الأحـرف السـبعة فـي القـرآن أثمـر حفـظ اللغـة مـن أن تكـون كلُّ لهجـةٍ لغـةً برأسـها؛ ومأخـذ هـذا فـي ص ١٧٩: (... اندمجـت أو أوشـكت ان تندمـج كلُّ طاقـةٍ لسـانية أولُغويـة مختـارة فـي تـلاوة نـصٍّ واحـدٍ هـو القـرآن العظيـم ؛ واندمـاج هـذه الطاقـات اللسـانية واللغويـة المختـارة فـي تـلاوة نـصٍّ واحـدٍ لا تختلـفُ عليـه العـرب حـال بـين هـذه اللهجـات واللحـون واللغـات المتباينـة , هـي يومئـذٍ فـي عنفوانهـا

وبين زيادة التباين بينها, حتى تستقلَّ كلُّ واحدةٍ عن الأخرى على تطاول الأزمنة, فتصبح لسانًا قائمًا بذاته , ويتفرق لسان العرب أباديد)

ومما علقته: أنَّ الحرف في علم القراءات يختلف عن المراد به عن الحرف في فقه اللغة ؛ فهوفي علم القراءات يعني اللهجة واللغة , وفي فقه اللغة يعني الوحدة المكونة للألفاظ؛ فكلمة كتاب بُنيت على حرف الكاف والتاء...

استدلَّ بقوله صلى الله عليه وسلم: (والرجل لم يقرأ كتابًا قط) (... الذي لا يقرأ كتابًا قط) وقال في الهامش ص١٣٨: (جاءت قط في هذا الخبر مع المستقبل المنفي , وقد ذهب ابن هشام إلى تخطئة من يقول: « لا أفعله قط , مكا ن أبدًا » ؛ لأن قط عندهم ظرف زما لاستغراق ما مضى, ولا تصلح مع الاستقبال ولا في الإثبات وهذا الخبر يصحح ما عده ابن هشام وأبو حيان وغيرهما خطأ)

قلت:(لم يقرأ) « لا يقرأ » هو حسب الصناعة النحوية فعل مستقبل مضارع ؛ لكنَّ الحديث يفيدُ أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلَّم يخبر عن حالٍ ماضية قائمة ؛ ولا يتسع مراد المعنى لجعل « لا يقرأ » خبرًا عن مستقبل ؛ لأنَّ الكلام عن حالٍ قائمة؛ لهذا أرى أن يبقى رأي من رأى عدم دخول قط صحيحًا, ولا دليلَ من الحديث على نقض هذه القاعدة؛ وأمَّا مثال ابن هشام على تخطئة من قرن قط بفعل مستقبل فإنَّ هذا الفعل مستقبلٌ محض ولا رائحة للماضي ولا الحال قائمة وفائدةُ بناء المستقبل للماضي الإعلامُ على الاستمرار؛ وهذ هو مدلول الحديث؛ كما أنَّ مما ورد في الحديث أنَّ الفعل

مسبوق بـ [لم] وهي أداةُ نفي وجزم وقلب ؛ فتقلب معنى المضارع إلى الماضي.

ومن مواضع صرف المضارع إلى الماضي أن يكون مسبوقًا بـ [إذ] قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)القرة ١٢٧

كذلك من مواضع صرف المضارع إلى الماضي وقوعه بعد لو قال ابن مالك رحمه الله: وإنْ مضارعٌ تلاها صُرِفَا إلى المُضيِّ ، نحو لو يفي كفى

قال في ص١٩(الأثر ٢٠٤١٠ـ [حدثنا أحمد بن يوسف قال حدثنا القاسم قال حدثنا يزيد بن جرير بن حازم, عن الزبير بن الخرِّيت = أو: يعلى بن حكيم , عن عكرمة , عن ابن عباس أنه كان يقرأها [أفلم يَتبَيَّن الذين آمنوا] قال كتب الكاتب وهو ناعس) هذا خبرٌ مشكلٌ جليل الخطر يوهمُ لفظه أنَّه طعنٌ على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)

قلت: ثم يمضي بمعالجة هذا الخبر حتى يصل إلى إسقاطه ؛ وعلى هذا فلابد أن يُقرأَ هذا الكلام موصولاً بصفحة ٦١ حيث قال: (ثم تتبعت سائر ما ذكر من مصاحف الصحابة وخلافها للمصحف الإمام , فلم أجده ذكر في مصحفٍ منها أنه خالف المصحف الإمام في هذه الآية من سورة الرعد؛ وإذن فجميع مصاحف الصحابة مجمعةٌ على كتابتها : [أفلم ييأس الذين آمنوا] حتى مصحف علي ,وابن مسعود ,وابن عباس , الثلاثة الذين جاءت الرواية عنهم أنهم كانوا يقرؤونها: [أفلم يتبين الذين آمنوا]

قلت: انظر إلى طول الفاصل من ص١٩ ـ ص٦١ يتبينُ لك أنَّ القراءة لشاكر يجب أن تكون بحضور ذهن.

وحيث إنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله مظنةٌ للمخالفة في هذه المسألة فقد قال عنه: (ولوكان أحدٌ من الصحابة ,ممن زعموا أنه كان يقرأها: [أفلم يتبين] مثبتَها كذلك في مصحفه لكان أولاهم أن تكون كذلك هو « عبد الله بن مسعود »لأنه وحده هو الذي انفرد دون سائر الصحابة , بالامتناع على عثمان)

ومما علقته على ص ١٧٢ : من المبين أن نعرف عمود الاختلاف في الأحرف السبعة ؛ حيث ورد في هذه الصفحة: (... على أنَّ عمود الاختلاف في« الأحرف السبعة» هو اختلاف الأداء وحده, كما أثبتنا من قبل ؛ لأنَّ اختلاف الأداء لا يستوجب اختلافًا في نصِّ القرآن ولا في رسمه)

وعلقت على ما في ص١٧٨ بأنه موازنة مختصرة بين أثر التوراة في اللسان العبراني, وبين أثر القرآن في اللسان العربي حيث قال: (... كان الفرق بين أثر التوراة في اللسان العبراني , وأثر القرآن العظيم في اللسان العربي فرقًا بينًا مختلف التفاصيل , وأكبر ذلك أنَّ اللسان العبراني صار بعد قليلٍ لسانًا ميتًا لا يملك أسباب الحياة ,وبقي اللسان العربي إلى يوم الناس هذا, وإلى ما شاء الله ,لسانًا حيًا فيه كلُّ أسباب الحياة في كلِّ عصرٍ وأوان)

ومن مناهجه في إثبات قضية أنه يضع لها افتراضات ثم يعيش مع هذه الافتراضات فيظنها حقيقة, فيذهب منقبًا عن الدليل الذي قد يصل إليه وقد يتوهمه وهذا خطأ في المنهج.

ومما هو في سبيلِ من هذا الموضوع أن أضيفَ ورقات كتبها الأستاذ الدكتور/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ,وهو أستاذ مشارك بقسم الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، أما بعد:

فهذه (بعض ملاحظات) على ما كتبه الشيخ المحقق (محمود شاكر) في الكتاب الموسوم بالأحرف السبعة) وهذه المقالة كتبتها بعد أن قرأت الكتاب كاملاً، وكنت أريد أن أعود إليه، وأدقق النظر فيه أكثر، وأ فهرس المحاسن والإشكالات، ليكون تقويم الكتاب أكمل، ولكن للطلب العاجل لذكر بعض الملاحظات أقدمها هنا، وأستعين بالله وحده.

أولاً: فكرة الكتاب:

كان منطلق الشيخ رحمه الله تعالى من خلال نقد ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قراءة:

﴿أفلَمْ ييْأسِ الذِينَ آمَنوا﴾]الرعد: ٣١ فروى الطبري بسنده عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَباسٍ، أنه كَانَ يقْرَؤهَا: «أفلَمْ يتبيَّن الذِينَ آمَنوا» قالَ: «كَتَبَ الْكَاتب الْأُخْرى وَهوَ نعِس») وقد أعمل الشيخ مِبضع نقد الأسانيد في هذه الرواية بمنهجية لم يستعملها علماء القراءات ولم أرها لغيرهم في الاعتراض على القراءات الشاذة.

وقد ظهر عنده في نقد الإسناد حكم مفتَرض على ما لم يطلع عليه، وذلك قوله: «وأما ابن مسعود فعسى أن يكون رويت عنه القراءة مسندة، ولكنه إسناد نرجح أنه ضعيف جدا، فلم يذكره أحد»)ص: ٥٧.

وكيف يفترض ضعف إسناد لم يطلع عليه؟!

وهذه المنهجية التي استخدمها لو سلكناها في كثير من القراءات المحكية في كتب شواذ القراءات لم يسلم لنا منها إلا القليل .

وكان يكفي في نقدها أن ينقدها من جهتين:

الأولى: أن المتن فيه نكارة، فإن نعس كاتبٌ في مصحف، فكيف هي في المصاحف الأخرى، وكيف هي عند قراء الصحابة، وهل وجد من وافقه في هذا الكلام؟

الثانية: أن ابن عباس رضي الله عنهما قد فسر الآية على قراءة(أفلم ييأس)، فأين هو من تفسير القراءة التي حكِيت عنه ؟ ونحن المسلمين نعتمد في مصحفنا على إجماع الأمة، ولا عبرة برواية منفردة، حتى لو وردت عن صحابي.

(تفسير الطبري ط هجر) ١٣ / ٥٣٧.

وههنا قاعدة مفيدة في التعامل مع هذه المشكلات، وهي أنَّ هذه القراءة لم تتعدَ وقتها، وماتت في زمنها، وليس لها امتدادٌ في تاريخ القراءات، وليس لها أيُ أثر، وبقيت مسألة علمية مروية محدودة لا مشكلة فيها عند المحققين، وإن كانت قد تشكل على بعض من لم يتقن مسائل هذا العلم، أو قد يستغلها مَن يعترض على المسلمين في نقل القرآن.

وهذان يمكن الجواب عن استشكالهما بطرق متعددة، ومنها التنبيه على مشكلة الإسناد، ومشكلة المتن التي مرَّ ذكرها، وأنها ليس لها أي أثر على صحة نقل القرآن.

ثانيا: خلا الكتاب من أي مثال من أمثلة القراءات إلا في موطن واحد نقل فيه اختلاف التغاير الذي ذكره ابن قتيبة وغيره، ولم ينسبه له ولا لغيره (ص ١٦٤ ـ ١٦٦) .

ولا تجد مثالًا من القراءات لبيان بعض الأفكار التي يذكرها الشيخ، فكيف يخلو كتاب في الأحرف السبعة عن ذكر أمثلة من القراءات لبيان تلك القضايا التي ذكرها؟!

ثالثا: تكرار لبعض الأفكار في مواطن متعددة مثل:)ص: ٢٧٥(مع)ص: ٢٧٩(.

رابعًا: فيه تطويل في العبارات، وتشقيق للكلام، مما يمكن اختصاره، وهذا ديدن الشيخ في بعض كتاباته العلمية، مع أن بيان القضايا العلمية لا يحتاج إلى تطويل العبارات التي قد تضيع الفكرة العلمية.

خامسًا: فيه افتراضات، وتصور قصص ليس عليها دليل أو قرينة قوية، كافتراض أن زيدًا جمع المصحف مكتوبًا من الرقاع واللخاف وغيرها من أدوات الكتابة، ثم إنه جمع وجوه الأحرف السبعة من أفواه الرجال، ثم دونها في حواشي الصحف البكرية، وهذا التفصيل لا دليل عليه البتة، وما ذكره من حالة خاصة، وهي نزول (غير أولي الضرر) وكتابة زيد لها على حاشية الكتف لا تعني أن هذا يكون أصلاً لعمله في جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

سادسًا: استخدام عبارات الثقة في مجال هو اجتهاد محض، وافتراض عقلي ليس هو الافتراض الوحيد، ومن عباراته في هذا:

(فقد تبين أن ضرورة العقل توجب أن يكون زيد بدأ بجمع المحفوظ في الصدور... ثم استعرض الناس فاستقرأ كل امرئ منهم جميع ما حفظ قلَّ أو كثر، وهو خلال ذلك يعارض حفظه بما كتب في قراطيسه. ثم أخذ ما اجتمع لديه مما كتبوه وعرضوه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد شهادة شاهدين على ذلك، فرتب كسَره الصغار متتابعة على ترتيب تلاوتها في قراءة السورة المحفوظة. ثم ضمَّ إليه كل سورة من المكتوب على حِدة، وكان جل المكتوب أو جميعه على الحرف الأول الذي نزل عليه القرآن قبل نزوله على الأحرف الستة)ص: ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

فانظر كيف يحكم بضرورة العقل، ويتكلم بشيء لا دليل عليه من النصوص ويفترض قصة، وكأنه حاضرٌ للحادثة؟!، وهذا منه شيء غريب جدا!

والشيخ هنا يشرح قول زيد : (فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال)،وهذا الخبر مجمل، فمن أين أخذ الشيخ هذه التفصيلات التي تحتاج إلى خبر صحيح صريح يدل عليها؟

قلت : إن كلمة (وصدور الرجال) الواردة في خبر زيد - رضي الله عنه - هي التي سوغت هذا التفصيل لشاكر ؛ وهو تفصيلٌ من الممكن أن نفهمه من هذا الكلمة ، واللخاف جمع لَخْفَه وهي : حجر أبيض عريض رقيق.

وقد تكررت عبارات الثقة في مجال الاجتهاد في غير ما موطن، ومنها.

كذلك. قوله:(فقد ثبت عندنا بالبرهان الحاسم فيما سلف ...)ص٣٢٥(.

والحقيقة أنه لا برهان هناك ولا حسم في هذه المسألة.

سابعًا: في الكتاب أقوال غريبة يتبناها الشيخ، ومنها قوله:)الأول: أن زيد بن ثابت حين كتب الصحف في عهد أبي بكر، لم يخلها من النقط كما فعل في زمن عثمان، بل كان يكتب الحرف منقوطا على صورة نقطه التي نعرفها اليوم...)ص: ٣٣٥.

وهذا غريب جدا، فليس هنا دليل على أن صحف أبي بكر كانت منقوطة، ومن أين جاء الشيخ بهذا، وصحف أبي بكر ليس عندنا منها ورقة حتى نحكم بمثل هذا.

والمشهور أن كتابة الصحابة كانت من غير نقط، وقد أكَّد هذا المشهورَما رأيناه اليوم من كتابا تٍ على صخور جبال المدينة وأوديتها وما كان حولها وما كان منتشرا من هذه الكتابات في جزيرة العرب، وهي مما لم يطلع عليه الشيخ رحمه الله تعالى.

ثامنا: وردت عبارات عند الشيخ لا يوافَقُ عليها، وهو رجل صاحب عناية بالألفاظ، فكيف صدرت منه هذه العبارات؟!

ومن ذلك:

قولـه : (وإذن، فهـذا الحشـد مـن الأسـماء التـي يأتـي بهـا المفسـرون المتأخـرون؛ كأبـي حيـان فـي تفسـيره، ورواة شـواذ القـراءات؛ كابـن جنـي فـي كتابـه المحتسـب، والناقلـون عنـه كالزبيـدي فـي تـاج العـروس= إن هـو إلا تلفيـق محـضٌ وتزييـف...)ص: ٥٦(. ثـم قـال:)... فابـن خالويـه أبعـد الجماعـة عـن التزييـف، ومـن الخلـط، والتكثـر بالأسـماء.

ص: ٥٧ . وهـذه العبـارات التـي حكـم بهـا غريبـة علـى منهـج الشـيخ الـذي يكِـن لعلمـاء الأمـة التقديـر والاحتـرام .

٢. قولـه: (أصحيـح فـي العقـل أن يكـون أبـو بكـر كان علـى هـذا القـدر مـن الغفلـة وبـطء الإدراك للكـوارث النازلـة، وبهـذه المنزلـة مـن قلـة الحفـل لضيـاع كثيـر مـن القـرآن ...)ص٢٩٠، وقـد كـرر هـذه العبـارة فـي الصفحـة اللاحقـة.

وهـل عجـز قامـوس الشـيخ رحمـه اللـه عـن أن يختـار عبـارات ألطـف ممـا نطـق بـه فـي حـقِ الصديـق أبـي بكـر؟!

وأخيـرا: هـذه بعـض الملاحظـات، ولعـل اللـه أن ييسـر كتابـةً أوسـع فـي بيـان محاسـن مـا فـي هذاالكتـاب، وبيـان مـا فيـه مـن ملاحظـات ومشـكلات .

وأسـأل اللـه أن يغفـر لـي وللشـيخ محمـود شـاكر، وأن يجعـل مـا كتبتـه وسـأكتبه مكمـلاً لعملـه، ومبينـا عـن مشـكلات بحثـه، ومنافحًـا عـن تاريـخ كتابـة القـرآن العظيـم.

والحمد لله رب العالمين.

كتبـه أ. د .مساعد بن سليمان بن نَصر الطيا ر

٢٢ / ٥ / ١٤٤٤هـ م ٢٠٢٢ /١٢ /١٦

٣٧

الكتاب رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر سيرة غير ذاتية غير موضوعية الطبعة الأولى/ عبد الوهاب المسيري رحمه الله ١٩٣٨م ـ ٢٠٠٨م اشتريته من مكتبة جرير في ١٤٣٧/٦/١٦هـ, قيمته تسعةٌ وتسعون ريالا.

مما على الغلاف: كنت أظنُّ أنَّ المغالاة في سعر الكتاب تأتي من المؤلف؛فإذاهي من الناشر أو البائع؛ وهذا ما جربته حين طلبتُ من مكتبة جرير عرض كتابي « صور من الحركة التجارية في عنيزة » وهو كتابٌ عن سيرة جدي التجارية عليه رحمة الله ورضوانه ؛ فقد طلبت مني المكتبة مقابل عرض الكتاب ٥٠٪ من قيمة البيع, ثم رفعوا النسبة إلى ٦٠٪ .

ص٥٩١ قال المسيري: (وقد أدلى الصهاينة بعدد من التصريحات تبين أنهم أدركوا الطبيعة الوظيفية للدولة الصهيونية ولسكانها الذين تمت حوسلتهم تمامًا [أي تحويلهم إلى وسيلة ليس لها أهمية في حد ذاتها] لصالح الغرب)

قلت : هذا التحليل لا يتوافق مع ما جاء في كتاب النبوءة والسياسة لغريس هالسل ترجمة محمد السماك؛ فهو يرى أنَّ وجود إسرائيل والدفاع عنها أمرٌ تقتضيه الديانة النصرانية .

قال في ص ٤٩٢: (يمكن للعرب أن يتباهوا بالدراسات العلمية الرصينة التي يكتبها علماء عرب في هذا الموضوع ,ولكنها لا تفيد كثيرًا في اتخاذ القرار السياسي والعسكري) قلت: هذه النتيجة المؤلمة لهذه الدراسات الجادة تلتقي مع مقولة لعمر رضي الله عنه جاءت ضمن رسالته لأبي موسى رضي الله عنه؛فمما جاء فيها: (لا ينفع تكلُّمٌ بحقٍ لا نفاذ له) وهو قالها مستحثًا أبا موسى رضي الله عنهما على تنفيذ ما يصدره من حقوقٍ في القضاء؛ فهذا أردع للظالم وأنصفُ للمظلوم وأسرع في دفع شؤم المظالم ورفعه عن الجميع.

ومما يلتقي مع مقولة عمر رضي الله عنه ما ورد في ص ٤٣٢: (... فالإعلام الذي لا تسنده قوة أو وضع قائم بالفعل ما هوإلا دعوة للأخلاق الحميدة التي ينصت لها إلا ذو النوايا الطيبة , وحتى هؤلاء سينسونها وينسوننا بعد دقائق)

قال في ص ٤٧٠: (... كنت أعرف من تجربتي أنَّ هناك كراهية عميقة نحو هؤلاء الخبراء بدأت تضرب بجذورها, ولا أدري حتى الآن ما السبب ؛ إذكنت من المتحمسين للاتحاد السوفيتي وأعرف «كما يعرف غيري» أنَّ وجودهم كان أساسيًا لإعادة بناء القوات المسلحة ولحماية مصر من الطيران الإسرائيلي) ولعل السببَ يتبينُ للمسيري وللقراء ولو بعد وفاته رحمه الله, ليستفيدَ غيره؛وذلك حين يسمع رواية عثمان أحمد عثمان رحمه الله من كتابه [صفحات من تجربتي]

قال في ص ٢٣١ وما بعدها: (... وأذكر أنني كنت مرتبطًا بعمل للأداء... وكنت أجد المسافة بعيدة جدًا بيني وبين القدرة على تحقيقها بسبب ما كان يحدث من الروس... كانت مؤامرة خبيثة ... فكان أن قاموا بوضع برنامج غير طموح وأعطوني من المعدات ما لا يمكنني من أن أنجح في إنجازه ... لا لينجزوا السد العالي, ولكن لينشؤوا مزيدًا من الخلايا الشيوعية التي كانوا يستهدفونها ... كانت الأهداف الحقيقية للروس من كل ما دخلوا فيه معي من معارك تتلخص في تأخير تنفيذ السد العالي بأي طريقة لكي يضمنوا الاستمرار في مصر) وهذا اقتباس والتفصيل أكثر ويستحق الكتاب القراءة والتأمُّل لمن يريد أن يأخذَ العبر.

ومما أوحى به الكتاب من الخواطر ما كتبته على جلدته إذ قلت : قد يُقدِم الإنسان على قتل نفسه ويبقى حيًا؛ وذلك حين يرخي للذائذه عنانها ويدعها في رتعتها كما تشاء, وتخبط في سكرتها من غير اعتبار لفضيلة, يصحو من غير هدفٍ إلى تحقيقه في يومه هذا ولا إلى إتمام هدفٍ بدأه بأمسه؛ غاية الغايات المتعة وحشو البطن , حتى إذا انسدت مجاري نَفَسِه وضاق المساغ رمى نفسه ينتظر الظفر بنَفَسٍ تجود به معدته ليعاودَ ملأها , هكذا هي حالة يومه كأمسه وليله كنهاره, لا يبتهج ببلوغ غاية كما يبتهج الأسوياء , ولا يألم لفوات غاية.

ومما أوحى به الكتاب: من التغرير بالنفس أن تضع صحبتك ـ مختارًا ـ مع من قلَّ خلاقهم أوعُرفوا برقةٍ في دينهم واستنكافٍ عن الفضيلة, تفعل هذا مخلدًا إلى سلامة سريرتك ؛ فهذا وإن صدقتَ به وعرفته من نفسك وعرفه خاصة أصحابك, إلا أنه لا يدفع عنك قالة السوء ولا يحجب عنك إساءة الظن بك.

ومما كتبته: تستهويني عناوين الكتب حين تكون معلنةً عن دراسة كذا؛ لأني أتوقع أن أجد مادة علمية تحليلية أي استنباط ما خلف الحروف وما تحت المعاني, وكتابات الدكتور المسيري ـ رحمه الله ـ من النوع الذي يقوم على التحليل؛ لذلك أجد فيها ما يثريني بهذا الجانب ,ولو قامت دراسة تتقصى الأساليب التحليلية عنده لوجدت مادة تغري.

تمر علي لفظة « حوسلة » وهي مصطلحٌ نحته المؤلف من كلمة (تحويلهم إلى وسيلة)

الذهنية التي تفوَّق بها المسيري ـ رحمه الله ـ ذهنية تحليلية لا تكتفي بل تتأففُ من إيراد أو حشد المعلومات مجردة ؛ فهو يذكر ويستنبط؛ وهذا منهجٌ فذٌ تفتقده كثيرٌ من البحوث؛ ويعلو نفسه في بعض الفقرات فتكاد تقول إنه يريد أن يحدث ثورةً تحليلية استنباطية على من يقتصرون على الحشد.

٣٨

الكتـاب /علـي عـزت بيجوفتـش, ٨محـرم ١٣٤٤ هـ ٢٣ شـعبان ١٤٢٤ هـ ، سـيرة ذاتيــة وأسـئلة لا مفـر منهـا, تـرجمهـا إلـى الإنجليزيـة صبـا رسـال الديـن, وياسمينة عـزت بيجـو فتـش, وترجمهـا منهـا إلـى العربيـة/ د. عبـد اللـه الشـناق ود. رامـي جـردات , ١ الطبعـة الثالثـة, اشـتريته مـن مكتبـة جريـر الريـاض فـرع الربـوة يـوم الثلاثـاء ١٤٣٧/٥/٢٨هـ , وقيمتـه خمسـةٌ وثمانـون ريـالاً.

مما كتبتُ على الغلاف؛ من واقع انجذاب مشاعري فإني استطيع أن أقـول بـأنَّ المترجمَـين نقـلا فكـرة ومشـاعر المؤلـف, وأنهمـا ترجمـا مؤمنَـين بمـا جـاء بالكتـاب

فوائد مستوحاة من هذه السيرة

* هنـاك فـرقٌ بـين كتابـات المؤرخـين وكتـاب المذكـرات الشـخصية؛ فالمذكـرات الشـخصية تعتنـي بمـا جـرى علـى الكاتـب, وتنقـل مـا لـه علاقـة فـي صناعتـه أو شـهده مـن الأحـداث, وقـد يأخـذُ كاتـبَ المذكـرات أمـران ؛ المبالغـة بذكـر إنجازاتـه, أو غمـط وتناسـي مـا قـام بـه غيـره؛ بخـلاف كتابـة التاريـخ مـن المؤرخ الـذي يـرى الأحـداث ولـم يشـارك بهـا؛ فإنـه فـي الغالـب يكـون مصـدرًا للتاريـخ, إن سـلم مـن الهـوى.

* لا يقع في ذهنك أنَّ هذا الأمر لا يتحقق إلا بك؛ فعليك البدء بالقبس الأول, ولا ترفض من يضيف أو يعدِّل ما آمنت به.

* عليك أن تضع البذرة في موضعها الصحيح ووقتها المناسب , ولا تتعجل الثمرة فقد لا تثمر كاملةً إلا بعد رحيلك, ولكي تسلم من مغبة التأنيب الذاتي والمأثم تجنب أن يكون من أصولها ما يخالف قطعيات الشريعة.

* ضع في كلِّ خطوةٍ تخطوها نسبةً للفشل والإخفاق ومهِّد خطًا للرجعة.

* السرية في العمل واعتبروا بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم مع أنها مؤيدةٌ من الله.

* يجب أن تكون مواثيق المنهج شاملةً لعموم ما يؤمن به من حولك, على أن يكون أساسها وتفصيلاتها مما تؤمن به أنت وإن تعارض مع أفكار بعض مؤيديك , فلا بد أن تظهر لهم قيادتك.

* من أشدِّ ما يعيق بعض المشروعات الفكرية أن تكون متضمنةً ما يتعارض مع الفطرة, أو أن يحسَّ الجمهور المعني بامتياز الفئة الحاكمة بما لا يستطيع الجميع الحصول عليه.

* أن يكون من ضمن برامج العمل فريق متخصص يجول بين الناس يتبنى الموهوبين في جميع المجالات , ولا يُستثنى أَيُّ مجال.

* تحفيز العاملين بحوافز مالية أو ترقيات وظيفية أمرٌ مهم ولكنه خطيرٌ أيضا, وذلك حين يحسُّ العامل بأنه لا يعمل إلا من أجل هذا ؛ لذا يجب تعميق الإيمان بالفكرة والعمل لها أولاً ثم للدوافع الخاصة.

* إذا ناظرت من يعارض مشروعك, وتيقنت أن معارضته عن حسد, فليكن هدفك اقناع الناس بحسده , ولا يكن همك إقناعه بمشروعك؛ فهو على يقينٍ من صوابك, فحتى لا يلبِّس على غيره فعليك كشف نواياه.

* لا تتوقف عن السعي لغايتك وإن كنت تسير ببطئ.

*من أجل أن يكون القائد قائدًا لابد أن يكون لديه بعض الفشل الواضح ولقد كان لدي ذلك.

قال في ص ١١٧ : (... طلبت من صديقٍ لي أن يكتب الخطاب الذي سألقيه ... لقد كان الخطاب رائعًا , ولكنه لم تكن كلماتي ؛ لقد كنت غير مقتنع البتة, وكان التصفيق فاترًا؛ وفي منتصف الخطاب طويت الورقة وتابعت الكلام مرتجلا؛ وبدا أنَّ التأثير أصبح أفضلَ بعد ذلك)

قلت: لأنَّ الكتابة تترجم الأفكار والمشاعر , فإن أنت جعلت أحدًا يكتب عنك فإنه في أحسن حالاته يستطيع ,إلى حدٍ ما أن يكتب أفكارك , ولكنه غيرُ قادرٍ البتةِ على كتابة مشاعرك , وإن توليت أنت هذا فإنك أثناء الإلقاء تعرف كيف وُلدت هذه الفكرة, فتقرأها بحروفها وتنقلها بمشاعرك ؛ فهي ستصل إلى السامع حيةً بروحها فتخلل مشاعره ؛ أما ما يكتبه الآخرون لك فسينطلق لسانك بحروفه ولن تشارِكَك مشاعرُك في هذا؛ فاحرص على كتابتها بنفسك , وإن لم تجد سعةً في الوقت فألقِها مرتجلا.

٣٩

الكتاب ذكريات علي الطنطاوي الجزء الأول/ الطبعة السابعة, راجعها وصححها وعلق عليها حفيد المؤلف مجاهد مأمون ديرانية رحمهما الله.
اشتريت مجموعة الذكريات(ثمان مجلدات) يوم الأربعاء ١١/ محرم/١٤٣٨هـ من مكتبة جرير في عنيزة

كُتبَ في مفتتح الكتاب: (يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل أو بأية وسيلة تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية أو غيرذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر)

قلت : ماذا ترك هذا المحرِّج من سبل نشر علم الشيخ رحمه الله؛ وأجزم أنَّ الشيخ عليًا لو استُؤذن في هذا التحجير لم يأذن به؛ وهذا المنطق تجاري بحت لا علاقة له بشرف العلم ومكان العلماء, فعلى الناشر الذي صرف همه للمال وحده أن يُعيد النظر أو أن يبحث عن وسيلةٍ رزقٍ أخرى.

مما استوحيته من هذه الذكريات أنَّ الفرسان ثلاثة: فارسٌ يقفز فيقع قبل الفرس فيهوي إلى الأرض , وفارسٌ يقفز فيكون بعد الفرس فيقع أيضًا على الأرض, وفارس متمرسٌ يحسن التقدير فتكون قفزته على ظهر الفرس ؛ فالأول جبان وتنقصه الدربة والدراية, والثاني متهور حُرِم الأناة وحسن التقدير؛ والثالث شجاع خبر الأمور؛

وبهذا القياس تستطيع أن تصنف الأدباء والشعراء وكثيرًا من البشر؛ فمن الأدباء والشعراء من يتعجَّل المعاني وهي فطيرةٌ لم يستبن أمرها؛ ومنهم من يمطط الكلام فلا يقع على مراده ولا تدري ماذا يريد أن يقول؛ وثالثهم يبلغ الغاية في الإفهام والتأثير.

ومما استفدته : أنَّ الإنسان قد يكون لديه علمٌ مفيد , لكنه بقياساته هو وتقديره لا يراه كذلك, وهذا القياس فيه ما فيه من إضاعة كثيرٍ من العلم الذي يحمله؛ لأنَّ الإنسان ينشر ما ينشر لا ليعلِّم نفسه , وإنما ليعلِّم غيره وأمرٌ آخر هو أنَّ قيمة ما لديك من العلم يقيسه غيرك بموازنته بما لديهم وما لدى غيرهم وكان أحد الفضلاء أشار علي أكثر من مرة بأن أقيمَ دروسًا في النحو, لكنني لم أصغِ إلى هذا بجد, فضاع علي ما أسأل الله أن يعفوَ عني وأن يعوضني خيرًا منه , وأن يغفر لي خطأي ؛وأنا لم أقل هذا بخلًا بعلمي , لكنني لم أرَ أنَّ عندي ما يقال فأخطأت بتقدير مالدي؛ أقول هذا مستغفرًا ربي ومذكرًا غيري بألا يقعَ هو بما وقعت فيه .

٤٠

الكتاب جلاء الغبش

وقفات في تعقب المختلفات في مصادر التراث

الوقفة الأولى قراءة في بعض مصادر التاريخ المحلي تأليف/ عبد العزيز بن محمد آل عبد الله؛ وصلني إهداءً من الأستاذ/ صالح العبودي أبي محمد صاحب مكتبة الطلبة الحديث في بريدة, يوم الاثنين ٢١/رجب/١٤٤١هـ.

كتب الناشر على الغلاف هذه المقولة التحجيرية : [لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية, بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر]

وهذه المقولة تجعلك تقف أمام الكتاب وقوفك أما جثة لا حراك فيها ولا تستطيع الانتفاع بها , خاصة مع هذا الاحترازات التي لم تدع وسيلة انتفاع إلا ذكرتها ومنعت منها؛ ولا أجد عذرًا للمؤلف إن قال هذا من شروط الناشر؛ فيستطيع أن يجد ناشرًا آخر , أوأ ن يتنازل عن مزيدٍ من المال للناشر ليدع هذه العبارة.

في ص ١٩ تحدث عن كتاب « تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق » (... وقد ذكر المؤلف في مقدمته أنه كتب هذا الكتاب بناءً على طلبٍ من بعض الإخوان المحبين, وقد ذكر المحقق ـ وفقه الله ـ أنَّ ابتداء كتابة هذا التاريخ كانت في الهند) ثم يسأل آل عبد الله: (فهل من المعقول أن يسأل الإخوان المحبُّون كتابة نبذة في التاريخ وهو في الهند ؟) قلت: ليس في هذا الكلام دليلٌ على أنَّ الإخوان طلبوا منه وهو في الهند ؛ بل فيه دليلٌ على أنه بدأ كتابتها وهو في الهند ؛ ثم لوكان هذا الطلب في الهند لأصبح مقبولاً لأنَّ فيها طائفةً من أهل نجد ؛ فما يمنع أن يكونَ الطلب وقع منهم وهم في الهند؟ فهم حين سمعوا سعة روايته طلبوا منه الكتابة؛ وكان ممن يتوافد على الهند جد أبي عبد الرحمن بن محمد بن عمر العُمَر ت١٣١٧هـ تقريبًا, وابنه صالح ١٣٦٦هـ وهو عم أبي, وابنه عمر وهو جدي ١٣٥٤هـ عليهم رحمة الله ورضوانه.

قال في ص ١٠: (ولعل هذا البحث يجيب على كثيرٍ من الأسئلة المحيرة ويجلي شيئًا من الغموض الذي يلف ويحيط بكثيرٍ من المؤلفات في التاريخ والأنساب والشعر الشعبي... وكانت الوسيلة الأولى , والمفتاح الرئيس لاكتشاف هذه العملية في بداية الأمر هي اللغة؛ فقد وجدت تشابهًا بينًا في الأساليب والتراكيب وطريقة الكتابة والإملاء , وقد ظهر ذلك بشكلٍ جلي في الأشعار الشعبية في البداية

ثـم قادنـي ذلـك إلـى القـراءة الفاحصـة المتمعنـة ... فترسـخت لـدي الفكـرة , تبينـت لـي مـن خـلال أدلـة وبراهـين كثيـرة إضافـةً إلـى الجانـب اللغـوي... إنَّ جملـة يسـيرة وربمـا كلمـة قـد لا تلفـت نظـر القـارئ العـادي تكـون هـي بـذرة الشـك لـدى الباحـث الـذي أمضـى زمنًـا طويـلاً فـي مطالعـة هـذه الكتـب وتشـرَّب روحهـا وأسـاليبها)

قلـت: والمؤلـف مـن خـلال هـذه القطعـة بيَّـن أنـه يسـير علـى منهـج البحـث الـذي يقـول: إن الباحـث يسـتدلُّ ثـم يعتقـد؛ فهـو لـم يضـع فـي ذهنـه ابتـداءً بأنهـم حرَّفـوا , وإنمـا هـو قـرأ فـلاح فـي ذهنـه خاطـر فتتبعـه حتـى اطمـأن إليـه بالدليـل.

وقولـه (بـذرة الشـك) قلـت: وهـذا هـو الشـك العلمـي الصحيـح , الـذي يولـد أثنـاء القـراءة, وذلـك بعـد أن يكـون المحلـل بـدأ القـراءة مطمئنًـا ثـم ظهـر لـه مـا يثيـر ويسـتدعي إعـادة النظـر والتثبـت مـن المقـروء.

قولـه : (الباحـث الـذي أمضـى زمنًـا طويـلاً فـي مطالعـة هـذه الكتـب وتشـرَّب روحهـا وأسـاليبها) قلـت : ومنهـج كشـف الزيـف أو الاختـلاف مـن خـلال إدامـة القـراءة لموضوعٍ مـا أداةٌ سـليمة لأنهـا تُشـبع القـارئ بسـماتٍ خاصـة لـذاك الموضـوع وتجعـل الباحـث قـادرًا علـى تمييـز الدخيـل مـن الأصيـل؛ وهـذا المنهـج مـن صميـم منهـج التـذوق الـذي تبنـاه محمـود شـاكر رحمـه اللـه.

٤١

الكتاب/ الصراع بين الإسلام والوثنية, تأليف/ عبد الله علي القصيمي

الطبعة الثانية اقتنيته من مكتبة والدي رحمه الله ١٤٢٦هـ.

علقت على الغلاف قائلاً: (هذا الكتاب [الصراع بين الإسلام والوثنية] لمؤلفه عبد الله علي القصيمي , بالغوا في الثناء عليه حتى قيل: إنَّ المؤلف دفع فيه مهر الجنة؛ وقال فيه الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم ـ رحمه الله ـ قصيدة مدح.

أقول مهما بالغوا في الثناء عليه , إلا أنَّ من اليقين أنَّ في نفس المؤلف شائبةً انتكس من أجلها وهي شائبةٌ لا يعلمها إلا الله, ولو كان الأمر على ظاهره لما زاغ وضل؛ فإنَّ المخلِص الذي صفت نيته وخلصت لله وحده, وسلِم صدره من الدغل والدخل والشك والاعتراض على قدر الله والتسخط منه, وكانت سريرته على ما يحب الله ويرضى؛ فإنه من المحال أن يخذله الله ؛ لأنَّ هذا الخذلان يتنافى مع عدل الله عزَّ وتنزه, ولا يليق بجلاله وعزته, بل أجزم بأنَّ هناك خبيئةً عَفِنةً خبيثة تتلجلج في صدر المؤلف, ويبطنها عن الخلق, خبيئة من أشدِّ ما يكون نتنًا لهذا جاء هتك الستر بأشدِّ ما يكون الهتك, خبيئة هي أقربُ ما يكون في تأويلها أنها تنقصٌ وازدراء لله العظيم الأعظم؛ فشاء الله بحكمته وعدله وانتقامه أيضًا خذلانه وطرده من رحمته .

وهذه الخبيئة متأصلةٌ متمكنةٌ من قلبه , وكم سمعنا عن أناسٍ انحرفوا في مبدأ سيرهم , ولكنهم مع انحرافهم قلقون على ما هم عليه, ولم يتيقنوا صواب انحرافهم فبقي قبسٌ في القلوب وإن قلَّ , إلا أنَّ الله علم ما في قلوبهم فردهم إلى السبيل وإلى طريقه المستقيم.

ودع عنك ما يعتذر به المدافعون عنه, من أنَّ سببَ زيغِه قسوةُ ظروفه وصلَف والده , فكم أناسٍ حصل لهم أدهى وأمر فلم يبيعوا دينهم بدنياهم , وأعرف أناسًا بأسمائهم وأشخاصهم كان آباؤهم يصبِّحوهم ضربًا ويمسُّونهم ظلما, فلم يؤثر هذا على دينهم, وأعرف عقبًا لهم هم من خير الناس.

وفي هذا من العبر ما يوجب على الإنسان أن يكون شديد المراقبة لقلبه ونيته وخواطره مكثرًا من قول: اللهم يامقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك. نسأل الله الثبات والعافية وحسن الختام؛ وفي زمن كتابة هذا الرَّبَض, رأيت أناسًا يعدهم من حولهم من أهل الصلاح والتقى إلا أنَّ حكمة العدل الرباني جرت عليهم فافتضح ما هم عليه من خبءٍ سيئٍ وبان ؛ وهم الآن أهل صولةٍ ودولة إلا أنَّ القلوب تفرقت عنهم ومقتتهم؛ فنسأل الله أن يردهم وأن يثبتنا على الدين.

كذلك لا تلتفت إلى ما يتزيَّنُ به بعضهم من فئة «المثقفين» من التظاهر بالعدالة الذي هم في بعض آرائهم ما هم من العلم إلا غُبَّراتٌ في أوعية سوء؛ ويقحمون أنوفهم ويدسدسون أقلامهم في نوازلَ علمية لا يعرفون منها إلا اسمها؛ وذلك في دعواهم الإنصاف والعدالة وأنهَ(مفكر)حر قدم ما قدَّم مما يراه ؛ فالدارس حين يقول ما يقول فإنه يحتكم إلى نصٍ أمامه من غير اعتبار لمن قاله أمِنْ القصيمي صدر أم من غيره.

ومن القصيدة التي قاله الشيخ أبو السمح رحمه الله عام ١٣٥٧هـ

ألا لله ما خط اليراعُ	لنصر الدين واحتدم النزاعُ
صراعٌ لا يماثله صراعٌ	تميد به الأباطح والقلاعُ
صراعٌ بَين إسلامٍ وكفرٍ	يقوم به القصيميُ الشجاعُ
وكم لك من مواقف خالدات	بها للحق عزٌ وارتفاعُ
وكم سيفٍ لدى الهيجاء ينبو	ولا يجدي بها إلا اليراعُ
وإنَّ يراعك السيَّال سيفٌ	إذا ما شمته اندكت قلاعُ

٤٢

الكتاب/الإسلام بين الشرق والغرب تأليف علي عزت بيجو فتش، تقديم عبد الوهاب المسيري، ترجمة / محمد يوسف عدس رحمهم الله، الطبعة الثامنة، اشتريته من مكتبة جرير في عنيزة يوم السبت ٢٥/١٠/١٤٣٧هـ، وكنت قد قرأت منه نسخة إلكترونية.

ومما قلته :البينية التي يعنيها المؤلف ـ رحمه الله ـ ليست بينية مكانية جغرافية؛ وإنما هي بينية دينية فكرية ثقافية منهجية وهكذا، فهناك من يتعامل مع الإنسان على أنه مادة أي جسد بلا روح وبلا نظرٍ إلى تطلعاته الروحية ،وضروراته الداخلية؛ وهناك من يتعامل معه على أنه روحٌ , مهملاً العناية بجسده، ولكنَّ الإسلام يجمع بين الطرفين ؛ فهذه هي البينية المقصودة.

ومما علقته :الحضارة نتاجٌ من أثر الثقافة ؛ فأمَّا الثقافة فهي المنتجة للحضارة؛ فالثقافة مجموعةٌ من القيم الداخلية للإنسان ؛ فهي تعبير عن داخله؛أما الحضارة فهي تمثل الجانب الخارجي الذي سببته هذه الثقافة , من هنا استطيع أن أقول بأنه ليس هناك مجموعة إنسانية مهما بلغت بدائيتها تكون بلا حضارة، ولكنها حضارات تختلف باختلاف الثقافات ؛ فكل مجموعة إنسانية لديها من المُثُل والقيم الأخلاقية والأعراف ما يقوم بحاجتها , ولا يُتصوَر أن توجدَ جماعة إنسانية خالية من الأعراف .

وجـا ء فـي هـذا الكتـاب ي١٧: (فدراسـة إنسـان « نياندرتـال » فـي فرنسـا تبـينُ أنَّ الحياة النفسية للإنسان البدائي لا تختلف إلا قليلاً جدًا عن الحياة النفسية للإنسان المعاصر)

قال أبو سهيل الأنسان لا يجري علية الانقراض، وهذا الكلام وهذه الأرقام ما هي الأ من شطحات الخيال التي لا تبنى على أساس علمي .

وكتبت عل الغلاف: حتى لا يأخذنا الإعجاب والانبهار بمثل هذا الكتاب, فينحى بنا منحى آخر , أقول إننا لا نأخذ من هذه الكتب أحكامًا في الحلال والحرام ؛ فهي ليست كتب فقه , ومؤلفوها ليسوا بعمق فهم الفقيه في استنباط الأحكام ؛ ولكنَّ مؤلفي مثل هذه الكتب قد يكونون أفقهَ في جوانب أخرى ؛ فنأخذ منها منهجًا قد لا يتعرض له الفقيه ؛ تغيبُ عن ذهن الفقيه ؛لأنَّ مساره العلمي لا يدعوه لهذا ؛ فهو في الغالب يتعامل مع نصٍ يستنبط منه, لا مع شخصٍ يحاوره ؛فالمنهج الذي نأخذُه منها أنها تعطينا رحابةً في التفكير ومساغًا في حوارٍ نافع مع المخالفين, كما أنَّ هذا الفن نتوجه به إلى غير المسلم أو إلى المسلم ناقص الفكرة , خصوصًا في المجتمعات مختلطة الديانات.

وكذلك كتبتُ على الغلاف: الكتاب المترجم إذا وُفِّق بمترجمٍ يملك سلاسة الأسلوب , قادرٍ على أن يعيشَ معاناة المؤلف , فإنَّ هذا مما يعين على قبول فكرة الكتاب , وهذا الرأي يجري على هذا الكتاب ؛ أقول هذا بعدما قرأت كتابًا مترجمًا وجدت فيه من الغثاثة وهجانة الأسلوب والأخطاء النحوية ما جعلني أضيق به ,ولم استطع إكماله , ويظهر لي أنَّ المترجم إذا كان يعيش فكرة الكتاب ؛ فإنَّ هذه الفكرة تنساب في وجدانه , ومن ثَمّ ينقلها مؤثرةً في وصف ترجمة الكتاب؛ وقد وصف المسيري وهو المقدم لهذا الكتاب هذه الترجمة فقال في ص ٩: (وقد قام الأستاذ محمد يوسف عدس بترجمة أهم كتبه « علي عزة,الإسلام بين الشرق والغرب » « إلى العربية بلغةٍ فصيحةٍ وخطاب فلسفي مركب , فجاءت ترجمته عملاً فلسفيًا راقيًا يتسمُ بالدقة والجمال» وغاب عن المسيري أن يقول وترجمة مثيرة مؤثرة ومحققة لما أراد المؤلف أن أيبثه من مشاعر.

يُبطِل نظريةَ الصدفة التي يجعلها الداروينيون أصلَ نظريتِهم, فالقائلون بها حين عجوزا عن التفسير الحقيقي , ذهبوا إلى التخمين , وهذا التخمين قادهم إليه مجانبة التسليم فذهبوا إلى غير هدى, ومبدأ التخمين الذي قالوا به والافتراض قد يلجأ إليه آخرون فيذهبون إلى نقيض ما ذهب إليه هؤلاء؛ قال المقدم في ص ١٦ ,١٧: (يبين علي عزت بيجو فتش أنَّ خلق العالم بالصدفة هو مجرد افتراض وتخمين وليس حقيقة ؛ ومن أشهر

الاعتراضات على هذه الفرضية أنَّ الإيمان بها يعادل الإيمان باحتمال أن يقوم قرد بالخبط على آلة كاتبة فيكتب لنا قصيدةً رائعة ... في نهاية الأمر ينسبون للمادة قُدرات غير مادية... إنَّ نظرية التطور الداروينية لا تفسر كيف لم يتغير تاريخ البشر الجواني كثيرًا؛ فالإنسان [بأخطائه وفضائله , وشكوكه ,وخطاياه , وكلّ ما يشكّلُ وجوده الجواني] يبرهن على عدم قابليته للتغير(فدراسة إنسان « نياندرتال » في فرنسا تبينُ أنَّ الحياة النفسية للإنسان البدائي لا تختلف إلا قليلاً جدًا عن الحياة النفسية للإنسان المعاصر)

قوله: (إنَّ نظرية التطور الداروينية لا تفسر كيف لم يتغير تاريخ البشر الجواني) حجةٌ ثرية ؛ فكيف لا يتغير ما يسرُ الإنسان وما يسوؤه؛ فالتكوين الداخلي للإنسان هو هو يوم خلقه الله ؛ فما يُحزن الإنسان قبل ألف سنة وقبل هذا بدهورٍ طويلة هو ما يحزنه الآن؛ وكذلك ما يسعده؛ ومثل هذا غرائزه الأخرى فهو يجوع فيأكل يعطش فيشرب يخاف فيهرب يخجل فيتوارى يثور فينتقم يضحك يبكي... إلخ فلماذا لا تتطور هذه المكونات؟!

وفي ص١١ :(... إنَّ ماركس رغم أنه ملحد لكنه ـ على حد قول برتراند رسل ـ بشَّر بأمل كوني لا يمكن تبريره إلا إذا كان صاحبه من المؤمنين بالألوهية , أي شيءٍ متجاوز للواقع المادي المباشر)

قلت وأنا أعزو هذا التبشير من ماركس بأنه حديث الفطرة التي فُطر عليها؛تحدث من غير وعي لهذا النداء الداخلي ؛أوأنه عَلِم مآل المؤمنين في الآخرة فأراد أن يجذبهم إلى مذهبه بوعدهم بأنَّ النعيم سيتحقق لهم في هذه الدنيا.

قال في ص أيضا١١ : (والماركسية تتبنى في إطارها المادي « فكرة الحتمية التاريخية « قلت: الحتمية التاريخية مصطلح فلسفي يعني أنَّ التاريخ وأقول: «الحياة « بتعبير أشمل يسير إلى غاية مكتوبةٍ عليه ومحتومة ؛ والفلاسفة يحاولون التعرف على ما يؤثر في هذا المسار؛ وهذا المصطلح يلتقي مع معتقدنا بأنَّ الإنسان مسيَّر ولكنهم جهلوا أو تجاهلوا هذا المعتقد؛ فظنوا أنهم كشفوا ما لم يُسبَقوا إليه.

ص ٥٢:(فمنهم ـ يعني الماديين ـ من يقول : إنَّ التاريخ لا يسير على رأسه؛وآخرون يقولون العكس تمامًا : العباقرة يصنعون التاريخ.

وقولهم: [إنَّ التاريخ لا يسير على رأسه] يعني أنَّ الضعفاء يسهمون في صناعة التاريخ؛ فهم ليسواعلى هامش الحدث .

قلت: هنا وقفة , فليست كلُّ أحداث التاريخ هي من صنع العباقرة أو القادة ,صحيحٌ أنَّ الزمام لا يكون بيد ضعيف, لكن الجميع يشاركون في صناعته, بل الحمقى بل المجانين لهم يدٌ في صناعة التاريخ, ومن أراد الشاهد فليرجع إلى الكتب التي تحدثت عن الحمقى والمجانين المغفلين.

ص ٥٤: (الطوباويات الجديدة) قلت: طوباوي منسوبٌ إلى طوبى وهي شجرةٌ في الجنة؛ ومصطلح طوباوي يعني أنَّ الموصوف بها يسعى إلى مثل عليا يستحيل تحقيقها في الواقع.

و في هذه الصفحة قال : (تبقى الأفكار كماهي تؤثر على العالم , ليس بمقتضى معانيها المنتحلة وطبائعها الموقوتة, ولكن طبقًا لمعانيها الأصلية وطبائعها الحقيقية) أي أنَّ المذاهب الفكرية مهما حاولتْ قلب الحقائق أو إخفاءها, أو إعطاءها مفاهيم تطبيقية مغايرة لحقيقتها , واجبار الجمهور على القناعة , فتبقى مؤثرة طبقًا لمدلولاتها الأصلية.

ومن ما محاسن الترتيب أنَّ مما وقع في آخر الكتاب موضوعًا عنوانه: (التسليم لله) فأحببت أن يكون هذا الموضوع ختام حديثي عن هذا الكتاب؛ لما فيه من تفكُّرٍ إيماني أعزو إليه نجاح بيجوفتش رحمه الله ؛ومما جاء فيه: (... دعنا ننظر في حياتنا لنرى ماذا تبقى من خططنا العزيزة على أنفسنا وما بقي من أحلام شبابنا ... في التسليم لله يوجد شيء من كل حكمة... إنه اعترافٌ بالحياة على ما هي عليه وقرارٌ واعٍ بالتحمُّل والصمود والتجمُّل بالصبر ,وفي هذه النقطة يختلف الإسلام اختلافا حادا عن المثالية المصطنعة وعن الفلسفة الأوربية الساذجة ... ذلك لأن التسليم لله هو ضوء يانع يخترق التشاؤم ويتجاوزه؛ كنتيجة لاعتراف الإنسان بعجزه وشعوره بالخطر وعدم الأمن يجد أنَّ التسليم لله في حد ذاته قوةٌ جديدة

وطمأنينـة جديـدة؛ إنَّ الإيمـان باللـه والإيمـان بعنايتـه يمنحنـا الشعور بالأمـن الـذي لا يمكـن تعويضـه بأي شـيءٍ آخـر... إنَّ التسليم لله هو الطريقة الإنسانية الوحيـدة للخـروج من ظـروف الحيـاة المأساوية التـي لا حـلَّ لهـا) .

٤٣

الكتاب المثقفون المزيَّفون

النص الإعلامي لخبراء الكذب

المؤلف/ باسكال بونيفاس ترجمة /روز مخلوف الطبعة الأولى.

في كثيرٍ منه أضعه تحت عنوان [لا ينفع تكلُّمٌ بحق لا نفاذ له] فهو متنفسٌ لهموم يجدها المرء في نفسه لكن لا يصنع حلولاً لها؛ وفي جملةٍ من مطروحاته هو لا يعطي أفكارًا جديدة ولا حلولاً قابلةً للتنفيذ, وتجد مطروحاته أحيانًا من ثقافة أطفالنا؛ ومن حيث الصياغة يقوم كثيرٌ مما في الكتاب على أسلوب الجملة الاستئنافية , فعليك وأنت تقرأ أن تستعدَّ لنهاية الفقرة والتحوُّل إلى فقرةٍ أخرى من غير رباطٍ أسلوبي؛ وبهذا الأسلوب تُفقد الوحدة العضوية للأفكار المطروحة ؛وهذا بسبب الترجمة أوأنَّ هذا هو أسلوب المؤلف؛ كذلك الرباط المعنوي بين ما طُرح في الكتاب مفقود ؛ فأنت تستطيع أن تقرأ الصفحة من أولها أو وسطها أو آخرها فلا تجد تشويشًا على المعنى المراد؛ فهو يجري على وحده الجملة لا على وحده الموضوع ؛ وأقرب شبهٍ له في ترثنا فن المقامات ومثلها من ذوات الموضوع الواحد رسالة ابن زيدون الهزلية , وهذا لا يؤثر على ما فيه من آراء ثمينة ومثمرة, هذا كلامٌ عن أسلوبه في عرض الفكرة ولكن ستجد في التعليق عليه أفكارًا جاذبة.

من الشذرات في هذا الكتاب أنَّه عندما بين وجهة نظره في سقوط المبررات التي من أجلها غُزِي العراق, قال ص٨: (عندما تكذب النخب على هذا النحو , علينا ألا نستغرب إعراض الجمهور عنها)ص٩: (أقول وأكتب ما أفكر به , لا ما أظنه في صالحي)ص١٤: (لقد حصلوا على اعتراف المواطنين ... لا لأنهم دافعوا عن مصلحتهم الخاصة؛ لأنهم وضعوا شهرتهم في خدمة من لا شهرة له)فهم انتهزوا شهرتهم فوظَّفوها لخدمة العامة؛ وفي ص ٢٦: (استخدام الحجج الأخلاقية كونه حيلة لا متلاك القوة لا غير , ليس بالأمر الجديد ... لقد استُخدمت الأخلاق من أجل شرعنة العمليات العسكرية , ولم تكن هي الدافع الحقيقي وراءها)

في ص ٣٧ بعد أن ذكر التشابه في الفكر بين محافظين أمريكيين ومثقفين يهود قال: (يرى الطرفان بوجود صلة بين الأخطار التي تهدد إسرائيل وتلك التي تهدد العالم الغربي ؛ وهذه الصلة مكونة من خمسة حروف: أ س ل ا م)

٤٤

الكتاب قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلاَّم

تاريخ الاقتناء ٨/شوال/١٤٤٢هـ المؤلف محمود محمد شاكر رحمهما الله

ومما علقته بين صفحتي١١ـ ١٤ أنَّ الجاحظ حدَّد عُمْر الشعر حيث نقل عنه شاكر في ص١١: (... وأمَّا الشعر فحديث الميلاد صغيرُ السن ؛ وأولُ من نهج سبيلَه وسهَّل الطريق إليه: امرؤ القيس بن حُجْر , ومهلهل بن ربيعة) ثمَّ تعقبه شاكر قائلاً ص ١٤: (... وهذا الأسلوب الحسابي لا يغني ولا ينفع إلا في أمرٍ واحد , وهو ما بلغنا من شعر مهلهل وابن أخته امرئ القيس لا أكثر ... فقول الجاحظ: إنَّ الشعر: حديث الميلاد صغيرُ السن قضيةٌ باطلة , لا برهان عليها , وليس لها دليل , وهي مقالةٌ لا أصل لها ... وليس يبقى في أيدينا من استظهاره الذي استظهره إلا أمرٌ واحد , هو أنَّ امرأ القيس والمهلهل من أقدم شعراء الجاهلية الذين انتهى إلينا شعرهم) وقال في ص ١٦: (... وهي في الحقيقة دعوى لا نسبَ لها ... لم يسبقه إليه احدٌ من نقاد الشعر وحَفَظته... فتبين عندي أنَّ الجاحظ اطلع على نسخةٍ من كتاب ابن سلاَّم فنقل منها)

قلت : من المزالق العلمية التي يَهوي بها الباحث أن يروقَه رأيٌ سُبق إليه صيغ بعبارة دقيقة معبرة عن المعنى المراد , ثم يأخذه منسوبًا إليه بعبارة تُسقط الاستدلال به, فيوهم من جاء بعده بأنَّه متبوعٌ لا تابع.

حتى يأتيَ من أهل العلم من يبين الزبد والنافع, كما فعل محمود شاكر في إسقاط دعوى الجاحظ في أولية الشعر.

وفي ص ٣٦أورد بيتًا لمضرِّس بن ربعي الفقعسي :

وليلٍ يقول القوم في ظلماته   سواءٌ بصيراتُ العيون وعُوُرها

قلت : هذا البيت تتمثل به حين تتهاداك الآراء التي يحسِّنها النظر, ولا يحسِّنها الدليل ,ثم يقذفك الرأي إلى نقيضه , ثم يعاودك التهادي إلى ثالث , وهكذا تسير فلا تحسن الوقوف , ولا البتَّ بالرأي.

(يا يونس إني لأجد بيانها على قلبي ؛ ولكن لا ينطق بها لساني)هذا ما أجاب به الشافعي يومًا يونس بن عبد الأعلى.

وحين قرأته في ص ٤٤ قلت: وهي كلمةٌ عجيبة يُحِسُّ حرَّها كلُّ من عالج الموازنة والتحليل واتخذ هذا منهجًا لدراسته, فقد يقع في تطلُّب رأي يجد مسَّ معناه على لسانه لكنَّ قلمَه غيرُ قادرٍ على قذفه على الورق, قلت: ومن ذا لا يحسُّ ما أحسست يا إمام رحم الله الجميع.

في ص٥٤ قال: (وإذا كنت قد اتهمتُ ابن سلاَّم بالخطأ في عبارته فلم اتهمه إلا معي حجتي... جاء رجلٌ إلى مجلس أبي زيد الأنصاري فسأله عن

مسألةٍ في النحو فأجابه, فقال الرجل : إنَّ سيبويه لا يرضى بهذا! فقال أبو زيد اسكن يا صبي, لقد جلستُ هذا المجلس قبل أن يولد سيبويه بثلاثين سنة, فعلق على هذا الخبر أبو أحمد العسكري» الحسن بن عبد الله بن سعيد ٢٩٣هـ ـ ٣٨٢هـ فقال: وهذا جوابٌ غير مُرضيٍّ , وكان يجب أن يتصرف مع الحجة لا مع كِبَر السن , وصدق أبو أحمد , ونعم ما قال) ثم قال شاكر: ونحن بحمد الله , نتصرف مع الحجة ,لا مع هيبة أبي عبد الله بن سلاَّم وجلالة قدره, معترفين له بالسبق والإمامة والإحسان كلَّ الإحسان فيما بقي من علمه , وليس يعيبه أن يستدرك عليه من لا يلحق بغباره رحمه الله وغفر لنا وله)

قلت: تعليق العسكري صحيح ,وصحيحٌ أيضًا أنَّ السائل لم يحسن التأتي في اعتراضه ,وأصحُّ منهما تعليق أبي فهر في تأدبه مع العلماء وحفظ منزلتهم.

ومما علقت على بيت ذي الرمة:من طرائف ما اغتنمته النساء اللائي تغزل بهنَّ ذو الرُّمة امرأةٌ اسمها « خرقاء « , فإنها حين سمعت قول ذي الرمة:

تَمامُ الحَجِّ أن تَقِفُ المَطايا عَلى خَرقاءَ واضِعَةِ اللِثامِ

قالت : أنا من مناسك الحج.

٤٥

الكتاب/ تفسير التحرير والتنوير، المقدمة العاشرة في إعجاز القرآن

تأليف سماحة الاستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور١٣٩٣هـ رحمه الله

التعليق على المقدمة العاشرة.

مما كتبت على الغلاف: ولو قصرنا القول بإعجاز القرآ ن على بلاغته فأين نذهب بمن آمن به وتأثر وهو أعجميٌ لا يحسن العربية ولا يتذوق أساليبها، بل أين منا نحن التعرف على كامل إعجازه وقد نأى بنا الشوط عن بلاغة العرب.

ومما علقته: لا معنى لرد الإعجاز إلى الصِّرفة وقصره عليها، بل لا معنى لقصر إعجازه على وجهٍ واحد؛ لأنَّ الله ـ سبحانه ـ حين طلب الإتيان بمثله يعلم تناهي قدرة المتحدِّين وتقاصرها عن هذا، لا لأنهم يقدرون ولكنَّ الله صرفهم، ولكنهم يرون أنفسهم قادرين على الإتيان بمثله محتكمين ومعوِّلين على مبلغهم من الفصاحة، وما فُطِروا عليه من البيان؛ كما أن في التحدي منزعاً أخر وذلك أنها شهادة على بلاغة العرب والعربية، فالتحدي يكون بين الأنداد الذين يؤمل غلبت بعضهم لبعض وان شط الفرق بين الفرقين كما يكون مرادَ به البيان فلمَّا خاضوا غمار المحاولة انقطع مطمعُهم وافتضح أمرهم ،وخيرُ للعاقل أن يكفَّ عن طلب ما لا طاقة له به؛ فهو إن دخل في هذا ظهر للناس من نقصه ما يُزري به ويفلُّ جمعه ويحطُّ قدره؛ كما رُوي

من خزعبلات مسيلمة الكذاب: (الفيل ما الفيل , وما أدراك ما لفيل , له دنب وبيل وخرطوم طويل, وإن ذلك من خلق ربنا لقليل)

(والطاحنات طحنا , والعاجنات عجنا , والخابزات خبزا , والثاردات ثردا , واللاقمات لقما , إهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر , وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه , والمعتر فآووه , والباغي فناوئوه)

ولو أنَّ الأمرَ مردودٌ إلى الصَّرفة لما تحداهم الله سبحانه وقد جرى بعلمه أنَّه سيصرفهم عن محاولة التحدي ؛ فهذا منافٍ لحكمته سبحانه كذلك يتنافى مع كمال عدله ؛ ولا شكَّ أنه عزَّ وجلَّ قادرٌ على صرفهم عن المعارضة, بل عن الهمِّ بها, ولكن يبطل التحدي.

وجانب الإعجاز البلاغي , وجانب الإخبار بالمغيبات المستقبلة والماضية, لا ينبغي حصر الإعجاز عليها؛ فهذه وجوه إعجاز قد يكون الانتفاع والإقرار بها لأهل العلم باللسان العربي , بلاغته وبيانه , لكنَّ هناك وجوهًا تكون عامة لأهل العلم وسواهم , وهي لكلٍّ من قرأ الكتاب العظيم ؛ومن هذه الوجوه أنَّك تختم القرآن بسورة الناس ثم تبدأ بساعتك هذه من الفاتحة, فتجد أنَّك ابتدأت تلاوةً جديدة لا علاقة لها بسابقتها؛ فلذته متجددة مع كلِّ تلاوة , ومن وجوه إعجازه أنَّ القارئَ يقرأ بالساعات الطوال فلا يمل, ولو قرأ كتابًا من كتب العلم التي تأنس بها نفسه وينجذب إليها عقله لم يستطع أن يُمضيَ الوقت نفسه ؛ ومن إعجازه أنَّ نعيمك معه يتجدد مع كلِّ فتحٍ يفتحُ لك من معانيه .

ولم نجد القرن الذين أنزل عليهم القرآن ــ رضي الله عنهم ـ يتمدحون ببلاغته وبيانه قاصرين همتهم على ذلك , ولم نجدهم قرأوه تطلُّبًا لشيءٍ من هذا؛ لأنَّ قراءته لهذا الوجه تنأى بصاحبها عن أُنس القلب ورتعته؛ وما يدرك بالعقل يمكنك الإفصاح عنه ووصفه , وأمَّا ما يدرك بالقلب فإنك تجد مسَّه وأثره في مجرى دمك وقد يُعْيِيك وصفه وبيان حقيقته, بل سيعييك إن رمتَ وصف غاية ما تجد وصفًا يمثّل حقيقة ما تحسه؛ ونعرف أقوامًا لا يعلمون أنَّ هناك علومًا اسمها علوم البلاغة؛ ولا يتكلمون في نحو: قال كذا لأجل كذا , ونجد أنهم لا يشبعون من تلاوته , وأعرف جارًا لي يتلو كلَّ يومٍ عشرة أجزاء وهو من أبعد الناس عن علم البلاغة, هذا إن كان يعلم أنَّ هناك علمًا اسمه بلاغة ؛ بل إنَّ من الذي يتلونه عجمًا لا يعرفون من العربية إلا ما تقوم به حاجتُهم وهم ملازمون لتلاوته, ولي جارٌ أيضًا هو من هؤلاء .

ومن إعجازه القشعريرة وليونة الجوارح متأثرةً بتلاوته أو سماعه, والسكينة التي تملأ القلب ,والعجيب أننا نقرأ مقطعات العرب وما قالوه في المنافرات والماتنات, و مما كانوا ينطلقون به على سجيتهم فنطرب ونهتز لما فيها من البيان, ثم نذهب إلى قراءة هذه السقطات التي هوى بها محاولو محاكاة القرآن, فنجد السخف الساخف, والهذر المشين, فنقول: هل هذا اللسان هو هذا اللسان؟ لما نجد من عظيم المباينة وبعد المفارقة .

ولا منتهى للحديث عن هذا , وأختم بما بدأ به بن عاشور كلامه ص١٠١ : (لم أر غرضًا تناضلت له سهام الأفهام , ولا غايةً تسابقت إليها جياد الهمم فرجعت دونها حسرى واقتنعت بما بلغته من صُبَابةٍ نزرا؛ مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن)وصلى الله وسلمً على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

قال في ص ١٠٥: (... من وجوه إعجاز القرآن وهو ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة... فهذا معجزٌ للعرب الأميين خاصة وليس معجزًا لأهل الكتاب) قلت : بلى هو معجزٌ لأهل الكتاب لكن ليس من باب ورود أخبار الأمم السالفة؛ لأنَّ هذه الأخبار بعضها موجودٌ في كتبهم , لكنَّ إعجازه بالنسبة لهم أن يتلوَ هذه الأخبار رجلٌ أميٌ ما تعلم كتابًا قط صلى الله عليه وسلَّم.

٤٦

كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية

تأليف الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي ٣٢٢هـ عارضه بأصوله وعلَّق عليه/ حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي.

قال في ص ٧٤: (وقد قال بعض العلماء باللغة: لو أنَّ الناس عهدوا أن ينقلوا قوله عزَّ وجلَّ : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) القمر ٤٥ وقوله : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ) المائدة٥٤ لما قدروا عليه لأنَّ هذا السين في قوله: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) وفي قوله : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ) لا يمكن نقلها البتة) قلت : لا يقصد هنا السين الحرف المجرد أوالصوت؛ فهذا الحرف من السهولة نطقه في لغات العجم ,لكن المقصود أنَّ هنا دلالةً بلاغية تختص بها العربية لا تستطيعها الألسنة الأخرى؛ فهي تؤذن هنا بالوعيد والتهديد , وليس لها هذه الدلالة في لغة العجم ؛ وهذا الأسلوب ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم؛ فمن هذا قوله تعالى (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) آل عمران ١٨٠ وقوله تعالى:(سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) الأنبياء ٣٧؛ وقوله تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)الشعراء ٢٢٧

في ص٧٩: (التوهم وما قيل فيه ... إنَّ التوهم الذي يوصف به المخلوق هو ما يخطر ببالهم ؛ تقول: توهمت الشيء إذا خطر ببالك قبل أن تتحققه ؛ هذا الذي يقال في المخلوق , ولا يقال في الخالق عزَّ وجلَّ توهم على هذا المعنى , وإنما يقال: توهم الشيء ؛ أي أنه أبدعه عنده قبل أن أظهر صورته)
قلت: رجعت إلى أساس البلاغة, وإلى مختار الصحاح والعين والمحيط في اللغة وتهذيب اللغة, فلم أرها تُسعِف أبا حاتم رحمه الله فيما ذهب إليه؛ وإنما هو أمرٌ توهمه في نفسه , ومعنى أضافه بفهمه , ولكنها زلة عالم أسأل الله له المغفرة .

٤٧

الكتاب/ معاني النحو

المؤلف الدكتور فاضل صالح السامرائي/ الطبعة الشرعية الخامسة/ اشتريته من مكتبة الرشد في بريدة يوم الأحد ٢٠/ شعبان/١٤٣٩هـ,وقيمته مائة وأربعون ريالا, وهو من الكتب التي وجدت فيها أنَّ شهرة المؤلف أسرعت بشهرة الكتاب.

قال في ص ١٣ :(... بل ربما تكلَّم الناس بكلام لا يفهمون معناه ولا ألفاظه... ونحو ذلك قولهم : » حي الله « بمعنى أيًا كان)

قلت : [حي الله] تركيبٌ مستعملٌ في دارجتنا ؛ ومما أتى على البال من أصل هذا التركيب , أنَّه من فعلٍ وفاعل ؛ والمفعول محذوف يقدر كما قال المؤلف [أيًا كان] كأن تقول: أتريد ماءً أم لبنًا ؟ فأقول : حي الله, كأنَّ أصلَ التركيب حي اللهُ ما جئتَ به, ولهذا التركيب دلالة أخرى تفهم من سياق الكلام , فأقول : أَحْضِر حي الله, ويقصد بها هنا المساهلة في تحقيق المطلوب , وإذا جاء بالنهي فيراد به الحث على الاعتناء بالمطلوب, فأقول: لا تحضر حي الله, ويراد به الاستحثاث في تنفيذ الموعود أو المطلوب, كما يراد به الوصية للعناية والحرص على الجودة ويفهم هذا من السياق كأن يكون المقول له متعجلاً الموعود أو غير موقنٍ من الواعد.

قولـه : « لا يفهمـون معنـاه » هـذه الجملـة فـي دقتهـا نظـر ؛ فالمتحدثـون يفهمـون المعنـى والا لمـا سـيقت هـذه اللفظـة أوتلـك, وإنمـا الغائـب عنهـم أصـل هـذا التركيـب؛ فالمعنـى الحرفـي غيـر مقصـود فـي بعـض الألفـاظ, بـل غيـر معلـوم, فتـورد اللفظـة أو الجملـة لمعنـى اصطلاحـي يفهمـه الجميـع, وهـذه هـي الغايـة مـن اللغـة التـي هـي تبـادل المـرادات بـين المتكلمـين.

وممـا علـى الغـلاف: يكثـر فـي هـذه الطبعـة سـقوط الهمـزات السـفلى , مثـل: الاعـراب, الابانـة(الإعـراب الإبانـة) ويسـقط غيرُهـا كذلـك.

قـال فـي ص ٥ : (مـا الفـرق بـين قولـك: (لا رجـلَ ـ بالفتـح ـ فـي الـدار)و(مـا مـن رجـل فـي الـدار) قلـت: الـذي يظهـر لـي أنَّ الفـرق بـين التركيبـين أنَّ النفـي بــ (لا) نفـيٌ لوجـود جنـس الرجـال؛ والنفـي بــ (مـا) نفـيٌ للكمـال أي أنَّ الـدار فيهـا رجـلٌ لكنـه لـم يبلـغ الكمـال فـي نظـر المتكلِّـم , كمـا تقـول لمـن سـألك : هـل نـزل عليكـم مـن مطـر؟ فتقـول: مـا مـن مطـر؛ فأنـت هنـا لا تنفـي نـزول المطـر , ولكنـك تنفـي نزولـه بقـدر مـا تأمـل, بخـلاف قولـك : (لا مطـر) فأنـت تنفـي النـزول بالكليـة؛ والتفريـق جـاء لدخـول مِـن, ولـوكان التركيـب : [مـا رجـلٌ فـي الـدار] لاتجـه النفـي والفهـم إلـى النفـي عامـة.

قلت في قولة تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) يسين ١٣ ,١٤ , ١٥فحصل منهم نفيان بـ « ما «فلما أرادوا المبالغةَ في النفي وتيأيس المرسلين من الاستجابة, اختلفت أداة النفي من ما (إلى) إنْ التي هي بمعناها لكنَّ مدلولها في النفي آكد

ص١٧ـ ١٨:(وتقول الذي يدخل الدار له جائزة) و(الذي يدخل الدار فله جائزة) فالجملة الأولى ذات دلالة احتمالية... وأما الجملة الثانية فذات دلالة قطعية)

قلت : هذا التعليل ليس مطلقًا وليس قطعيًا؛ فمما خلا من الفاء ودلالته ليست احتمالية بل هي قطعية قوله تعالى:(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ)الرعد ٢٩, وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) العنكبوت ٧ فلم يتصل خبر الموصول بـ « فاء « والدلالة لاشك قطعية؛ ولكن من التعليل لورود الفاء أنَّ الاسم الموصول ضُمِّن معنى اسم الشرط: [من يدخل الدار فله جائزة] ودخلت الفاء على جواب الشرط لأنه جملةٌاسمية.

ص٢٣ : (... ورفع زيد على أنَّ الفعل لمَّا لم يُسمَ فاعله) قلت: الصواب « لِمَا » بدون شد ؛ لأنَّ ما موصولة, ولو كانت لمَّا الحينية لاضطرب الكلام وبقي خبر إنَّ مجهولا.

ص٢٤ : (وذكر لنا الزمخشري أنَّ أعرابيا مرَّ فسمع مؤذنًا يقول: أشهد أنَّ محمدًا رسولَ الله , بالنصب فصاح الأعرابي : ويحك ما فعل؟)

قلت: السبب الذي دعا الأعرابي للصياح: أنَّ المؤذن نصب كلمة « رسول » وهذا يجعلها بدلاً من [محمد] وليست خبرًا لإنَّ ؛ فقوله : ماذا يصنع كأنَّ الأعرابي ينتظر سماع الإخبار , فلما جاء ت رسول منصوبة خفي موضع الخبر والتبس المعنى.

ص ١٠٩ : (وقولنا : (خلق الله الإنسان من الطين)أي كلَّ إنسان, وقولنا [الماس أثمنُ من الحصاة] فإن كلَّ ماسة أثمنُ من كلِّ حصاة) قلت الألف واللام في» الماس» من أصل الكلمة ؛ وليست للتعريف ؛ فالصواب أن نقول: الماسة, وعلى هذا يكون التمثيل بـ « ماسة « خطأ.

٤٨

الكتاب/ العربية / دراسات في اللغة واللهجات والأساليب

تأليف يوهان فك مع تعليقات المستشرق الألماني شبيتالر/ ترجمة الدكتور رمضا عبد التواب/ مهدى من أخي العزيز / حمد بن إبراهيم القنيبط أبي أسامة في ١٤٠١/٧/١٧هـ.

قال في ص ١٧: (ففي القرآن , لأول مرة في تاريخ اللغة العربية, ينكشف الستار على عالمٍ فكري ... على حين أنَّ هذا الأثر العظيم ,الذي وجد التعبير الموائم لمضمون جديد برُمته إنما يصور مجهودًا لمحمد صلى الله عليه وسلَّم جدُّ أصيل, لا ينقض قيمته أنَّ محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه كان يرى أنه وحيٌ إلهي تلقاه في أوقات الاستغراق الديني)

وقفة بيان

قلت : كلُّ مؤلفٍ يبني كتابه على إثبات فكرة أو نفي أخرى مما كتبه المؤلفون قبله , ثم يأتي مؤلف آخر يهدم أو ينفي أويثبت أويعزز وهكذا, فهل يجدون في القرآن الكريم هذا المنهج , أي هل تعامل المتلقون له كما نتعامل مع الكتب المؤلفة , فهل قام أحدٌ بتأليف كتاب ينقض فيه شيئًا من القرآن الكريم وادعى أنه وحي؛ ولو كان هذا ووقع لكان العرب الذين أُنزل عليهم أولَ من صنع كتابًا , وقد مرَّ علينا سقوط همتهم حين عزوا أمر تركِهم الإتيان بمثله إلى مشيئتهم وأنهم إنما تركوا الإتيان بمثله لأنهم لم يشاؤوا ؛ وهذا أوهى سبب يلوذ به مخذول .

ثـم علـى زعمهـم ألا تـرى أنَّ الكتـب المؤلفـة يجـري علـى كثيـرٍ منهـا الضيـاع , وأخـرى يجـري عليهـا الحـذف أو الإضافـة, وأخـرى تُنسـبُ مـع تقـادم الزمـان إلـى غيـر مؤلفهـا, ويجـري علـى العناويـن مـا يجـري علـى مـادة الكتـاب ؛ ومـن الكتـب مـا يكتـب لـه القبـول فـي وقـت ثـم ينسـى, فهـل شـيءٌ حصـل مـن هـذا مـع القـرآن العظيـم؟

ونعلـم أنَّ مـن أجـلِّ كتـب الأسـلاف عليهـم رحمـة اللـه ورضوانـه موطـأ الإمـام مالـك رحمـه اللـه وقيـل فيـه: « إن الموطـأ أخمـل سـبعين موطـأً , فهـل قـرأ النـاس قرآنـا غيـر هـذا نقـول فيـه إنَّ القـرآن أخملـه!؟.

أتبـاع أي فكـرٍ مـن الأفـكار التـي نـادى بهـا أصحابهـا عبـر التاريـخ نجـد أنهـا يُكتـب لهـا القبـول , ثـم مـا يلبـث هـذا أن يتنـاقـص حتـى يُنسـى ويكـون أثـرًا بعـد عيـن, أمَّـا القـرآن فنجـد أنَّ أتباعـه فـي ازديـاد, تـلاوةً وخدمـة؛ ومـن الكتـب مـا يُقابَـل بالجحـود فـي عصـر مؤلفـه فـلا يـكاد يذكـر إلا بعـد ذهـاب الجيـل والجيلـين, أمَّـا القـرآن ففَـرَحُ التلقـي بـه مـن سـاعة نزولـه وسـيبقى إلـى أن يـرث اللـه ومـن عليهـا.

ثـم إنَّ كتابًـا مضـى عليـه هـذا الدهـر المتطـاول , وجـاء بعـده كتـب مؤلفـة لا حصـر لهـا هـي مـن صنـع البشـر, فـإذا جـرى عليهـا قلـم المحققـين نجـد أنَّ كلَّ محقـقٍ يختلـفُ عـن غيـره بزيـادة أونقـص, ونجـد أنَّ مـن عناصـر التحقيـق أن يقـول المحقـق مـا يفيـد بصحـة نسـبة الكتـاب إلـى صاحبـه , ومـا يفيـد بـأنَّ هـذا هـو العنـوان الـذي وضعـه المؤلـف , وذلـك بعـد أن يذكـرَ الخـلافَ حـول هـذا, فهـل جـرى شـيءٌ مـن هـذا علـى القـرآن الكـريم؛ ونجـد أنَّ الكتـب يُكتـب لهـا مقدمـات تبـين غايـة المؤلـف , وتبـين مـا وجـده مـن قصـور فـي كتـب مـن سـبقوه؛ فهـل جـرى هـذا علـى القـرآن الكـريم؟!

وقـال فـي ص ١٠ وهـي مـن كلام المُقـدِّم (أنطـون شـبيتالر) يناقـش فيـه المؤلـف:(ويـرى «فـك» بعـد ذلـك أنَّ القـرآن الكـريم معـربٌ إعرابًـا كامـلا, ويؤيـد كلامـه بأمثلـةٍ مـن القـرآن ... ولكـن الدليـل علـى ذلـك ليـس هـو حريـة حركـة المفـردات فـي داخـل الجملـة , وإنمـا يكمـن الدليـل فـي أنَّ القـرآن ليـس أقـلَّ فـي الدرجـة مـن أقـوال الشـعراء والخطبـاء والكهـان)

قلت: يـرى أنَّ شـرف القـرآن الإعرابي ـ ويعنـي إبانتـه ـ لا يقلُّ فـي الدرجة عن أقـوال الشـعراء والخطبـاء والكهـان ؛ ومفهـوم هـذا أنـه جعـل أقوالهـم المثـال الـذي يحتـذى؛ ,ثـم إنـه زعـم أنَّ القـرآن بليـغٌ لأنـه لا يقـلُّ جـودةً عـن كلام هـؤلاء , فـلا هـو تـذوق كلام الكهـان والشـعراء والخطبـاء علـى حقيقتـه, ولا هـو أدرك حقيقـة اللفـظ القرآنـي ؛وهـذا أقـوى دليـلٍ علـى فسـاد السـليقة لديـه فكيـف نعتـدُّ برأيـه, وهـو أخـذ العربيـة تعلمًـا لا إرثًـا وتكلُّفًـا لا طبعـا؛ ولكـنَّ الأمـرَ الأحـقَّ أنَّ الدليـل علـى أنَّ القـرآن مُعـربٌ جميـعُ مـا بـين دفتيـه , لا كمـا ذهـب إليـه مـن إيـراد أمثلـة, فالقـرآن مثـالٌ واحـد مـن الفاتحـة إلـى النـاس.

وهـؤلاء القـوم يتحدثـون عـن مسلَّمات بالنسـبة لنـا ويظنـون ـ لقلة بضاعتهم ـ أنهـم أتـوا بكشـفٍ جديـد, كقولـه ص١٠ مدللاً علـى إعـراب القـرآن ـ يعنـي أنه بلغـةٍ معربـة , أنَّ هـذا عائـدٌ إلـى (مـا يلاحـظ فيـه مـن جمـلٍ مفرداتهـا حـرة الحركـة) ورفـعُ شـأن القـرآن الكـريم موازنًـا بـكلام الشـعراء والخطبـاء والكهـان هـذا منهـج فيـه محاذيـر و ضيـمٌ للقـرآن ؛

إذ هذه الموازنة ترفع ساقط الشعراء والخطباء والكهان , ولكننا نأخذ هذا المنهج من باب التنزل الذي يعرف فيه الإنسان أنَّ مآل الأمر سيفضي إلى التسليم بالبون الشاسع بين الكلامين، وسيأتيك في الباب الحادي عشر رئيي حول الموازنة بين النظم القرآني وبين كلام البشر .

قال أنطون شبيتالر في ص ٨ في تعليقه على كتاب « العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب » ليوهان فك: (أمَّا هذه العربية نفسها فهي تلك اللغة القديمة الحقيقية , التي تعود إلى ما قبل التاريخ, والتي ترفعت عن لهجات الخطاب منذ زمن) هذه التزكية تضاف إلى تزكيات من شهود بفضل العربية وهم من غير أهلها؛ وهذا يلتقي غايةً ومعنى مع ماقاله الدكتور حسن ظاظا رحمه الله في ص٦ من مقدمة كتابه » كلام العرب ــ من قضايا اللغة العربية «: (... ثم انطلقت هذه اللغة حيةً ناهضةً شابة تحتلُّ مكان لغاتٍ ساميَّةٍ أخرى كانت قد ماتت ... وكان انتشار العروبة في هذا الموطن أمرًا طبيعًا بكونها الوريث الشرعي الوحيد لألسنة الساميين الأخرى)

٤٩

الكتاب/ محاسن العربية في المرآة الغربية

أودلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوربية

تأليف ديفيد جستس/ترجمة الدكتور حمزة بن قبلان المزيني./ تاريخ الاقتناء ٧/رمضان/١٤٣٧هـ.

قلت: والدكتور حمزة المزيني خدم العربية خدمة جليلة في ترجمته لهذا الكتاب ؛وترجَمَاتُه من أدقّ ما قرأت من الكتب المترجمة, يعتني بعبارته وينقلها بتذوق, ويحاول وضعها بأقرب ما يكون من رأي المؤلف, أقول هذا لأني قرأت كتبًا مترجمة فيها من غثاثة الأسلوب والتواء العبارة وتتابع الأخطاء النحوية, ما يجعلك تزهد بالكتاب وقراءته.

من المعيق في مواصلة القراءة أن تكون الهوامش بعيدةً عن المتن ؛ فهذا يقطع الفكر ويشوِّش على المواصلة, ما يضطرك في بعض الأحيان بعد أن تنتهي من قراءة الهامش إلى قراءة الفقرة من المتن من جديد, خاصةً وأنَّ بعض الهوامش ثرية , وتكاد تكون أحفلَ مادةً من المتن.

الإحالات على فصول قادمة كذلك يشوِّش على القارئ خاصةً حين تكون الإحالة إتمامًا لفكرةٍ حالية؛ وفي بعض الأحيان تجعلك هذه الإحالات غيرَ مطمئنٍ للحكم الذي بين يديك , ومن الممكن كذلك أن يقال: إنَّ الكتاب بحاجةٍ إلى إعادة ترتيب نتائجه.

الجمـل الاعتراضيـة ظاهـرةٌ فاشيـة فـي الكتـاب, قـد توحـي لـك بـأنَّ هنـاك أفكارًا تـرِدُ على ذهـن المؤلـف تكـون وليـدة الآن الـذي كُتبـت فيـه.

٥٠

الكتاب/ التحيُّز اللغوي وقضايا أخرى

المؤلف الدكتور/ حمزة بن قبلان المزيني/ الطبعة الأولى١٤٢٥هـ/ والكتاب من ضمن سلسلة إصدارات جريدة الرياض ورقمه ١٢٥. تاريخ اقتنائه/٢٥/ جمادى الثانية/ ١٤٣٧هـ ؛ وقيمته عشرة ريالات. واشتريته عندما كنت أعدُّ بحثًا بعنوان» (نظرات في سر العربية).

قال في ص٣٢: (ثم يعود يعني ـ ابن جني ـ مرة أخر ليعبر عن حيرته بين الاعتقاد بأفضلية العربية وأوليتها واحتمال وجود لغة قبلها تماثلها في مزاياها)

قلت : الصواب أنَّ ابن جني ٣٩٢هـ ب ـ رحمه الله ـ لم يحتر في أفضلية العربية , بل ذكر هذا جازمًا , فقد قال في ج١ ص ٢١٤و٢١٥ من كتابه الخصائص: (... وذلك أننا نسأل علماء العربية ممن أصله عجمي وقد تدرَّب بلغته قبل استعرابه , عن حال اللغتين , فلا يجمع بينهما , بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده في نفسه وتقدُّم لطف العربية في رأيه وحسه؛ وسألت غير مرة أبا علي ـ رضي الله عنه ـ عن ذلك فكان جوابه عنه نحوًا مما حكيته... ولم نر أحدًا من أشياخنا فيها ـ كأبي حاتم , وبُنْدار, وأبي علي وفلان وفلان ـ يسوون بينهما ولا يقربون بين حاليهما,

وكأنَّ هذا موضعٌ ليس للخلاف فيه مجال, لوضوحه عند الكافة, وإنما أوردنا منه هذا القدر احتياطًا به واستظهارًا على موردٍ له عسى أن يورده)

ووقوله: [ممن أصله عجمي وقد تدرَّب بلغته قبل استعرابه] هذا أبينُ في المفاضلة لأنَّ المُفضِّل للعربية هنا هضمَ لغتَه الأصلية وعرفَ قصورَها بجنب العربية .

أمَا قوله عن ابن جني ثم يعود مرةً أخرى معبرًا عن حيرته بين الاعتقاد بأفضلية اللغة العربية وأوليتها ص ٥٦ : (وإن خطر خاطر فيما بعد , يعلِّق الكف بإحدى الجهتين , ويكفُّها عن صاحبتها قلنا به وبالله التوفيق) فهذا الكلام ختم به الباب الذي عنوانه: « باب القول على أصل اللغة إلهامٌ أم اصطلاح » وما نقله المزيني مسبوق بقول ابن جني في ص ٥٦: (...فقوي في نفسي اعتقادي كونها توقيفًا من الله سبحانه , وأنها وحي , ثم أقول في ضد هذا, كما وقع لأصحابنا ولنا, وتنبهوا وتنبهنا) وهذا يؤيد أنَّ الحديث عن أصل اللغة لا عن أفضليتها التي استقرت عنده.

ثم إن الهامش ٥ من الصفحة نفسها يؤيد أن الحديث عن أصل اللغة :(سرح آبن الطيب في شرح الاقتراح أن مذهب آبن جني في هذا المبحث التوقيف وهو ظاهر كلامه.

في ص٣٣ مبحثٌ بعنوان:(٢ـ اللغة العربية أفضل اللغات وأكملها وهي لغة أهل الجنة) ومن نتائج هذا المبحث عنده قال في ص ٣٧, ٣٨ بعد أن ساق الآراء التي ترى فضل العربية (... والذي يشكك في صحتها أسباب كثيرة منها: ٣ـ أنَّ تفضيل العربية لم يكن ناتجًا عن مقارنتها بلغات أخرى)

قلت : إنَّ ممن فضَّلوا العربية وهم يعرفون لغاتٍ أخرى وأنهم قالوا برأيهم بعد المقارنة :

١ـ أبا حاتم الرازي في كتابه « كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية » ٣٢٢هـ رحمه الله, قال : [لغة العرب تامة الحروف... وسائر اللغات فيها زيادة حروف مولدة وينقص عنها حروف هي أصلية, **ونعتبر من ذلك باللغة الفارسية لأنا طُبعنا عليها ونشأنا فيه ,على أنا** تدبرنا سائر اللغات فوجدناها في مثل ما ذكرنا من الزيادة والنقصان]

ثم قال : [النقصان والزيادة في اللغات] وحيث إنه ـ كما قال عن نفسه ـ إنه طُبع على الفارسية, وكلامه عنها كلام عالم متدبر فقد قال:

وسائر اللغات نقصت وزادت مثل اللغة الفارسية , فإنها قصرت عن العين و الغين والحاء والقاف والطاء والظاء والصاد والضاد والذال والثاء ,حتى لا يوجد في لغتهم الأصلية كلام يُتكلم به على هذه الحروف]

قلت: فهذه عشرة حروف أثبت أبو حاتم خلوَّ اللغةِ الفارسية الأصلية منها؛ ونقص الحروف سيتولد منه قصور في الألفاظ الدارجة في هذا اللسان.

وقال [**... وإذا اعتبرت سائر اللغات والكتابات وجدت فيها من الزيادة والنقصان مثل هذا أوقريبا منه . فقد ناظرت عليه قوما عرفوا العبرانية والسريانية فوجدت الأمر قريبا مما ذكرنا**] قال : [... إنَّ العرب قالت في الجراحات لما كان بالسيف ضَرْبة وبالرمح طعْنة وبالسهم رَشقة وبالسكين وَجْأة ,وبالحجر شَدْخة وبالسوط تقنيع , فاكتفوا بذكر هذه الجراحات عن ذكر السلاح , **وليس هذا لسائرالأمم حتى يذكروا السلاح المعمول به . واختصرت العرب هذه الألفاظ اقتصارًا عليها من ذكر الآلة المستعملة**]

٢ـ يقول عبد القاهر رحمه الله في دلائل الإعجاز:(لو أردنا الموازنة بين لغتين كالعربية والفارسية, ساغ لنا أن نجعل لفظة [رجل] أدلَّ على الآدمي الذكر من نظيره في الفارسية) يقول هذا وهومن أصل فارسي أي أنَّه خبر اللغتين.

وقد مرَّ علينا قبل قليل رأي ابن جني في أفضلية العربية المبني على المقارنة.

ثـم إنَّ المزينـي نفسـه فـي ص٣٦ نقـل نصًا لأبـي حيـان التوحيـد ـ رحمـه اللـه ـ من كتابـه الإمتـاع والمؤانسـة:(وقـد سـمعنا لغـاتٍ كثيـرةً ـ وإن لـم نسـتوعبها ـ مـن جميـع الأمم، كلغـة أصحابنـا العجـم والـروم والهنـد والتُّـرْك وخُـوَارَزم وصِقْـلاب وأندلـس والزَّنْـج، فمـا وجدنـا لشـيء مـن هـذه اللغـات نُصُـوعَ العربيـة، أعنـي الفُـرَج التـي فـي كلماتهـا، والفضـاءَ الـذي نجـده بـين حروفهـا، والمسـافةَ التـي بـين مخارجهـا.)

ومن البيِّن أنَّ أبا حيان بنى رأيه على مقارنة حيث قال عن سبب التفضيل:

[أعنـي الفُـرَج التـي فـي كلماتهـا، والفضـاءَ الـذي نجـده بـين حروفهـا، والمسـافةَ التـي بـين مخارجهـا] فهـذه ثلاثـة أسـباب دعـت إلـى تفضيـل العربيـة, ولـم يكـن الأمـر مبنيًـا علـى الموازنـة مـع لغـةٍ واحـدة بـل جـاء مـع سـبع لغـات.

قـال فـي ص ٤١: (وخلاصـة القـول أنَّ مـا يقـال مـن أنَّ اللغـة العربيـة أصلـح اللغـات لحمـل القـرآن أو أنَّ العـرب أصلـح النـاس لحمـل الإسـلام لا دليـل عليـه, بـل إنَّ اللـه يقـول: (اللـه أعلـمُ حيـث يجعـل رسـالته)

قلت: فأيـن جعـل اللـه رسـالته؟ أليسـت بلسـان العـرب؟ ألـم تُنـزل علـى رجـلٍ مـن العـرب؟, ثـم هـو هنـا كمـا يقـال : «يعكّـر المـاء ولا يؤمّـن البديـل» فهـو ينفـي أفضليـة العربيـة , وينفـى اختيـار العـرب لأنهـم الأصلـح ولا يأتـي ببديـل! فلابـد حسـب مدلـول كلامـه أن تكـون هنـاك لغـةٌ أفضـل وجنـسٌ أصلـح.

ص٦٣ نقل كلامًا عن ابن حزم رحمه الله: (وقال قومُ العربية أفضلُ اللغات لأنه بها نزل كلام الله تعالى؛ وقال علي : وهذا لا معنى له ؛لأنَّ الله عزَّوجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه).

قلت: لا شك بصحة إرسال الرسل بألسنةِ أقوامهم, لكنَّ الفرق أنَّ اللسانَ الذي أنزل الله به القرآن وصفه الله أنَّه مبين؛ ولم نسمع أنَّ اللسان الذي أُنزلت بها التوراة أو أُنزل به الإنجيل أنها موصوفٌ بالإبانة.

وقد وردفي كتاب «التوراةالحجازيةتاريخ الجزيرةالمكنوز»تأليف/الدكتور محمد منصور.ص٣٠ـ ٣٢ (... ثم علمت بأن الذين يريدون أن يتعلموا عبرية التوراة [وهي تدرَّس بمعزلٍ عن عبرية الإسرائيليين اليوم] يتم قمعهم بشكل منظم... لذلك قررت دراستها ـ يعني العبرية ـ على نفسي... وأكثرما أفادني كان مقاربة أسماء الأنبياء والأشخاص والبلدان بين النصوص التوراتية والقرآنية... وانتبهت إلى أنها أشبه ما تكون كتبت بالشعر النبطي فأيقنت أنَّ بعض الكلمات يجب ألا تقرأ كمالوأنها باللغة الفصحى!... وكتابتها بشكلٍ أو آخرلا ينفي عروبتها لأننا نتقبلها كلهجات من لغتنا... وبعد أن بدأت الصورة تنجلي... فلغة كنعان لسان بني إسرائيل ما هي إلا لهجة كنانة العربية التي تخفف العين!)

* كونها كُتبت بلغة شبيهة بلغة الشعر النبطي يؤيد أنها ليست بلسانٍ عربي مبين؛ فهي بلسان عربي ولكنه غيرُ مبين؛ ونعرف أنَّ هناك من اللهجات العربية ما يسميه علماء اللغة لغاتٍ مذمومة؛ ولعل بقية هذه اللغات المذمومة هي التي نُقلت إلينا مدرجةً مع الفصحى؛ وقد تحدث السيوطي ـ رحمه الله ـ في المزهر في النوع العاشر والحادي عشر عن المنكر والمتروك والرديء والمذموم من اللغات؛ وقد تكون هذه اللهجة منها.

أقول هذا مع أنَّ الله جلَّت قدرته زكَّى الكتابين؛ فقال عن التوراة: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)المائدة٤٤ , وقال عن الإنجيل(وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) المائدة٤٦ولم يذكر تزكيةً للسانهما؛ فالتزكيةُ حاصلةٌ لهما لما فيهما من الهداية والنور.

حتى من هذا الباب ـ أعني التزكية من غير باب اللسان ـ نجد أنَّ القرآن يفوقهما تزكية؛ فقد قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) المائدة١٥ (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) النحل٨٩ والآيات كثيرةٌ في هذا المعنى.

يقول في ص ٦٣ـ ٦٤: (ويبلغ ابن خلدون حدًا أبعدَ من كلٍّ ما سواه في موقفه من اللغة التي كانت تستعمل في عصره؛ فيقول ـ يعني ابن خلدون ـ : ومازالت هذه البلاغة والبيان ديدنَ العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن في ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع في أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم وألقاها القصور في أفئدتهم) ثم يمضي المزيني مع ابن خلدون فيقول عنه: (بل يزيد على ذلك ليرى إمكان إحلال قواعد جديدة لتضبط اللغة المعاصرة التي تخلو من الإعراب فيقول: ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابية في دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه تكون بها قوانين تخصها ولعلها تكون في أواخره على غير المنهاج الأول في لغة مضر فليست اللغات وملكاتها مجانا)

قلت: سياق هذا الكلام عند ابن خلدون ـ رحمه الله ـ يدلُّ على أنه يستدلُّ على بقاء البلاغة في اللسان العربي , ولا علاقة لكلامه بنفي الأفضلية عن العربية؛ فهو يردُّ على النحاة الذين يرى أنهم مخلِّطون [خَرْفَشَة النحاة] أي : تخليطهم ؛ لأنهم على رأيه (يزعمون أنَّ البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن اللسان العربي فسد اعتبارا)

قلت : هذا مما ورد عندابن خلدون في الباب السادس من الكتاب الأول في الفصل السابع والأربعين ص٥٥٦.

ولنعُدْ إلى الفصل الخامس والأربعين من الكتاب الأول ص٥٤٥ حيث يقول(وكانت الملكةُ الحاصلةُ للعرب من ذلك أحسنَ الملكات وأوضحَها إبانةً عن المقاصد ، لدلالة غير الكلمات فيها على كثيرٍ من المعاني. مثل الحركات التي تُعيِّن الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف ، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال أي الحركات إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى . **وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب** . وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ، **ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول مما نقدره بكلام العرب** . وهذا هو معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً » . فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات- أي الأوضاع - اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها . **إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا**)

فهذا نصٌ يرى فيه ابن خلدون فضل العربية ؛ولا تنس أنه رأيٌ مبنيٌ على الموازنة حيث قال: (ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول مما نقدره بكلام العرب)

قلت: وقول ابن خلدون : [مقالة دسها التشيع] ليس المقصود التشيع المذهبي , إنما يقصد مشايعة النحاة بعضهم لبعض.

وفي ص ٧٩وضع المزيني فرقًا بين التحيز والانتماء: (... فرق جوهري بين التحيز والانتماء ؛ فيقتضي التحيز بالضرورة رفع منزلة لغة والغض في الوقت نفسه من اللغات الأخرى)

قال أبو سهيل فالانتماء أمرٌ حتمي على الإنسان؛ فهو لا شك منتمٍ إلى أي من الانتماءات ؛ فمنه الانتماء العرقي أو الوطني أو العلمي فينتمي إلى من يوافقونه بتوجهه وفكره, أو الفئوي, فينتمي الإنسان إلى التجار إن كان تاجرًا أو إلى الصناع...

٥١

الكتاب جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر

جمعها وقرأها وقدم لها/ الدكتور عادل سليمان جمال/ الطبعة الثالثة/ وصلني إهداءً من الأستاذ محمد بن سليمان القُبيِّل / السبت ٧/ شوال/١٤٤١هـ.

مما على الغلاف: محمود شاكر رحمه الله من الذين استعذب القراءة لهم؛ لفخمة الأسلوب وعفة القلم وتدفق المعرفة وسعة الاستشهاد وتوثيق الشاهد؛ ورأيت الشيخ يتدفق معرفةً حين يردُّ أوينقض؛ وهو في رده أبلغُ وأشمل من مقالٍ يكتبه ابتداءً؛ فيبدو أنَّ قلمه يستحصد أكثر عند الإثارة , وبيانه يعلو حين يدفع إلى مضايق القول.

من العيوب التي ترد على أسلوب شاكر رحمه الله أنه إذا أراد أن يقرر حقيقة فإنه يطيل الكلام فتتشعب به منافذ القول تشعبًا ينسيك شأن الحقيقة التي يريد الاستدلال عليه, حتى إذا وقفت على الدليل رأيت أنَّك بحاجةٍ إلى إعادة ما قرأت لتستطيع أن تربط بين الحقيقة ودليلها وتلملم المعنى الذي يريد.

ومن المآخذ على أسلوبه, أنه حين يريد إيضاح فكرة فإنه يكثر تكرار ألفاظ بعينها , وجدت هذا في المقالة [القول في الشعر] ج٢ ص ١١٤٠وما تفرع منها، وقد ذكرت شيئاً عن أسلوبة في حديثي عن كتاب (الأحرف السبعة وهو كتاب رقم ٣٦ من هذه التعليقات .

في هذه الجمهرة سنةٌ جرت عليها المطابع في مصر قبل زمن , ثم عدلت عنها ؛وذلك انها تُكتب الياء من غير نقطٍ تحتية فيلتبس الأمر في بعض الفقرات, هل هي ياء أم ألف مقصورة ؛ فيكتبون: يجدي, يجدى, العربي, العربى, علي على...

ورد في ج١ ص٥٣٣: (... يمتلئ تاريخ الإسلام منذ ذلك اليوم أيضًا بأخبار المنافقين, وقد أجاد الله لنا صفتهم في كتابه) في نفسي شيئٌ من وصف الله: [وقد أجاد الله لنا صفتهم في كتابه] وخيرٌ منها أن نقول: [وقد بيَّن الله لنا صفتهم في كتابه] ولفظة أجاد يثنى بها على من يُحتمل منه الخطأ, أو على من يستكثرُ منه الصواب؛ كقولنا: أجاد الشاعر في وصفه .

٥٢

شرح مسألة الشروط المضادة في الأبواب المختلفة

في كتاب الأشباه والنظائر في النحو, اقتنيته في٢٧/٦/١٤٠٠هـ

ج١ص٢١٦ـ ٢١٧

للسيوطي رحمه الله / تحقيق طه عبد الرؤوف سعد

هذه إجابةٌ على سؤال وردني من طالبةٍ تقول في سؤالها:السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .في كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ﴿ باب الشيئان إذا تضادا تضاد الحكم الصادر عنهما﴾ عرض السيوطي قولاً لابن هشام في الشروط المضادة في الأبواب المختلفة , وطلب منا الدكتور وضعَ أمثلةٍ لهذه الأبواب من كتب النحو المختلفة المعروفة في صفحتين تقريبا؛ فهل بالإمكان مساعدتي في إيجاد هذه الأمثلة, وجزاك الله خيرا .

و اتساع الموضوع جعلني أجيب إجابة بهذا الطول مع حرصي على الاختصار وكان ورود السؤال يوم السبت ١٨/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٦هـ وكانت نهاية الإجابة يوم الأحد ١٤/رجب / ١٤٣٦هـ

قال السيوطي الشروط المضادة في الأبواب المختلفة

قال ابن هشام رحمه الله : العرب يشترطون في بابٍ شيئًا، و يشترطون في بابٍ آخرَ نقيضَ ذلك الشيء على ما اقتضته حكمة لغتهم، و صحيح أقيستهم فإذا لم يتأمل المعرب اختلطت عليه الأبواب و الشرائط.

من ذلك: اشتراطهم الجمود لعطف البيان، و الاشتقاق للنعت ؛والتعريف لعطف البيان و نعت المعرفة، والتنكير للحال و التمييز، و أفعل من، و نعت النكرة و تعريف العلمية بخصوصه لمنع الصرف، و تعريف اللام الجنسية لنعت الإشارة و أي في النداء، و فاعل نعم و بئس و الإبهام في ظروف المكان، والاختصاص في المبتدأ وصاحب الحال، و الإضمار في مجرور لو لا و وَحْد ولبّي و سَعْدي و حناني، وفي مرفوع كاد و أخواتها إلا عسى تقول: كاد زيد يموت و لا يجوز يموت أبوه.و مرفوع اسم التفضيل في غير مسألة الكحل، والإظهار في تأكيد الاسم المظهر و النعت و المنعوت و عطف البيان و المبين،والإفراد في الفاعل ونائبه، و الجملة في خبر أن المفتوحة إذا خففت وخبر القول المحكي نحو قَولي: (لا إله إلا اللّه) و خبر ضمير الشأن، و الجملة الفعلية في الشروط غير لو لا و في جواب لو لا و الجملتين بعد لما، و الجمل التالية لأحرف التحضيض، و جملة أخبار أفعال المقاربة، و خبر أن المفتوحة بعد لو عند الزمخشري و متابعيه نحو:(وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا) [البقرة: ١٠٣] و الاسمية بعد إذا الفجائية و ليتما على الصحيح فيهما، و الأخبار في الصلة و الصفة والحال و الخبر و جواب القسم غير الاستعطافي و الإنشاء في جواب القسم الاستعطافي، و الوصف في مجرور رب إذا كان ظاهرًا و أي في النداء، و الجمّاء في قولهم: جاؤوا الجمّاء الغفير و ما وُطِّئ به من خبر أوصفة أو حال، و عدم الوصف في فاعل نعم و بئس و الأسماء المتوغلة في شبه الحرف إلا (من)

و (ما) النكرتين و الضمير، و التقديم في الاستفهام و الشرط و كم الخبرية و التأخير في الفاعل و نائبه و مفعول التعجب و المفعول الذي هو أي الموصولة، و المفعول الذي هو (أن) وصلتها و المبتدأ الذي هو أن وصلتها، و الحذف في أحد معمولي لات، و عدم الحذف في الفاعل و نائبه و الجار الباقي عمله، و الرابط في المواضع الأحد عشر السابقة و عدم الرابط في الجملة المضاف إليها نحو: يوم قام زيد و الإضافة في بناء أي الموصولة، و القطع عنها في بناء قبل و بعد و غير.

ابتداءً أقول إنَّ السيوطي ـ رحمه الله ـ أربك الباحث والقارئ حين عرض هذه المسائل بهذه الطريقة ؛حيث نثرها نثرًا داخَلَ بينها , وجعل من الصعوبة التمييز بين حدود هذه المسائل ؛ لهذا تحسن الاستعانة بكتاب المغني لا بن هشام رحمه الله , فقد وضعها في الباب الخامس : في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها؛ ثم وضع هذه المسائل بعنوان فرعي : الجهة السادسة : ألا يراعيَ الشروط المختلفة حسب الأبواب ؛ فإنَّ العرب يشترطون في بابٍ شيئًا ويشترطون في آخر نقيضَ ذلك الشيء على ما اقتضته حكمة لغتهم وصحيح أقيستهم , فإذا لم يتأمل المعرب اختلطت عليه الأبواب والشرائط, فلنورد أنواعًا من ذلك مشيرين إلى بعض ما وقع فيه من الوهم للمعربين:

النوع الأول

اشتراطهم الجمود لعطف البيان والاشتقاق للنعت .

أي أنّ المعرِبَ قد يخلط في إعرابهما إذا لم يستحضر هذا الشرط ؛ فإذا رأى المعرب أنَّ التابع جامد أعربه عطفَ بيان وإن رآه مشتقا فهو نعت ؛ ومن الاستثناءات أنَّ النعت قد يقع مشتقا في ظاهره لكنه مؤولٌ بمشتق فلا يلتبس هذا على المعرب كقولنا : جاء الرجل هذا ؛ فهذا لا تعرب عطف بيان ولكنها تعرب نعتًا وهي مؤولة بمشتق فنقول : هي بتأويل الحاضر أو المشار إليه.

قلتُ

الأمثلة : ١ ــ أعجبني الشاعر المطبوع الفرزدق. فلفظة المطبوع تعرب نعتًا لأنها مشتقة فهي اسم مفعول ؛ ولفظة الفرزدق تعرب عطفَ بيان لأنها جامدة؛ومثله : قرأت الكتاب المفيد قطر الندى. فحين أقسّم هذه الجملة فأقول : قرأت الكتاب المفيد , فالمفيد نعت ؛ وقرأت الكتاب قطر الندى ؛فقطر تعرب عطفَ بيان لأنها جامدة. فهذه الجملة لعلها توضح التضاد الذي أشار إليه ابن هشام رحمه الله ؛ إذ إنَّ لفظة قطر ولفظة المفيد أطلقتا على شيء واحد , لكنَّا عند الإعراب نظرنا إلى الاشتقاق والجمود فما كان مشتقًا أعربناه نعتًا وما كان جامدًا أعربناه عطفَ بيان , وأمرٌ آخر وهو أنَّ لفظة المفيد يجوز إطلاقها على كثير من الكتب بينما قطر خصصت المقصود بالكتاب ,وهذا يجري مع الضابط الذي وضعه ابن هشام في تعريف عطف البيان.

ومن أمثلة كتب النحو المعروفة :

٢ـ قطر الندى وبلُّ الصدى لابن هشام ـ شرحه محمد محيي الدين عبد الحميد رحمهما الله : على النعت أ ـ مررت برجل كاتب . ب/ عطف بيان : جاء زيدٌ أبو عبد الله

النوع الثاني:

اشتراطهم التعريف لعطف البيان ولنعت المعرفة , والتنكير للحال والتمييز وأفعل من ونعت النكرة.

قلت: «أفعل من» المقصود اسم التفضيل في حال كونه مجردًا من أل والإضافة. أكبر من ,أصغر من ...

الأمثلة: أ ـ عطف البيان ١ـ /من شرح ملحة الإعراب للحريري رحمه الله : جاء زيدٌ أبو عمرو

ب ـ لنعت المعرفة :

١ـ من ضياء السالك إلى أوضح المسالك لابن هشام رحمه الله / جاء زيدٌ التاجر

جـ ـ الحال :

١ـ من النحو الوافي لعباس حسن رحمه الله / ظهر البدر كاملا

د ـ التمييز :

١ـــ شرح التصريح على التوضيح تأليف خالد بن عبد الله الأزهري رحمه الله / مثل : حسُنَ وجهًا .

هـ ـ أفعل من :

١ ـ من قطر الندى / زيدٌ أفضل من عمرو .

و ـ ونعت النكرة :

١ـ ضياء السالك لا بن هشام رحمه الله / النشيط أفضل من الخامل

النوع الثالث

اشتراطهم في بعض ما التعريفُ شرطه تعريفًا خاصًا كمنع الصرف اشترطوا له تعريف العلمية أوشبهها كما في أجمع , وكنعت الإشارة وأي في النداء اشترطوا لهما تعريف اللام الجنسية.

وكذا تعريف فاعلي نعم وبئس لكنها تكون مباشرة له أو لما أضيف إليه بخلاف ما تقدم فشرطها المباشرة له.

أ ـــ اشتراطهم في بعض ما التعريفُ شرطه تعريفًا خاصًا كمنع الصرف اشترطوا له تعريف العلمية أوشبهها كما في أجمع .

فخصوا العَلَم من بين المعارف وهذا مقصوده من أنهم اشترطوا تعريفًا خاصًا فليس كل معرَّفٍ ممنوعًا من الصرف ولكنه مقصورٌ على تعريف العلمية .
والعلمية أيضا لها عللٌ خاصة فليس كل علمٍ ممنوعًا من الصرف؛ فمما يمنع مع تعريف العلمية : العلمية والتأنيث أي ما كان علمًا مؤنثا:

١ـ شرح ابن عقيل/ سواءً كان علمًا لمذكر كطلحة أو لمؤنث كفاطمة .

ب ـــ وكنعت الإشارة وأي في النداء اشترطوا لهما تعريف اللام الجنسية :

أي أنَّ منعوت اسم الإشارة يكون معرفة ويكون تعريفه بلام الجنس مثل:

١ـ النحو الوافي / يا هذا الناقد تلطف . ج ٣ ها مش ب .

ومثال المنعوت بأي :

١ ــ شرح ابن عقيل / يا أيها الرجل .

جـ / وكذا تعريفا خاصا على نعم وبئس لكنها تكون مباشرة له أو لما أضيف إليه بخلاف ما تقدم فشرطها المباشرة له . أ / مثال على أل المباشرة لفاعل نعم وبئس .

١ــ شرح ابن عقيل / نعم الرجل زيد ؛ ومثال للمضاف إلى ما فيه أل : نعم عقبى الكرماء .

٢ــ النحو الوافي / نعم الوالد الشفيق / بئس الولد العاق ؛ ومثال للمضاف إلى ما فيه أل : نعم رجل الحرب خالد , بئس رجل الكذب مسيلمة .

النوع الرابع

اشتراطهم الإبهام في بعض الألفاظ كظروف المكان , والاختصاص في بعضها كالمبتدآت وأصحاب الأحوال .

أ ــ اشتراطهم الإبهام في بعض الألفاظ كظروف المكان.

قال ابن هشام ــ رحمه الله ــ في المغني : «وإنما يكون الظرف مكانيًا ما كان مبهمًا ,ويعرف بكونه صالحًا لكلِّ بقعة كمكان وناحية وجهة وجانب »

١ــ شرح قطر الندى / قال تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) سورة يوسف

ب ـــ و اشتراطهم الاختصاص في بعضها كالمبتدآت وأصحاب الأحوال .

١ـ شرح التصريح على التوضيح تأليف خالد بن عبد الله الأزهري رحمه الله / الله ربنا .

١ـ النحو الوافي / جلست في الحديقة ناضرةً .

النوع الخامس

اشتراطهم الإضمار في بعض المعمولات ,والإظهار في بعض؛ فمن الأول مجرور لولا ومجروروَحْدَ؛ ولا يختصان بضمير خطاب ولا غيره , تقول : لولاي ولولاك ولولاهُ , ووحدي ووحدك ووحدهُ , ومجرور لبيَّ وسعديَّ وحنانيَّ ؛ ويشترط لهن ضميرُ الخطاب .

أ ـــ اشتراطهم الإضمار في بعض المعمولات فمن الأول مجرور لولا ومجرور وحدَ؛ أي أنَّ النحاة يشترطون أن يكون مجرور لولا ومجرور وحدَ أن يكون ضميرًا.

ومجرور لولا مجرور بالحرف باعتبار أنَّ لولا حرف جر, أمَّا مجرور وحد فهو مجرور بالإضافة.

١ــ شرح القطر /قال الشاعر:

أوْمَتْ بعينيها من الهودج　　　　لولا ك في ذا العام لم أحجج

٢ ـ شرح ابن عقيل / لولاي, ولولاك , ولولاه .

٣ـ النحو الوافي / رباه عليك وحدك اعتمد.

لبيَّ وسعديَّ وحنا نيَّ .

١ــ النحو الوافي / لبيك أيها الداعي ,سعديك أيها المستعين , حنانيك أيها الحزين.

٢ــ شرح ابن عقيل / لبيك , سعديك .

ومن الثاني تأكيد الاسم المظهر , والنعت والمنعوت , وعطف البيان والمبين , أي ومن اشتراطهم الإظهار في بعض أنهم يشترطون في تأكيد الاسم المظهر الإظهار مثل :

ويشترطون في التأكيد الإظهار

١ـ شرح القطر / جاء زيد الفاضل الفاضل

. ويشترطون في النعت الإظهار

١ـ شرح القطر /.... والأصل : رأيت رجلاً كاتبًا ورجلاً شاعرًا

ويشترطون في عطف البيان الإظهار.

١ـ شرح القطر / قال أبو بكر الصديق.

النوع السادس

اشتراطهم المفرد في بعض المعمولات , والجملة في بعض .

أ ــــ اشتراطهم المفرد في بعض المعمولات . ومن هذا الفاعل ونائبه . أي أنَّ الفاعل ونائبه لا يكونان جملة.

أمثلة الفاعل:

١ــ شرح ملحة الإعراب /قام زيدٌ.

أمثلة نائب الفاعل :

١ــ شرح التصريح على التوضيح / سُرق المتاع

ب ـ واشتراطهم الجملة في بعض .

أـ خبر القول المحكي / مغني اللبيب /: قَولي لا إله إلا الله ، قلت: أي أنَّ الكلام الذي أقوله وأنطقه هو نص لا إله إلا الله؛ فلا بد أن يستحضر القارئ أنَّ لفظة قولي مبتدأ, وسيشكل عليك الأمر إن اعتبرت لا إله إلا الله بدلاً من قَولي ويبقى الذهن منتظرًا للخبر وسيكون المعنى هنا معلقًا, كمن نصب رسول في إحدى جمل الآذان وهي قول المؤذن : أشهد أنَّ محمدًا رسولَ الله ؛ فإنَّ الكلام هنا حسب ما تقتضيه الصناعة النحوية و اللسان العربي أنَّ الكلام لم يفد فلا بد من الإتيان بما يتمم الفائدة.

ب ـ خبر ضمير الشأن

١ـ النحو الوافي : أن تسير في حديقة فاتنة بهيجة فتستهويك فتقول : إنه الزهر ساحر.

ج ـ ويشترطون الجملة في خبر أفعال المقاربة

١ـ شرح التصريح تأليف خالد بن عبد الله الأزهري رحمه الله / ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (٧١) سورة البقرة

د ـ ج ويشترطون الجملة في جواب الشرط

١ـ تعجيل الندى في شرح قطر الندى تأليف عبد الله بن صالح الفوزان / إن تصحب الأشرار تندم .

٥ـ ويشترطون الجملة في جواب القسم

١ـ شرح ابن عقيل / تالله لأفعلن

النوع السابع

اشـتراط الجملـة الفعليـة فـي بعـض المواضـع , والاسـمية فـي بعـض ؛ فمـن الأول جملـة الشـرط غيـر لـولا وجملـة جـواب لـو , ولـولا , ولومـا , والجملتـان بعـد لمـا , والجمـل التاليـة أحـرف التحضيـض , وجملـة أخبـار أفعـال المقاربـة , وخبـر أنَّ المفتوحـة بعـد لـو عنـد الزمخشـري ومتابعيـه نحـو﴿ وَلَـوْ أَنَّهُـمْ آمَنُـواْ ﴾البقـرة ١٠٣ومـن الثانـي الجملـة بعـد إذا الفجائيـة, وليتمـا علـى الصحيـح فيهمـا .

ــ اشتراط الجملة الفعلية في بعض المواضع

أـ جملة جواب لو, ولولا , ولوما.

١ ــ المغني /﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾السجدة١٣

النحـو الوافـي / ﴿ يَقُـولُ الَّذِيـنَ اسْـتُضْعِفُوا لِلَّذِيـنَ اسْـتَكْبَرُوا لَـوْلَا أَنتُـمْ لَكُنَّـا مُؤْمِنِـينَ﴾ سـبأ٣١

النحو الوافي / لوما تغير المنكر بيدك .

ب ـ جملة الشرط / مر التمثيل لها في النوع السادس .

ج ــ بعد لمَّا :

١ ـ قطر الندى / لمَّا جاء أكرمته.

د ــ بعد أحرف التحضيض

١ــ النحو الوافي / هلا تحمي الضعيف .

٢ــ المغني/ ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾البقرة١٣

هـ ــ أخبار أفعال المقاربة / مر التمثيل لها. في النوع السادس .

و ــ خبر أنَّ المفتوحة بعد لو

١ـ المغني / ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ ﴾البقرة ١٠٣

واشتراط الاسمية في بعض .

أ ـ بعد إذا الفجائية وليتما على الصحيح فيهما .

١ـ المغني / خرجت إذا الأسدُ بالباب .

٢ـ شرح ابن عقيل /خرجت فإذا إنَّ زيدًا قائمٌ .

ب ـ ليتما

١ ـ تعجيل الندى في شرح قطر الندى تأليف عبد الله بن صالح الفوزان / ليتما الحياة خالية من الكدر .

النوع الثامن

اشتراطهم في بعض الجمل الخبرية وفي بعضها الإنشائية ؛ فالأولُ كثيرٌ كالصلة والصفة والحال والجملة الواقعة خبرًا لكان أوخبرًا لأنَّ أو لضمير الشأن , وقيل : أو خبرًا للمبتدأ أو جوابًا للقسم غير الاستعطافي .

ومن الثاني جواب القسم الاستعطافي .

اشتراطهم في بعض الجمل الخبرية

أـ كالصلة

١ ـ شرح التصريح / ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾الزمر ٧٤

ب ـ والصفة

١ـ شرح ملحة الإعراب تأليف القاسم بن علي الحريري البصري (ت ٥١٦هـ) / أقبل رجلٌ يضحك .

ج ـ والحال

١ـ ألفية ابن مالك رحمه الله /............ كجاء زيدٌ وهو ناوٍ رحلة

د ـ والجملة الواقعة خبرًا لكان

١ـ الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل/ بهجت عبد الواحد صالح ﴿ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾هود ٣٤

هـ ـ أوخبرًا لأنَّ

١ ـ شرح ملحة الإعراب / بلغني أنَّك خارج .

٢ـ النحو الوافي / ثبت أنَّ الغضب بلاءٌ على صاحبه .

و ـ أو لضمير الشأن .

١ـ الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه /محمود صافي رحمه الله / ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾الجن ٢٩

النوع التاسع

اشتراطهم لبعض الأسماء أن يوصف , ولبعضها ألا يوصف ؛ فمن الأول مجرور رب إذاكان ظاهرًا , وأي في النداء , والجماء الغفير في قولهم جاؤاالجماء الغفير ؛ وما وطئ به خبر أوصفة أوحال نحو زيد رجل صالح ومررت بزيدٍ الرجل الصالح ومنه ﴿بل أنتم قومٌ تفتنون﴾النمل ٤٧ ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن﴾الروم ٥٨ وقوله ﴿ قرآنا عربيا﴾يوسف٢ ومن الثاني فاعلا نعم وبئس , والأسماء المتوغلة في شبه الحرف إلا مَنْ وما النكرتين فإنهما يوصفان نحو: مررت بمن معجبٍ لك ,وبما معجبٍ لك , وألحق بهما الأخفش أيًا نحو مررت بأيٍ معجبٍ لك , وهو قوي في القياس لأنها معربة , ومن ذلك الضمير .

أـ اشتراطهم لبعض الأسماء أن يوصف , ولبعضها ألا يوصف فمن الأول مجرور رب إذاكان ظاهرًا

أـ مجرور رب إذاكان ظاهرًا .

١ـ شرح الآجرمية / رب رجلٍ لقيته .

بـ وأي في النداء

١ ـ شرح ابن عقيل / يا أيها الرجلُ

جـ ـ والجماء الغفير في قولهم جاؤا الجماء الغفير

١ ـ المغني / جاؤا الجماء الغفير.

د ـ وما وطئ به خبر أوصفة أوحال نحو زيد رجل صالح ومررت بزيدٍ الرجل الصالح ومنه ﴿ بل أنتم قومٌ تفتنون ﴾النمل ٤٧ ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن﴾الروم ٥٨ إلى قوله ﴿ قرآنا عربيا﴾يوسف٢ .

وما وطئ به خبر /.المغني/ زيد رجل صالح .

أوصفة . المغني/ مررت بزيدٍ الرجل الصالح .

أوحال . المغني / ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾الروم٢٧﴿ قرآنا عربيا﴾يوسف٢ الحال قرآنا والصفة عربيا.

نحو زيد رجل صالح ومررت بزيدٍ الرجل الصالح ومنه ﴿ بل أنتم قوْم تفتنون ﴾ النمل ٤٧﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن﴾الروم ٢٧ إلى قوله ﴿ قرآنا عربيا﴾يوسف٢

ومن الثاني فاعلا نعم وبئس , والأسماء المتوغلة في شبه الحرف إلا مَنْ وما النكرتين فإنهما يوصفان نحو: مررت بمن معجبٍ لك ,وبما معجبٍ لك , وألحق بهما الأخفش أيًا نحو مررت بأيٍ معجبٍ لك , وهو قوي في القياس لأنها معربة , ومن ذلك الضمير .

أ ـ فاعلا نعم وبئس

١ ـ متن الألفية/ نعم ما يقول الفاضلُ.

ب ـ ,والأسماء المتوغلة في شبَه الحرف .

١ـ كتاب الكليات « نسخة إلكترونية » / لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني رحمه الله/ إذا , وأنى .

ج ـ ومن ذلك الضمير .

أنا , أنت , هو .

النوع الثاني عشر

النوع ١٠ ,١١ أغفلهما السيوطي

إيجابهم لبعض معمولات الفعل وشبهه أن يتقدم كالاستفهام والشرط وكم الخبرية

ولبعضها أن يتأخر إما لذاته كالفاعل ونائبه ومشبهه , أولضعف الفعل كمفعول التعجب نحو: ....والمفعول الذي هو أي الموصولة , والمفعول الذي هو أن وصلتها, والمبتدأ الذي هو أن وصلتها.

إيجابهم لبعض معمولات الفعل وشبهه أن يتقدم

أ ـ كالاستفهام

١ـ المغني / ﴿ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾غافر٨١

ب ـ والشرط

١ـ المغني / ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾القصص٢٨

ج ـــ وكم الخبرية

١ ـ النحو الوافي / ﴿ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾الشعراء٧

أـ إما لذاته كالفاعل

١ـ شرح القطر / ضرب زيدٌ عمْرًا

ب ـ ونائبه

١ـــ شرح ملحة الإعراب / قيدَ الفرسُ

ج ـ ومشبهه , اسم الفاعل

١ـ شرح ابن عقيل / أضاربٌ زيدٌ عمْرًا

٢ ـ صفة مشبهة / النحو الوافي/ تناولنا شرابًا عسلاً طعمه .

د ـ أولضعف الفعل كمفعول التعجب .

١ـ النحو الوافي/ ما أجملَ الوردةَ الناضرة .

هـ ـ والمفعول الذي هو أي الموصولة .

١ـ تعجيل الندى/ سأكافأ أيّهم هو مجتهد.

وـ والمفعول الذي هو أنّ وصلتها.

١ـ شرح الآجرمية ﴿اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾المائدة ٩٨ زـ والمبتدأ الذي هو أنّ وصلتها.

١ــ النحو الوافي / أحقـًا أنَّ جيرتنا استقلوا .

٢ـ في الذهن أنك فائز.﴿ مثال مصنوع﴾

النوع الثالث عشر

منعهم من حذف بعض الكلمات , وإيجابهم حذف بعضها.

فمن منع الحذف

أ. الفاعل

١ـ متن ملحة الإعراب / جرى الماء

ب ـ نائب الفاعل

١ــ متن ملحة الإعراب / يُكتب عهد الوالي

ج ـ الجار الباقي عمله

١ــ تعجيل الندى / ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾الإسراء ١

ومن إيجاب الحذف

أ ـــ أحد معمولي لات

١ـــ شرح قطر النـدى/ ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ص٣ وهـذا المثال تـكاد تجمـع عليـه الكتب التي تحدثـت عـن لات, ومـن الأمثلـة المصنوعـة أن تقـول : لات حـين مندم

النوع الخامس عشر

الرابع عشر أغفله السيوطي

اشـتراطهم وجـود الرابـط فـي بعـض المواضـع , وفقـده فـي بعـض ؛ فـالأول قـد مضـى مشـروحا, والثانـي الجملـة المضـاف إليهـا نحـو» يـوم قـام زيـد «

اشتراطهم وجـود الرابـط في بعض المواضع , وعبـارة السـيوطي تقـول : والرابـط فـي المواضع الأحـد عشـر السابقة .

ثم إنَّ المغني ذكرها مفصلة . بعنوان الأشيا ء التي تحتاج إلى الرابط .

اشتراطهم وجود الرابط في بعض المواضع .

* أحدها الجملة المخبر بها .

١ ـ شرح القطر / زيدٌ أبوه قائم .

* الثاني الجملة الموصوف بها .

١ـ شرح ملحة الإعراب / جاء رجلٌ إن تكرمه يكرمك .

* الثالث الجملة الموصول بها الأسماء.

١ــالنحو الوافي تأليف عباس حسن / اقرأ الكتاب الذي يفيدك في عملك .

*الرابع الواقعة حالا .

١ــ متن الألفية / جاء زيد وهو ناوٍ رحلة.

*الخامس المفسرة لعامل الاسم المشتغل عنه .

١ـ المغني / زيدًا ضربته .

*السادس والسابع بدلا البعض والاشتمال.

أـ بدل بعض : النحو الوافي م أكلت البطيخة ثلثها .

ب ـ بدل اشتمال. تعجيل الندى / نفعني خالدٌ علمه .

*السابع معمول الصفة المشبهة :

١ـ شرح القطر / مررت برجلٍ حسنٍ وجهه .

الثامن جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء .

١ـ شرح ملحة الإعراب للحريري / من تزُر أزُره .

*العاشر العاملان في باب التنازع .

١ـ متن الألفية / يحسنان ويسئ ابناك .

* الحادي عشر ألفاظ التوكيد الأُوَل.

١ـ شرح الآجرمية للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله/ جاء القوم أنفسهم .

النوع السادس عشر

اشتراطهم لبناء بعض الأسماء أن تقطع عن الإضافة كقبل , وبعد , وغير, ولبناء بعضها أن تكون مضافة وذلك أي الموصولة؛ فإنها لا تبنى إلا إذا أضيفت وكان صدر صلتها ضميرا محذوفا.

اشتراطهم لبناء بعض الأسماء أن تقطع عن الإضافة

قبل . شرح ابن عقيل / ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾الروم٤

وبعد . شرح ابن عقيل / ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾الروم٤

وغير: النحو الوافي / الصبر صبران لا غيرُ .

* ولبناء بعضها أن تكون مضافة.

أي الموصولة .

١ـ المغني / ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًا﴾ مريم ٦٩

الباب الثالث
شباك الفرائد

وقد هممت أن أنثرها نثرًا فأرسلها بلا أرقام تُفرِّقُ بين الفريدةِ وأختِها؛ ولكني نظرتُ [الكلِم النوابغ] التي جمعها الزمخشري رحمه الله ؛ فرأيتها في بعض الكتب منثورةً بغير أرقامٍ تُميزُ بعضَ هذه الكلِم عن بعض ؛ فضعُف الانتفاع بها لمشقَّةِ الفصل بينها وحصل اللبس فيها وتداخلت معانيها؛ فخشيت أن يجري على هذه الفرائد ما جرى لتلك النوابغ، فقدمتها لك على هذه الهيئة، والله يتولى الأمر.

١

حين يكرمك الله بالإقبال على القرآن سماعًا أو تلاوةً فيترقى شأنك وتأثرُك إلى درجة المتأثرين ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ ﴾ الزمر ٢٣ وأحسست هذا من نفسك فاعلم أنك وُهبتَ ختام الآية﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾الزمر ٢٣فقابل هذا بالحمد لتُمنحَ المزيد فهو لذةٌ لا يُشبَع منها؛ ورزق ربك ماله من نفاد.

٢

ومن عجب داء المعاصرة أنه لا يقع إلا بين الأقران ممن يعرف بعضهم بعضا ؛أمَّا من يعاصرك ويحجبك عنه مكان ولا تعرفه ولا يعرفك عيانًا فإن لم ينقطع هذا الداء فهو أقلُّ من القليل ولا شكَ أنَّ هذه دركةٌ من دركات الحسد.

٣

أخي فرِّق بين من يتحدث عن الفضيلة ويدعو لها في مسلسلٍ تمثيليٍ مليءٍ بالمشاهد الهابطة والسخيفة والتافهة السادة للنَفَس ؛ وبين من يتحدث عنها من على منبر أو من على كرسيٍ من كراسي العلم؛ فالأول قصارى ما يصل إليه الإضحاك ولن يبلغ من التأثير ما يبلغه الثاني.

٤

الفكـرةُ طائـرٌ يحـومُ حتـى إذا جـاء مـن ينثـر لـه الحـب أرخـى الجنـاح فوقـع ؛ هـذا هـو الوصـف الـذي أراه لما يجـول مبهمًـا فـي خاطـرك مـن أفـكار فتحِسُّـها ولكـن الإبانـة عنهـا استغلقت فتبقـى مرفرفـةً حتـى يأتـيَ مـا يغريهـا بالوقـوع فيقذفهـا فـي الذهـن فإذاهـي حـرفٌ يمطـره القلـم فيسـيل علـى الـورق؛ فلتكـن شـباكُك مشـرعة .

٥

من الكتب الموضوعة في الأمثال كتاب « الأمثال للميداني(وكتاب المستقصى) للزمخشري وكتاب (زهـر الأكـم) فـي الأمثال والحكـم للحسن اليوسي رحمهم اللـه؛ وأجلها وأكثرها إخصابًـا للبيـان هـو كتـاب الميداني؛ولاعجـب أنَّ قـراءتـه تُنبت البيـان وإن كانت الأرض سبخة فعليك بـه.

٦

إذا كانـت علامـاتُ الترقيـم مـن لـوازم الكتابـة السـليمة فإنهـا كذلـك مـن لـوازم الـكلام المؤثـر؛ فينبغـي علـى المتحـدث أن يضـع علامـات الترقيـم وهـو يتحـدث ؛ فيعرف متى يقول ويعرف متـى يقـف ويعـرف كيـف يقـول ويعـرف لمن يتحـدث والقائمـة تمتـد وفيـك فطانـة.

٧

(ما أيسر أن يقال: هذا العمل غير مجدٍ ؛ ولكن ما أصعب تقديم ما هو خيرٌ منه) حمد الجاسر رحمه الله.

٨

العناية بالبيان غايةٌ تستحق إدماءَ الأعقاب وظمأَ الهواجر ؛ وما وجدتُ ما يقويه ويرفعه كأن تقرأ لذوي الفصاحة والبيان وأقربُ شيء إلى هذا كتب النقد والموازنات ؛ ومن القدماء أبو علي المرزوقي في مقدمة كتابه «شرح ديوان الحماسة» ومن المحدثين محمود شاكر في مقدمة قصيدته « القوس العذراء»

٩

من طرائف الفراسة ما ورد في كتاب (الأخبار الموفَّقيات) للزبير بن بكار ,تحقيق الدكتور سامي مكي العاني رحمهما الله بالخبر رقم ٤١٣ : (عن المدائني عن هشام بن الكلبي عن أبيه أنَّ عمر خرج تاجرًا في الجاهلية مع نفرٍ من قريش فلما وصلوا إلى فلسطين قيل لهم : إنَّ روح بن زُنباع بن روح بن سلامة الجذامي يعشِّر من يمر به للحارث بن أبي شمِر؛ قال فعمدنا إلى ما معنا من الذهب فألقمناه ناقةً لنا؛ حتى إذا مضينا نحرناها وسلم لنا ذهبُنا؛ فلما مررنا على زُنباع قال فتشوهم ففتشونا فلم يجدوا معنا إلا شيئًا يسيرا؛ فقال اعرضوا علي إبلهم فمرت به الناقة بعينها فقا انحروها فقلت لأي شيءٍ ؟ قال: إن كان

في بطنها ذهب وإلا فلك ناقةُ غيرها وكُلْها؛ فشقوا بطنها فسال الذهب؛ قال فأغلظ علينا في العِشرة ونال من عمر.

فقال عمر في ذلك:

متى ألق زنباع بن روحٍ ببلدةٍ لي النصف منه يقرع السن من ندم

ويعلم أنَّ الحي حيُ ابن غالب مَطا عينُ في الهيجا مضاريبُ في الهيم

« مَطا عين » جمع مُطاعِن؛ وليست مُطاعين جمع مُطاع؛ وقوله : ونال من عمر: أي أسمعه ما يسوءه.

١٠

تأملت أحوال بعض الناس في معاشهم وتعاملهم وكتاباتهم فرأيتهم يشبهون فرسانًا ثلاثة فارسٌ يقفز فيكون دون الفرس وفارسٌ يشتدُّ فيكون بعد الفرس,وفارس يستوي على الصهوة , فالأول جبان والثاني غِـرٌ متهور والثالث مجربٌ شجاع.

١١

قد تكون صحبة الأخيار عن طريق المجالسة عزيزةً أوغيرَ ممكنة, أولا تأتي لك متى اشتهيت ؛فإن وجدتَ في نفسك رغبةً في صحبتهم ولم تستطعها عيانًا فأبدل بصحبتهم الحسية صحبةً معنوية وذلك بمدارسة علمهم دارسهم وإن كنت في عزلة في قعر بيتك؛ فهذا من أشرف المنازل وهم من أكرم الصحاب.

١٢

الرد على الفكر المخالف بنبزٍ سوقي لا يتعدى في حقيقته إضحاكَ السامع أو القارئ؛ لكنه بلا أثر على صاحب الفكر أو على من تابعه؛ فلا تلتفت لردٍ بُني على النبز فقط لأنَّ عمق النظر بمثل هذا الرد مؤداه تصويبُ المنبوز فالنبز المجرد عن الدليلِ يوشك أن يكون حجةً تؤيد المطعون عليه وتُسقِطُ حظَ النابز من القبول.

١٣

إذا أحببت أن يتجددَ فرحك بالإسلام ويزدادَ ثباتك عليه فمما يؤتيك هذا قراءة أو سماع رواية من أسلموا بعد كفر أو اهتدوا بعد ضلال.

١٤

في الأزمات المصيرية يجب أن نؤصل بأنفسنا بأننا لسنا كلنا قادة ؛ في الأزمات المصيرية يجب أن نستحضر خُلق التفويض ولا نربك أهل الرأي؛ في الأزمات المصيرية يجب أن يقف الخلاف عند سقف معين ويُسلِّم أحدُ الطرفين للآخر ولو لم يكن على قناعة فإن لم يفعل أحدهما خرَّ السقف على الجميع .

١٥

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ماذا لو كُشف لك الغيب فرأيت نفسَك منهم ؟

١٦

الدين الإسلامي هو الدين الباقي ؛ذلك أنَّ (القرآن الكريم) هو معجزته الباقيةُ منذ نزولها على محمد صلى الله عليه وسلم إلى الآن وإلى أن تقوم الساعة؛ بخلاف معجزات الأنبياء السابقين لرسولنا عليه وعليهم الصلاة والسلام؛ فآيات موسى وعيسى وغيرهما انتهت ؛ فهذا الرسالات اقتضت حكمة الله أن لا يكون لها البقاء وأنَّ البقاء لهذا الدين؛ ومعجزاتهم أقيمت حجةً على أقوامهم في وقتها.

١٧

من الخيرِ لك أن تتوقفَ في مرحلةٍ من مراحلِ عمرك عن تجديدِ الصحبة وأن تكون لك صحبةٌ خاصة محدودةٌ تُعرف بهم ويعرفون بك ؛ الاستمرارفي تجديد الصحبة يقتضي منك أن تمرَّ بتجارب مع كلِّ صاحبٍ جديد ؛ الصحبةُ لها حقوقٌ قد لا تستطيع الوفاء بها في كلِّ مراحل عمرك , هي حقوق تجعلك مثقلاً إن كثُرتْ عليك.

١٨

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾فصلت ٢٦ وصيتان ورجاء؛ فهم تناهوا عن السماع للكتاب العظيم وتواصوا باللغط عندما يُتلى ثم رَجَوا الغلبة؛ أزمنة متطاولة تعاقبت على هذا؛بل إنَّ هناك نوابتَ تنبتُ في كلِّ قرن من الناس هذا نهجها؛ فهل وصلوا إلى الغاية؟ القرآن لا ينقص بهاؤه مع مرور الأيام؛ ولا تنقطع الحجةُ به ولا ينقضي الانتفاع منه؛ ومن عجائبه أنَّ الحاجة إليه تولد مع كلِّ نفسٍ وتتجدد مع كلِّ نَفَس وبذرة التعلق به مغروزةٌ في كلِّ نسمة ؛فمن أكرمه الله أمدَّه بما يغذِّي هذا المغروز ومن أهانه ترك هذه البذرة حتى تموت؛ فلا يستغني عنه جيلٌ من الناس ولا يتقادم كما تتقادم غيره من الكتب؛ و كثيرٌ من الكتب التي هي من نتاج البشر استُغنيَ فيها بلا حقٍ عن سابق وإن بلغت الغاية في الإجادة والإتمام؛ وإن لم يُستغنَ عنها فإنَّ المتعقِّبين تضيف وتحذف وتصحِّح وتُخطِّئ ؛ أمَّا القرآن فكلام الحي الذي لا يموت؛ وفي هذا تثبيتٌ للموقن وردعٌ لدعاة الضلال﴿ فهل من مدَّكِر ﴾القمر ١٥.

١٩

ورد في كتاب /تجارب الأمم وتعاقب الهمم لأبي علي مسكويه ٤٢١هـ رحمه الله تحقيق سيد كسروي حسن (...ولكني أوليّه ولايةً دون قدره). هذا ماقاله الرشيد عن ابن مالك الخزاعي رحمهما الله قلت: إنَّ مكايدة أفذاذ الرجال تكون بتنقص قدرهم فهو أشد عليهم من القتل.

٢٠

لذة الأكل ولذة الشرب ومفاكهة الإخوان يجدها الخامل والنابه؛ لكن الفرق بينهما أنَّ الخامل يعد هذه اللذة منتهى مراده وغاية مقصده فيسترخي بعد أن يأخذ نهمته ؛ والنابه لعلو همته وسمو غايته يراها مَجَمّا يجتاز بها القنطرة وليست غايةً يقف عندها.

٢١

حين يكون الخلاف في مسألةٍ علمية بين علمين متكافئين عفيفي اللسان والقلم فإنَّ الغالب أنَّه يكون مثمرًا وثريًا للقارئ من غيرِ اعتبارٍ للغلبة؛ ولا يغبْ عنك وأنت تقرأ المسألة أن تنظرَ في طريقة الاستدلال لهذين العلمين وكيفية استنباط الدليل عندهما ؛ ولا يأخذْك نَفَسُ النظر إلى الغالب عن هذا المطلب النفيس؛فهناك شذراتٌ تتناثر من أقلامهم إن لم تكن أنفسَ من المعلومة فهي عِدلٌ لها؛ألا وهي طرائق الاستدلال ومنافذ الوصول إلى الدليل.

٢٢

من البشائر التي نغفل عنها قولُه صلى الله عليه وسلم: (إنَّ مِنْ ورائِكُم زمانَ صبرٍ ، لِلْمُتَمَسِّكِ فيه أجرُ خمسينَ شهيدًا منكم) لك الحمد ربنا ؛ اللهم اجعلنا من الصابرين.

٢٣

يوسف عليه السلام ذاقَ ما ذاق من نعيمِ الدنيا وبؤسِها ؛ وتقلبتْ به الأحوال من ذلِّ الرق إلى شرفِ النبوة فلما خبرَ الدنيا وأيقنَ زوالها رغبَ فيما عند الله فقال الله تعالى حكايةً عنه :﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾يوسف ١٠١ ؛فحسن الخاتمة وطيب المآل هو الذي يسعى إليه الموفقون/ جعلنا الله منهم.

٢٤

من مظاهر تاريخنا الاجتماعي قبل ما يزيد على خمسين عاما نحن في ١٤٤٥هـ أن نرى بعد الصلاة من يمسكُ بإناءٍ عند باب المسجد لينفثَ به كلُّ داخلٍ أوخارج؛وهذا يكون ممن أصيبَ أحد عائلتهم بالعين, حتى الدواب إذاظنوا أنّها مصابة بالعين يفعلون هذاويدلاًمن الماء يمسكُ الصبي حزمةَ من العلف فينفث عليها المصلون .

٢٥

قـال صلـى اللـه عليـه وسـلَّم: « إن كان فـي الحراسـة كان فـي الحراسـة، وإن كان فـي السـاقة كان فـي السـاقة » ومـن فوائـد هـذا أنَّ هـذا الرجـلَ يقـومُ بمـا عُهِـدَ بـه إليـه مخلصًـا للـه مـن غيـر اعتبـارٍ لموقعـه وتطلـعٍ لشـهرة ، فـلا تقلـق علـى موقعـك فـي هـذه الحيـاة ، إذا صلحـتْ نيتـك وأخلصـتَ للـه .

٢٦

نشـدان الكمـال غايـةٌ أصبـو إليهـا ،ويشـاركني فيهـا كثـرٌ مـن البشـر، ولكـنَّ بُنيـاتِ الطريـق وعثراتِـه ونقصًـا كتبـه اللـه علـى ولـد آدم قـد يحـول بينـي وبـين مـا أبغـي، ومـن كان لا يعمـل إلا بأكمـل الكمـال فسـتمضي سـحابة عمـره مـن غيـر أن يبلـغ غاية،وسـتتجاوزه دورات الزمـن حتـى تفاجئَـه الأيـام بـأن تقدمـه مـن هـو أقـلُّ منـه.

٢٧

مـن عجائـب مـن تطلبـوا الشـهرة أنـي لـم أر منهـم مـن اسـتقرت بـه الحـال علـى قعر،فكلمـا أوشـك أن يلامـس القـاع هـوى بـه المطلـب، فالشـهرة كطائـرٍ حـذر لا يمكِّنـك مـن نفسـه فيطيـرُ ويقـع قريبًـا منـك فيغريـك بالمطـاردة وقعـةً بعـد وقعـة فـإذا تنبهـت فـإذا أنـت قـد خلَّفـت وراءك طريقًـا طويـلاً العـودةُ صعبـة والاسـتمرار مضـنٍ.

٢٨

من مظان تقوية الأساليب في الكتابة أن تقرأ:

* مقدمة كتاب « الفَسْر» وهو شرح ابن جني لديوان المتنبي رحمهما الله.

* مقدمة شرح الحماسة للمرزوقي.رحمه الله

* مقدمة كتاب أساس البلاغة و مقدمة كتاب المستقصى في الأمثال وهما للزمخشري رحمه الله.

٢٩

« كلٌ استطيع إرضاءه إلا الحاسد فإنه لا يرضى إلا بزوال نعمتي» معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

٣٠

(دخل أحدهم على الخديوي إسماعيل رحمه الله وقال إنه رآه في منامه في حالة حسنة مع الرسول عليه الصلاة والسلام رآه راكبًا بغلة والرسول يمشي في ركابه فصاح الخديوي وأمر بطرده ؛ وقال له ومن أنا حتى يمشي الرسول في ركابي أنا أتمنى أن أكون غبرةً في أقدام محمد صلى الله عليه وسلم)مذكرات محمد كرد علي رحمه الله .

٣١

أنعي من أخلد إلى الفلسفة وأسلم قياده لما حسَّنه له عقله المفطور على القصور والنقص فسيظل يخبط في مجاهل لا دليل فيها؛ و سينقطع أمره إلى قعرٍ موحش لا يسمع فيه إلا نعيقَ غراب أو فحيحَ أفعى حتى ينادى للرحيل؛ ومن العِبر في هذا إسماعيل أدهم الذي مات منتحرًا ومن أقواله : « أني أشعر بالسكينة كما يشعر بها المؤمن؛ قلت : أهو تعجَّل السكينة أم أدركه الشقاء؟ .

٣٢

من مقومات الدراسة للنصوص أن تقرأَ النصُ قراءةً فاحصة من داخله فتنظرَ لأوجه التواد والتنافر بين أفكاره وتنظر إلى جودة العبارة الناقلة لهذه الأفكار ؛ثم ينتقل إلى قراءته من الخارج فتوازن بينه وبين نصوص مشابهة ؛ومن العدالة أن تنظر مستوى منتج النص فإنه يبلغ الشطط إن وازن بين نصٍ لمبتدئ ونصٍ لمتمرس أبدعه منتهٍ في الأدب.

٣٣

بعض الكتب وُضع في صفحاتها الأولى « تقديم « ثم » مقدمة « ولتعرف الحقيقة وتزن المؤلف ابدأ بالمقدمة ؛ فالمقدمة حروف المؤلف وفكره ؛ فتعطيك الوزن العلمي للكاتب والكتاب ؛أما التقديم فالغالب أنه من غير المؤلف ؛والجاري فيه أنه يتوجه إلى شخص المؤلف ثناءً مع قليلٍ من الموضوعي فالغالب أنه يغريك بالكاتب ولا يغريك بالكتاب.

٣٤

كتـاب» المتنبـي» لمحمـود شـاكر ــ رحمـه اللـه ــ أخـذ حظًـا مـن الذيـوع أكثـرَ مـن كتـاب «أباطيـل و أسـمار» و هـذا عائـدٌ إلـى أنـه كتـابٌ فـي الأدب فهـو لـه فـنٌ ينسـبُ إليـه ورحـمٌ تدفـع عنـه ؛ لكنـي أرى أنَّ كتـاب (أباطيـل وأسـمار) أجـلُّ أثـرًا وأعظـمُ نفعًـا مـن كتـاب المتنبـي لأنـه يبحـث فـي موضـوع يعنـي الأمـة بكاملهـا لا فئـة الأدبـاء ومؤرخـي الأدب.

٣٥

بعـض الفـتن عليهـا حجـاب رقيـق يـكاد يشـف مـا خلفـه, فمـا يـكاد لسـانٌ يلامـس ذاك الحجـاب إلا وينكشـف عـن حـزنٍ مدفـون أو حاجـةٍ مكنونـة أوعفـنِ منـتن , ومنهـا مـا يكـون مسـكوتًا عنـه عنـد شـخصٍ مـا فيثيـره أحدهـم بمـا يضطـره إلـى إظهـار مـا يكنـه , فينفتـق الحجـاب عـن مخبـوءٍ ودَّ المثيـر لـو سـكت؛ اللهـم اجعـل لنـا نـورًا نعـرف بـه متـى نقـول ومتـى نـدع.

٣٦

قـرأت مـا كتبـه رجـل شـارف الثمانـين؛ فرأيـت مـن التصابـي مـا جعلنـي أشـفق عليـه ، فقلـت ، التصابـي مـرضٌ يجعلـك تعيـش وهـمَ الشـباب؛ التصابـي يغريـك بمـا يسـتهجنه العقـلاء ؛المتصابـي يظلـم نفسـه حـين يتنكـر لوقـار الشـيخوخة وخيارهـا الأخـروي ؛ المتصابـي أتعـب نفسـه ومـن حولـه ؛المتصابي تتصـارع حقيقـة عمـره مـع جنـوح فكـره ولـن يغيِّرمـن الحقيقـة شـيئًا الرضـى سـكينة والتسـليم غنيمـة.

٣٧

قال تعالى:﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾يوسف ١١٠ (حتى إن الرسل على كمال يقينهم وشدة تصديقهم بوعد الله ووعيده ربما أنه يخطر بقلوبهم نوع من الإياس ونوع من ضعف العلم والتصديق فإذا بلغ الأمر هذه الحال﴿جاءهم نصرنا فنُجيَ من نشاء﴾ يوسف ١١٠ ابن سعدي رحمه الله

٣٨

بالتجربة رأيت الناس يلتفون حول الهازل لكنهم لا يقتدون به , ولا يميلون إلى الجاد لكنهم يقتدون به فهناك غريزةٌ غيرُ معلنة هي التي تتحكم بنا ومن حولك تراهم يتحدثون عن سيرة الجاد إعجابا ويتحدثون عن سيرة الهازل للإضحاك والتسلية ؛ فكن قدوةً ولا تكن ملهاة.

٣٩

حين أقرأ القرآن الكريم ملتمسًا جانبَه البياني وصورَه البلاغية فإني لا أجد اللذة التي أجدها في التلاوة تعبدًا؛ فلا أكاد اتلمس الجانب البلاغي إلا وفرَّت عني لذة التلاوة ؛ وهذا ـ والعلم عند الله ـ عائدٌ إلى أنَّ قراءة التعبد تكون بالقلب وقراءة البحث البلاغي والبياني تكون بالعقل ؛ والقلب هو مقرُّ السكينة ومنبتُ الطمأنينة وأملكُ سلطةً على الجوارح.

٤٠

طلب سعد رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له بأن يكونَ مستجابَ الدعوة فقال له : (أطبْ مطعمَك تكن مستجابَ الدعوة) وطلب أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه مرافقته صلى الله عليه بالجنة فقال : (فأعني على نفسك بكثرة السجود) فأرشدهما إلى منهجٍ لهما ولسائر الأمة أشهدُ أنك ما أرسلتَ إلا رحمةً للعالمين.

٤١

يمضي الزمانُ فلا يُبقي ولا يذرُ ... مفرِقًا لجماعاتٍ وينتظرُ

والمرء فيها أسيرٌ طول رحلته ... سلها ستنبُئك الأخبارُ والسيرُ

وليس تمنع ما يخشاه حكمته ... وليس ينفعه في خوفه الحذرُ

حقيقةٌ في حياة الناسِ يكشفها ... من في الحياة استبانوا الأمرأونظروا

الدكتور عبد الرحمن الواصل / أبو همام رحمه الله.

٤٢

وقفة تحليلية قال طرفة:

إذا القوم قالوا من فتى خِلتُ أنني ... عُنيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلدِ

إذا القوم يصور المفاجأة بالمكروه ؛ وقوله:[من فتى أوحتْ في الإسراع في طلب النجدة ؛ وصوغ الاستصراخ بهذا الاستفهام فيه ملمحٌ يدل على اضطرابِ الحيلة وطيشِها وشدةِ الكرب الذي لا يدفعه إلاذوفتوة.

٤٣

محمود شاكر ـ رحمه الله ـ هُدِيَ إلى ثغرٍ فأحسن سده , وقلم الشيخ حَمَلٌ وديع ما لم يُنل جناب التراث أو تهمز قناة العربية, فإذا وقع هذا استحال ذاك القلم نابًا في فك أسد.

٤٤

ولَعُ بعضهم بالحديث عن الماجَرَيات ومتابعتِها ولعٌ عجيب فلا يكاد يفترُ لسانُه عن حديثٍ هنا وآخرَ هناك فيُمضي نفيس وقته بأحاديث لا تجدُ منها نفعًا وإنما هي شكاية عن حالٍ من أحوال الناس أو زَفَراتٌ يبثها عن وضعٍ لا يعنيه بل أقحم نفسه فيه فعرَّضها للداء وأثقلها في البحث عن الدواء.

(الحديث عن الماجَرَيات) المقصود به الحديث عما يجري بين الناس.

٤٥

من تأمُّلات الحياة أن إذا رأيت من يرمي شخصًا بالكبر وهو عند الناس على خلافه بل له محبةٌ في القلوب ومنزلة, فاعلم أن المرمي على درجة من الكمال ثقلتْ على قلب الحاسد » الرامي « وحصرَ بها صدره ولا تفاجأ إن كان بك خصلة كمال لم يدرك الحاسد بلوغها أن تكون يومًا أنت المرمي بالكبر.

٤٦

قال تعالى :﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾النحل ٥٨ـ ٥٩ في الآية تصوير فني وجمالي يبرز أثر البشارة بالأنثى ففيها صورة خارجية ﴿ مُسْوَدًا ﴾ وصورة داخلية﴿كَظِيمٌ﴾ وصورة حركية﴿يَتَوَارَى ﴾ حيرة نفسية واضطراب ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ إنه القرآن وكفى.

٤٧

(... والجاحظ تأخذ قلمه أحيانًا مثل الحكَّة, لا تهدأ من ثورانها عليه حتى يشتفي منها ببعض القول وببعض الاستطالة وبفرط العقل)محمود شاكر رحمه الله , أقولها لأنَّ بعض من يُرى أنهم مثقفون إذا لم يجدوا ما يفيد فإنهم لا تبارح أقلامهم هذه الحَكَّة التي يناكفون بها أهل العلم.

٤٨

بعضهم ـــ لضعف شخصيته ـ حين خشيَ أن يوصفَ بالجمود تحوَّل إلى مادة سائلة؛ فتبسم لكلِّ طعنةٍ في الدين وألبسها من التسويغ ما يدفعُ عنه تهمةَ الجمود حتى وإن كانت طعنة في دينه؛ إلا أنَّ ظهوره بمظهر المنفتح أثمنُ عنده من الذبِّ عن الدين ودحض المطاعن ؛وبعضهم يبالغ في الحديث عن سماحة الإسلام إلى مستوى التمييع حتى ظنَّ من يجهل أنَّ الإسلام نظريَاتٌ تربوية, قال بها البشر لا رسالةٌ إلهية أُرسلَ بها سيد البشر صلى الله عليه وسلمَّ.

٤٩

من شوارد الأبيات ما وردفيه خمسة أمثال , وهو من قول القزاز رحمه الله:

خاطرْ تُفِدْ، وارتدْ تجدْ، وأكرم تَسُد وانقد تَقُدْ، واصغُر تُعَدُّ الأكبرا

خاطر تُفد: أذا أردت أن تُفيد أو تستفيد فخاطر, ارتد تجد: من ارتدياد المكان أي اختباره قبل اختياره؛ أكرم تسد كن كريمًا لتكون سيدًا, انقد تَقَد هي من الانقياد فكن سهل المراس ليعطيك الناس زمام القيادة فتكون قائدَهم , واصغُر تعد الأكبرا: لا تتعاظم على من حولك وكن صغير النفس ليعدوك كبيرَهم.

٥٠

يظن البعض أنَّ الجلسة مع الأصحاب أو السفر في سياحةٍ أو البعد عن مقر العمل ونحوها أنَّ قطعة الزمن هذه منقطعةٌ مفصولة عن العمر فله الحق بأن يعبث بها كما شاء ؛ فهو مأخوذ بنشوة الانشراح ورفع الحشمة مع رفقته؛ فظن أنَّ عجلة الزمن تتوقف وأن هذه قطعةٌ زمنية لا تحسب من عمره فتأخذه الغفلة ويستدرجه المرح فيأخذه إلى قولٍ يندم عليه ؛ و حقيقةُ العمر هي الأنفاس التي تتعاقب على من غير اعتبار لصفة الوقت التي يجري فيه النَفَس وإن كان الإنسان نائما.

٥١

قاعدة : في قراءةكتب الشيخين عبد العزيز الطَّريفي و محمد محمد أبو موسى أنها تُعلِّم العلم وتُعلِّم صناعةَ المعرفة ؛ وقراءة بعض الكتب تحدث إيقاظًا لفكرةٍ مستقرةٍ بالذهن ؛فهذه القراءة تشبه الطلَّ.

٥٢

هناك سببٌ واحد يعمله الرجلان فيكون لأحدهما فوزًا ا وللآخر خسرانا , ما يدلُّ على أنَّ هناك مقادير خفيةً لإرادة الله ؛ أقول هذا من مشاهدات أعرفها فقد رأيت أناسًا توحَّد سببهم الذي أخذوا به ففاز قوم وخسر آخرون.

٥٣

قال ابن قتيبة رحمه الله في كتابه الشعر والشعراء: (وللشعر تاراتٌ يبعد فيها قريبه ويستصعب فيه ريِّضه, وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات ... وكان الفرزدق يقول: (أنا أشعر تميم عند تميم) وربما أتت عليَّ ساعةٌ ونزعُ ضرسٍ أسهلُ علي من قولِ بيت , وجاء في هامش ص٨١: فقال الفرزدق يعني شعر النابغة الجعدي : مثله مثل صاحب الخلقان عنده ثوب عصب وثوب خز وإلى جانبه سمل كساء) أهـ , ثوب عصب أي لا زينة فيه, وقال : إنَّ العصب هو ثياب تأتي من اليمن وتصبغ بنوع من النبات يسمى العصب, والخز من لباس الزينة, والسَّمل القديم, وقال الفرزدق أيضا عن شعر النابغة: (كان صاحب خلقان ,عنده مطرف بألف وخمار بواف) ومطرف رداء من خز, والمعنى أنه يعلو بشعره ويسفل؛ « بواف » بدرهم.

٥٤

حين يقرأ الإنسان لكاتبٍ ما فيحس إحساسًا غيرَ مستجلب أنَّ هذا الكاتب يحدِّث عن نفس القارئ ومشاعره وحين يتمكن الشاعر أو الكتاب من الحديث بلغة ولهجة يصدق عليها أنها نفَّست عن الأكثر وتحدثت عن مكنونهم هنا وصل إلى الفحولة والريادة , ولا يبلغ هذه الغاية إلا خيارٌ من خيار, وحين يوفق محلل النص إلى نقل مشاعر خفية لصاحب النص هو نفسه ـ أعني قائل النص ـ قد لا يعلم أنه يحس بها حين يصل إلى هذا يكون اجتاز القنطرة في تحليل النص.

٥٥

الفرقُ بين فتحِنا واستعمارِهم, أننا رأيناهم في شر فذهبنا لإصلاحهم , وهم رأوا أننا في خيرٍ فأحبوا إفسادنا, ولم يستطيعوا القضاء على صلاحنا فمازالت الجذوة متقدة مع كثرة ما أصابها من الدواهي؛ هم رأوا أنهم من فساد إلى فساد في فساد فأخذهم الحسد فدبَّروا كيف يوقعوننا في فسادهم , ونحن بخلاف ذلك تمامًا رأيناهم في فساد ونحن في صلاح فرغبنا أن ندخلهم في صلاحنا ؛وشاهد هذا أن نقيس ما وصلت إليه حضارتنا في أوربا وما عمهم فيها من نعيم وعلم, وكيف تحدرت بنا الأحوال حين أدخلوا علينا فسادهم, وكيف تحدرت بهم الأحوال حين ملوا العيش في رحاب صلاحنا.

٥٦

من الإخلال بالأمانة العلمية والتعمية على القارئ في مباحث الردود أن يقول الراد: هذا فحوى كلامه؛ فالإنصاف يوجب عليك أن تنقل نص العبارة ثم تتبعها برأيك, فأنت هنا تلزم القارئ بما تراه وتعمّي عليه وتُقوِّلُ المخالَف مالم يقل , وتكتب نيابةً عنه, فمهما كانت دقتك في التعبير عن رأي المخالف فلن تكون بمرتبة صاحب الرأي الذي تصرَّفتَ بكلامه ؛ لأنه اختار ألفاظًا محددة أبرز بها رأيه , وذلك أنَّ للألفاظ جرسًا و إيحاءً نفسيًا تترجم ما يجول بخاطر كاتبها ؛ فأنت بتغافلك عن النص و بنقلك المعنى,نقلت ما يجول بخاطرك لا بخاطر من يخالفك ؛ ونقلُ نصِّ العبارة يجعل القارئ على بصيرة من حقيقة ماقاله الطرف الآخر ويرفع عنك تَبِعة الإخلال, وقد يكون من تنقل إليه نصَّ الكلام أفقهَ وأدقَ فهمًا منكما فيفهم خلاف ما تفهم , ويجد مساغًا علميًا خلاف ما خطر ببالك , فرب مُبلَّغٍ أوعى من سامع.

٥٧

حين نقرأ بعض السير الذاتية يرد على الذهن قوله صلى الله عليه وسلم: (كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين) فتجد بعض من يكتب عن سيرته يفضي بعيوبٍ وقبائحَ سترها الله عليه؛ ولا يقرُّ عاقل بأنَّ هذا من الصراحة التي يتطلبها التاريخ.

٥٨

من أراد أن يقرأ بعقلية التحليل واستنباط المعلومة فليقرأ للدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله؛ فهو من أفضل المؤلفين الذين قرأت لهم و يتميز بذهنية تحليلية فلا يكتفي بل تكاد تقول إنه يأنف من إيراد المعلومة مجردة , بل يعطيك ما وراءها.

٥٩

من الفروق بين الحكمة والمثل أنَّ الحكمة تكون بعد تدبر وروية في الفكر فإذا استشرتَ أحدًا فأمدك برأي شافٍ صائب فهذه حكمة؛ فهذه المشورة ليست موجودةً في الذهن قبل هذا المثير؛ وإنما وردت بعد قدح رأيٍ برأي واستحضار تجارب مشابهة؛ أمَّا المثل فموجودٌ بالذهن فيثيره مثيرٌ يستدعيه على اللسان، وهذا بخلاف انقذافه على اللسان أول مرة فهو هنا جاء من غير استدعاء لمحفوظ.

٦٠

خُلقتَ مبرءًا من كلِّ عيبٍ ... كأنك قد خُلقتَ كما تشاءُ

ينسب لحسان رضي الله عنه, وفيه نظر فالشطر الثاني يفيد أن اختياره صلى الله عليه وسلم مقدمٌ على اختيار الله كما أن نَفَس الغلو ظاهرٌ فيه فهو صالح في معناه لأن ينسبَ إلى ميمية البوصيري رحمه الله.

٦١

الطبائع المستكنة في أغوار النفس البشرية التي يحاول الإنسان ويجاهد في إخفائها؛ من عجائبها أنها تظهر من خلال الأضداد فقد يغضب الإنسان

أو يَحسد أو يفرح فرحًا مفرطًا أو يُحرَج أو يظفر أو يفضي إلى من يطمئن إليه؛ فتظهر من إحدى هذه الخلال طبائع يجاهد في سترها ؛والإنسان مهما بلغ من درجات الكمال إلا أنَّ النقص صفةٌ ملازمة له؛ ولكنِّي رأيت أنَّ مما يحفظه من ظهور بعض صفات نقصه إقلالَه من الخُلطة مع الناس فالبعد يحفظ منزلته الأدنى إلى الكمال.

٦٢

هناك فرق بالمراد بين كتابة «ابن» و«بن»، فإن كانت بين أعلام كلٌّ منها عقب لمن قبله فتكتب بن ،محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم،ما لم تكن في بداية سطر وإن كانت منسوبة إلى جد أو عائلة فتكتب ابن مثال الأول» جمال الدين ابن مالك « فمالك ليس أبًا لجمال الدين.

٦٣

إذا بلغت معك زوجتك أن تقول : (ما رأيت منك خيرًا قط) فإياك وهي في هذه الحالة أن تستعرض إنجازاتك في سالف الأيام فهي تتحدث بغير وعي فقد بلغتْ من الإحباط قاعه وهي لا تعني ما تقول فلا تؤاخذها بكلِّ دقائق كلامها وزلاتها ومن عجائب العجب أنك إن صبرتَ عليها تتحول بعد ثوانٍ من شفرة إلى زهرة.

٦٤

في كتاب ربيع الأبرار للزمخشري رحمه الله قال عبد الملك بن عمير: رأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد،ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ، ثم رأس المختار بين يدي مصعب ، ثم رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال سفيان فقلت كم كان بين أول الرؤوس وآخرها ؟ قال اثنتا عشرة سنة .

٦٥

في التأليف من كان يظن أنه سيكسب مالاً أو سيسترد نصف تكاليفه أو بعضها فليرحْ قريحته وليكفِنْ قلمه وليسترخِ بأقربَ ظل.

٦٦

نقل البذور من عقلٍ كبير إلى عقلٍ كبير يثمرُ ثمرةً جديدة ليست بحسبان العالم الأول؛ ابن جني نقل بذور كتاب سيبويه فأثمر كتاب الخصائص ؛عبد القاهر الجرجاني نقل بذور الكتاب نفسه فأثمر كتاب دلائل الإعجاز رحم الله الجميع وكل عالم يقرأ كتب العلم سيجد بذورًا تثمر جديدًا والطريق سالك فكم ترك الأول للآخر.

٦٧

تأملتُ قوله صلى الله عليه وسلم (أنا زعيم بيت في رَبَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا) ثم تأملت شهوة القول العجيبة لدينا نحن البشر في حب الرد والتصدر والغلبة فإذا هي لا يقمعها إلا مطمعٌ بغايةٍ عظيمة ، وهل أعظمُ غايةً من الجنة ؟ زعيم ضامن؛ رَبَض الجنة نواحيها؛ المراء الجدل.

٦٨

لـن تسـتطيعَ أن تُبلِّـغَ البشـريةَ غايتَهـا القصـوى مـن الفضيلـة ،ولكنـك مأمـورٌ بأن تشـارك بإدارة العجلـة؛ وأنـت ذوحـظٍ عظيـم إن شـاركت بإدارة العجلـة علـى الطريـق المسـتقيم.

٦٩

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ورود هـذا النبـأ الربانـي مقرونًـا بنـاء العظمة[إنّـا] [نزّلنـا] [وإنّـا] مع تخصيـص ضميـر العظمـة [نحـنُ] برهـانٌ نافـذ الدلالـة قطعـي الثبـوت علـى دوام هـذا الخبـر.

٧٠

يقولـون فـي المثـل: « أطـول عمـرًا مـن لُبَـد » روتْ كتـب الأدب فـي أمـر لُبـد أنـه أحـدُ نسـورٍ سبعةٍ معمـرة كانـت للقمـان بـن عاديـا, ولُبَـد هـو آخرهـا موتًـا, قـال النابغـة:

أمست يبابًا وأمسى أهلُها ارتحلوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لُبدِ

أراني أرددُ هـذا البيت عنـد كلِّ مـا كان عامـرًا فأحالتـه صـروف الدهـر إلـى خراب؛ سـواءٌ عنـدي جماعـاتٌ فرقتهـم المنايـا فأصبحـوا أحاديـث أم صـروحٌ مصرَّحـةٌ فصـارت أطـلالا.

٧١

مخافةُ التهمةِ بالضعف جندٌ خفيٌ من جنود إبليس يخذّل به من شارف بلوغ الحق أو من أخذه الحِلْم فعفا عن المسيء.

٧٢

قيل في الحكم : (وقد يُسِيلُ رذاذُ الديمةِ الوادي) لمن لم تحكمه التجرِبة واستهان بصِغر المشكلة فلم يبادر إلى الحل أو أنه يُعرِّض نفسه لمواطن الشُبه, لمن يستصغر ويستهين بصغار الفتن من غير التفات إلى عواقبها, أو لمن يديم الإقامة على أمرٍ مشين فالرذاذ هو أخفُّ حالات المطر ومع هذا فإن دوامه قد يُجري الوادي فلا تستهن بصغار الشرور فلا تدري بأيها تؤخذ.

٧٣

من كتاب « اليهود وأكاذيبهم » لمارتن لوثر: « ويبين التلمود عقيدة اليهود... أما غيرهم فحيوانات نجسة الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وبقية الشعوب, المرأةُ غيرُ اليهودية هي من الحيوانات ,لليهودي الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات أي غير اليهوديات.

٧٤

من أراد أن يكتبَ عن فكرةٍ استجمعَ أمرَها في ذهنِه ,ويخشى بأن تكونَ استجابته الذهنية على غيرِ أوأقلَّ مما يريد؛ عليه أن يبدأ ثم ما يدري وقد غمس مداد قلمه بهذه الفكرة فإذا المعاني تتابع فتتداعى إلى ذهنه حتى يوشكَ ألا يُحكمَ زمامَها.

٧٥

حين يقول أبو عمر الجرمي رحمه الله ت ٢٢٥ هـ: «أنا أفتي الناس منذ ثلاثين سنةً من كتاب سيبويه» فليس معنى هذا أنَّ كتاب سيبويه حوى الحلال والحرام؛ وإنما ما يعنيه الجرمي أنه قرأ كتاب سيبويه ليتعلم منه كيف يصل سيبويه إلى العلم ثم يجريه على علم الفقه ولم يقرأه ليتعلم العلم فقط فالجرمي يقرأ المسألة لا ليعرف حكمها بل ليعرف كيف وصل العالم إلى هذا الحكم وهكذا تكون قراءة العلماء رحمهم الله.

٧٦

لا تكره أن يسقطَ فلانٌ من صحبتك , فلا يبعد أن يكون هذا لطفًا خفيًا أكرمك الله به, لا تكره أن منعك فلانٌ معروفًا أو يدًا كنتَ تؤمِّلها منه؛ فقد لا يكون أهلاً لأن يصنعَ بك معروفا؛ فلعلك أكرمُ منه عند الله .

٧٧

الدراسات المنطلقة من تحليل الكاتب وذوقه لم تقلْ ولن تقالَ بها كلمةٌ أخيرة, فما يفهمه زيدٌ من تحليله قد يغيبُ عن عمرو وقد يشترك الفهمان في الصحة, وقد يتضاد الفهمان وفيهما شيءٌ من صواب؛والمعول على سلامة المأخذ والسلامة من الهوى.

٧٨

بعض المؤلفين حين يصدر كتابًا يظن أن الناس سيكونون معه من باب﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ فسيزدحمون على كتابه حتى لا يصلحَ بينهم إلا الا قتراع أو أن منزلةَ كتابِه ستكون كما قيل عن موطأ الإمام مالك رحمه الله: (إن الموطأ أخمل سبعين موطأً) وهذا ظنٌ يُثقِل الذهنَ و القلم ويجلبُ الهمَّ؛ فلا تصغِ إليه حين يطوف بخاطرك.

٧٩

العصور الوسطى عصور مظلمة امتدت عشرة قرون من القرن٥ـ ١٥م , ضربت بظلماتها على أوربا ؛ لكنَّ بعض المتفيهقة يظنونها من التاريخ الإسلامي, وهي تقابل رقيَّ الحضارة الإسلامية في الأندلس الجزء الأوربي من العالم الإسلامي وهي من تسمية مؤرخي أوربالتاريخهم .

٨٠

هناك فرقٌ بين من يبهره الإملال والإمهال والاستدراج وبين من يبهره الفوز والنجاح, وهما في ظاهرهما أمرٌ واحد , ولكنَّ الإملال وأخويه مأخذٌ يأخذ به الله الظالم فيمد له بوسائل الزينة ويفتح له أبواب كلٍّ شيء؛ فيظن أنه على حق فيُنسيه الله الحق حتى يأخذه على غرة فلا يمكنه الإفلات, ولكن النجاح تكون التوسعة فيه عن رضى؛ ومن علامات الإمهال أن تزادَ عليك النعم وأنت مقيمٌ على المعصية ؛ ومن علامات الفوز أنَّك مداومٌ على الخير تثبيتًا من الله وتتابع إليك فتح الأبواب الموصلة إلى الله .

٨١

البلاغي المطبوع هو من يجري قلمه بالبيان عفوًا حتى إذا فرغ من كتابة خاطرته وعاد لها بعد زمن عجب كيف جرى على لسانه هذا البيان وكيف جرى به قلمه ؛فهو ساعة المواتاة كأنَّه رُفع عن نسيجه المعتاد وأُلبِس نسيجًا آخر؛ وساعة المواتاة ليس لها زمنٌ تعرف به فتُنتظر, وانما هي توهب بوقتٍ لا تستطيع استجلابها إليه.

٨٢

قوله صلى الله عليه وسلم :(ولا تكلني إلى نفسي طرفةَ عين) مقدارٌ لا يمكن تقدير قلة مأخذه من الزمن ولكنك إن أُخذتَ به فسيتسع إذا تركك الله وشأنك ووكلك إلى نفسك فتسترسل لهَمَزات الشيطان ونفثاته وتتشعبُ بك المآخذ والمهالك وهنا تتضح حاجة العبد وفاقته إلى حفظ الله اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

٨٣

يبلغ المؤلف أيُ مؤلف درجةَ الإحسان إذا أخبر القارئ كيف وصل إلى هذا الاستنباط , فلا يقتصر على تبليغ العلم وإنما يهدي القارئ إلى السبيل الذي وصل به إلى هذا المذهب لينير له طريقًا يعرف به صناعة العلم , فلا يقف عند تعريفه بالمسألة.

٨٤

مؤتلف ومختلف من الأمثال العربية:

١. أحول من أبي براقش, هو من كثرة التحول, أحول من ذئب من كثرة إعمال الحيلة ـ ٢ ـ أحيا من العذراء , هو لشديد الحياء , أحيا من ضب هو لمن طالت به الحياة ـ ٣ ـ أخلف من عرقوب لمن أكثر إخلاف المواعيد, أخلف من صقر من الخُلوف وهو تغير رائحة الفم ـ ٥ ـ أعدى من السليك, أعدى من الثؤباء؛ فالأول من العَدْوِ وهو الإسراع في الجري, والثاني من العدوى وهي انتقال المرض؛ والسليكُ هو أحد الشعراء الصعاليك؛ والثؤباء التثاؤب أبو براقش طائر صغير أذا هُيِّج يغير لونه.

٨٥

قال سيبويه رحمه الله : (وأما المحالُ الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس)

٨٦

قرأت لأحدهم عقوقا في البلاغة حيث قال :(إن البلاغة بلغت حد اليأس وتجمدت وعقمت) فقلت: أما يكفي أنها أكرمتك فمنحتك من نفسها مع عظيم عقوقك بها , فمع بعد كلامك عن الحقيقة إلا أنه جاء بليغا, ومن أجمل ما فيه المجانسة غير التامة في قولك: «البلاغة بلغت» وقد جاء عفوًا وهو من أجمل درجات الإ فصاح البلاغي فهل عقمتْ البلاغة أم أنت عققتها؟!.

٨٧

إنَّ من أبهج وأشهى لحظات البحث العلمي أن يـُسلِمَك بحثٌ إلى بحث فتبقى راتعًا في جنان هذه السلسلة الذهبية .

٨٨

غضب أحد الولاة على خادمه فحجب عنه العطية, فدخل عليه الخادم وقال له: أتظن أنك أنت الذي يرزقني؟! إنما أنت مناولٌ للرزق فالله يعطيك فتناولني, فإن حجبت عني قيَّض الله من يناولني غيرُك, فأطرق الوالي ورد ما حجب عن الخادم, قلت: صدق الخادم في اليقين فاستيقظ قلبُ الوالي.

٨٩

(زوجتي من حسن الحظ لم تراودها أحلام الثروة؛ من الأمور المضحكة أنها مصابة بحساسية من نوع فريد, إذ يصفر وجهها وتعطس حين تمكثُ مدةً طويلة داخل أحد المحلات, وهي حساسية يحسدني عليها كثير من الأزواج وطلب أحدهم أن أقرضه هذا الفيروس المبارك) عبد الوهاب المسيري رحمه الله/ رحلتي الفكرية

٩٠

من أظلم الظلم للنفس أن تؤذي من لا يستطيع رد أذيتك إلا بالشكاية إلى الله .

٩١

إذا راجعت كتابك الذي ألفته حديثا وقبل دفعه للمطبعة ثم بلغت في مراجعتك أن تبدل بكلمةٍ كلمةً لتجميل الأسلوب فحسب من غير تغييرٍ للفكرة , وأنك لا تنقض رأيا أبرمته أو دليلاً أخذت به , فقف هنا عن المراجعة فأنت إن واصلت فإن غزْلَك يوشك أن يكون أنكاثا.

٩٢

تعطلت سيارتي فأخذ صاحب السطحة نصيبه وصاحب الورشة نصيبه وصاحب قطع الغيار نصيبه فقلت إن الواحد منا يحمل مبلغًا لا يعلم أنه يحفظه لفلانٍ وفلان حتى يأتي قدر الله فيأخذ كلٌ نصيبه فسبحان من بيده أرزاق العباد وهذا يجري في كثيرٍ من شؤوننا﴿إنَّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾آل عمران ١٣/ جعلنا الله منهم.

٩٣

ما أرفع ذكرك وما أوفى حظك حين يُعرض اسمك وتُعرض صلاتك على رسول الله محمدٍ صلى الله عليه وسلَّم ؛ بأنَّ فلانا صلى وسلم عليك, اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك محمد.

٩٤

[لودامت لغيرك ما وصلت إليك] فيها تذكيرٌ وعظة بسرعة تبدل الأحوال فكما أنَّ الأمر وصل إليك بزواله عن غيرِك فسيصلُ إلى غيرِك بزواله عنك ، وكثير ممن تشبث بالجاه وقاوم زواله بالمكر والحيلة ساءت خاتمته فتركه وهو كسيرٌ ذليل ومن ثم تنغصت حاله وعاش في ضيق وهم [لودامت لغيرك ما وصلت إليك]

٩٥

من التباين في الأخلاق , هناك رجل يفرح إذا لجأت إليه بطلب رأي أو جاه أو مال يفرح فرح كريم متهلل وهناك من يفرح فرح شماتة فرحًا بضعفك ليشفي ما في الصدر ,من علامات الأول أنه ينسى ما أسداه ومن علامات الثاني أنه لا يفتأ يذكُرك وقد يبلغ به السوء فيذكُرك علانية اللهم لاتجعل لكريمٍ حاجةً عند لئيم

٩٦

ومن عجائب صيد اللفظ قولُ قيس بن ذريح رحمه الله

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيل يُغدى ... بليلى العامريةِ أو يراحُ

قطاةٌ عزَّها شركٌ فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناحُ

فالقلبُ يضطربُ اضطرابَ قطاةٍ وقعت في شَرَك ,استحضرْ حركة القطاة وهي تخفق بجناحيها جاهدةً في الخروج من هذا الشَرَك, ثم التفت إلى قوله: (عزَّها) فمعناها شق عليها ولكنها تعبيرٌ عن المراد أنفسُ من شقَّ وأثرى ..

٩٧

إليكم فكرة كتاب صرفتني عن تأليفه مباحث أخرى العنوان(الطريف في بواعث التأليف) يصلحُ حال صدوره لأن يكون مستجَمًا من تعب البحث ومتنزهًا لاستعادة النشاط ولعل قارئه يجد من البواعث سببًا يوقظ همة ومادته ميسورة ؛ فقلما تجد كتابا إلا أشارت المقدمة إلى سبب التأليف فهل من ناهضٍ بهذا؟

٩٨

* كتاب (صفحات من تجربتي) لعثمان أحمد عثمان رحمه الله سيرة ذاتية وتجربة ثرية جدا تفيد المقاول والمؤرخ والسياسي والمفكر والإداري وفيها توكل على الله وإحسان ظن به وفيها مكايدة الحسَدة وكيفية توقيهم وحفظ حق الوالدين قراءته ممتعة لمن يفضلون القراءة في السير الذاتية .

١٠٠

(... فلما صاحوا الله أكبر ارتعش قلب مارية فسألت الراهب شطا ماذا يقولون ؟ قال إنَّ هذه كلمة يدخلون بها صلاتهم كأنما يخاطبون بها الزمن أنهم الساعة في وقت ليس منه ولا من دنياهم فإذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت ونزاع الوقت وشهوات الوقت فذلك دخولهم في الصلاة)الرافعي رحمه الله في وحي القلم.

١٠١

ورد في كتاب رسائل البلغاء لمحمد كرد علي رحمه الله : (أُجرِيت الخيل فطلع منها فرسٌ سابق فجعل رجلٌ من النظارة يُكبِّرُ ويثب من الفرح , فقال له رجلٌ إلى جانبه: يا فتى أهذا السابقُ فرسُك؟ فقال: لا ولكن اللجام لي) قلت : كم هم الذين يدَّعون بناء الصرح بقشة يضعونها بجوار الحائط!

١٠٢

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾القصص ٢٤ أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي. وهذا سؤالٌ منه بحاله، والسؤالُ بالحال أبلغُ من السؤال بلسان المقال. تفسير الشيخ ابن سعدي رحمه الله.

١٠٣

مهما بلغ الإنسان من العزة والرفعة ، ومهما أصابه من الهم والكبد فالمعوَّل على{تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} يوسف١٠١ هكذا حكاها الله سبحانه عن يوسف عليه السلام، فالرغبة في حسن الخاتمة اختصرت كل مطالب الحياة وأنستْ كل ما مرَّ من نعيم أو شقاء، اللهم أكرمنا في أمورنا كلها بخاتمة تحبها وترضاها .

١٠٤

أتانا من الأعراب قومٌ تفقهوا وليس لهم في الفقه قبلُ ولا بعدُ.
يقولون هذا عندنا غيرُ جائزٍ ومن أنتمُ حتى يكونَ لكم عندُ؟

ابن دقيق العيد رحمه الله , وهو أحد شُرَّاح الأربعين النووية .

١٠٥

من عجائب الفراسة ما رواه الجنيد رحمه الله عن نفسه :(وقف علي غلام نصراني متنكرًا وقال: أيها الشيخ! ما معنى قوله : (اتقوا فراسة المؤمن. فإنه ينظر بنور الله) فأطرقتُ، ثم رفعتُ رأسي فقلت: «أسلم! فقد حان وقت إسلامك!» فأسلم» .

١٠٦

(لقد ندمت في مواجهة الإسلام وتمنيت أني لم أكن معه في مواجهة، لقد فقدت نصف الأتباع في الصراع معه، لقد رجعوا إليه) ميشيل عفلق، من كتاب « العقلية الليبرالية « للشيخ عبد العزيز الطريفي، قلت : كم هم الذين سيقولون ما قال عفلق، فهل هم منتهون؟! قبل فوات زمن المهلة.

١٠٧

اجتمع ثلاثة من الشعراء عند عبد الملك فطلب منهم أن يقولَ كلُّ واحدٍ بيتًا يغلب صاحبيه.

الفرزدق:	أنا القطران والشعراء جربى	وفي القطران للجربى شفاء
الأخطل:	فإن تك زِقَ زاملة فإني	أنا الطاعون ليس له دواء
جرير:	أنا الموتُ الذي آتي عليكم	فليس لهاربٍ مني نجاء

الزِق وعاء السوائل؛ الزاملة الدابة.

١٠٨

١. قد يتبادر إلى الذهن في قوله تعالى { الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا } ٦٦ الأنفال أن عِلمَ اللهِ حادث تعالى الله عن هذا قال العلماء علم الله نوعان : علم ابتداء وعلم ظهور فعلم الابتداء هو أن الله سبحانه علم ما كان وما سيكون وأن الله كتب كل شيء قبل خلق السموات الأرض بخمسين ألف سنة.

٢ـ وعِلْمُ الظهور هو المقصود هنا أي ليظهر الله لكم علمه بأن فيكم ضعفًا فالصحابة رضي الله عنهم لم يعلموا ضعفهم إلا حينَ أوجبَ الله عليهم أن يصابرَ الواحدُ عشرة وتقديم التخفيف قبل الإخبار بالعلم مع أن التخفيف نتيجة للعلم يؤيد نفي أن علم الله حادث، فالتقدير أنّ الله خفف عنكم لأنه علم ضعفكم.

١٠٩

همزة (امرئ) تتأثر كتابتها بالموقع الإعرابي , فتقول : (جاء امرؤ القيس) رأيت امرأ القيس (نظرت إلى امرئ القيس) , ومثلها الهمزة المتطرفة: جاء كرماؤكم , أكرمت كرماءكم , نظرت إلى كرمائكم.

١١٠

من معينات الضبط العلمي أن تضع على الكتاب الذي تقرأه فهرسًا تقيد فيه ما وجدته من فوائد ؛ وأن تعرف غايتك من هذا الكتاب, قد يسلك بك المؤلف طريقًا تبصر في أثنائه ما لم يبصره هو .

١١١

عليك بكتب الشيخ الأديب البليغ على الطنطاوي رحمه الله فهي مدرسة في البلاغة وجمال الأسلوب , وأكثر من القراءة بصوت مسموع فهذا يعينك على الإجادة, ثم قم بكتابة تلخيصٍ لما تقرأ افعل هذا بكثرة وستجد إن شاء الله ثمرة طيبة.

١١٢

* قول الحسن البصري رحمه الله : « ما رأيت يقينًا لا شك فيه أشبهَ بشكٍ لا يقين فيه من الموت «هذا الكلام وضعه عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابه (الرسالة الشافية) من باب : (وكذلك السبيل في المنثور من الكلام فإنك تجد فيه متى شئت فصولاً تعلم أن لن يُستطاعَ في معانيها مثلُها)

١١٣

الجملة المنشورة على الطرق (لا تكتب وتسوق) يجوز في « تسوق » ما يجوز في إعراب تشرب من قولهم (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) وجعل الواو حالية أولى فجملة تسوق حال « فالمراد لا تكتب وأنت تسوق فإن جعلنا الواو للحال نرفع تسوق وإن كانت للمعية ننصب وإن كانت عاطفة نجزم وهو أضعفها.

١١٤

الاعتداء على المطولات باختصارها من أطرافٍ أخرى غيرِ مؤلفيها, يذهب نفائس أودعها المؤلف, مع ما يضاف إلى أنه اعتداء علمي على الوضع الأول للكتاب.

١١٥

(... حتى أمن الناس بعضُهم بعضا وتبيت المرأةُ لا تغلقُ عليها بابَها, وكلٌ يقول: لو ضاع حبلٌ بيني وبين خراسان علمت من أخذه قال الشعبي رحمه الله فوالله ما تعلقنا عليه بكذبة وما وعدنا خيرًا أوشرًا إلا أنفذه) وصف البصرة وقت ولاية زياد , من كتاب تجارب الأمم لأبي علي مسكويه رحم الله الجميع .

١١٦

(يـروى أنَّ أهـل النفـاق يبكـون فـي النـار عُمُـرَ الدنيـا و لا يرقـأ لهـم دمـع ولا يكتحلـون بنـوم) تفسـير أبـي السـعود رحمـه اللـه من سـورة التوبة.ـــــــــــــــ « يرقـأ » يجـف وينقطـع.

١١٧

عبـرة واسـتحثاث يسـوقها الطغرائـي رحمـه اللـه فـي قصيدتـه لاميـة العجـم , فيتألـم لأن إناسًـا سـبقوه وهـو لـو مشـى علـى مهـل لسـبقهم ولكنـه التسـويف وانتظـار السـوانح البـاردة.

تقدمتني أناسٌ كـان خطـوهمُ ... وراءَ خطويَ لو أمشي على مهلِ

هذاء جزاءُ امرىءٍ أقرانهُ درجوا ... من قبلهِ فتمنى فُسحةَ الأجَـلِ

١١٨

من الخُلق الـذي يصـاب بـه بعـض البشـر ,ومنهـم بعـض الكتبـة أنهـم يـرون الـرأي لكنهـم لمَّـا يقولـوا بـه فـإذا رأوا أنهـم سُـبقوا إليـه وأجـراه اللـه مـن غيرهـم نـكِسـوا علـى رؤوسـهم وسـلوا ألسـنتهم وأقلامهـم بالشـماتة والتنقـص؛ وهـذا أحـد أشـواك الحالقـة التـي تُفسـد ذات البـين.

١١٩

﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾البقرة ٦٥ ينبغي أن يكون خاسئين خبرًا آخر لكونوا والأول قردة... ألا ترى أنَّ القرد خاسئٌ أبدا فيكون إذًا صفة غيرَ مفيدة , وإذا جعلت خاسئين خبرًا ثانيا حسُن وأفاد حتى كأنه قال كونوا قردة كونوا خاسئين, ابن جني رحمه الله/ في كتابه الخصائص.

١٢٠

عبرة (يابن الخطاب إنّه رسول الله ولن يضيعه)هنا حسمَ أبوبكر ماكان من مراجعةِ عمر رضي الله عنهما لرسول الله صلى عليه وسلم في شروط صلح الحديبية ؛ فالموقفُ فيه من الشدة ما جعل ثانيَ رجال الأمة يضطرب ولكنّها نعمة السكينة التي من الله بها على أبي بكر رضي الله عنهما / ما أحوجنا إليك يا أبابكر.

١٢١

من الخطورة بمكان ما يستحليه بعضنا من تمدحٍ بشقاء اسلافِنا وتمني ما كانوا عليه وأخشى أن يكون هذا من ملل النعمة فيصيبنا ما أصاب سبأ حين ملوا النعمة قال الله عنهم: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ سبأ ١٩ أنصح بالتعرف على تفاصيل أمرهم من كتب التفسير.

١٢٢

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾١٩٥الشعراء هذا يؤكد أنَّ كلَّ اللهجات العربية التي تجوز القراءة بها كلها تعتبر من اللسان المبين؛ وإن تفا ضلت في الإبانة والبيان؛ كذلك ما يعد من المعرَّب فإنه يقرأ بالقرآن بلسان العرب لا بلسان العجم فيدخل تحت﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وقد أوردت تفصيلاً أكثر في بحثي « نظرات في سر العربية » وتجد تفصيلاً في الباب الأول.

١٢٣

إذا أمهل المرأ لنفسه بتتبع بُنيَّات الطريق فلن يصلَ إلى غايةٍ تقرُّ بِها عينُه فلا يكاد يقطع شوطـا حتى تظهرَ له بُنيَّةٌ تجذبه إليها فالبنيات واقفةٌ لك على أفواه السكك فلا تلتفت إذا عزم الأمر, لكن إن رأيتُ بُنيةً ذات بال فقيدها على أن تعود إليها في سانح الأوقات.

١٢٤

الكلمة إذا قالها الأديب عن نفسه إن سترت أكثر مما شفَّت فهو يكتب أدبًا مصنوعا لا مطبوعا؛ فالأديب حين يكتب عن نفسه يكون زجاجة صافية يُرى ما بداخلها فإن استطاع قلمه نقل اللون والطعم والرائحة فهو قلمٌ مطبوع ؛ وبقدر خفائه في ضعف الابراز يهبط طبعه.

١٢٥

إليك بعضًا من الكتب التي تثري الحصيلة اللغوية : كتاب مثلثات قطرب وكتاب الفروق لأبي هلال العسكري , وشرح كتاب مقامات الحريري ,وما اتفق لفظه واختلف معناه لا بن الشجري, اتفاق المباني وافتراق المعاني لسليمان بن بنين الدقيقي النحوي ,كتاب العشرات في اللغة لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي, العشرات في غريب اللغة لأبي عمر محمد بن عبد الواحد.

١٢٦

في حياتك سيمر بك أثقال وأحمال تضعف أمامها و تتيقن بأنَّ الخلاص منها لن يكون إلا بـ« كن فيكون » فسارع بتفويض أمرك إليه سبحانه وتذكر « ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ » اللهم املأ قلوبنا من حسن الظن بك والتوكل عليك.

١٢٧

أمقت الإطراء العلني لي ولغيري لأني أرى أنه أوسعُ أبواب الإعجاب بالنفس , وأسرعُ الطرق إلى الكِبْر,وأنَّ الإصغاء إليه قد يسبب الإخلاد إلى ما قدم الإنسان فيبقى يجتر ماضيَه من غير أن يضيف إليه جديدا .

١٢٨

عـن رسـائل المناصحـة: إن اضطـررت إلـى التعنيـف فليكـن هـذا وسـط الرسـالة فلا تبـدأ ولا تختـم بـه فالبـدء يقبـض النفس ويجعـل منصوحـك مجمعـًا علـى الرفض,وختمهـا بالتعنيـف ينقـض مـا حصـل مـن قبـول فينهـي قراءتـه بنفـور متأهبـًا للـرد والانتصـاف لنفســه ؛ وإن كان التعنيـف علـى أكثـر مـن أمـر فـلا تجعلـه متتابعـا.

١٢٩

ثقيـلٌ علـى النفس أن تكـون عارفـًا بالحقيقـة ولكنـك غيـرُ قـادرٍ علـى التغييـر؛ وثقيـلٌ علـى النفـس أن تُضطـرَ إلـى السكوت عـن كاذبٍ يعلـم أنـه يكـذب ويعلـم أنَّـك تكذبـه.

١٣٠

﴿وَاخْفِـضْ لَهُمَـا جَنَـاحَ الـذُّلِّ مِـنَ الرَّحْمَـةِ وَقُـلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَـا كَمَـا رَبَّيَـانِـي صَغِيـرًا﴾ أيهـا العـاق أيهـا القاطـع الآن قبـل أن تكـون مـن المشـاركين بإهالـة التـراب علـى أحـد والديـك أو أحـد ذوي رحمـك, الآن قبـل ألا يكـون آن.

١٣١

العقل إذا أُعطيَ فوق منزلته يصير جوادًا شموسًا فينطلق بصاحبه بغير روية, العقل لا بد أن يعانَ بالذكر لله ويقيَّدَ بالتفكر بعظمة الله, العقل لجوج؛ بعض العقول أول ما تقدح به الفكرة يصاب بالغرور فيندفع بغير نظام؛ ومن الخير للعقل أن تحجزه بالعقل.

١٣٢

من دأب الأصفياء أن يفضيَ زيدٌ إلى عمرو بهمه يلتمس المخرجَ والسلوى , وقد يضعف عَمْرٌ في قابل الأيام فيمسه ما مسَّ أخاه فيحتاج أن يشكوَ ؛ وهنا أقول إنه من قلة التوفيق وسوء الصحبة أن تقول لأخيك ألستَ بالأمس تسليني عن مثل هذا؟ هو يعلم ولكن ثقل الهم ألجأه فإياك أن تثقل حمله وقد جاء مؤملا التخفيف.

١٣٣

الإخلاص له منزلة عظمى عند الله تعالى ولنعرف طرفًا منه نقف مع قوله تعالى:﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ لقمان ٣٢ فحين أيقنوا الهلاك أخلصوا في الدعاء فقبل الله منهم ونجَّاهم مع كفرهم و سابق علمه سبحانه بمآل أمرهم.

١٣٤

من الناس من ينظر إلى الكسوف والخسوف على أنهما ظاهرتان سياحيتان و أنَّ وقتهما وقت استمتاع فيُحرم عبادة قلبية هي عبادة الخوف, فينقلب الخوف احتفاءً, وينتهزها بعض الخراصين (الفلكيين) فرصة للفذلكة والتعالم فيضع، [ضِغْثًا على إبالة] كما قالت العرب أي سوءًا على سوء .

١٣٥

من تجارب الحياة أنَّ الشخصين إذا بدأ تعارفهما بمزاحٍ قوي وانطلقت علاقتهما هكذا واستمرا على هذا من غير عمق معرفة , فإن الغالب أن تنتهي علاقتهما بخصومة وإلى غير رجعة , فالصواب ألا نقرأ الكتاب من صفحته الأخيرة .

١٣٦

إذا كنت في أمرٍ من أمور الخير على عزيمةٍ عازمة واستقرت عزيمتك عليه لكنك حين هممت بالتنفيذ خطر عليك خاطرُ تسويف ثم خاطرُ تزهيد ثم خاطرُ عدول فلا تلتفت وامضِ بعزيمتك ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ .

١٣٧

إمامة ابن مالك عليه رحمة الله ورضوانه في النحو الأمر فيها استقرَّ على قعر , وكتابا فيصل المنصور,ونعيم البدري لن يغيرا من الواقع شيئا ؛ فالأمر في تقديمه والاحتفاء به أصبح يجري من أهل اللغة مجرى الدم , وستموت هذه المسألة كما مات غيرها مما كان مخالفا للحقيقة؛ فالبدر ي هو أول من نقب في الطعن فألف كتابًا عنوانه : « صناعة الشاهد الشعري عند ابن مالك الأندلسي « ثم تابعه المنصور فألف كتابًا عنوانه : « تدليس ابن مالك في شواهد النحو » وقد ناقشتُ ودرست ما ورد في هذين الكتابين بكتابي (الوساطة العُمَرية بين ابن مالك ومدلسيه)

١٣٨

رأيتُ بعضَ الأنفس يعتادُها طائفٌ يزهِّدها بما لديها من الخير و درجات الكمال التي هي عليه فيظن أنَّ ما يفقده وهو لدى فلان هو باعث السعادة والراحة ؛ وهو لوتأمَّل حاله لوجد في نفسه معتبرا وأنَّ لديه من بواعث الكمال والسعادة ما يتمناه ذاك الفلان.

١٣٩

قال خالد بن صفوان عن شبيب بن شبة رحمهما الله: ذاك رجل ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية قلت : تأملوها فما أسوأ حالَ رجلٍ تردى إلى هذه الدركة.

١٤٠

مرعلي من محاسن الافتتاحات التي وردت في مقدمات الكتب قول المؤلف : ربي إنك قلت: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام٨٣, فآتني اللهم حجتك فأنت ترفعُ درجاتٍ من تشاء وأنت حكيمٌ عليم.

١٤١

عن اللغة و أثرها في الشاعرية فنجد الواحدَ خشنَ الملمس عصيَّ الطبع جافي التعامل وحين يبدو شاعرًا فإن هذه اللغة العجيبة تحيل الطبائع إلى نقائضها فيلين اللسان ويرقُّ اللفظ وينعُم الملمس ثم لا يكاد ينفك عن هذه الحالة الشاعرية حتى يعود إلى خشونته و اقرأ إن شئت للصعاليك وهذا يجري على شعراء الشعر الشعبي أيضا.

١٤٢

يخشى بعضهم الوقوع بالرياء من عمل صالح أراد به وجه الله ؛ فأقول لهؤلاء : « إذا أنشأت العبادة ابتداءً تريد بها وجه الله ثم جاءك هذا الخاطر في أثنائها أو وأنت في حال استعداك للقيام بها فلا تلتفت واعزم المسألة فالمعوَّل على باعث الإنشاء .

١٤٣

بعض المناكفين من الكتبة يضعُ بضاعته على أفواهِ السكك ثم يتسول يمد يديه إلى القراء يغريهم بقراءة ما كتب ويعلنُ أنه لا ضيرَ على من خالفني أوردَّ عليَّ يقول هذا مدعَيا سعة الأفق وما هو من هذا بشيء ولكنه يريد ذيوع عفنه.

١٤٤

طه حسين قال ما قال عن الشعر الجاهلي و قاسم أمين قال ما قال عن تحرير المرأة؛ آراء طه تلقفها الرجال فقالوا قولتهم كلٌّ قال في دحض ما ذهب إليه على شاكلته ؛ فمات طه وماتت آراؤه ومات قاسم ومازال الذبيح يشخب دمه؛ رسالةٌ إلى من سلك هذا الطريق لعله يتوقف قبل﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾سبأ٥٤ .

١٤٥

في كتاب « أباطيل وأسمار « لمحمود شاكر رحمه الله تأريخ لدعوات فكرية هادمة قويت وأعطتها الصحافة وقتها مساحة غير محدودة وهرولَ أقوامٌ تدفعهم الخفة والطيش وحب الشهرة ورنين الدرهم والدينار ؛ودافعَ أهلُ الغيرة فمات دعاة الفتنة ومات المدافعون وبقيت الفضيلة باسمة.

والدهـرُ آخره شبهٌ لأولِه قـومٌ كقومٍ وأيامٌ كـأيامِ

١٤٦

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ التبالُهُ وردُّ الحقِ بدعوى عدم الفهم منهجٌ ضارب في أهل الباطل ؛ لكنَّ الدليل إذا صيغ بلغةٍ مفهومة وحجة بينة فلا اعتبار لرد من رده بسبب التباله؛ وهذا المنهج من أبرد أدلة الرفض وأسمجها وأدلها على انقطاع الحجة.

١٤٧

كيف كان (جبريل) يرقي (النبي)صلى الله عليه وسلم

عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا محمد، أشْتَكَيْتَ ؟ فقال : « نعم ».

قال : « باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك » رواه مسلم .

١٤٨

من الانحراف في التفكير أن يفرح أحد الزوجين بكسر عزة الآخر فالحياةُ الزوجية أطهرُ من أن تكون ميدانَ مغالبة فتتحول إلى قاعدة عسكرية يحترب فيها فريقان المنتصر منهما مهزوم.

١٤٩

الدارسة التحليلية هي استكشاف خواطر النفوس من خلال ما أفرزته العقول والتعرف على ما لم يقل بفهم ما قيل وبلطافةِ عقلِ الدارس وسرعةِ لمحه يستطيعُ معرفةَ خفايا النص؛ التبرمُ وضيقُ العطن واستطالة الطريق تمنعُ الوصول إلى الغاية؛ أطل القراءة لهذه الشخصية التي تدرسها تصل إلى علاماتٍ مميزة تهتدي بها ؛وتذكر أنَّ أبردَ مراتب التحليل الاقتصار على المعنى اللغوي.

١٥٠

إذا اصدر من ذي رحمٍ سوءُ خلق على قريبه فليس من لوازمه محوُ الغيرة والمودة من القاطع للمقطوع؛فتبقى غيرته على رحمه مستكنةً في النفس؛ فإذا جاء ما يثيرها شخصت؛ فنَبْضُ الرحم بالعروق وإن جف فإنه يبتل بسرعة ؛ ونَبْضُ الرحم بالدم عجيب ؛لهذا نجد الأقارب إذاعاد لهم الصفاء بعد الجفاء يتناسون ما حصل يتناسون هذا فطرةً لا تكلفا / اللهم صل من وصل واهدِ من قطع.

١٥١

إذا كنتَ في مجلسٍ عامةُ من فيه لا تعرفهم ولا يعرفونك؛ أوفي مجلسٍ فدخل أناسٌ لا علمَ لك بهم ولا علمَ لهم بك؛ فلا تفتح نافذتك على فضاءٍ مطلق وإنما خذ بها درجةً درجة لتعرف نوعَ الهواء الداخل؛ فإذا حمل الهواءُ ريحًا طيبة فافتحها كاملة ولكن أبقِ شباكها مغلقا حتى لا يدخل منه الذباب.

١٥٢

رأيت بعض الناس يعكر الماء ولا يؤمن البديل , فهو يثبِّطك عن أمرٍ عزمتَ عليه ويثنيك عنه ولا يفتح لك منافذ بديلة ولا يورد حججًا قاطعةً على رأيه.

١٥٣

قد تجد جفاءً من رحمك الأدنى؛ فإن جفاك من عرفته بالبر والصلة فلا تعجل باللوم ,فقد يكون زُيِّن له صدودٌ تغذي بخاطر سوء ,فالنفس لها حظٌ من حبِّ التمرد ولا يلبث أن يعود إذا أخذت نفسه حظها مما صبت إليه فرشده لا يطاوعه ؛ ومن أنجح المعالجة أن لا تطاوع نفسك بالانتصاف واستحضر صفاء وده قبل جفائه هذا.

١٥٤

بعضنا إذا أراد أن يعبر عن شيءٍ يعرفه ولكن لم يسعفه التعبير و استعصى عليه النطق به يقول (هو على طرف لساني)وقد وقع مثل هذا للإمام الشافعي رحمه الله؛ فقد سُئل عن مسألةٍ فقال : (إني لأجدُ بيناها في قلبي ولكن لا ينطلقُ بها لساني) قلت : وهذا كثيرٌ في ولدآدم فما أكثر ما يومض بالأذهان ولا نملك إجراءه على اللسان؛ وهو من النقص الذي كتبه الله على ولد آدم.

١٥٥

جملة درج عليها قلم بعض المؤلفين وهي قولهم : « ولهذا أسباب كثيرة ليس هذا موضعَ ذكرها » حين تُقرأ ويكون المبحث مما يحب القارئ التوسع به لأسباب تتعلق بتوثيق أوفهم سياق أو زيادة علم ونحوه فإنه يبقى حكمه معلقًا, فإن خشي الباحث من الإطالة فالصواب أن يشار إلى الأسباب في الهامش أو يُدل القارئ على موضعها.

١٥٦

لم أرَأشد تفلتـا ولا أسرع تدسُسـا من فكرةٍ تقدح في الذهن أثناء الكتابة أو البحث أو المطالعة والعلاج بالتقييد.

١٥٧

القـرآن الكـريم اسـتحث العـرب علـى المقارعـة بالإتيـان بمثـل نظمـه فلـم يستطيعوا , و جـردوا سيوفهم لأنهـم يستطيعون, إذ ليس الإتيـانُ بمثلـه أسـلمَ للنفـس مـن المجالـدةِ بالسـيف ولكـن تيقنـوا العجـز فنكصـوا وسـلَّموا لبيانـه وعرفـوا مقاديـر أنفسـهم أمامـه فتـوارى منهـم عـرق العصبيـة مـع فـرط رغبتهـم فـي النيـل منـه.

١٥٨

تقـول العـرب : « فـلان قـلـِقُ الوَضين » يقصـدون أنـه لا يثبـت علـى أمـر فهـو كثيـر التقلـب والتبـدل وهـو الـذي يسـمى فـي القصيـم « طـُفِّي » والوضـين حبـلٌ يشـد بـه الرحـل مـن الجهـة اليمنـى إلـى اليسـرى ومـن اليسـرى إلـى اليمنـى مـن تحـت بطـن الدابـة, ويكـون الوضـين قلقًـا حـين لا يُحْكـمُ شـدُّه, فيضطـرب ويضطـرب لـه الرحـل؛ وممـا يعبَّـرُ بـه عـن « طُفيّ » أن يقـال : هـو صاحـب بَـدَوَات؛ فـلا يثبـتُ علـى أمـر ؛ ويفاجـأ غيـره بخـوارق الرَغَبَـات؛ ويقـول بالـرأي ونقيضـه.

١٥٩

الإخـلاص هـو انبعـاث القلـب ابتـداءً إلـى اللـه, ثـم البقـاء علـى هـذه النيـة والعزيمـة علـى مقاومـة الخطـرات مـن غيـر التفـات إلـى ثنـاء مخلـوق, واسـتحضر أنـك تسـير إلـى « أغنـى الشـركاء عـن الشـرك » ألا إنَّ سـلعة اللـه غاليـة.

١٦٠

كتابك إذا قرأه ناقد بصيرٌ نبيلُ الغاية وعدد نقائصَ بحثك بإنصاف فكأنما هو يُعِدُّ معك الطبعة القادمة.

١٦١

لطيفة لغوية : كتب أحدهم يستشير صاحبه في أمر فرد عليه المستشار: « هذا هذا » ففهم أنه يؤيد رأيه, مؤكدًا صوابه فظن أن هذا التركيب يشبه من حيث الدلالة : « هو هو» أو « أنت أنت » , ولكن مراد المستشار أنّ « هذا » الثانية ليست اسم إشارة, وإنما هي فعلٌ ماضٍ ومضارعها يهذي من الهذيان؛ فمؤداها أنَّ صاحبك يهذي فلا تلتفت لقوله.

١٦٢

إذا سألك فلانٌ مالا فأعطيته ؛ فإن بالغ في الثناء وأطال في الدعاء وأكثر الانكسار والتذلل فالغالب أنه من الذين يتكثرون وليس من ذوي الحاجة الحقة , وعلامة صحة هذا أنه لن يبطئَ العودة إليك بالمسألة مرةً أخرى فتنبه, وهذا حسب التجربة.

١٦٣

كثرة الصحبة تجعلك تعيش حياتك كما يريدها الآخرون لا كما تريدها أنت.

١٦٤

الأسكندركتب إلى أرسطوطاليس يخبره أن في عسكره جماعةً لا يأمنهم على نفسه لما يرى من بعد همتهم وليس لهم عقولٌ تفي بتلك الفضائل فرد عليه (فهمت كتابك فما ذكرت من شجاعتهم ونقص عقولهم فمن هذه حاله رفهه واخصصه بحسان النساء؛ فرفاهة العيش توهي العزم) كتاب تجارب الأمم لمسكويه رحمه الله .

١٦٥

يابني إن لم أعطك كلَّ ما تريد فثق بأني قدمتُ لك كلَّ ما استطيع.

١٦٦

(فعرفت حينها أنه انتصر بسبب جهلي) قرأتها في كتاب « أقوم قيلا » لسلطان الموسى وهي جملةٌ ثرية تعطيك مفتاح مشكلتك وتعمق إحساسك بإيمانك وتعزز ثباتك, وتجعلك تعيد النظر بسلاحك,وأنك على يقينٍ بأنك لم تُهزم.

١٦٧

بعض المواقف تضطرك إلى العمل بمنهج صاحب الخشبة الذي كان مدينًا لرجل فلما حلَّ وقتُ الوفاء كان الدائن بعيدًا فوضع الدراهم بخشبة وألقاها في البحر واستودعها الله فوصلت صاحبها, فاجتهد وإن ضعفت حيلتك واستعن بالله وستجد ثمرة عاجلة في دنياك وآجلةً في صحيفة أعمالك الصالحة بإذن الله.

١٦٨

الذي لم يُطبع على الإحساس بالجمال البياني لا حيلةَ في إثارة إعجابه فأنت معه كمن يستسقي شناً باليا؛ قال عبد القاهر رحمه الله (إذا خاطبتَ بموضوع الإعجاز من ليس له طبعٌ في فهم كلام العرب كنت كمن يلتمس الشمَ من أخشم) والشن البالي القربة اليابسة .

١٦٩

من عجائب بركات الحمد أنك إذا حمدت الله على نعمة معينة بقلبٍ حاضر انفتح لك بابٌ واسع يذكرك بكثيرٍ من النعم فيبقى القلب متقلبًا بهذا النعيم.

١٧٠

جامعة هارفرد تقول هذه الأطعمة تزيد من هرمون السعادة و العليم الخبير يقول :﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾النحل ٩٧ .

١٧١

جرير يهجو ثلاثة شعراء في بيت واحد:

لَمّا وَضَعْتُ على الفَرَزْدَقِ مِيسَمي وضغا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطلِ

الميسمُ حديدةٌ تحمى فتوسم بها الدابة أي تُكوى, ضغا:جأر وصاح , جدعت أنفه : قطعته .

١٧٢

فكرة تأليف كتاب لا تأتي للباحث قصدًا منه فتجده يقرأ أو يستمع فتأتي خاطرة تقدح في الذهن لا يتجاوز مرورها إغماضةً لعينك فتولد الفكرة في ذهنه من غير اختيار , وهذا بخلاف بحوث الرسائل العلمية أو البحوث المطروحة من مراكز بحثية فالباحث هنا هو الذي يختار .

١٧٣

حين صافَّ قتيبةُ بن مسلم رحمه الله العدو ، هاله عددُهم فسأل عن محمد بن واسع رحمه الله فقالوا له: « هو في أخريات الجيش رفع أصبعَه إلى السماء يأخذُ لك بمجامعِ الطرق فقال: هذه الأصبع أحبُّ إلي من مائة ألف فارس مددا ».

١٧٤

المبدع يصل في بعض حالاته إلى مرحلةٍ لا يملك معها الإرادة في منع ما يغلي داخله فلابد أن ينفث؛ فكما الولادة المادية لاتملك الأم منعها فكذلك الولادة الفكرية, فهي حالة شعورية لا بد لها من منفذ تنفذ منه لأنَّ في داخله جيشانا لا يملك حبسه .

١٧٥

كان ابن الحباب الجمحي رحمه الله فصيحا فقيل له في قوله تعالى ﴿قوا أنفسكم﴾ كيف نقول فعل الأمر من «وقى» للواحد وللاثنين وللجماعة وللواحدة وللاثنتين وللنساء؟ فقال : قِ قيا قوا قي قيا قين , فسمعه ناس من العامة فقالوا يا زنديق أتقرأ القرآن بحرف الدجاج؟! فصفعوه وما تخلص منه إلا بمشقة.

١٧٦

الانصراف إلى التضمين في القرآن الكريم؛ أي تضمين معاني حروف الجر بعضها عن بعض هو غفلةٌ عن استجلاءِ أسرارٍ يجبُ البحث عنها, فالتركيبُ اختيار اقتضته الحكمةُ الربانية قال الزمخشري رحمه الله في الكشاف: «فإن قلت﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الرعد٢ و﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ لقمان٢٩ ؛ أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليدُ الطبع ضيقُ العطن, ولكنَّ المعنيين عن الانتهاء والاختصاص , كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأنَّ قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه, وقولك يجري لأجل مسمى تريد يجري لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى)

١٧٧

الشجرة في الخريف تُسقِطُ أوراقها التي تثقلها والتي لا فائد فيها ؛الإنسان في مرحلةٍ من مراحل العمر ينبغي يُسقط من صحبته من يرى أنهم يثقلون شجرته.

١٧٨

بعض من حولك تحسُّ أنه قطعةُ ابتلاء يراوح لك بين المواجع؛ فكلما برد كيٌّ أتبعه بآخر؛ وبعضهم تجد فيه لذة نعيم؛ فهو على تعاهدٍ بك ينظر ما يسرك فيأتيه وما يؤلمك فيدعه؛ ويحرص على الوقوف معك ويفرح بقضاء حاجتك.

١٧٩

ما تحكم به الأذن عند البلاغي المطبوع المتمكن؛ من جمالٍ أوقبح حكمٌ غيُر قابلٍ للاستئناف وقد يصعب عليه تعليليه.

١٨٠

« العزيمة على الرشد » «التسامح « بينهما حجاب رقيق يُهدى إليه الموفقون؛ من التسامح عفوه صلى الله عليه وسلم عن الأعرابي الذي اخترط السيف وهدده بالقتل؛ من العزيمة على الرشد أنه صلى الله عليه وسلم أمر برضّ رأس اليهودي بالحجارة حين رضّ رأس جارية بين حجرين, أمَّا التمييع فملاذ الضعفاء الذين إذا تحدثوا عن سماحة الإسلام تحدثوا بانكسار كأنَّما هم يعتذرون عن الله أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لما لا يروق لغير المسلمين من أحكام الإسلام وشرائعه.

١٨١

في مسائل حذيفة رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلَّم كان آخرُ توجيهٍ منه عليه الصلاة والسلام : « ... فاعتزل تلك الفرق كلَّها ولو أن تعضَّ على أصلِ شجرة حتى يدركَكَ الموت وأنت على ذلك».

١٨٢

هناك آيات قرآنية يُهدى بها زيد وأخرى يُهدى بها عمرو, فالله هو خالق هذه النفس المهتدية وهو أعلم بها ولا تيأس فالطريقُ مأمون والعاقبةُ حميدة و القرآنُ كلُّه هداية.

١٨٣

في مقام الرد على المخالف نكون بين رد حجة بحجة وبين انتصاف للنفس فإن غلبت الثانية ضل وعمي فلا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى وإن حظي بالأولى بقي رفيعًا ولو لم يقر له المخالف ؛وإذا رُميتَ بعيب فإن اجهدت نفسك لتقول وأنت فيك كذاوكذا فقد أقررت بعيبك فلم تحسن الدخول وضاق بك المخرج .

١٨٤

عجبًا للزمان في حالتيه   وبلاءٍ فررتُ منه إليه

رب يومٍ بكيتُ فيه فلما   صرتُ في غيره بكيتُ عليه

عبد الله بن المعتز. رحمه الله.

١٨٥

من المهلكات تعمُّدُ الإنسان الاستماع أو القراءة رغبةً في الرد على ما يقع من أفكارٍ شاذة ومضلة فهذا استشراف للفتن ؛والحكيم الحازم المشفق على دينه يستدبرمثلَ هذا ولا يسعى معتدًا بعلمه وعقله لكن إن وقع له في طريقه شيءٌ من الأذى من غيرِ قصد فالله بفضله ومنه سيعينه على إماطته عن طريق المسلمين .

١٨٦

جرت عادة بعض المؤلفين أن يقتطع فقراتٍ من كتابه يضعها خلف غلافه الأخير فإن أنت اخترت فاختر مزيجًا من مائدة الكتاب واجعل القارئ يتذوق كثيرًا مما حوته تلك المائدة ليكون أدعى لفتح الشهية ولا تقتصر على فكرةٍ واحدة.

١٨٧

كتاب : « فقه العربية المقارن دراسات في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية » للدكتور/ رمزي بعلبكي عقد فيه مبحثا باسم: الخصائص الصرفية والنحوية للعربية ومنهجه قائم على الموازنة بين اللغات بيَّن فيه مآثر العربية وهو عالم معاصر استوعب كثيرًا من علم السابقين ودرس اللغات بنَفَس متوازن.

١٨٨

ورد في كتاب أدب الخواص للوزير المغربي رحمه الله « أن عبد الله بن هارون لما شاع الفساد في رعيته شاور نصحاءه فقال بعضهم الرأي أن تجمع قوما فتصلبهم وقال آخرون بل تعمر بهم السجون فقال لكن الرأي أن أبدأ فأصلح نفسي فإذا صلحت صلحت بطانتي ودب الصلاح وتفشأ في رعيتي » .

١٨٩

من القيم الأخلاقية في تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله؛
ومن نفائس فهمه و استنباطاته ما قاله مستطردًا في تفسير قوله تعالى:
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ حيث قال:

(... ودلت الآية الكريمة على أنَّ الإنسانَ كما يأخذُ من الناس الذي له يجبُ عليه أن يعطيهم كلَّ مالهم من الأموال والمعاملات , بل يدخلُ في عمومِ هذا الحججُ والمقالات؛ فإنه كما أنَّ المتناظريَن قد جرت العادة أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يحرصُ على ماله من الحجج ؛ فيجب عليه أيضًا أن يبينَ مالخصمه من الحجة التي يعلمها, وأن ينظرَ في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو, وفي هذا الموضع يُعرَفُ إنصافُ الإنسان من تعصبِه واعتسافه وتواضعه من كِبْره وعقله من سفهه ؛ نسأل الله التوفيق لكل خير) ومثل هذه القيمة كثيرٌ ومبثوث في كثيرٍ من مؤلفاته رحمه الله فلعل إحدى الدراسات تتوجه إلى جمعها .

١٩٠

من آنس لحظات البحث العلمي أن تتمنع منك حقيقةٌ ما تمنعَ وامق , فلا هي أسلمت قيادها ولا هي أيأستك منها , لكنها تتبدى في ذهنك مومضةً إيماضًا حتى إذا أحستْ بتتابع أنفاسك لمطا ردتها وأنها منك بمنزلة وأشفقت على مدامع قلمك أسلمت نفسها باسمةً طيعة .

١٩١

قال صلى الله عليه وسلم : (سيخرج من أمتي أقوامٌ تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه لا يبقى منه عرقٌ ولا مفصل إلا دخله) كلام من مشكاة النبوة لا محالة من وقوعه ترتجف له القلوب لا نجد أمامه إلا أن نتسلح بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾النور ٤٠ ؛ فاللهم اجعل لنا نورا نستبينُ به الهدى من الضلال والحقّ من الباطل؛ ومن مشكاة النبوة نفسهاب: (اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) ثم أقف وقفةً بيانية ؛ فقوله صلى الله عليه وسلّمك (تجارى) تفيد بأنَّ الداء يعمُّ سائر بدنه؛ وكذلك تفيد قوة الاندفاع حين تتزاحم الأهواء آخذةً بهذا الإنسان؛ وأنها مستمرة فكلما خرج من هوى سقط في آخر.

١٩٢

مما يروى من سيرة ابن حجر أنه شرب ماء زمزم بنية أن يبلغه الله مرتبة الذهبي في الحفظ والفطنة .فعليهما رحمة الله ورضوانه ؛و قال القاضي أبو بكر العربي رحمه الله: كنتُ بمكة في سنة (٤٨٩)، وكنتُ أشربُ من ماء زمزم كثيرًا، وكلما شربته نويت العلم والإيمان، ففتح الله تعالى ببركته في المقدار الذي يسَّره لي في العلم، ونسيتُ أن أشربه للعمل، ويا ليتني شربتُه لهما؛ حتى يفتحَ اللهُ لي فيهما، ولم يُقدَّر، فكان صفوي للعلم أكثر منه للعمل.

١٩٣

قراءةكتب المعارف العامة تثري لكنها قليلاماتثير مسائل علمية في القارئ كما تثير الكتب العلمية المتخصصة, فنواتج قراءة البيان والتبيين أو العقد الفريد تختلف عن كتاب مغني اللبيب أو الإنصاف في مسائل الخلاف, الأولى تقوَّم اللسان والثانية تفتق الذهن والأمر هنا ليس للمفاضلة فكلاهما مطلوب.

١٩٤

ليس من خدمةِ اللسان أن نحصرَ معاني حروف الجر ثم نقول عند مفارقتها لهذه المعاني : إنَّ هذا بسبب التضمين أوالنيابة إنَّ الانصرافَ إلى التضمين أوالنيابة غفلةٌ عن استجلاءِ جانبٍ بلاغي وبياني وجمالي,العرب لم تبدل حرفًا مكان حرف بغرض إظهار جواز التناوب وإنما هو مذهبٌ بلا غيٍّ فطر عليه لسانهم .

١٩٥

وليس باستطاعتك أن تجعل نفسك مَرْضيةً من الجميع ؛ فهناك من يحركه جهل وهناك من يحركه هوى , وهناك من لا تعنيه اهتماماتك .

١٩٦

ليس كل الناس يعرفونك كما ينبغي فلا تنزعج ممن يقابلك بخلاف ما تعرفه من نفسك وعليك أن تتقبل الموقف بهدوء .

١٩٧

حين يسترسل كاتب في الكتابة فيحس باستعصاء قلمه ، لكن نَفَسه ثائرٌ بالموضوع، فإنَّ من استدرار الأفكار ما يكون بإعادة قراءة ماكتب ويفعل هذا مرارًا حتى يحسَّ بنضوبِ المخزون الوجداني للفكرة، ومن علامات نضوبه أن تبرد مشاعرك ويتدنى انفعالك ؛هنا توقف فالفكر كالضرع ومطاولة احتلابه تحيل الحليب دما.

١٩٨

كل ما رُمي به القرآن العظيم من جهة بلاغته وبيانه فإنما قال به أقوام جاءوا بعد فساد ألسنة المتكلمين بسبب تردي السليقة، وبسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم ؛ وإلا فإنَّ العرب الذين نزل عليهم لم يرموه ببلاغته أوبيانه ، بل إنَّ مما استحكم في نفوسهم من بلاغته وبيانه أنه بلغ منزلة أخذت ألبابهم ؛ لهذا قالوا إنه سحر وإنه شعر ؛ لأنَّ السحر يداخل النفوس ويأخذ بها وكذلك ما وجدوه في أنفسهم من القرآن العظيم والشعر له من التمكن في التأثير ما يغلب ويخلب.

١٩٩

أخي المعلم في مراحل دراستك بقي في ذهنك معلمان أحدهما قدوة والآخر... فأيهما تحب أن تكون باقيا في ذهن طلابك ؟

٢٠٠

مـن كتـاب تجـارب الأمم « أخـوف مـا يكـون الـوزراء إذا سـكنت الدهمـاء» أي أن المسـؤول الفاسـد لا يأمـن إلا إذا أضطـرب النـاس فانشـغلوا بأنفسـهم عنـه.

٢٠١

إذا قيل مرفوع أو منصوب أو مجرور أو مجزوم فالحركة تظهر على اللفظة؛ وإن قيل في محل فالمقصود أن الإعراب وقع على جملة، أو شبه جملة هنالاعلامة إعرابية، كذلك تبغى الحركة مقدرة غير ظاهرة إذا كانت اللفظة مكسورة مثل: يخشى، يسعى، موسى ،ليلى.

٢٠٢

العـرب لـم يقولـوا عـن القـرآن إنـه سـحر أوشـعر إلا لِـمَا وجـدوا فيـه مـن تأثيـر وجمـال فالشـعر أرقـى فنونهـم والسـحر لـه تأثيـرٌ لا يملكـون دفعه فهـذه الدعوى وإن قيلت للطعن إلاأنها حملت تناهي الحيـرة؛ وأبانت استيقانهم بصدقـه؛ وأنَّ أثـره أصاب المفاصل.

٢٠٣

لا قـدرة لإنسـان علـى الانتفـاع بفراغـه قبـل أن يـؤدي مـا أوجـب اللـه عليـه فـإذا قـام بهـذا بـورك لـه بوقتـه واندفعت عنـه غائلـة العجـز والكسـل وتدافـع النشـاط بعروقـه وصفـا خاطـره وصُرفـت عنـه الشـواغل ومـن أكثـر مذهبـات بركـة الوقـت أن تتشـاغل بعمـلٍ دنـوي بوقـت هـو مـن خصائـص عبـادات واجبـة.

٢٠٤

ذكـر ابـن جنـي رحمـه اللـه أنّـه كلمـا أمعـن فـي دقائـق العربيـة ومـا تنطـوي عليـه مـن حكمـة ودقـة, ورهافـة فـي سياسـة المعانـي, قـوي فـي نفسـه أنَّ فـي هـذه اللغـة أمـرًا إلهيـا .

٢٠٥

اليقـين الموقـن أنَّ القـرآنَ أعظـمُ كتـابٍ نـزل مـن عنـد اللـه فتولـد يقـينٌ مـن أن اللسـان الـذي اختـاره اللـه لهـذا الكتـاب أكمـلُ لسـان وهـذا الأمـر قطعـي قضـت صحـة النظـر بضرورتـه.

٢٠٦

« صور النبـي عليـه الصلاة والسـلام عـذابَ مـن يجـيءُ يـوم القيامـة يحمـل بعيـرًا تلقَّـاه رشـوةً فمـاذا سـيكون حالنـا نحـن موظفـي اليـوم إذا جـاء الواحدمنايـوم القيامـة يحمـل عمـارةً مـن عشـرين دورًا أوأسـطولا مـن السـيارات الضخمـة الفخمـة ؟ ! » غـازي القصيبـي رحمـه اللـه / كتـاب ثـورة فـي السـنة النبـوي.

٢٠٧

نتوهـم أنَّ المقصود بالعصور الوسـطى عصـور انحطـاط للمسـلمين والواقـع أنهـا مـن تسـمية مؤرخـي أوربا التاريخهـم وهـي عصـور مظلمـة امتـدت عشـرة قـرون مـن القرن٥ـ ١٥ .

٢٠٨

من أجلِّ الفوائد في قراءة مسائل الخلاف أن تتبع فكر العالم لتعرف كيف يصل إلى رأيه ولا يكن همُك مقصورًا على معرفة الراجح في المسألة.

٢٠٩

في الرسالة الشافية تدرك أنّ عبد القاهر ـ رحمه الله ـ يروز اللفظة بعقله وذوقه ليعرف مقدار تعبيرها عن المعنى المراد قبل وضعها على الورقة.

٢١٠

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أنصِتُوا﴾ الأحقاف ٢٩ لهؤلاء بقية خير تمكّن تعظيم القرآن من قلوبهم﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾فصلت ٢٦ ولهؤلاء بقية ولكلٍ تبعٌ إلى يوم القيامة.

٢١١

(يستحيل أن تكون الساحة السياسية في يد عصابة من اللصوص وتبقى الساحة الفكرية بيد المفكرين الشرفاء لا بد أن يتوارى هؤلاء ولو بتلفيق التهم ليتواثب قطاع الطرق) محمد أبو موسى .

٢١٢

مقدمة كتاب ﴿دراسة في البلاغة والشعر﴾ لمحمد محمد أبو موسى جديرة جدًا بالقراء المتأنية راقية في أسلوبها ومضمونها .

٢١٣

(اتضح لي أنَّ تخلف المسلمين لم يكن ناتجًا عن الإسلام ؛ولكن لإخفاقهم في أنْ يَحْيَوا كما أمرهم الإسلام ... لم يكن المسلمون إذًا هم من خلقوا عظمة الإسلام ؛ بل كان الإسلام من خلق عظمة المسلين) محمد أسد رحمه الله في كتابه » الطريق إلى مكة « قلت: إذا كان يصعب على الجميع أنْ يَحْيَوا كما أمرهم الإسلام فما على المسلم الفرد أن يحي هو كما أمره الإسلام؟ ويرد الماء وإن تركه العطاش؛ لكن يبقى أمر الجميع إلى أن يهيئ الله قائدًا صالحًا.

٢١٤

علمتني التجارب أنَّه من الخير الإسراع في قسمة تركة الميت كما يكون الإسراع في تجهيزه ودفنه اللهم ارحم أموات المسلمين.

٢١٥

قال جعفر بن يحي رحمه الله : اتخذ كاتبًا متصفحًا لكتبك فإن المؤلفَ للكتاب تنازعه أمورٌ وتعتوره صروف تشغل قلبه وتشعب فكره والمتصفح للكتاب أبصرُ بمواضع الخلل من مبتدئ تأليفه.

٢١٦

قرأت أكثر من مقدمة كتاب طلب صاحبه أن يقدم له غيرُه؛ فوجدتها ـ غالبًا ـ مشحونة بقدرٍ كبيرٍ من العاطفة الطنانة التي لا تخدم الكتاب ولا المؤلف وإنما هي عبارات فيها ثناء متكلف يجعلك في بعضها تنفر من الكتاب أكثر من أن يغريك بقراءته؛ واستثني مما قرأت مقدمتين قرأتهما هما مقدمة الدكتور عبد الوهاب المسيري لكتاب «الإسلام بين الشرق والغرب» لعلي عزة بيجو فتش؛ ومقدمة كتاب «الطريق إلى مكة» لمحمد أسد التي كتبها الشيخ صالح الحصين؛ فإني وجدت في هاتين المقدمتين إثراء وإغراء رحم الله الجميع، وسيأتي تفصيل أكثر في الباب الرابع عشر .

٢١٧

من أشد الساعات حرجاً على الإنسان اضطراره إلى أن يوازنَ بين قرارين لابد من الأخذ بأحدهما سيءٍ وأسوء ليختار منهما.

٢١٨

كثيرٌ من التوجيهات التي كنا نستثقلها من الآباء والأمهات والمعلمين ومن لهم حقٌ في توجيهنا بعدما درج بنا العمر وتجارب الحياة عرفنا أنها هي الحقُّ والحقيقة وأنها هي التي وضعت مسارنا في الطريق الصحيح فاللهم ارحم كلَّ من له حقٌ علينا في توجيهٍ أو مشورة.

٢١٩

عبد الله بن نصر الرياشي رحمه يذكر حاله مع صاحبين ثقيلين عليه:

ولي صاحبان على هامتي جلوسهما مثل حد الوتد

ثقيلان لم يعرفا خفة فهذا الزكام وهذا الرمد

٢٢٠

هناك أناس يبطئون من يسمو إلى الخير تعفنت جنوبهم من طول الاسترخاء إن دُعوا إلى فضيلةٍ اثـَّاقلوا إلى الأرض فلا تلتفت لهم وحث ركابك على المسير .

٢٢١

من مبشرات القرآن العظيم

﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾يوسف ١١٠ .

٢٢٢

من ديننا : (يا معشر اليهود أنتم أبغضُ الناس إلي قتلتم الأنبياء وكذبتم على الله عزَّ وجلَّ وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيفَ عليكم) عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه يخاطب يهود خيبر.

٢٢٣

قالت العرب في الجراحات : لما كان بالسيف ضربة وبالرمح طعنة وبالسهم رَشْقَة وبالسكين وجأة وبالحجر شَدْخة وبالسوط تقنيع , فاكتفوا بذكر هذه الجراحات عن ذكر السلاح .

٢٢٤

قاعدة إعرابية ثابتة : الاسم المنصوب الواقع بعد اسم التفضيل يعرب تمييزاً :

:« أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا» الكهف ٣٤ مابعد ظرف المكان يعرب دائمًا مضافًا إليه: جلست حول الكعبةِ , بين الأشجارِ, أمام المنزلِ؛ يفوز , يفيد , لم يفز لم يفد حذفنا الواو من الأول والياء من الثاني وليسا مجزومين بحذف حرف العلة فلا يُعدّ حرفُ العلةِ علامةَ جزم إلا عندما يكون آ خر الفعل.

هناك صيغ يلزم فيها كون الفعل لازمًا : أن يكون على وزن فَعُل مثل:نَبُل خلق الرجل شرُف أهل العلم ,عظُم نورالقرآن؛ و من الصيغ التي يلزم فيها كون الفعل لازمًا أن يكون على وزن استفعل الدال على التحول مثل:استنسرالضعيف.أي تحول من ضعف إلى قوة. استأسد الجبان؛ استحجر الطين.

٢٢٥

من علامات نجاحك مع طلابك وثقتهم بك أن يلجأ إليك الطالب في مشكلاته الخاصة من معلميه أو أسرته أو أصدقائه باحثاً عن الحل لديك.

٢٢٦

من المعلمين من شغل نفسه بتقصي عيوب الطلاب والتندر بها في مجالس المعلمين فلان ثقيل الظل فلان غبي فلان مغرور؛ فأين تصنِّف نفسَك؟

٢٢٧

أخي المعلم أنت نائب عن الأمة بأن تبني لطلابك منهجًا سليمًا لحياتهم وأخذك بأيديهم يعني أنك تضعُ مصابيحَ مضيئة في طريق الأمة لك أجرهم وأجر من انتفع بهم.

٢٢٨

لا تنتقص أفكار طلابك مهما بدت هزيلةً في نظرك فهي تعبرُ عن مرحلة جاوزتها و عن وسطهم المجتمعي الذي إليه ينتسبون واجعلها مداخل للتأثير بهم.

٢٢٩

لتستطيع تغيير قناعات طلابك المغلوطة أظهر موافقتك لهم فإذا وجدت استرخاءً في الآذان والعقول ورموك بعيونهم منصتين فارمهم بما تريد ؛ ثم غادر هذا الحديث فورًا إلى نقطة تكون أعددتها لتعطي عقولهم مداورة الرأي.

٢٣٠

أخي المعلم أغرِ طلابك بقيمة ما لديك من معارف وتجارب من غير استعلاء وعطِّشهم إليها واحذر أن يجربوا عليك الكذب أو يأخذك التباهي.

٢٣١

أخي المعلم عد في ذاكرتك إلى مقاعد الطلب تجد أنه بقي فيها معلمان أحدهما له عندك ذكرى خير .والآخر...؟!فأي المعلمَين تريد أن تكون؟

٢٣٢

أخي المعلم قال أبو تمام رحمه الله :

فقسا ليزدجروا ومن يكُ حازما فليقسُ أحيانًا على من يرحمُ

٢٣٣

أخي المعلم من المعلمين من إذا دخل الفصل على طلابه تبسم عابسهم وأمن خائفهم وتنفس المكظوم منهم فكن مصدر أمنٍ وبشرٍ لطلابك.

٢٣٤

أحد المعلمين إذا دخل عليهم وكانت الحصة الأولى في اليوم الدراسي يقول لطلابه : من لم يصلِ الفجر فليقم الآن؛ وكانت الاستجابة مشجعة؛ وفي هذا غرسٌ لقيمة الصلاة وغرسٌ في المحافظة عليها.

٢٣٥

مجاراة الطلاب في ثلب أحدٍ من معلميهم أو سكوتك عن توجيههم إذا سمعتَ منهم هذا ينقص قدرك ويخفض منزلتك. وتفتح لهم فرصةً للنيل منك عند أحدزملائك وفي مجالسهم.

٢٣٦

كنت أعيد أوراق الإجابة و من لم يقتنع من درجته يناقشن نقاشا علنيا فيتعلمون المطالبة بحقوقهم بطريقة منظمة فيها حدمن الغيبة وتحقيق لسلامة الصدور.

٢٣٧

تسرف بعض الأمهات في العناية في مظهر أبنائها إلى حد التأنيث انتبهي فما نعد له الرجل يختلف عما نعد له الأنثى.

٢٣٨

أخي المعلم من العبر التي حُدِّثت عنها أنّ أحد الموظفين أغلظ كلامه على أحد المراجعين لأنه يرى أنه معلمٌ أسهم في تحطيمه حين كان طالبا عنده !

٢٣٩

طالب كان يعاني من ضعف الخط فقلت له : هل تحب الرياضة؟ قال نعم فطلبت منه أن ينقل الأخبار الرياضية بخط يده ويعرضها علي فكرر هذا فارتقى خطه.

٢٤٠

أخي المعلم كن على يقين بأن نجاح الطلاب الذين أمامك نجاحٌ لك وأنّ كثيرًا من نجاحهم بالحياة سينسب إليك ؛ واعلم أنَّ الذين أمامك سيتكون منهم الهرم المجتمعي ؛فمنهم سيكون الوزير والقاضي و الشاعر ومَن دونهم فأيقظهم وأسهم في إعدادهم وعاملهم بما لديهم من فروق .

٢٤١

رأيت من إذا وجد بادرةً صالحة ممن عُرف بالباطل ونشر الشر جعلها حصنًا يوهم الناس أنَّ هذا الرجل من الصالحين فيسهل على صاحب الباطل تمرير باطله.

٢٤٢

أعطِ طلابك جزءامن الوقت للترويح عن أنفسهم وما زحهم ـ بحذر ـ ولقبهم بألقاب دعابية .

٢٤٣

رأيت في نسخة من طبعات كتاب « على السفود » للرافعي رحمه الله, أنَّ الأولى وهي طبعة دار العصور /مصر كانت في عام ١٣٤٨هـ وأنَّ الطبعة طبعة دار البشائر كانت في عام ١٤٢١ ,وبينهما ثلاث وسبعون سنة, وهذه أطول مدة أراها بين طبعتين.

٢٤٤

إلى المهتمين بدراسة الوثائق المحلية, فقد درجت أيدي الكَتَبة على وضع رموز للشهور الهجرية , وإيضاحها كما يلي. م / محرم/ ص/ صفر/ را /ربيع الأول /ر /ربيع الآخر/ جا / جمادى الأولى/ ج/جمادى الآخرة / ب/رجب/ ش شعبان/ ن /رمضان/ذا/ ذو القعدة /ذ / ذو الحجة.

٢٤٥

إذا قرأت مذهبا لأحد العلماء , وبان لك خلاف ما بان له فلا تتعجل واتهم فهمك ثم راجع المسألة بعد ما يكون الذهن خلوًا مما علق فيه فالرأيُ الفطير يكثرُ فيه الزلل فإن رأيت فهمك لم يتغير فزد بتقليب النظر فإن لم يظهر لك ما يقلق فتوكل على الله وابسط القول فيما ترى متجنبًا رد الهازئ بأخيه الفرِح بسقطاته.

٢٤٦

إذا اضطُررت إلى الاستكانة فالبس لها ثوبًا خلِقًا تطرحه ساعةَ الظفر بحاجتك, أقول لك هذا لما سيواجهك من مواقفَ ضعف قد تمر بها ولا تستطيع الخروج إلا بالخضوع, فلا بأس في ذلك ,ولكن العيب كلَّ العيب أن يكون الخنوعُ من خلقِك وطبعِك.

٢٤٧

قالت خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها في حادثة الظهار: « ... وإن لي صبيةً صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا » إيجاز عجيب يختصر دور الأم والأب.

٢٤٨

عنايتنا في بناء شخصية الطالب لا يعني أنّ جميع من أمامنا نعدهم ليكونوا قادة؛ لهذا أرى أن نربي فيهم مآلا ت الأمور فمنهم: قائد ومنهم مقود. فكلنا يعلم بأنّ كثيرًا من الأولياء أرضعوا أبناءهم فلسفة القيادة ونسوا أن أبناءهم سيشاركهم غيرهم في المنافسة على حقهم في الحياة.

٢٤٩

مداعبة شعرية بين شوقي وحافظ رحمهما الله:

قال حافظ:

يقولون إن الشوقَ نارٌ ولوعةٌ ... فمابالُ شوقي أصبح اليو م باردا

فقال شوقي:

ووُدِّع إنسانٌ وكلبٌ حفيظةً ... فضيعها الإنسانُ والكلبُ حافظ

٢٥٠

« لا يبعد أن يكون من قلة التوفيق أن يتصابى الشيخ؛ فلكلٍّ مرحلةٍ حظُها؛ ومن التوفيق أن يكون الاستعداد للرحيل أعمَّ لمن بلغ مرحلة الإعذار قال صلى الله عليه وسلم: » أعذر الله إلى امرئٍ أخَّر أجله حتى بلَّغه ستين سنة «

٢٥١

قد تجد من وهبه الله الحكمة والسداد فيأتي عليه من صغائر الهموم ما يفقده الحيلة إنه نقص البشر فسبحان المتفرد بالكمال.

٢٥٢

إذا رأيت في زمانك أنَّ الغلبة للباطل فتذكر قول من له الخلق والأمر﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ الروم٦٠

٢٥٣

المال لا يحل بيد زيد حتى يرتحل كله أو بعضه من يد عمرو , أما العلم فإنه ينتقل إلى قلب زيد من غير أن يرتحل عن قلب عمرو؛ فالبخل العلمي رذيلةٌ يجب أن يترفع عنها العلماء.

ثم أقول لهذا البخيل بعلمه: إنَّ هذا العلم الذي عندك لا تظنه وحيًا اختصك الله به؛ فله أطرافٌ عند غيرك ومنتهياتٌ عند آخرين وقطرةٌ عندك؛ كذلك العلم الذي لديك لم يأتك إلا ببذل العلم من علماء قبلك ولو بخلوا كما بخلت لا نقطع العلم , وهيهات أن يكون هذا الانقطاع ؛ لأنَّ نشر العلم خصلةٌ يحبها الله وسيهيئ من يقوم بها.

٢٥٤

قال حصن بن حذيفة الفزاري:

والدَّهر آخِرُه شبهٌ لأوَّله ... قومٌ كقومٍ وأيَّامٌ كأيامِ

٢٥٥

يطالبون بفتح المحال وقت الصلاة ويحتجون بأن الإغلاق ليس في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فعلى فرض صحته أيُظنُ أنَّ الصحابة رضي الله عنهم يصْفُقون بالأسواق بيعًا وشراءً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد من ظن هذا فلم يَقْدِرهم حق قدرهم فليس المناط الإغلاق بل إقامة الصلاة في المسجد.

٢٥٦

أحيانا تكون حاجتك إلى مداراة الأحمق والسفيه أكثرَمنها إلى مدارة العاقل والشريف ؛ فالأحمق والسفيه لا تأمنُهما مما يؤذيك فتتغافل و العاقل والشريف لهما ما يمنعُهما من السفه فالعاقل يزنُ الأمور ويتوسمُ مآلاتِها ؛والشريف يخشى على منزلته وشرفه من الدنس.

٢٥٧

يرد في المباحث اللغوية لفظة (مترادفات) يعنون بها ما ورد فيه عدة إطلاقات من الألفاظ على معنى واحد ؛ لكنني أرى أنَّ الترادف لا يطلق إلا عندما تكون المعاني المطلقة التي جرت بها ألفاظ كثيرة تكون في بيئةٍ واحدة أوقبيلةٍ واحدة ؛أمَّا أن يكون المعنى موجودًا في بيئات متباعدة فلا أرى أنَّ هذا من الترادف وإنما هو من سعة اللغة ؛ وكذلك الأضداد لا أسميها أضدادًا إلا حين يكون إطلا قها في بيئةٍ واحدة أو قبيلةٍ واحدة.

٢٥٨

سأل طالبٌ شيخه عن حروف الزيادة الصرفية, فقال: « اليوم تنساه » فخفي عليه مراد الشيخ,فأعاد السؤال ماحروف الزيادة؟ فقال: «سألتمونيها » فاحتار السائل, فلما رأى الشيخ منه هذا قال إنَّ حروف الزيادة عشرة مجموعة في قولنا : « اليوم تنساه « أو قولنا : »سألتمونيها »

٢٥٩

يستدلُّ بعضهم على نباهة ونجابة إنسانٍ ما بأن يقولَ لمن حوله: (من يكونُ معي ؟)لأنه يريد أن يكون متبوعا لا تابعًا ثم يقرن خمول إنسان آخر لقوله: (من أكونُ معه ؟) لأنه اعتاد أن يكون تابعًا لا متبوعا ,ولكن حقيقة الأمر خلاف هذا؛ فقد قال تعالى: ﴿إنني معكما﴾وقال تعالى﴿إن معي ربي﴾

٢٦٠

الذي يقر أبياتاً من جيد الشعر وجميله ثم لا يحسُّ بجمالها إلا بعد ان يُنبَّه فهو قليل البضاعة من الطبع؛ لكن من يتذوقه ويطرب له ابتداء وجبلةً قبل أن يجد ما قاله النقاد عن سر الجمال هذا هو المطبوع على التذوق؛ فالأول وجد قطعة ذهب فاستجادها وعرف قيمتها بمهارته هو؛ والثاني وجد القطعة نفسها ولكنه لم يعرف قيمتها إلا بعد أن عرَّفه صائغ.

٢٦١

من سيرة علي عزة بيجوفيتش رحمه الله: « إذا ناظرت من يعارض مشروعك وتيقنت أنَّ معارضته عن حسد فليكن همك إقناع الناس بحسده ولا يكن همك إقناعه بمشروعك فهو على يقين من صوابك ولكن حتى لا يلبس على غيره فعليك كشف نواياه ولا تتوقف وإن كنت تسير ببطئ.

٢٦٢

تجربة بحثية : من أخفى مواطن التلبيس حين يقول أحدهما إن فلا نًا قال في صفحة كذا ما نصه كذا. فقد يكون النص المنقول صحيحًا ولكنه ليس هو رأي الطرف الآخر لأن هذا النص ورد استطرادا ولم يرد ابتداء وقصدًا ؛ والباحث الذي أحكمته التجربة لا يسرع بالقبول بل يعود إلى موضع النقل .

٢٦٣

كان من سعادتي أن يتركوني وطلابي فلم يكن من مشاريعي أن أكون في موقع آخر غير التدريس إذ من أمتعِ ما أمر به في يومي المدرسي أن أغلق باب الفصل علي أنا وطلابي فأناديهم باابني ياأخي وهم. ولله الحمد. يجدون في أنفسهم أبوةً مني لهم؛ ولا يجدُ أحدُهم حرجًا من أن يفضيَ إلي أويستشيرُني بأمرِ من أخص خصوصياته.

٢٦٤

دليل عقلي من محمد دراز رحمه الله في كتابه النبأ العظيم ص٢٣ عن حقيقة من حقائق القرآن الكريم: «الذي نعرفه أن كثيرا من الأدباء يسطون على آثار غيرهم فيسرقونها... أما أنَّ أحدًا ينسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته فهذا ما لم يلده الدهر بعد.

٢٦٥

الخاملون يبَطِّئون من يسمو إلى الخير لأنهم ألِفوا ذل الراحة حتى تعفنت جنوبهم من طول الاسترخاء , وإن استنئفِراو إلى فضيلة اثاَقلوا إلى الأرض .فلا تلتفت إلى هؤلاء ,وحث ركابك على المسير , فكما قيل في المثل: القافلة تسير والكلاب تنبح.

٢٦٦

ومما يورث خوفي من غضب الله أني بعض الأحايين أعظ الناس بالحق وأنا أشكو إلى الله ضعفَ يقيني بما أعظهم به ؛ ولكني أعظهم معرضًا نفسي لنفحات الله لعل هذه الموعظة تنقذف في قلبٍ ملئ يقينًا فينتفع وينفع فتدركني بركته ولو بعد حين.

٢٦٧

حين رأى أحد الباحثين كثرة من يدخلون مكتبه وينغِّصون خلوته, يدخلون لتزجية وقتهم بالقيل والقال كتب بخط كبير يقرأه كل من دخل : (سأختصر زيارتي) فعلم الداخلون أنهم المعنيون بهذا, فوصلت الرسالة واستفاد من وقته.

٢٦٨

تنسد مجاري النفس حين تكون مجبرًا على تصديق كاذبٍ يعلم أنه يكذب ويعلم أنك تكذبه .

٢٦٩

إذا كنت تبحث في مسألة بعدد من المراجع فرأيت أنك ما تكاد تنظر مرجعًا حتى تؤمِّلك نفسك بالتماس آخر تؤمِّلك قبل أن تكونَ استكملتَ البحثَ والتقصي فيما بين يديك, هنا اعلم أنك مضطرب فعليك أن تؤجِّل أمرَك لحين صفائك ولا تيأسْ ولا تقلق فهو أمرٌ وجده غيرك وسيجده آخرون من بعد فهذا من لوازم وعوارض نقص البشر.

٢٧٠

قدوقع لي شيءٌ وما أدري أوقعَ لك أم لاوهاأنا أخبرك به وذلك أني رأيت أنه لا يكتبُ إنسانٌ كتابًا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذامن أعظم العبر وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر/ الاصفهاني رحمه الله.

٢٧١

رَبَّ أمرٍ تتقيهِ ... جَرَّ أمراً تَرتَجيهِ
خَفيَ المَحبُوبُ منــــــهُ ... و بدا المكروهُ فيه

ابن المعتز رحمه الله.

٢٧٢

كان من الأحق بأي فكرة تخطر بذهنك أثناء بحثك أن تُعجِّل تدوينها؛ واحتفِ بها ولا تودعها ذاكرتك؛ والخواطر العلمية عزيزة النفس عظيمة الأنفة فإن لم تعطها ما تستحق من العناية قطعتك,وقطيعتها يصعب معها العَود.

٢٧٣

مفاتيح الوصول إلى العلم الحق﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّه﴾البقرة ٢٨٢﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال ٢٩.

فإذا علَّمك الله فأنت في أعلى درجات العلم وينفتح لك من الأنوار وأنت تخط حروفك ما تعجب منه حين تقرأه بعد حين فتقول مبتهجًا بفتح الله عليك معترفًا بفضله : كيف حصل لي هذا؟ وكيف كتبت بهذا فكأنك حين كتبته كنت مغيبًا عن نفسك مؤيدًا بفتح الله عليك فأنت لا تكتب بعلمك وإنما بتعليم الله لك, و المتقي يكرمه فيرتقي من درجة التفريق بين والحق والباطل إلى معرفة أحق الحقائق.

٢٧٤

حين كان الدكتور غازي القصيبي - رحمه الله - وزير الكهرباء انقطعت في أحد الأحياء وكان ممن يتلقون الشكاوى الهاتفية فحادثه مواطن قائلا قل لوزيركم لو ترك شعره واهتم بعمله ما انقطعت الكهرباء فقلت له وصلت الرسالة فقال ماذا تعني؟ قلت أنا الوزير قال أحلف قلت والله وكانت هناك لحظة صمت قبل أن تهوي السماعة .

٢٧٥

حين يتملكني الإعجاب من جمال الصور الفنية في معلقة عنترة أقول ليته مات على الإسلام لأترحم عليه.

٢٧٦

من السير الذاتية « ... وفي إحدى مراحل العمر أسرفت في تقدير منزلتي فاستشرفت الثناء والمدح لما أقوم به و أن الناس لم يؤهلوني حظوةً استحقها وذاك بسبب العُجب الذي تملكني أقول لك هذه التجربة لتبدأ أنت من حيث انتهيت أنا فلا تبالغ بتقدير ذاتك ودع هذاللناس حولك .

٢٧٧

مما فات علي بعضه ولا أحبُ أن يفوتَك شيءٌ منه أني في بداية عهدي بالقراءة كنت أقرأ إثراءً ومتعة, فلم أقيِّد كثيرًا من الشوارد التي مررت بها مع جدارتها بهذا؛ فضع أنت فهرسًا على جلدة كل كتاب تقرأه لتدون فيه ما راقك من فوائده. ويستفيد من يقرأ بعدك؛ وفي هذا إرشادٌ إلى أنَّ القراءة من الكتب الورقية أنفع من القراءة في الكتب الإلكترونية .

٢٧٨

من خصائص إعراب القرآن الكريم نا العظمة : وهي الضمير الذي تحدث به الله سبحانه عن نفسه كقوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾فعند الإعراب نقول في هذه الآية وأمثالها: [نا] ضمير عَظَمة مبني على السكون في محل رفع فاعل , والجاري في إعرابها بغير القرآن أن نقول : نا المتكلمين؛ فقلنا نا ضمير العظمة. خوفاً من توهم محذور.

٢٧٩

فـي بعـض المواقـف يحجـزك أمـرٌ عـن القـول فيحتـاج فيهـا العاقـل إلـى سـفيهٍ ليسـافهَ عنـه ويقـول نيابـةً عنـه مـا يتلجـلج فـي صـدره.

٢٨٠

رأيـت مـن يلـزم المحـراب ويـدع المحـراث منتظـرًا إحسـان الخلـق ويباهـي حـين يأتيـه مـن المحسـنين مـا يسـد جوعتـه وجوعـة ولـده متوهمـا أنَّ هـذا مـن دلائـل صـدق زهـده وهـذا فسـاد فـي الـرأي ويورثـه المهانـة ويلبسـه المذلـة ويذهـب عنـه بهـاء عـزة المؤمـن ويعتـاده وأهلـه مـن بعـده. فبئـس الإرث مـن بئـس المـورث.

٢٨١

﴿وَلَوْ أَنَّنَـا نَزَّلْنَـا إِلَيْهِـمُ الْمَلَائِكَـةَ وَكَلَّمَهُـمُ الْمَوْتَـى وَحَشَـرْنَا عَلَيْهِـمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَـا كَانُـوا لِيُؤْمِنُـوا إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّـهُ وَلَكِـنَّ أَكْثَرَهُـمْ يَجْهَلُـونَ﴾ ١١١ الأنعـام ، يجتهـد المشـفق اجتهـادًا يُفْـرِغُ فيـه وسـعه حرصًـاعلـى هدايـة مـن يحـب لكـنَّ حكمـة اللـه قضـت خـلاف مـا أراد ؛فـإذا ضاقـت عليـك الأسـباب فتعلـق بمسـببها وأحسـن بـه الظـن سـبحانه فإنـه قـال ﴿ إلا أن يشـاء اللـه﴾ ليفتـح لنـا بـاب أمـلٍ وفـرج .

٢٨٢

الضجـة التـي أحدثهـا كتـاب « الكتـاب والقـرآن قـراءة معاصـرة » للدكتـور محمـد شـحرور، ومـا تبـع ذلـك مـن ردود أرى أنهـا تشـبه مـا حصـل لكتـاب « فـي الشـعر الجاهلـي » لطـه حسـين رحمـه اللـه فمـات طـه وبقـي الشـعر الجاهلـي وهـي الحـال مـع كتـاب شـحرور

والدَّهـر آخره شبهٌ لأوّله   قـومٌ كقـوم وأيّام كـأيام

٢٨٣

حدثني الشيخ محمد العثمان القاضي رحمه الله قائلا لا أعرف من يسبقني في مدة الإمامة إلا الشيخ/ عبدالكريم الفدا في بريدة فهو قبلي بسنة, وكان القاضي إمامًا لمسجد أم حمار في عنيزة من عام ١٣٦٦هـ وفي جلسة أخرى في ٢٥/ جمادى الأولى/١٤٣١هـ قال لي إنَ الشيخ عبد الكريم توفي عليه رحمة الله ورضوانه، وبقي الشيخ محمد القاضي أمامًا حتى أن ١٤٣٨ هـ فيكون أتم بالإمامة أثنين وسبعين عامًا رحم الله الجميع

٢٨٤

وإن المرء ليعجب كيف تكون نواتج هذه الخواطر وكيف تكاثرت ثمارها, وإني أمسك القلم وفي تدبيري أني سأكتب سطرا أواثنين فإذا الأفكار تتقاطر والموفق يغتنم الخاطرة ويقيدها ولك أن تعتبر بالنخلة المباركة فلا تجد شيئا منها إلا له منفعة ثم انظر إلى ضآلة النواة التي نشأت منها.

٢٨٥

حسب التجارب والمشاهدات إذا كنت في مجلس أولقاء ورأيتَ من يرى أنّك خيرٌ منه وأفضل, ثم أخذ يحدِّث من حولكم بهذا فدعه يحدث عنه ؛ وإياك أن تُظهِرله بعدُ أنك خيرٌ منه حتى وإن كنت على حق؛ لأنَّ هذا سيحرّك داء المنافسة فتهوي خيريَّتُك وينقلب الميزان.

٢٨٦

(حي الله) تركيب أصله فعل وفاعل والمفعول حُذف ويقدر بنحو(أيًا كان) فتقول أتريد لبنًا أم ماء فأقول حي الله وله أيضا مدلول يفهم من سياق الكلام فأقول أحْضرْ حي الله وهي هنا للمساهلة في تحقيق المطلوب وقد يراد بها الحث على الاعتناء فأقول :» لا تحضر حي الله « ومراد القائل أن تجتهد بما ستحضر ؛وهذا بخلاف مراد الترحيب.

٢٨٧

سأل المقوقس عن الحرب بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومه فقال له حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه: إنها سجال.فقال المقوقس « أَنَبِيُّ الله يُغلَب؟ «. قال له حاطب: « أَوَلَدُ اللهِ يُصلب؟ .

٢٨٨

كان من أولوياتي بعد التقاعد إلغاءُ حضور المناسبات الاحتفالية لما فيها من مجاملات ثقيلة وقد تجدك مضطرا لمباركة ما لا ترتضيه ؛ كذلك وقتها بدايةً وانتهاءً يفرض بلا خيار وبعد الانتهاء تفتش عما كسبته فلا تجد إلا ضجيجًا امتلأ به رأسك. ويزداد العبء حين تكون الدعوة على شرف معاليه أو سعادته.

٢٨٩

من شوارد شعر شيخي عبد الرحمن المنير النفيعي رحمه الله :

زمانٌ تقاد البُزْلُ بابنِ لبونها　　　توقعْ طلوعَ الشمس من غربِها فجرا

البـزل جمـع بـازل وهـو المسن مـن الجمـال وابـن اللبـون ولـد الناقـة إذا أتم سنتين؛ ويعنـي أنَّ هـذا زمـانٌ تكَدُرت بـه الأحـوال وانتكسـت المقاليـد ؛ فأخَّـروا ذوي الـرأي والحكمـة والتجربـة؛ وأدنـو ا حدثـاء الأسـنان فأصبـح النـاس فـي أمـرٍ مريـج لا يـدرون عـلا م يصبحـون ولا عـلا م يمسـون.

٢٩٠

يأتـي من لطف اللـه ما لا يخطـر على بـال, قـال تعالـى: ﴿ وما يعلـم جنـود ربـك إلا هـو﴾ ٣١ المدثـر

٢٩١

معارفك النظريـة عن الثبـات تصدق أو تكـذب حـين الابتـلاء , فلا تغتـر بكثـرة علمـك قبـل وقـوع البـلاء عليـك, وهنـا ـ أي عنـد البلاء ـ قـس مقـدار معارفـك فالثبـات وزيـادة التعلـق بربـك عنـد البـلاء هـو العلـم الحـق سـاعتئذٍ.

٢٩٢

﴿ولما سقط في أيديهم﴾ قال أبو القاسم الزجاجي رحمه الله: (سُقط في أيديهم نظمٌ لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب ولم يوجد ذلك في أشعارهم) أهـ؛ روى هذا الميداني رحمه الله في كتابه (مجمع الأمثال) مع المثل رقم ١٧٧٤ (سُقِط في يده) وهو يضرب لمن ندم.

٢٩٣

قال ابن الجوزي رحمه الله في قول فرعونَ ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ [الزخرف: ٥١]: «يفتخر بنهرٍ ما أَجْرَاهُ، ما أَجْرَأَهُ»؛ قلت: » ما أسرع ما يكون هملاً من انتفخ بجاهٍ مستعار.

٢٩٤

« ما بين الستين والسبعين معترك المنايا «

إذا الرجالُ كبُرتْ أولادُها وأخذتْ ألامُها تعتادُها

وكثرت من سَقمٍ عوادها فهي زروعٌ قد دنا حصادها

٢٩٥

قال الدكتور محمد رجب البيومي واصافًا العقاد فيما دار بينه وبين الزهاوي رحمهم الله: (لأنَّ العقاد صاحب منطق وحجاج؛ وقد انبرى ثانيةً لتفنيد آراء الزهاوي ؛ بمنطقه الجدلي الذي يسعفه دائما لا باعتباره باحثا ينشد الحقيقة ؛ بل باعتباره محاميًا بارعـًا ينحاز إلى قضيةٍ فُرض عليه أن يدافع عنها بما يملك من براهين) ص٢٩٧من كتاب قطرات المداد.

٢٩٦

حين يسمع مرضى القلوب قولاً لرسول الله صلى عليه وسلم يثني به على نفسه فإنهم يصفون قوله بكلام ننزه عنه الرسول عليه الصلاة والسلام, وهذا المريض جهل أنَّ كل ثناء قاله إنما هو إنطاقٌ له من الله سبحانه, كما أنَّ كل ثناء هو دون شرف اصطفائه بالرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ النجم ٣

٢٩٧

« كلٌ يؤخذ من كلامه ويرد » توسعوا بإطلاقها، حتى رأينا من شواذ الخلق من يترخص بها ويطعن على أخيار نسأل الله أن تكون رحا لهم استقرت بالنعيم , ثم يأخذها بيساره وكلتا يديه يسار يؤيد بها شبهته ؛ولوأجراها على مقالته لوجد أنَّ كلامه مما يقال فيه « يرد من كلامه ويرد «اللهم نور بصائرنا .

٢٩٨

لا تفرحن بسَقَطات الرجالِ ولا تهزأ بغيرك واحذر صوْلة الدّولِ

وكن مع الخلق ما كانوا لخالقهم واحذر معاشرة الأوغاد والسفلِ

شر الورى بمساوى الناس مشتغل مثل الذباب يراعي موضع العللِ

لو كنتَ كالقِدْح في التقويم معتدلا لقالت الناسُ هذا غيرُ معتدلِ

القِدْح: السهم

ابن أبي بكر المقري / رحمه الله ؛ وهي من أبيات قصيدة مليئة بالحكم و التجارب..

٢٩٩

ثقافة المهانة! وأبرز أنماطها ما يؤصله المتسولون بأبنائهم فيتعمق بنفسه إحساس بدونيته وضعته فتنهزم الأنفة. وتغور في أعماق النفس وينبُتُ مكانها مهانة ؛ وهذا المستوى من نظرة الإنسان لنفسه لا يكون بسبب فقر فمن الفقراء من يفوق الأغنياء عزةً وأنفة.

٣٠٠

إن الأديب ليخفق إخفاقا ذريعا حين يكون همه في العمل الأدبي أن يشبه كذابكذافيكون أعد المشبه والمشبه به ووجه الشبه قبل ولادة النص ؛فهذا نجارأوخياط أونحوهما لأنّهما اللذان يرسمان الهيئة ثم يقومان بإعدادما يناسبها فالأديب المطبوع تنثال عليه المعاني عند توهج التجربة الشعورية وتدفقها.

٣٠١

قال أبو فراس رحمه الله:

تسائلني: من أنت وهي عليمة   وهل بفتى مثلي على حاله نكر

فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى   قتيلك قالت أيهم فهم كثر

يعاب على الشاعر في البيت الثاني جعله لحبيبته أكثر من محبوب فهي بهذاكأنها بائعة هوى لا عفيفة وذلك لقولها: « أيهم فهم كثر»

٣٠٢

مغني اللبيب لابن هشام رحمه الله تتداخل تقسيماته؛ يتحدث عن شروط مسألة فيقول الأول الثاني فيرى أن الثاني له ضوابط فيقول الأول الثاني فيعود بعده ويقول الثالث يعني الثالث من شروط المسألة ، وقد تتعاقب الضمائر فتلتبس عوائدها فعليك إمعان النظر أثناء البحث ولا تسأم فهو من أنفس كتب النحو.

٣٠٣

من اللطائف الخفية أن يؤلف رجل كتابا نافعا في بابه لكن ليس للرجل ذيوع فيقيض الله من ذوي الذيوع فيضمنه كتبه من غير ذكر لصاحبه فينتشر بأنه للأخير ؛ وهذا مع ما فيه من التعدي فيه لطفٌ خفي من الله بسببه ذاع وعُرف والله سبحانه يعلم حق الأمر وحقيقته ولن يحرم بفضله وعدله صاحب الحق من المثوبة؛ ويخشى على الآخر من عقوبة السطو والبغي.

٣٠٤

لمن أرادَ أن يكتبَ عن موضوعٍ أوفكرةٍ استجمع أمرَها في ذهنه ,وهو يخشى أن تكونَ استجابةُ قلمِه على أقل مما يريد؛ أقول أبدأ ثم ما تدري وقد غمست مداد قلمك بهذه الفكرة فإذا المعاني تتابع وتنثال عليك من حيث لا تحتسب فتتداعى إلى ذهنك حتى توشكَ ألا تُحكِمَ زمامَها .

٣٠٥

« ومما اشتهر أنَّ احتكار الزروع لتحيُّن أوقات الغلاء مشؤوم وأنَّه يعود على فائدته بالتلف والخسران وسببه ـ والله أعلم ـ أنَّ الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما يبذلون من المال اضطرارا فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بمالها سر كبير في وباله » ابن خلدون رحمه الله.

٣٠٦

إطالة القراءة لشعر شاعر أولكلام أديب تُحْكِم ذوق القارئ فتوصله إلى القدرة على تمييز كلام من قرأ لهم؛ وتبني في ذهنه تذوقًا يستطيع به أن يوقن بصحة ما نسب إلى ذاك الأديب أو هذا الشاعر ؛كما تبني في ذوقه الجزم بدفع ورد ما لم يكن متوافقًا مع أسلوب هذا الشاعر او ذاك الأديب.

٣٠٧

مما ينفي بشرية القرآن العظيم أنَّ الكتاب إذا تقادم عهده وتعددت طبعاته وتعدد محققوه يكثر الاختلاف بين طبعةٍ وأخرى وبين محققٍ وآخر؛ وهذا مما تنزه عنه القرآن الكريم؛ فما نقرأه اليوم هو ما نزل به جبريل عليه السلام وهو ما قرأه الرسول صلى الله عليه وسلم ,وهو ما قرأه الصحابة رضوان الله عليهم وسيقرأه من بعدنا إلى يوم القيامة ؛ كما أنه من الجاري في عرف التأليف أن يُفتتح الكتاب بمقدمةٍ تبين غرض المؤلف من التأليف ,وتبين مساره في هذا الكتاب وتعداد فصوله ومباحثه ؛ثم تكون خاتمةٌ يبين فيه المؤلف نتائج بحثه وليس في القرآن شيءٌ من هذا.

٣٠٨

قرأت في بعض الردود على المخالف أنَّ أحدهم حين اختلف في الرأي مع غيره حشد في رده عبارات تُجهِّل وتسفه المخالف وتتهمه بالهوى؛ وهذا كلمات تعبر عن الطيش في الرأي وذهاب الحيلة؛ حين قرأت هذا قلت في نفسي: إنه من سوء حظ القوم أن يتولى مثل هذا الرجل الرد عنهم فهو يبدي عورتهم ولا يدفع عن حقهم ولم يستطع إسقاط الرأي المقابل.

٣٠٩

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ قرأت كثيرًا من مأثور العرب شعره ونثره قديمه وحديثه فلم أجد جودةً تداني هذا التعبير عن المعنى المراد وأحسبها تضاف إلى مبتكرات القرآن الكريم ؛ فعاقبة صبرهم ومآله قرارُهم بالنار؛ وعاقبة استعتابهم أي طلبهم الرضى هي الرد المفضي إلى الهوان؛ والمعنى المراد الذي حضرني تيأيسهم من الخروج من النار وتيأيسهم من تخفيف العذاب اللهم أعذنا من حالهم.

٣١٠

هنـاك أفعـال ثلاثيـة لازمـة وإذا دخلـت عليهـا الهمـزة صـارت متعديـة ؛ وهـذا الهمـزة اسـمها همـزة التعديـة مثـل: جلـس؛ أجلـس؛ ذهـب أذهـب؛ وهـذا كثيـرٌ شـائع مطـرد؛ ولكـنَّ هنـاك أفعـالاً جـاءت علـى عكس هـذا المطـرد ؛ مثـل: عـرض؛ أعـرض؛ كـبَّ أكـبَّ؛ فعـرض وكـبَّ متعديـان؛وأعـرض وأكـبَّ لازمـان ؛وأعـرض تأتـي بمعنـى صـدَّ وهجـر وتـرك إيثـارًا لشـيءٍ آخـر هـو أقـلُّ نفعًـا؛ وتأتـي بمعنـى لا ح وبـان؛ فمـن الأول قولـه تعالـى: ﴿ وَمَنْ أَعْـرَضَ عَـنْ ذِكْـرِي فَـإِنَّ لَـهُ مَعِيشَـةً ضَنْـكًا وَنَحْشُـرُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ أَعْمَى﴾طـه ١٢٤؛ ومـن الثانـي قـول عمـرو بـن كلثـوم:

فأعرضت اليمامة واشمخرَّتْ   كأسيافٍ بأيدي مصلتينا

ومنـه اعتـراض الشـيء بالأفـق أي ظهـوره وبيانـه للناظـر؛ وأكـبَّ علـى الشـيء أي محضـه وُكـدَه وعنايتـه؛ وهنـاك همـزةٌ اسـمها همـزة الصيـرورة؛ فتدخـل علـى الفعـل فتجعـل صاحبـه صـار ذا كـذا ومثالهـا: افقـر الغنـي أي صـار فقيـرًا؛ أظلـم المـكان أي صـار مظلمـاً؛ ولا تكـون للصيـرورة إذا أريـد بهـا التحـول مـن حـال إلـى حـال؛ومـن وجـوه استعمال هـذه الهمـزة الإيجـاز؛ فبـدلاً مـن أن تقـول: صـار الغنـي فقيـرًا تقـول: أفقـر الغنـي.

٣١١

قـال قائـل لخلـف الأحمـر: (إذا سـمعت أنـا بالشـعر استحسـنه فمـا أبالـي مـا قلـت أنـت فيـه وأصحابـك؛ قـال إذا أخـذت درهمًـا فاستحسـنته فقـال لـك الصـراف: إنـه رديء فهـل ينفعـك استحسـانك إيـاه ؟)

٣١٢

وهـذا إشـكال نحـوي قـال تعالـى: ﴿قُـل لاَّ أَجِـدُ فِـي مَـا أُوْحِـيَ إِلَـيَّ مُحَرَّمًـا عَلَـى طَاعِـمٍ يَطْعَمُـهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَـةً أَوْ دَمًـا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْـمَ خِنزِيـرٍ فَإِنَّـهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْـرِ اللّـهِ بِـهِ فَمَنِ اضْطُـرَّ غَيْـرَ بَـاغٍ وَلاَ عَـادٍ فَـإِنَّ رَبَّـكَ غَفُـورٌ رَّحِيـمٌ﴾ (١٤٥) سـورة الأنعـام.

الإشـكال فـي نصـب ﴿فِسْقًا﴾ وهـي واردة بعـد مرفـوع ,وبيـان هـذا أنَها معطوفـة علـى ﴿مسـفوحًا﴾.

وممـا يوهـم بوجودإشـكال قولـه تعالـى: ﴿وَلَـوْلَا كَلِمَـةٌ سَبَقَتْ مِـن رَّبِّـكَ لَـكَانَ لِزَامًـا وَأَجَـلٌ مُسَـمًّى﴾ (١٢٩) سـورة طـه.وهو بعكـس الإشـكال السـابق.حيث وردت﴿ اجلٌ﴾ مرفوعـة وهـي بعـد منصوب,وبيـان هـذا أنهـا معطوفـة علـى لفظـة ﴿كلمـة﴾ التـي فـي أول الآيـة .

ومن هـذا قولـه تعالـى: ﴿وَقُلْنَـا يَـا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُـكَ الْجَنَّـةَ وَكُلاَ مِنْهَـا رَغَـداً حَيْـثُ شِـئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَـا هَـذِهِ الشَّـجَرَةَ فَتَكُونَـا مِـنَ الْظَّالِمِـينَ﴾ (٣٥) سـورة البقـرة الإشـكال فـي قولـه تعالـى:﴿اسـكن أنـت﴾ حيـث إبرازالضميربعـد فعـل الأمـر والقاعـدة فـي نحوهـذا وجـوب إضمـاره ؛وجـواب هـذا أن الضميـر البـارز توكيـد للضميـر المستتر وليـس هـو عـين الضميـر قـال فـي كتـاب الإعـراب المفصل لكتـاب اللـه المنزل:[أنـت: ضميـر رفـع منفصـل مبنـي علـى الفتـح فـي محـل رفـع توكيـد لفظـي للضميـر فـي اسـكن] ج١ص٤٧ط١دار الفكرللنشـروالتوزيـع.

ومـن هـذا ورود الإشـكال فـي العطـف فـي قولـه تعالـى:﴿حَتَّـى إِذَا جَـاء أَمْرُنَـا وَفَـارَ

التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (٤٠) سورة هود

حيث قد يرد إشكال في قوله تعالى:﴿ وَمَنْ آمَنَ ﴾ بأنها معطوفة على قوله تعالى:﴿ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ وهذا لا يؤيده المعنى المراد؛ لأنّ الأخذ بهذا المعنى يفيد أنّ ﴿من آمن﴾ مستثنون من الحمل في السفينة؛ وسبب توهم الإشكال أنّ ﴿من آمن﴾ وردت بعد الاستثناء مباشرة؛ وتمام المعنى أنّها معطوفة على قوله تعالى: ﴿اثْنَيْنِ ﴾ فيكون إعراب مَن أنّها اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوفة على اثنين؛ فإنَّ الواو عاطفة وليست استئنافية .

ومما قد يشكل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)الممتحنة ١؛ احتمال الإشكال في قوله تعالى: (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ) فقد أشكل على أحدهم معنى الواو التي قبل (إِيَّاكُمْ) وظنها استئنافيه؛ فيكون المعنى على هذا الفهم هو التحذير من الإيمان؛ بينما هي عاطفة؛ فالإخراج يحصل للرسول صلى الله عليه وسلم ولكم.

٣١٣

من أَلِف الاسترخاء والتسويف وظنَّ أنه يستطيع بلوغ غايته متى أراد, هذا يشبه من يعبث بعقارب الساعة تقديمًا أو تأخيرًا , ثم يظنُ أنه تصرف بحركة الزمن , أو كمن أوقف الساعة ليوهم نفسه بتوقف الزمن عند هذا الحد.

٣١٤

ومن تجارب الحياة المتولدة من مخالطة الناس ومعرفة بعض الطبائع أنَّ بعض الناس لديه ولعٌ وإسراع في تصديق ما يذاع ويقال من العثرات, ثم يترددون في قبول الثناء ودعك من إذاعته.

٣١٥

ورد في الحكم هذا المعنى: (كلٌّ تستطيع إرضاءه إلا الحاسد فإ نه لا يرضى إلا بزوال نعمتك) فأجريت اختبارًا لهذه الحكمة على نفسي؛ فقد وقع حسد إنسان علي بنعمة أكرمني الله بها, وكنت أظنني واهمًا في حسده حتى نطق بحسدها لسانه؛ أكثرَ من مرة, وكانت النعمة التي حسدني عليها أنَّي ممتعٌ بصحتي على حال خيرٍ من حاله؛ فلما رأيتُ منه هذا تمارضت وأظهرت ضعف صحتي, فظهر عليه التبسط والبشر وإظهار شفقة الضَّرات علي والمنا صحة بالعلاجات؛ اللهم إني أعوذ بك من شرِّ كلِّ ذي شر.

٣١٦

إلفُ الباطلِ واعتياده يُعمي عن قبول الحق؛ فنجد أنَّ من أسباب ردِّ قريشٍ لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم أنه بشر؛ بينما لم يلتفتوا إلى معبوداتهم من الحَجَر! فظنوا لإلفهم واستمرائهم أنها الحق, وعلى هذا أممٌ قبلهم, حتى العادات الحياتية والأعراف التي ألفها الناس يجري عليها هذا الحكم.

٣١٧

(يا يونس إني لأجدُ بيانها على قلبي , ولكن لا ينطق بها لساني)هذا ما أجاب به الشافعي يومًا يونس بن عبد الأعلى ,وهي كلمةٌ عجيبة يحسُّ حرَّها كلَّ من عالج شيئًا من مسائل العلم , وقد يقع في تطلُّب رأي يجد مسَّ معناه على لسانه لكن قلمه غيرُ قادرٍ على قذفَه على الورق, ومن ذا لا يجد ما وجد الشافعي على الجميع رحمةالله.

٣١٨

من مزالق العلم التي يهوي بها الباحث أن يروقه رأيٌ سُبق إليه صيغ بعبارة دقيقة معبرة عن المعنى المراد فيأخذه منسوبا إليه بعبارة تُسقط الاستدلال الأول به, فيوهم من بعده بأنه متبوع لا تابع, حتى يأتي من أهل العلم من يبين الزيد والنافع, كما فعل محمود شاكر في إسقاط دعوى الجاحظ في أولية الشعر.

٣١٩

بعد أن تتبحر في مظانِّ علمك الذي تأنس به ؛ فإنَّ توسُّعَك في قراءة كثيرٍ من الفنون من غير فنك الذي إليه تميل تقيِّضُ لك مظانَّ في علمك الذي إليه تنتمي وتُوقِعُك على شذراتٍ, لم تكن لتتهيئَ لك ولا أن تنتهيَ إليها لولا هذه القراءة.

٣٢٠

الإنسان بضعفه البشري , وإن كان يعرف يقينًا مآلا ت الأمور , وأنَّ سبيل ما به من ضيق سينتهي إلى فرجٍ وسعة ؛ إلا أنَّه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الحزن وكَدَر البال بما حلَّ به , ولنعْتبرْ بحال يعقوب في حاله مع يوسف عليهما السلام , فمع يقينه بعودة يوسف إلا أنَّ الحزن بلغ منه مبلغًا أفقده بصره وانقلب سواد العينين بياضًا(وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) يوسف ٨٤

٣٢١

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ إبراهيم٤و حين أقرأ هذه الآية أقول بأنَّ الله سبحانه سيُلهمُ هذا اللسانَ أقوامًا هم من غير أهله أصالةً ويُمكّن من قلوبهم حبَّه وحبَّ المباهاةِ به, ومن ثم يمكّن من قلوبهم فهم القرآن وحبه ولذة تلاوته , وهذا شاهده في قديم الزمان وحديثه , وسيبقى إلى قيام الساعة, فيكونون هم قوم هذا اللسان وقوم رسوله صلى الله عليه وسلم, فتكون قوميتُهم اتحادَ لسانهم مع لسانه ؛ بل إننا وجدنا من غير المسلمين من يكون جندًا يبلِّغ هذا اللسان ويذب عنه ويفضِّله على

لسانه الذي وُلد عليه وطُبع, بل ويدفع غيره لتعلمه, ومن مفهوم هذا الآية أنَّ لسان القرآن سيكون يسيرًا على كل مسلم وإن لم يكن لسانه عربيا أصالةً وسيُلقى في قلبه القبول والرضى بهذا اللسان العربي ؛لهذا نجد أنَّ من غير العرب من يخشع ويلين قلبه عند التلاوة أو الاستماع.

٣٢٢

العناية بالبيان

العناية بالبيان غايةٌ تستحق إدماءَ الأعقاب وظمأَ الهواجر ؛ و الإفصاح عن الحاجة والمكنون بحرفٍ آخذ وبيانٍ مبين يستطيع أن يستميلَ السامع ويُسرعَ في بلوغ المرجو ويأخذَ باللب ,ويغريَ بقضاءِ المطلوب؛ وكم من حقٍ أضاعه أو أضعفه سقوط بيانه أو نقصُه؛ وكم من باطلٍ غرَّ بيانه سامعيه وأخذهم إلى اعتقاده وتبنيه ؛ و هذه المنزلة أعني سمو البيان تنال بقراءة حروف جرت بها أقلام أهل البيان فقدِروا على أن ينقلوا معانيَهم بألفاظٍ تغري باحتذائها والسير في ذاك الطريق والاستمساك بذاك الغرز؛ فقراءة ماسطره أمثال هؤلاءِ مِن أفلحِ ما يوصل إلى البلاغة والبيان ؛فإنَّ القارئ لهم ـ لاشك ـ سيعلق في ذهنه من ألفاظهم وابتكاراتهم ما يعينه فيسقي نبتةً أصلها عنده أو يضع بذرة تولد في ذهنه؛ ومن أغنى المظان في هذا كتب الموازنات الشعرية والنثرية وكتب الدراسات النقدية؛ والنقاد أقرب في جمال الأسلوب من اللغوين والنحاة ؛ ومنهم من جمع كابن جني وعيسى الرماني؛ والمنثور أثرى من قراءة الشعر؛ والشعر أخصُّ من المنثور في توسيع الاستعمالات اللغوية؛ ومما مرَّ علي مثريًا للبيان أبو علي المرزوقي في مقدمة كتابه «شرح ديوان الحماسة» ومن المحدثين محمود شاكر في مقدمة قصيدته « القوس العذراء.

٣٢٣

رغب إلي أحد الفضلاء النظر في كتابٍ أرسله إلي مستطلعًا رأيي بما فيه راغبًا مني في الرد على المؤلف؛ وبعد أن قرأت ما أوقفني على منهج الكاتب والكتاب وما فيه من منحدرات ومساقط ستخطفك بها الطير وستهوي بقارئها في مكانٍ سحيق, قلت : إنَّ من المهالك المهلكة أن يظن الإنسان في نفسه القدرة على الرد أو يتعمد الاستماع أوالقراءة رغبةً في الرد على ما يقع عليه من أفكار شاذة ومضلة؛ فإنَّ هذا بتقديري من استشراف الفتن والتعرض لمظانها وقد عوفيتَ منها ,والحكيم الحازم المشفق على دينه يجب عليه استدبارُ مثل هذا؛ ولا يسعى إليها معتدًا بعلمه وعقله , وحصانته لكن إن وقع له في طريقه العلمي شيءٌ من هذا الأذى من غير قصد منه فإنَّ الله ــ بفضله ومنه ــ سيعينه على إماطته عن طريق المسلمين , فلا تبحث عن الأذى لتميطه وإن وقعتَ عليه من غير قصد فستُعان بإذن الله .

ومثل هذه الكتب تجعل عقل الإنسان في منطقة بلل فيتضاعف عليه خطر الانزلاق ,ثم اعلم أنَّ العقل جارحة كسائر الجوارح يجب أن تمنعه من الخوض فيما لا يُدرك؛ فكما أنَّ للبصر والسمع نهايةً يعجز بعدها أن يرى أو يسمع فكذلك العقل؛ ومن الحفظ للدين والمروءة أن تُقِر على نفسك بأنك لا تدري؛ والوثوق المطلق بالعقل والركون إلى مسوغاته ــ خاصةً ما يتعلق بعالم الغيب ــ الذي لا مطمع في الوصول إلى حقيقته منزلقٌ ومزلَّة بل يجب قطع مطامع العقل في الوصول إلى كنهها ومن استرسل فقد هلك.

٣٢٤

الموفق يضع قبسًا بعد قبس في طريق الأمة فتجد كتاباته مصابيحَ منيرة وعلاماتٍ بها يُهتدى, فلا يكاد ينتهي من قبس وضعه إلا أسلمه إلى آخر , فحروفه تنير ظلمة الحيران وتجلو هَمَّ الحزين, مداده حبُ الخير للجميع فيكون من ثمراته الألفةُ والاجتماع, لا يلتفت لبنيَّات الطريق حين تزيّن له الجدال أو الخصومة مع غيره من إخوانه من الجلساء أو الكتاب ؛ لما يعرف ما يجره الجدل من شقاق ويتركه في القلوب من تصدع , قافلته أبدا تسير لا يوقفها إلا كلال الذهن ونقص معينه فيستظل تحت شجرة التوكل والرحمة يلتمس ما يملأ محبرته ويمد قلمه؛ بنى حياته على المساهلة وترك صغائر الاختلافات ؛ من مناهجه (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه) تركَ الردود العلنية لما وجده فيها من تذكيرٍ وإشاعةٍ لشرٍ منسي , أومدٍ لقامةٍ قصيرة فتطول, لم يدع الإصلاح لكنه نهج في نصحه منهج الرسائل الخاصة يكتبها لمن يرى فيه مداومةً على نقص ولا يعلنها لأحد فوجد ثمرةً طيبة من هذا من قبولٍ للخير وإسهامٍ في سلامة القلوب والصدور وسترٍ للعيوب. حين يمسكُ قلمه يتيقنُ بأن كل حرف يكتبه سيتجه إلى واحد من طريقين وكلاهما في قبره , حرفٍ يزخرف القبر ويوطئ الفراش ويجعله وثيرا , وآخر يكون شوكًا أحدَّ من حسك السَعدان ؛ لهذا ألجمَ هذا القلم وأوثقه بقيد مَن يكتب كأنه يكتب في قبره , لا يَنشُد شهرة مع محبته في إرضاء قرائه ؛ إلا أنه لم يجعل حبهم سببًا يلوِّث قبره , عرف المآل فأحسن السعي إليه وركب له أهنأ مركب. ممسكٌ بعنَان قلمه كلما رأى في إخوانه عوجًا سدده .

اللهم اسلك بنا سبل رضاك

الباب الرابع

خـــواطـــر

١

كنت أقرأ في سورة آل عمران فمررت بدعاء زكريا وبشارته عليه الصلاة والسلام ؛ وذلك في قوله تعالى:﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾٣٨﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٣٩ ؛ ثم مررت ببشارة مريم عليها السلام : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ٤٥ فعيسى ـ عليه السلام ـ بالإضافة إلى علو منزلته النبوية على يحي عليه السلام ؛جاءت صفات الكمال أكملَ مما وُصف به يحي حيث قال تعالى عن كمالات عيسى بالإضافة لما سبق﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾وقال:﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾٤٦ ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾٤٨﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾٤٩﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾٥٠ ؛فهذه أكثر من عشرين صفةً من صفات الكمال أكرم الله بها عيسى.

وفي موازنةٍ بين البشارتين وقع في نفسي بأنَّ هناك فرقًا بين ما يهبه الله لعبده استجابةً لسؤاله وبين ما يكرمه الله به ابتداءً منه وتفضلاً من غير مسألة؛ وأنَّ ما يأتي العبد هبةً من الله من غير مسألة أعظمُ مما يأتي بعد المسألة وفي كلٍّ فضلٌ وعظيمُ منة؛ ذلك أنَّ زكريا عليه السلام بشَّره الله بيحي عليه السلام موصوفًا بصفات الكمال المذكورة في قوله تعالى :﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾٣٩ ؛ وهذه صفات كمال نستبين منها طرفًا مما تفيض به كلمة ﴿طَيِّبَةً ﴾؛فلو ذهبنا إلى هبة مريم ـ عليها السلام ـ التي أُكرمت بها من غير مسألة لوجدنا أنها أعظمُ وأجلُّ ؛ ذلك أنها وُهبت رسولاً هو من أولي العزم من الرسل عليهم جميعًا الصلاة والسلام .

ثم زاد يقيني بأنَّ الهبة الربانية المبتدأة من الله سبحانه أعظم حين قرأت قوله تعالى في سورة القصص مخاطبًا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلَّم :﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ ٨٦؛ فرسولنا عليه الصلاة والسلام وكذلك سائر الأنبياء أتت إليهم الرسالة هبةً واختصاصًاواصطفاءً من الله تعالى من غير مسألة؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يؤمِّل بالرسالة ؛ قال ابن عاشور رحمه الله في التحرير التنوير: (لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخامر نفسه رجاء أن يبعثه الله بكتاب من عنده بل كان ذلك مجرد رحمة من الله تعالى به واصطفاء له) .

ومما يفيد حول هذا أنَّ الله سبحانه قال عن نعيم أهل الجنة:﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ق ٣٥ وهذا يفيد أنَّ مسألة ابن آدم قاصرةٌ ومشيئته متناهية مهما بالغ في المسألة أو عظَّمها أو بالغ وتحرى أعلى مطالبه؛ فإنها محدودة محفوفةٌ بقصوره.

٢

قد يثقل الأمر ويشتد الخطب ويهول فيود الإنسان ـ من طيش الفكر وضياع الحيلة وضيق المخرج ـ أن يخرج مما هو فيه حتى لو لما هو أشدُّ من حالته تلك ؛ وهو لا يعني حقيقة ما تمنى وودَّ وإنما يريد أن يظهر بؤس حاله وسطوةَ ما ألمَّ به؛ وهذه الحال هي التي حدت بلوط عليه السلام إلى أن يقول لقومه ـ حين ظهر غشمهم وسوء عشرتهم وتماديهم في باطلهم ـ ما قاله الله عنه تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ هود ٧٨ ولا يخطر بظن عاقل فضلاً عن مسلم أنَّ لوطًا عليه السلام عرض بناته على قومه لإيقاع الفاحشة والخنا بهن ؛ ولكنه أراد الزواج الشرعي؛ لأنَّ في هذا التخريج دلالتهم على الفطرة السليمة بنكاح الرجل للمرأة؛ ثم بلغ الضيق مبلغه الكاظم حين قال الله تعالى عنه : ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾هود ٨٠

ومثل هذا تمني الموت الذي وقع من مريم حين جاءها المخاض حبلى بعيسى صلى الله عليه وسلم قال تعالى:﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾مريم ٢٣.

٣

جاء في المقدمة التي كتبها السيد أحمد صقر رحمه الله لكتاب إعجاز القرآن للباقلاني رحمه الله:(وبدأ بقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ الفرقان ٢٣ ؛فقال حقيقة قدمنا هنا (عمدنا) وقدمنا أبلغ منه ؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر؛ لأنه من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم؛ ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم به ؛وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال) قلت : ومما يضاف أنَّ قدمنا أبلغ وأوفى في تبليغ المعنى المراد ؛ لأنَّ فيها ما يؤكد القوة والعزة وكمال القدرة وعظيم الاقتدار؛ والأخذ بغتةً بعد الإمهال وسرعة المحو وعدم الإمهال حين اقتضت الحكمة إنزال العقوبة.

٤

كنت أبحث في مادة «ر ث ع» فقال القاموس المحيط :الرَّثَع محركة الشره والحرص والطمع وهو راثعٌ ورَثِع ككتف والراثع من يرضى من العطية بالطفيف ويخادن أخدان السوء وفيه دناءة وإسفاف لمداق المطامع ؛ فعجبت من المباينة بين ما نعنيه في لهجتنا من أن الرثع وهو الجري السريع وبين ما تعنيه اللغة الفصيحة!! فلا ملاقاة بين المعنيين.

٥

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾الأنعام ٧٤﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾٧٥﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾٧٦﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾٧٧﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨﴾

بدأت هذه الآيات باستفهام إنكاري يدل على أنَّ إبراهيم عليه السلام يسخط ماكان عليه أبوه من الشرك؛ فهي إيحاءٌ بالمآل الذي ستؤول إليه محاجته مع قومه ؛ وكذلك تؤكد أنَّ مقالات إبراهيم إنما هي على سبيل التنزل مع الخصم وليست أمرًا خالط عقل إبراهيم أو قلبه؛ ثم بيَّن تعالى امتنانه على إبراهيم لينتهيَ به الأمر إلى اليقين؛ وليفهم تالي القرآن أنَّ ما سيرد من مجاراة إبراهيم لقومه إنما هو على سبيل التنزل لإفحام الخصم لا على السبيل الإيمان بما عليه أبوه وقومه من شرك؛ لذلك تشير الآيات إلى التدرج الذي سار عليه إبراهيم معهم ليصل إلى البراءة مما هم عليه؛ فكانت الأولى : ﴿ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾فقط ليبين لهم أنه لا يحب ولا يعبد إلا معبودًا له صفة الدوام ؛ والمفهوم أني سأجاريكم إذا أتيتموني بمعبودٍ من

أصنامكم وآلهتكم دائم البقاء؛ولن يستطيعوا؛ وهذا فيه تعجيزٌ لهم وكسرٌ لشوكتهم؛ فكأنه أضعفَ ما وقر في قلوبهم من عبادة الكواكب؛ثم صار أكثر إنكارًا لزيغهم وكأنه تمهيدٌ لما سيكون بعد هذه الدرجة ﴿ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ فبيَّن أنَّ الأمر منوط بالهداية الإلهية؛ فإن لم تكن فغيرها ضلال؛ ثم جاءت مرحلة الحسم والقطع بعد المجاراة الثالثة؛ فأعلن براءته مما هم عليه من الشرك﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ .

الباب الخامس

نفي الفعل بأداة نفي

و

نفيه بنقيضه

أبـدأ بنفـي الفعـل بـأداة نفـي ليكـونَ أوضـحَ للمقصـود. قولـه تعالـى: ﴿ وَمِنْهُـمْ مَـنْ يُؤْمِـنُ بِـهِ وَمِنْهُـمْ مَـنْ لا يُؤْمِـنُ بِـهِ وَرَبُّـكَ أَعْلَـمُ بِالْمُفْسِـدِينَ﴾ يونس ٤٠ عـدم الإيمـان نُفِـيَ بـأداة نفـي (لا)

ومـن نفيـه بإيـراد نقيضـه قولـه تعالـى ﴿فَمِنْهُـمْ مَـنْ آمَـنَ بِـهِ وَمِنْهُـمْ مَـنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ النسـاء ٥٥؛ حيث ذُكـر أمـر الجاحديـن بذكـر صدودهـم المتضمـن عـدم إيمانهم؛ومنـه قولـه تعالـى: ﴿ وَمِنْهُـمْ مَـنْ يَلْمِـزُكَ فِـي الصَّدَقَـاتِ فَإِنْ أُعْطُـوا مِنْهَـا رَضُـوا وَإِنْ لَـمْ يُعْطَـوْا مِنْهَـا إِذَا هُـمْ يَسْـخَطُونَ﴾ التوبة ٥٨ الرضـى نقيضـه السـخط؛ ولـم يقـل لـم يرضـوا؛ ومنـه :﴿ وَجَـاءَ إِخْـوَةُ يُوسُـفَ فَدَخَلُـوا عَلَيْـهِ فَعَرَفَهُـمْ وَهُـمْ لَـهُ مُنْكِرُونَ﴾ يوسـف٥٨؛ فالمعرفـة نقيضهـا الإنكار؛﴿وَجَحَـدُوا بِهَـا وَاسْـتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُـهُمْ ظُلْمًـا وَعُلُـوًّا فَانْظُـرْ كَيْـفَ كَانَ عَاقِبَـةُ الْمُفْسِـدِينَ﴾ النمل١٤ فجـاء إثبـات علمهـم بتأكيـد اسـتيقانهم؛ ولـم يـأتِ بنفـي الجحـد؛ فيكـون مثـلاً ولـم تجحـده قلوبهـم؛ و الوصـف بالاسـتيقان أوقـعُ فـي التعريـف بمـا فـي نفوسـهم؛ ثـم أبـان سـبحانه علـة الجحـد وحالهـم مـع الجحـد﴿ ظُلْمًـا وَعُلُـوًّا ﴾ فهـو العليـم بـذات الصـدور.

وممـا هـو من هـذا بسـبيل قولـه تعالـى :﴿ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيـدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ الأنبيـاء ١٠٩ مـع قولـه تعالـى :﴿ قُـلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيـبٌ مَـا تُوعَـدُونَ أَمْ يَجْعَـلُ لَـهُ رَبِّـي أَمَـدًا﴾ الجـن ٢٥ففـي الآيـة الأولـى قريـب وبعيـد؛ وفـي الثانيـة قريـب ثـم جـيء بنقيضهـا بدلالـة الوصـف؛ فكل بعيـد يكـون لـه أمـد؛ ومدلـول ﴿أمدًا﴾أنـه زمنٌ طويل؛ومن هـذا قولـه تعالـى: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُـمْ إِلَـى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُـمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُـمْ أَدَعَوْتُمُوهُـمْ أَمْ أَنْتُـمْ صَامِتُونَ﴾ فجـاءت﴿ صَامِتُونَ﴾ بمقابلة﴿دَعَوْتُمُوهُـمْ﴾ ولـم تكـن: أم لـم تدعوهـم.

ومنـه قولـه تعالى:(وَأَمَّـا ثَمُـودُ فَهَدَيْنَاهُـمْ فَاسْـتَحَبُّوا الْعَمَـى عَلَـى الْهُـدَى) فصلت ١٧؛ فجـاء (العَمَـى) فـي مقابلـة الهـدى, ولـم يـأتِ الضـلال فهـو المتبـادر.

ومنـه قولـه تعالى:(الَّذِيـنَ إِذَا اكْتَالُـواْ عَلَـى النَّـاسِ يَسْـتَوْفُونَ) (وَإِذَا كَالُوهُـمْ أَو وَّزَنُوهُـمْ يُخْسِـرُونَ) المطففين٢و٣؛ فجـاءت يخسـرون مقابـل يسـتوفون؛ فلـم يـرد نقـض الاسـتيفاء بنفيـه وإنمـا ورد بنقيضـه.

الباب السادس

مقــولات

١ ــ (كلٌ يؤخذ من كلامه ويرد) بعض البشر تجسَّر بهذه الكلمة على تسويغ الباطل ورد الحق, وهذه المقولة وإن كانت صوابًا , إلا أنَّ الرد لا يُسلَّم به من كلِّ أحد, فلا يقبلُ الردُّ إلا من عالمٍ بالعلم الذي تكلَّم به ورد, فلا يقبل أن يكون الردُّ تركةً مشاعةً مباحة ؛ فمتى جرت الحال بهذا فلن يكون هناك حقٌّ يُتبع؛ فتبقى الحقيقة نهبًا لكل ناعق.

٢ ــ (فعل الأسباب لا ينافي التوكل) هذه قاعدة شرعية صحيحة, لكنَّ هناك من توسع بها وجعلها ذريعة فاعتمد على الأسباب وترك التوكل أوضعُف في قلبه, وأخذ يجادل بها, ويسوغ بها اعتماده على الأسباب ,مع ظهور ضعفه في التوكل.

٣ــ (إياك وحقوقَ العباد) كلمةٌ نسمعُها كثيرًا ونتناصاحُ بها كثيرًا وهي كلمة حق, ولكنها لا تعني أن نستهينَ بحقوق المعبود, فتيقظ, وهذا مما زيَّن بعض الناس استهانتهم بحقوق الله.

٤ ــ (ليس الأمر قال الله أوقال رسوله) حين يسمع أحدُهم حقيقةً يشقُّ على نفسه الاعتراف بها وتصديقها, أوتضعف حجته عن ردها أو تكون نقيضةَ هواه , فإنَّه لا يجد ما يرد به إلا هذه المقولة, معولاً على أن رد الحقائق مقبولٌ إذا لم تكن من قول الله تعالى أو قول رسوله صلى الله عليه وسلم, وليضعف الرد من الخصم, ولا شك أنَّ الحقائق التي تكون من كلام الله سبحانه أومن كلام رسوله صلى الله عليه وسلم لا شك أنها أصدقُ ولا مداناة

ولا موازنة بين هذا وبين ما يقوله البشر من الحقائق مهما بلغت من العناية وتعدد الأدلة؛ ولكنَّ اعتماد هذه المقولة منهجًا تُسقطُ به كلُّ الحقوق فيه من الخلل ما يعين الجاهل أو صاحب الهوى.

٥ ـ (ليس بعدَ الكفرِ ذنب) وهذه كلمةٌ يقولها بعضهم لتهوين ما يقع من الكافر من طوام زيادةً على كفره , وقد سمعتها من أحدهم حين شرَّعت أمريكا زِواج الرجل من الرجل؛ وأقول بلى بعد الكفر ذنوب ؛ فقد زادت هذه الأمة الكافرة على كفرها ما استساغه الكافر وغيره وجعل إباحتهم له مسوغًا لارتكابه, مع أنَّ كثيرًا من الطوائف الكافرة استقذروا هذه الإباحة , صحيحٌ أنَّ الكفر أعظمُ مما أباحوا,ولكنَّ هذا لا يقلل من عظيم جريمتهم؛ حين أضافوا إلى كفرهم ما حادُّوا به الله ورسوله ؛صلى الله عليه وسلم القائل :(وتجيء فتنة يُرقِّق بعضها بعضًا،)

٦ ـ (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) هي إشارةٌ إلى قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾البقرة ٢٦٠ يلقيها ملقيها معتذرًا عن التشدد في طلب الدليل , وذلك حين يسمع ما ينافي ما استقر عنده, يقولها مبطنًا شكه بما سمعه مسوغًا إلحاحه بالدليل , لكنَّ خليلَ الرحمن عليه السلام لم يطلب ما طلب وهوشاك , فالسؤال عن مشاهدة الكيفية كما ذكره أبو حيان رحمه الله في المحيط, ولا يخطر أنه شك في القدرة على الإحياء, وهذا كما قيل طلب على مالا يتوقف الايمان على

علمه؛ فإيمان الخليل متيقن وطلب الكيفية لا يتعارض مع حقيقة الإيمان

قلت : ومثل هذا أن تقول لصاحبك الذي وصلك عن طريق مخوفة وعرة كيف وصلت إلي؟! , فأنت لا تشك بوصوله فهو ماثلٌ أمامك ولكنك تريدُ معرفةَ كيفية الوصول من طريقٍ الغالب في سالكها الهلاك, ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ لا يذهب الفهم إلى تعزيز شك إبراهيم عليه السلام , وإنما المقصود ليذهب عني التفكير بالكيفية, قال في هامش ١ ص ٤٩٢ من تفسير الكشاف : « ... فما موقع قول إبراهيم ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ وذلك يشعر ظاهرًا بأنه كان عند السؤال فاقدًا للطمأنينة ؟ قلت : معناه ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة, لأني إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كيفياته المتخيلة , وتعينت عندي بالتصوير المشاهد , وجاءت الآية مطابقةً لسؤاله لأنه شاهد صورة حياة الموتى «

٧ـ (المُعَوَّل على القبول) وهي كلمةٌ صحيحةُ المعنى ؛ فكل من عمل عملاً صالحًا فإنه يرجو القبول من الله سبحانه ؛ ولكنها في بعض سياقاتها يقولها بعضهم إذا رأى من يكثر من الأعمال الصالحة ويطرق كثيرًا من أبوابها ؛ يقولها تزهيدًا في العمل أو شكًا في نية العامل أو ضعفًا في منزلته عند القائل أو عن شيءٍ وقر في نفسه بأنه لا يستطيع ما استطاع صاحبه فذهب حاسدًا يقلِّل ويثبِّط ؛ وقد يقولها لِما علم في هذا العامل من نقصٍ في أداء الواجبات والفرائض ؛وهذا نصحٌ غيرُ مباشر ؛ومن شرِّ المنازل أن

يكون الباعث على قولها التثبيط وأشرٌّ منه أن يكون الباعثُ الحسدَ والغيرة وعجزَ القائل عن القيام بمثل هذا ؛ والقبول لا يجزم أحدٌ به ولكنها أعمالنا نضعها في جنب الكريم ولولا طمع العامل بالقبول لأخذه الهم.

٨ ــ ﴿ الناس مؤتمنون على أنسابهم ﴾ هذه حقيقة, إن أريد بها أنهم مؤتمنون على معرفة الأب والجد وما يقرُب من الآباء أما التوسع بمدلولها وجعلها قاعدةً لا ترد ,ويرُدُّ إليها الأمر في معرفة الأصول القبلية فهذا فيه نظر ويبعُد عندي أن يكون هو المقصود وحده؛ فهذا مما تفيده وليس هو كلَّ ما تفيد ؛ ومن مدلولها أنَّ الإنسان مؤتمنٌ على نسبه من حيث حفظه من الاختلاط ووجوب تطهيره والحفاظ على نقائه فلا يضع نطفةً في رحمٍ لا يحلُّ له ؛فهو هنا يضيّعُ أمانةَ نسبه أضرَّ التضييع ؛ فتُنسب هذه النطفة إلى غير أبيها أو تضيع فلا تُنسب إلى أبٍ معروف؛ وهذا من أشدّ التضييع لما يندرج تحته من شرور؛ وهذا المعنى فيما يظهر لي من أقرب ما ينبغي أن تساق له هذه المقولة.

٩ ــ (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) تراهم يخوضون في أمرٍ ليس بوسعهم أن يصلحوا من فاسده شيئا ؛ وإنما همومٌ ينفّس بها بعضهم إلى بعض أو عن شيءٍ يجدونه في صدورهم على أحد أو هو من الدخول في أمرٍ لا يعنيهم ؛ فإذا قلت لهم في هذا ؛ تحصنوا بهذه المقولة؛ أوقلت لهم تحدثوا مع من يستطيع رفع هذا عن الناس ظهر لك فرطُ جبنهم وتبين أنَّ الأمر لا يعدو شهوةً في القول مع شائبة شماتة وتزكية للنفس؛ بأن جعل نفسه من أهل الغيرة على المصالح.

١٠ــ قيل : (الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية) ولكني بالمشاهدة وبالقراءة لكثيرين اختلفوا في آرائهم أرى أنَّ هذه الكلمة من المطلَقَاتِ بلازمام ولا حقيقة لها في واقع المختلفين بل الاختلاف يُنبت الفرقة والوحشة بين القلوب.

١١ ــ (الحق ما شهدت به الأعداء) وهذا أراه من الاستدلال الذي في غير محله؛ وهو من المبالغة بالاحتفاء بموافقة العدو لك؛ ويخرج ضعفًا تمكَّن من بعض النفوس ؛ فليس الحق ما شهدت به الأعداء ولا ما شهدت به الأصدقاء؛ وإنما هو ما شهد به الدليل المستقيم.

١٢ــ (ولا تنس نصيبك من الدنيا) هذا نصُّ آيةٍ وردت في كتاب الله العظيم ؛ حكاها الله عن مناصحي قارون حين رأوا افتتانه بما لديه من كنوز؛ ثم يأتي آتٍ يقولها مسوغًا لنفسه التوسع بملاذ الدنيا متوهمًا أنَّ هذا من ذاك؛ فتراه يتوسع حتى إنَّ حاله لتقول: ولا تنس نصيبك من الآخرة؛ فكأنها تستحثه على الإقلال بما هو مطلوبٌ الإكثار منه؛ فتنقلب الحال من التزهيد في الدنيا إلى التزهيد في الآخرة.

الباب السابع

عن التفحش في شعر امرئ القيس

حين أقرأُ ما يدور في شعر امرئ القيس من تصريحٍ فاحشٍ في مغامراته مع النساء وما يقوله من انقيادهن إليه ومطاوعتهن لغواياته وإن كن ذواتِ أزواج؛ حين أقرأ هذا فأذهب لألتمسَ مثيلاً له في أشعار شعراء الجاهلية ثم لا أجد هذا المثيل؛ فإنِّي اتوقف عندها وأقول: لماذا لم يُفحشوا كما أفحش؟ ولم يغووا كما غوي؟ ؛ إذ ليس من الشائع المستساغ ورود مثل هذا في الشعر الجاهلي ؛ ولا يسوِّغ الإقرار له أنه عاش في رغدٍ من العيش وعاش طورًا من حياته عيشة أبناء الملوك ؛ فرغد العيش غير كافٍ لأن ينحلَّ المرأُ من قيود الأخلاق؟ أمَا مرّ غيرُه بهذا الرغد؟ كذلك لم يعهد مع النساء في الجاهلية شيئٌ مما يقوله فيهن؛ ولو قلنا بأنه قالها تزيدًا وأنها من قول الشعراء مما لا يفعلون ولم يريدوها حقيقة لوكان الأمر بهذه الصورة لاستساغها الشعراء من بعده وأصبحت من السنن التي تجري بأشعارهم؛لأنهم يرونه قدوةً في وقوفه واستيقافه وبكائه على الديار وذهابه مذاهبَ هو أولُ من قال بها في تشبيه النساء؛ فلماذا لم يقتدوا به في القول في مثل هذه الغوايات الماجنة؟ فالاستنان به له حدٌّ توقفَ عنده الشعراء ؛ وهذا التوقف جارٍ في سنن الناس في كل قرن ؛ فإنَّ المرء مهما بلغ من القبول وانقياد الناس لقوله أوفعله فإنَّ هناك حدودًا إن هو تجاوزها تسقطه عن الاقتداء؛ فيبقى قدوةً بحدود المستساغ الذي ترتضيه القيمُ والأعراف .

طرفة بن العبد مع أنه قال الشعر وعُدَّ من الفحول وهو في ريعان شبابه لم نسمع منه ما قيل في عبث امرئ القيس وتَلَهيِّه بالنساء؛ وهناك ثلاث ملاذً ذكرها في معلقته رآها من المغريات بالبقاء على الحياة ومن هذه المغريات الخلوة بالنساء وهو قوله :

ولولا ثلاثٌ هن من عيشة الفتى وجدِّك لم أحفل متى قام عُوَّدي

فمنهن سبقي العاذلاتِ بشربةٍ كُميتٍ متى ما تُعلَ بالماء تزبدِ

وكري إذا نادى المضافُ محنبًا كسِيد الغضا نبهته المتوردِ

وتقْصيرُ يوم الدَّجن والدَّجنُ مُعجِبٌ ببهكنةٍ تحت الخباء المعَّمدِ

وهذه الثلاث هي :» سبقي العاذلات بشربة... « أي أني أسبق لائمي بشربة خمر ؛ والثانية هي: « كري إذا نادى المضافُ « أي استجابتي لنداء المذعور و الثالثة إنَّ من الملاذ في يومٍ غائم أن تخلوَ بامرأة ممتلئة؛ وإن كان المآل واحدًا بين امرئ القيس وطرفة إلا أنَّ طرفة حجزه حاجزٌ عن التصريح فلم يبلغ من الفحش والتصريح ما بلغه امرؤ القيس؛ وليس في الشعر ما يشير إلى أنَّ المرأة من المحرمات.

ونرى عمرو بن كلثوم في معلقته لم يقل شيئًا مما ورد عند امرئ القيس مع أنَّه قد أفصح عن شيءٍ كاشف من صفات المرأة, لكنه لم يفحش بما أفحش به امرؤ القيس الذي صرَّح بالخنا؛

تُريكَ إذا دخلتَ على خلاءٍ وقد أمِنَتْ عيونَ الكاشحينا

ذراعي عيطلٍ أدماءَ بِكرٍ هجانِ اللونِ لم تقرأ جنينا

وثديًا مثلَ حُقِ العاجِ رَخْصًا حصانًا من أكفِ اللامسينا

ومتني لدنةٍ سمقت وطالتْ روادفُها تنوءُ بما يلينا

ومأكمةً يضيقُ البابُ عنها وكشحًا قد جُننتُ به جنونا

وساريتي بَلَنطٍ أورخامٍ يرنُّ خشاش حليهما رنينا

الكاشحين: الحُساد؛ العيطل: الناقة الطويلة العنق أي أنَّ هذه المرأة طويلٌ عنقها ؛ وطول العنق مما تمدحُ به النساء؛ أدماء: بيضاء؛ هجان :خالصة البياض؛ لم تقرأ جنينا ليست حُبلى؛ لدنة: لينة؛ سمقت زادت طولا؛ مأكمة المأكمة طرف الورك؛ بَلَنط :عاج ؛ وساريتيها ساقيها.

والشاعر أيُّ شاعر يستطيع أن يقول ويُفحش وإن لم يفعل ولكنَّ الشعراء غير امرئ القيس لم يقولوا ما لم يفعلوا من فحش.

ومما لم يستن به الشعراء من سيرته تنقلُّه في وصال النساء فلم يُروَ هذا عن غيره من الشعراء ؛ فهو اتخذ وِصال النساء عادةً ومعابثة؛ فلم يقتصر على واحدة ؛ واقتصارهم على واحدة إما هو حقيقة في الميل إلى هذه المرأة ؛ أو نه نهجٌ سار عليه الشعراء في مطالع قصائدهم يفتتحونها بالغزل؛ وتَنقُّلُ امرئ القيس بين النساء وتقلب هواه صرَّح به في قوله:

كدأبك من أمِّ الحويرثِ قبلَها　　　وجارتها أمِّ الرباب بمأسَلِ

وقوله:

فمثلِك حبلى قد طرقت ومرضعٍ　　　فألهيتُها عن ذي تمائمَ محولِ

ومن الأبيات التي أوجبت هذه الحروف هي قوله:

فمثلِك حبلى قد طرقت ومرضعٍ　　　فألهيتُها عن ذي تمائمَ محولِ

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له　　　بشقٍ وشقي تحتها لم يُحوّلِ

إذا ما الثريا في السماء تعرضتْ　　　تعرُّض أثناء الوشاح المفصلِ

فجئت وقد نضَّت لنومٍ ثيابها　　　لدى الستر إلا لبسةَ المتفضلِ

خرجت به أمشي تجر وراءنا　　　على أثرينا ذيلَ مرطٍ مرحَّلِ

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى　　　بنا بطن خبتٍ ذي حقاف عقنقلِ

هصرت بفودي رأسِها فتما يلت　　　علي هضيمَ الكشحِ ريا المخلخلِ

فمن الإفصاح الفاحش:(فجئت وقد نضَّت...) نضَّت لباسها : خلعته؛ قال الزوزني - رحمة الله - في شرح المعلقات:(أتيتُها وقد خلعتْ ثيابَها عند النوم غيرَ ثوبٍ واحد تنام فيه , وقد وقفتْ عند الستر مترقبةً ومنتظرةً لي , وإنما خلعتْ الثيابَ لتُريَ أهلها أنها تريد النوم).

قال أبو سهيل : فمن يأتيني ببيتٍ بهذا المعنى عند شاعرٍ آخر؟ وفي هذا رائحة نحلٍ للأبيات ;فإنَّ العرب لا تعرف تخصيص ثيابٍ للنوم.

ومن الإفصاح الفاحش: (خرجت به أمشي...) تجرُ ثوبها لتعفيَ عن أهلها آثار المشي.

كذلك قولـه: (هصرت بفـودي ...) يقـول جذبـتُ جانبـي رأسها ؛ الزوزنـي:(
... جذبـتُ ذؤابتيهـا إلـي فطاوعتنـي فيمـا رمـت منها ومالـت علـيَّ)

الشـعراء فـي جملتهـم يكثـر عندهـم قولهـم مـا لـم يفعلـوا ؛ وهـذا صريـح القـرآن الكـريم ؛ فهـم يقولـون تزلفًـا لكبيـر ويقولـون مدعـين شـجاعةً أومدعـين كرمًـا أومدعـين وصـلاً؛ فلمـاذا لـم يقولـوا هـذا النـوع مـن الغزل؟!وليـس يمنعهـم ديـن فهـم عبـدة الأصنـام؛ صرحـوا بـا الخمـر شـربها وآنيتهـا ومجالسـها وجـرى هـذا واضحًـا عنـد الأعشـى وعنتـرة وعمـر بـن كلثـوم وغيرهـم؛ ومـع انَّ الخمـر مـن دواعيهـا الحديـث النسـاء فلـم نجـد مـن كان فـي قولـه صريحًـا مكشـوفا كمـا فيمـا نسـب إلـى امـرئ القيـس؛ وخلاصـة الـرأي عنـدي أنَّ هـذه الأبيـات إمـا أن تكـون منحولـة علـى امـرئ القيـس؛ أو أن يكـون قالهـا ولكـنَّ قيمًـا لـدى شـعراء الجاهليـة منعتهـم مـن الاقتـداء؛ والثانيـة عنـدي أولـى بالصـواب.

أكتـب هـذا والقلـم قلِـقٌ راجـف خوفًـا مـن أن يأتـيَ آتٍ فيرمينَـي بالطعـن أو التشـكيك فـي الشـعر الجاهلـي؛ فليقصـرنَّ عـاذلٌ عذلـه فمـا لهـذا رميـت بقلمـي علـى الـورق؛ لكنهـا خاطـرةٌ خطـرتْ ولـي دليلـي ؛ولـم اهتبلهـا بـادي الـرأي وإنمـا بعـد مدارسـة واسـتقراء ؛ فـإن وجدتـها قيلـت بحجـةٍ تطمئـن إليهـا فخـذ بهـا؛ وإن رأيـت مسـوغًا أقـوى مـن حجتـي يدعـوك لنقـض مـا ذهبـتُ إليـه فخـذ بـه؛ والمنهـج العـام أنَّ القضايـا الأدبيـة المبنيـة علـى رأي لـم تقـلْ ولـن تقـالَ بهـا كلمـةٌ أخيـرةٌ قاطعـة؛ واللـه يتولـى الأمـر.

الباب الثامن

تأمُّل مع قوله صلى الله عليه وسلَّم: (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل...)

تأملتُ قوله صلى الله عليه وسلَّم : (لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ) فعلمت ما للنوافل من منزلة عند العظيم الأعظم جلَّ عزَّ؛ وأنَّ هناك غايةً من أرفع غايات الدنيا التي من الممكن أن ينالها العبد وهي حبُّ الله له ؛ وأنَّ لهذه الغاية سبيلاً أرشد إليه نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فسعيتُ إليها مراوحًا بين النوافل لعل نفحةً من نفَحَاتِ الكريم تصيبُني فأبلغَ هذه الغاية ؛ فبدأت أحدث نفسي: فكيف بك إذا نلت (حَتَّى أُحِبَّهُ) فإذا أحبك مالك الملك فلا تسأل عما ستناله من نعيم وطيب حياة ؛ثم تتابعُ عليك النعم ويعمُّك النعيم فتنتقل بك العنايةُ الإلهية فترقى درجةً وتصل بك إلى» كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ،» فلا تسمع إلا ما يسرُّك وصُرِفَ عنك ما يسوءك في سمعك؛ ثم رُفعتَ درجةً أخرى فوصلت إلى» وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ « فاجتمع لك نعيما السمع والبصر فكما صُرف عن سمعك السوء أُكرِم بصرك بما ينعم به فأُعنتَ على غض البصر وتجافى عنك كل ما يكدر بصرك؛ ثم ترتقي بهذا النعيم فتبلغ « وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا « فلا تمتد يدك إلى حرام وتعانُ في عملك متقلبًا بين البركة والتسديد ؛ وإن كنت ذا قلم ومن الكتبة فإنك تعانُ على الحق ويُجري الله على يدك ما لم يبلغه إلا من عمل مثل ما عملت؛ ويحال بين قلمك وبين ما يسبب الندم أو السوء لك أو لإخوانك؛ ولا تزال في ترَقيك فترتقي إلى» وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا

فيحفظك الله فلا تمشي رجلُك إلا إلى خير ويبارك الله في مشيك فتجد من النفع مالا يخطر على البال وتطوى لك الأرض فتصل إلى بغيتك بأسرع مما يصل إليها غيرُك وتُهدى إلى أقرب المسالكِ وآمنها؛ ثم تبلغُ غايةً ساميةً عليَّة حين ترْقى إلى (وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ،) فأي غايةٍ هذه حين تجد سؤلك عيانا ملبى بين يديك؛ فيغريك هذا ببابٍ آخر يحبه الله وهو باب الدعاء؛ والدعاء عبادةٌ عظيمة ومنزلة من المنازل القربى التي يحبها الله؛ وفي الدعاء لطفٌ عجيبٌ غيرُ بلوغ الغاية فهو يجلب سكينة القلب ويُحْدِث فيه نورًا؛ فأي نعيمٍ هذا وأية حياةٍ طيبة تلك الحياة؛ فتبلغ من طيب الحياة ما تدرك أنَّ الآخرة خيرٌ وأبقى فتسألها ربك بعد سؤال حسن الختام؛ حتى تصل إلى دعاء يوسف عليه السلام فيما قاله تعالى عنه: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾يوسف١٠١؛ فأخذ عليه السلام من ملاذ الدنيا ونعيمها ما أخذ حتى أدَّاه هذا إلى الشوق إلى لقاء الله؛ وتبقى راتعًا في هذا النعيم حتى يبلغ الحفظ غايةً أخرى فترقى إلى : (وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) فتكون حياطة الحافظ وإعاذته حصنًا لا يُنفذُ إليه .

ثـم إنَّ لفظـة « لا يـزال » تقتضـي المداومـة علـى النوافـل فـلا ينقطـع عنهـا وتكـون هـي دأبـه حياتـه كلها؛ لأنَّ هـذه النعـم أيضًا درجـات فكلمـا زاد العبـد فـي عملـه زادت رفعتـه؛ ولا منتهـى لكـرم اللـه حتـى تصـل إلـى درجـة الاختصـاص المذكـورة فـي قولـه تعالـى : ﴿وَاللَّـهُ يَخْتَـصُّ بِرَحْمَتِـهِ مَنْ يَشَـاءُ وَاللَّـهُ ذُو الْفَضْـلِ الْعَظِيـمِ﴾

وحـين تأملتُ « النوافـل » فـإذا بهـا توسـعةٌ مـن اللـه سـبحانه؛ فهـي نوافـل مطلقـة يختـار منهـا العبـد مـا تأنـس بـه نفسـه وينشـط إليهـا بدنـه؛ اللهـم اجعلنـا مـن الموفقـين.

ويضـم إلـى هـذا ثمـارٌ تُقطـفُ مـن قولـه تعالـى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيـدُ الْعِـزَّةَ فَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًـا إِلَيْـهِ يَصْعَدُ الْكَلِـمُ الطَّيِّـبُ وَالْعَمَـلُ الصَّالِـحُ يَرْفَعُـهُ وَالَّذِيـنَ يَمْكُـرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُـمْ عَـذَابٌ شَدِيـدٌ وَمَكْـرُ أُولَئِـكَ هُـوَ يَبُـورُ﴾ فاطـر١٠؛ فالعمـل الصالـح مـن أيسـر سـبل العـزة لمـن وفقـه اللـه للعمـل الصالـح؛ اللهـم اجعلنـا مـن الموفقـين.

الباب التاسع

مع وصف القرآن بالعربية والإبانة

الحقُّ تبارك وتعالى حين وصف القرآن بأنه عربي ؛ أظهر علوّه بأنه ﴿مُبِينٌ﴾ من هنا نقول بأنَّ الآيات التي ورد فيها وصف القرآن بأنه عربي فهو يأخذ معنى وصفه بالرقةِ والسهولة ويسرِه وجريانه على اللسان؛ لكنَّ هذا الوصف لا يُوقف عنده بأنه الخصيصة الوحيدة المميزة للقرآن الكريم؛ فهذا وصفٌ عامٌ للسان الذي نزل به القرآن؛ لكنَّ تأكيد سمو هذا اللسان جاء من النتيجة القاطعة:﴿مُبِينٌ﴾

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾١٠٣ النحل :مبدأ الموازنة بين العربية وبين غيرها من الألسنة نستطيع أن ننطلقَ به من هذا الآية؛ فالموازنة جرت في إيراد لسانين أعجمي وعربي؛ ثم جاءت نتيجة الموازنة قاطعةً بأنَّ اللسان العربي﴿مُبِينٌ﴾ وهذا من لوازمه قصورُ اللسان الآخر عن الإبانة ؛ كما أنَّ من لوازمه حفظَ ونقاء اللسان الذي نزل به القرآن ساعته يوم أُنزل ,وبقاء إمامته على سائر الألسنة؛ والمقصود باللسان الأعجمي كلُّ لسان ليس بعربي فيشمل ماكان من الألسنة موجودًا وقت نزول هذه الآية ويشمل ما يجدُّ من الألسنة بعدزمن نزولها إلى قيام الساعة؛ وهذا الوصف وهذه التزكية لا يُحتملُ فيها الخطأ ولا يصحُّ القدح في عدالة القائل ولا القدح في صواب المُؤدى ؛ فهي ممن خلق اللسانين؛ وليست من نتاج عقل بشري قد يوصف بالقصور أو الهوى أو الميل للعرق فالنتيجةُ قطعيةُ الثبوت هي ممن خلق الألسنة كلها .

وأرى أنَّ هذه الآية ألصقُ في القول بالموازنة من آية فصلت وهي قوله تعالى: ﴿لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ ٤٤ فآية فصلت أوضحت شبهةً سيقولها المكذبون فيما لو جُعِل القرآن أعجميا؛ وآية النحل قطعت بفضل اللسان العربي لإبانته.

وليس المقصود بالإبانة القدرةَ على إفهام المراد؛ فهذا قدرٌ مشترك بين سائر اللغات؛ بل إنَّ كلَّ نفس منحها الله قدرًا من الإبانة بينها وبين بني جنسها تقوم عليه الحياة , حتى الحيوانات في ثغائها وزئيرها ونباحها ونقيقها والطيور في هديلها وشقشقتها ونعيبها... إلخ كلها تفعل هذا إبانةً عما في أنفسها؛ وإنما الأمر فوق هذا وهو قدرة اللسان العربي على الإبانة عما يحسه المتحدثون به من جمال اللفظة المعبرة واتزانها ودقة إصابتها؛ ولا شك أنَّ لكل لسان قدرًا من البيان والجمال لكنَّ اللسان العربي أقدرُ على هذا لأنَّ تزكيته أوحاها خالقه وخالقُ غيره من الألسنة .

ومن الضيم للسان العربي موازنته مع ما تولدمن اللاتنية مثل الفرنسية أو الإيطالية أو الإسبانية؛لأنَّ القدر المشترك بين اللسان العربي وبين هذه الألسنة لا يرقى إلى إجراء موازنة؛ فهذه الألسنة في حقيقتها الأصلية لهجات متولدة من اللغة اللاتينية؛ أمَّا العربية فهي خُلقت لغة وهي على حالها يوم خُلقت؛ فتسمية هذه الألسنة لغات إنما هو تجوز وليس حقيقة؛ كما يسمي النحاة واللغويون فيقولون هذه لغةُ تميم هذه لغةُ هذيل؛ وهي لهجات للغةٍ واحدة؛

ولولا أنَّ الله قضى بنزول القرآن بهذا اللسان لأصبحت هذه اللهجات مع ـ تطاول الزمن ـ لغاتٍ متباينة؛ كماهي الحال مع غيرها من اللغات.

وما اصطُلحَ على تسميته باللغات السامية فهذه تسميةٌ افتراضية؛ قال رمزي بعلبكي في كتابه : « فقه العربية المقارن » ص٢٤ (... فالعربية والحبشية والآرامية مثلاً لغات شقيقة لانحدارها من السامية الأم « وهي لغة مفترضة « والبرتغالية والإسبانية والايطالية لغات شقيقة لانحدارها من اللاتينية « وهي لغة تاريخية) ثم قال في هامش ١: (المراد باللغة التاريخية هنا أنها ليست لغة مفترضة بل لغة استُخدمت فعليًا سواءٌ في ذلك اللغة الميتة واللغة الحية قياسًا على زمن الباحث)

الباب العاشر

رأي في خلل الموازنة بين نظم القرآن وإنتاج البشر.

لـم أجـد فـي نفسـي أنجذابًـا أوميـلاً للموازنـة بـين النظـم القرآنـي العظيـم وبـين مـا أنتجـه العقـل البشـري ؛مهمـا بالغنـا أوأعجَبـنا ذلـك الإبـداع ؛ فالقـرآن آيـة مـن آيـات اللـه وكفـى بهـذا مَقْنَعنًـا وزاجـرًا عـن الموازنـة ؛كمـا هـو الشـأن فـي سـائر عظمـة آياتـه؛ وقـد ذكـر الباقلانـي رحمـه اللـه فـي كتابـه/ إعجـاز القـرآن ص ١٠٧ تحقيـق أحمـد صقـر رحمـه اللـه ؛ ذكـر مـا يشـير إلـى هـذا فقـال بعدمـا ذكـر وجوهًـا مـن البديـع: (وقـد قـدر مقـدرون أنـه يمكـن استفادة إعجـاز القـرآن مـن هـذه الأبـواب التـي نقلناهـا ؛ وأنَّ ذلـك ممـا يمكـن الاسـتدلال بـه عليـه؛ وليـس كذلـك عندنـا ؛ لأنَّ هـذه الوجـوه إذا وقـع التنبيـه عليهـا أمكـن التوصـل إليهـا بالتدريـب والتعـود والتصنـع لهـا؛ وذلـك كالشـعر الـذي إذا عـرف الإنسـان طريقـه صح منـه التعمـل لـه وأمكنـه نظمـه) أهـ؛ فالبيـان البشـري يوصـل إليـه بالموهبـة والدربـة ومطاولـة القـراء للبلغـاء , أمَّـا الإعجـاز القرآنـي فشـأنٌ آخـر.

فكمـا أنَّ مـن غيـر العـدل والحكمـة أن تنتقـص مـن أنشـأ ــ مثـلا ــ قبـةً فلكيـة وقـال هـذا موقـع زحـل وهـذا موقـع المشـتري وذاك موقـع الزهـرة ... إلـخ ؛ ونذهـب تسـتجلي عيـوب قبتـه موازنـين بينهـا وبـين إبـداع خلـق السـماء فهـذا فيـه محـذوران أحدهمـا : تنقـص آيـة مـن آيـات اللـه ؛ بسـبب موازنتهـا بالإنتـاج البشـري, والتقليـل مـن عظمتهـا بموازنتهـا مـع مـا خلـق البشـر,والثاني هضـم حـق الإنسـان ولكـن تجـوز الموازنـة بـين نصـوص بشـرية بـين شـاعـر وشـاعرأوبين كاتـب وكاتـب وخطيـب وخطيـب ؛ ومنتـج صنـاعـي وآخـر مثلـه.

قال ابن فارس رحمه الله في كتابه [الصاحبي] تحقيق السيد أحمد صقر رحمهما الله ص ١٨ : (فإن قال قائل: فهل يوجد فِي سنن العرب ونظومها مَا يجري هَذَا المجرى؟ قيل لَهُ: إن كلام الله جلّ ثناؤه أعلى وأرفع من أن يُضاهى أَوْ يُقابل أَوْ يعارض بِهِ كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العليّ الأعلى خالق كلّ لغة ولسان، لكنّ الشعراء قَدْ يومئون إيماءً ويأتون بالكلام الذي لو أراد مُريد نقْلُه لاعْتاص وما أمكن إلاَّ بمبسوطٍ من القول وكثير من اللفظ.)

وعن ذهاب الباقلاني للتدليل على سمو البيان في القرآن الكريم بالموازنة بينه وبين كلام البشر ؛ فاتخذ معلقة امرئ القيس المشهود له بالتقدم اتخذها مَعلمًا يثبت من خلاله نقص كلام البشر أمام كلام الله ؛ فأخذ يتتبع عوراتها فكان الباقلاني - رحمه الله - يريد الذب عن القرآن الكريم ؛إلا أنَّ الطريق الذي سلكه وأخذ به لا يستقيم ؛ ذلك أنه جعل سبيله إلى الرفع من كلام الله الموازنة بينه وبين كلام البشر؛ فمن الضيم لكتاب الله أن نرفع شأنه لأنَّه أعلى بلاغةً وأسمى بيانًا من كلام البشر؛ فالموازنة إذا أردناها تكون بين نصوصٍ هي مظنةٌ للتماثل ؛ فهم وازنوا بين جرير والفرزدق و بين البحتري وأبي تمام وبين مسلمٍ وأبي نواس ؛ فهذا سائغ مستساغ ؛ وأما نظم القرآن فهو كما قال عنه هو: (ونظم القرآن جنسٌ متميزٌ ؛ وأسلوبٌ متخصص وقبيلٌ عن النظير متخلص) وهذا كلامٌ نفيسٌ - منه رحمه الله - عن منزلة القرآن وسمو بيانه ومباعدته ومباينته لكلام البشر فليته أخذ بهذا وباعد بين القرآن وبين الموازنة بكلام البشر.

وورد في كتاب : « شرح دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني » للدكتور محمد إبراهيم شادي رحمه الله ص١٢ (... فالباقلاني يحاول إثبات الإعجاز بخلو القرآن من عيوب كلام البشر؛ لكن عبد القاهر يريد أن يبرز ما يوجد في القرآن ولا يوجد في فصيح كلامهم) قلت : هما منهجان ؛ فالباقلاني ذهب موازنًا وعبد القاهر ذهب مبرزًا فضائل القرآن التي فاق بها البشر ؛ وكلا المنهجين غير مرضيين عندي ؛ وإن كان منهج عبد القاهر أخفَّ وأقربَ للسلامة لكنَّ هذا لا يدعوني إلى قبوله؛ لأنَّه ضيمٌ للقرآن أن يوازن بينه وبين كلام البشر؛ كما أنَّ من الرفع لكلام البشر فوق منزلته أن نوازن بينه وبين كلام الله؛ ومن الظلم لأي موازنة أن تجرى بين ما لا مداناة بينهما؛ حتى وإن كانت بين بشر وبشر؛ كما أنَّ موازنة الباقلاني تفتح نقبًا لمن أراد الإزراء بالشعر العربي.

الباب الحادي عشر

في الدراسات العلمية متى يكون الشك علميًا؟.

الشك العلمي هو أنك تقرأ في كتاب أو مقالة أو تسمع لمتحدث وأنت على يقين في مبدأ أمرك أن ما تقرأه أو تسمعه موافق للحقيقة , ثم تقرأ أو تسمع ما يثير من أخطاء أو مغالطات وقع بها الكاتب أو المتحدث, هذه الأخطاء وهذه المغالطات تقع لك اتفاقًا وعفوًا من غيرِ أن يكون لديك محركٌ داخلي أو أن تكون قاصدًا لمعرفة صدق ما يكتب أو يقال, فالشك العلمي يأتي عفوًا ويولدفجأة, ويتدرج فيه الإنسان من ظنٍ إلى يقين بسبب ما اجتمع لديه من أدلة , ومن شروطه ألا يكون معك من بدايتك؛ لأنه هنا ليس شكًا وإنما هو حكمٌ وقع منك وتذهب للا ستدلال نفيا أو إثباتا, وهو من باب نفي المطاعن عن شخص أو رأي.

كأن تقرأ قصيدة للشاعر الفلاني وأنت على يقين أنه قائلها بسبب ما لديك من علم عنها, ثم تقع على كلمة ترى أنها لا تتناسب مع بقية الألفاظ , فتسير في قراءتك ثم يقع لك أخرى فيبدأ هاجس شك في نسبة القصيدة , ولكنه شكٌ لا يدعو إلى نفي نسبتها , فحين تواصل القراءة تجد أن بواعث الريبة تزداد .

هنا تبدأ مرحلة الشك العلمي, فلتتثبت من أمرك تعود مثلاً إلى قراءة قصائد أخرى للشاعر, وتزيد في قراءة شاعر أو شعراء وقع في نفسك أنَّ القصيدة لهم , ثم تدون أدلة الشك مع ما تجد من موافقات الألفاظ مع هؤلاء الشعراء , فإذا تجمع لديك من الأدلة ما تراه كافيًا لإصدار الحكم تقول به بعد هذا.

الباب الثاني عشر

مع القرآن

الإعجـازُ فـي لـذة القـرآن يُـدرك القـارئ أثـره فـي نفسـه ؛ ويسـتطيع أن يباهـيَ بـه ولكنـه لا يسـتطيع وصفـه علـى حقيقتـه لغيـره ؛ولا يسـتطيع أن ينقـل لـذة مـا وجـده إلـى قلـب غيـره ؛ فهـي كلـذة شـرب الماء البـارد فـي اليـوم القائـظ؛ فإنك تستطيع وصف هذه اللذة لكنك غيرُ مستطيعٍ أن تجعل السامع يُحسُّ في نفسـه مـا أحسسـت أنـت مـن هـذه اللـذة؛ فوجـدان لـذة القـرآن تكـون بتلاوةٍ أو سماعٍ؛ ولا يُتصور وجودها في النفس بمجرد وصفها أوالإخبـار عنها ؛ لكن وصفها إغـراءٌ بنهـج سبيلها؛ ويهيِّـج النفـس المطمئنـة إلـى توخِّـي أسـبابها ؛وسكينة الإعجاز القرآني التـي تنـزل علـى القلـب ليسـت خاصـةً بأهـل العلـم ؛ فالإعجـاز الـذي يفضـي إلـى الأثـر الحـادث فـي نفـس القـارئ والسـامع يجـده العالـم ومـن هـو دونـه؛لكـن الفـرق أنَّ العالـم قـد يُهـدى إلـى بيـان السـبب أوبعضـه وغيـره قـد يخفـى عليـه؛ فهـو كمـن يتلـذذ بمطعـوم أو مشـروب ولا يعـرف كيـف صُنـع.

فـي القـرآن الكـريم قـد يشـكل ورود الفعـل المضـارع بعـد قـد , فيُفهم منـه التقليـل مـن علـم اللـه سـبحانه وتعالـى, وقـد أزال ابـن عاشـور رحمـه اللـه فـي تفسـير « التحريـر والتنويـر » هـذا الإشـكال فـي حديثـه عـن الآيـة ٣٣ مـن الأنعـام : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ فقـال : (يسـتعمل فـي الدلالـة علـى التقليـل لكـن بالقرينـة وليسـت بدلالـةٍ أصليـة , وهـذا هـو الـذي اسـتخلصتُه مـن كلامهـم وهـو المعـوَّل عليـه عنـدي) قلـت ؛وكونها بقرينـة كأن نقـول : قـد يُقـدم الجبان,قـد يسـخو البخيـل

فالقرينة في الأول أنَّ المعهود في الجبان أن يحجم وفي الثانية أنَّ البخيل عُهد عنه الإمساك؛ فهي هنا للتقليل بسبب وجود القرينة ؛ مع أنَّ الوارد بعدها فعلٌ مضارع فلم يكفِ بالدلالة على التقليل.

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾٥١التوبة, كان من الجاري بحسب المتعارف عليه في قواعد النحاة ـ رحمهم الله ـ أن يأتي الحرف « على » لا الحرف «اللام» في: ﴿لنا﴾ وحتى لا نذهب فنقول مثلاً إنَّ ﴿كَتَبَ﴾ ضُمنت معنى أراد أو اختار أو نحو هذا لذلك أُتي باللام بدلاً من على؛ فهذا القول عجلة باللجوء إلى القول بالتضمين؛ إذ أنَّ من الأسرار التي من الممكن أن تُجتلى هنا هو أنَّ الباري تعالى أراد برحمته بشارةَ عباده المؤمنين إلى أن ما ظاهره مكروه قد تكون حقيقته محبوبة فهو لك لا عليك, وذلك حال تسليم النفس ورضاها, لأنها تعلم أنَّ ما أصيبت به إنما هو من حكيمٍ عليمٍ منزهٍ عن الظلم فإن هي أيقنت بهذا تحول البلاء عافية, وانشرحت الصدور ورضيت باختيار الله؛ لهذا ـ والله أعلم ـ ختمت الآية بما يرغب بالتسليم وإحسان الظن بالله, فقال تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فاليقين بولاية الله للعبد تُحقِق أنَّ ﴿لنا﴾ أي اختيار اللام بدلا من» على » هو الأنسب؛ لذا أقول إنَّ من المعين على فهم أسرار الكتاب العظيم ألا نلجأَ إلى القول بالتضمين أو النيابة بين حروف االجر إلافي أضيقِ الأحوال؛ وأن نسعى ما استطعنا إلى تلمس الوجه لورود هذا الحرف.

في كل آية من آيات القرآن الكريم سرُ هدايةٍ كَنَزه الله فيها؛ وقلت: كنزه حثًا على استثارة ما في الآيات من المكنون, وهذاكنزٌ من خزائنَ لا ينقضي مدها؛ فقد يهتدي ويستقيم بآيةٍ من الآيات فلان وبعد حين قريب أو بعيد يهتدي بها آخر لا يعرف الأول وقد يفصل بينهما مسافةٌ طويلة مكانًا وزمانًا, بل قد يهتدي من فتحٍ غير الذي فُتح به على غيره , وهو كنزٌ يكشفه الله لمن يشاء من عباده , والقرآن كله هداية لكن هناك من الآيات ما يهدي به الله و يفتح به على زيد وهناك ما يفتح به على عمرو, فاللهُ هو خالقُ هذه النفسِ المهتدية وهو أعلمُ بما يهديها ويصلحُها ؛ونجد كثيرًا أنَّ شخصا اهتدى بهذه الآية وقرأها غيره فلم يجدفيها النور الذي أكرم الله به غيره , من هنا أقول بأنَّ كل آية بها سرٌ يكشفه الله لمن شاء. ويندرج من هذا سؤالٌ يقول :هل للآية خصيصة نستطيع من خلالها التعرف على خفا يا نفس هذا المهتدي بها؟. هذا قد يكون لكنَّ حقيقة ذلك عند ربي.

والفتوحات لا تقف عند هداية مهتدٍ من ظلمةٍ إلى نور بل تتجاوزها إلى فيضٍ من الفيوض الربانية ؛ فيفتح الله من بركات آيةٍ ما على أحد عباده ويفتح بركات أخرى من هذه الآية على عبدٍ آخر ؛ فالقرآن لا تنقضي عجائبه والمد الآلهي هبةٌ من يدٍ سخّاء.

الباب الثالث عشر

أيكتُب المقدمةَ غيرُ المؤلف؟

مما جرى عند بعض المؤلفين أن يسند كتابة مقدمة كتابه إلى غيره ليزيد تزكية كتابه ويغريَ القارئَ بما في الكتاب؛ وقليلٌ يريد أن يعرف مواطن ضعفه؛ وذلك لما عُرف به مقدم الكتاب من علمٍ أو صيتٍ ؛وبعضهم وقد يكون لديه غاية يخفيها وذلك أنَّ في الكتاب آراءً بأدلةٍ لينة فيعززُ ضعفه وضعفها بتقديم غيره لكتابه؛ لأنَّ مقدمه عالمٌ بهذا الفن فإذا غضَّ الطرف عن هفوات المؤلف فإنَّ هذا مما يسوغ له شاهدًا بلا ثمن يخفي ما أخطأ به .

ولكني أرى أنَّ كتابة المقدمة لا يُحسِن أحدٌ كتابتها ونسجها على حقيقتها إلا المؤلف نفسُه فهي جزءٌ من الكتاب و تعبيرٌ عن جانبٍ من شخصية المؤلف وفيها وصفٌ دقيق لخطرات الفكرة مذ كانت نطفةً في الذهن,فهي السيرة الذاتية للكتاب.فكما أنَّ السيرة الذاتية لأي إنسان فيها دقائق ولطائف لا يعلمُها إلا صاحبُها فكذلك منزلة المقدمة بالنسبة للكتاب,فهي وصفٌ للتمنع والاستعصاء أوالاستجابة والقبول؛ وإبانةٌ عن لقاحِ هذه الفكرةِ في الذهن,وتوالد الفصول والمباحث ومافيها من دقائق ومن عسرٍ لولادة فكرةٍ أومن انسيابٍ لأخرى, وهذه الخطرات لا يجدها ولا يعرف بها الشخص المرغوب إليه؛ كما أنَّ المقدمة الغالب فيها أن يذكر المؤلف الباعث على هذا التأليف ,ومتى بدأ يخط هذه الحروف؛ ويشير إلى من سبق المؤلف موضحًا جوانب القصور عند السابقين مبينًا كيف جرى في سد هذا النقص وكذلك مما يذكر في المقدمة الخطرات التي سار عليها عنوان الكتاب

فكثيرٌ من الكتب حين تولد فكرة الكتاب يخطر على ذهن لمؤلف أكثرُ من عنوان ؛ ثم يستعرض هذه العناوين ويبين كيف استقر هذا العنوان في ذهنه.

وورد في مقدمة كتاب: « البدو والبادية صورٌ من حياة البدو في بادية الشام » للدكتور جبرائيل سليمان جبُّور: (حين نقلت كتاب المرشدات إلى العربية وأنا طالب في سنتي الجامعية الأخيرة أذكر أني استشرت زميلي سعيد تقي الدين في أمر اختيار أديب لكتابة المقدمة , وكان سعيد نفسه قد فرغ من تأليف روايته الأولى « لولا المحامي » والتمس من الشاعر الكبير خليل مطران أن يكتب له مقدمة الرواية ففعل ولم ترقه فقال سعيد: إني أنصحك أن تكتب المقدمة أنت نفسك فأنت أولى من غيرك بالتعريف بالكتاب ... وقبلت نصحه وكتبت المقدمة)

ولكن إن كان لابد من مشاركة غيرك لك فليكن هذا بتصدير يشير فيه كاتبه إلى قيمة الكتاب في بابه أو تقريظٍ يبرز محاسنه. وان كنتُ لا أرغب أيَا منهما إلا أنَّ طلبك التصدير أخفُّ على النفس من طلب التقريظ لما يُلمح في طلب التقريظ من عُجب المؤلف في كتابه واستشرافٍ للثناء.

ورأيت في بعض المقدمات شرحًا تفصيلاً عما أراده المؤلف بتفصيلٍ يغريك بترك قراءة الكتاب والاكتفاء بالمقدمة.

على أنَّ هناك بعض المقدمات لغير مؤلفي الكتاب اطلعت عليها فرأيتها مبدعةً في هذا الشأن ؛ منها ماكتبه الدكتور عبد الوهاب المسيري لمقدمة كتاب «الإسلام بين الشرق والغرب» لعلي عزة بيجو فتش ؛ومقدمة كتاب (الطريق إلى مكة) لمحمد أسد التي كتبها الشيخ صالح الحصين؛ وتصدير كتاب (على السفود) للرافعي الذي كتبه الدكتور عز الدين البدوي النجار؛ ومقدمة كتاب (الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي التي كتبها محمود شاكر رحم الله الجميع؛ ومن هذا ما كتبه بلال الأرفه لي توطئةً لكتاب» العربية هذه اللغة الشريفة « وهو مجموعة مقالات لرمزي بعلبكي ففي التمهيد بسطٌ وتقريب لآراء المؤلف بدت فيه شخصية المقدم وفهمه للآراء الواردة في الكتاب. ؛فوجدت في هذه المقدمات إثراءً وإغراء؛ ومن إثرائها أني وجدت فيها ما يمكن أن استنبط منه قواعد لكتابة المقدمة للكتاب من غير مؤلفه فمن هذه القواعد:

١ــ لا يكفي أن يكون كاتب المقدمة من أهل الفن الذي يتناوله الكتاب؛ بل لا بد أن تكون القضية المطروحة المعالجة من اهتماماته وتعيش في نسيجه ومجرى دمه؛ وهذا ما لمست أثره مع ما كتبه محمود شاكر لمقدمة كتاب «الظاهرة القرآنية (لمالك بن نبي؛ ولما كتبه المسيري لكتاب) (الإسلام بين الشرق والغرب) لبيجو فتش رحمهم الله؛ كذلك ليتسنى إبراز ما تفرد به المؤلف من جديد المعالجة وجديد الأفكار؛ أو ما اعتراه من قصور؛ وهي دعوةٌ أيضًا تغريك بقراءة الكتاب الذي بين يديك.

٢ــ أن تشمل المقدمة قراءةً لكتبٍ أخرى للمؤلف غيرِ الكتاب الذي ينوي كتابة مقدمته؛ ليكون هنا ضوءٌ ينطلق منه ومن خلاله كاتب المقدمة؛ فيشير إلى تباين أوثبات أسلو ب المؤلف بين كتابٍ وكتاب؛ كذلك إن كانت المؤلفات ذاتَ مشاربَ مختلفة فيذكر المقدم تفنن المؤلف في العلم؛ ومن الأكمل أن يوازن بين إجادته بهذه العلوم؛ وهذا الملحظ لا ينبغي أن يتغافل عنه المقدم ـ إن كان أحسَّه ــ إن كان يرى إخفاقًا بين تناول المؤلف للموضوعات التي طرقها؛ فتكون المقدمة دراسةً مختصرة لفكر المؤلف.

٣ــ القدرةُ التحليليةُ لكاتب المقدمة عنصرٌ مؤسسٌ وحيوي أصيل لرؤية دقيقة؛ فينقل للقارئ فكرًا يفصح عن المؤلف من خلال نبض حروفه ؛ وهذا ما وجدته في مقدمة المسيري لكتاب علي عزت بيجو فتش؛ ومن الفروق بين تقديمه وتقديم الحُصَيِّن أنَّ منهج الحُصَيِّن سار على الاقتطاف كثيرًا من نصوص الكتاب ويمهد لهذا الاقتطاف بفقرات قصيرة ؛ فتختفي أحيانًا شخصية المقدم؛ وهذا الاقتطاف شيءٌ عناه وقصده لأنه يقول في خاتمة تقديمه: (لم أر طريقةً لتقديمه أفضلَ من أن يكون مقدَمًا بفكر المؤلف وتعبيره) ؛ بخلاف المسيري الذي يظهر من تقديمه كأنه دراسةٌ لمحتوى الكتاب؛ وآراؤه هي التي تحرك التقديم لأنه من أهل الفن المطروح في الكتاب؛ كذلك فعل المسيري في تقديمه لكتاب « اليهود أنثربيلوجيا » لجمال حمدان رحمه الله؛ ومن الأفكار التي أثبتها حمدان في كتابه, أنَّ اليهود المهاجرين الذين يدَّعون الانتماء إلى فلسطين ليسوا من سلالة اليهود الذين

خرجوا منها؛ وهم ينتمون إلى الخزر التتر, وذهب إلى هذا الرأي أيضًا آرثر كيستلر, مؤلف كتاب « القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم» ترجمة / أحمد نجيب هاشم.

٤ــ من أراد أو من عُهِدت إليه كتابة المقدمة فلا تقتصر نتائج قراءته على توصيفٍ شكلي للكتاب بأنَّ عدد أوراقه كذا؛ وعدد فصوله كذا ، أو وصفه بأنه مفيدٌ في بابه فهذا كلامٌ عام من الممكن أن يقال عن كل كتاب مالم يُشفع بدليل؛ ولا أجد حرجًا من أن أسميَ من كتب بهذا المعنى بأنه كتب المقدمة بأسلوب المُصانع لا بأسلوب من يقدر العلم حق قدره ؛ فهو يكتب ليقضي حق الصحبة أو التلمذة أوشيءٍ قريبٍ من هذا؛ وقد اقتنيت كتابًا أغراني ما كُتب على غلافه بأنَّه من تقديم فلان؛ فلما قرأت تلك المقدمة فإذا هي طنطنةٌ أعدها المؤلف في ذهنه قبل أن يقرأ الكتاب ؛ ثم قرأت الكتاب فلم أجد فيه ما يغري بالمتابعة ولا ما يثير أو يثري, فهذا الكتاب قابعٌ في مكتبتي ضيفًا غيرَ مرحَبٍ به.

من أقرب الأمثلة على ظهور شخصية المقدم التقديم الذي كتبه محمود شاكر لكتاب « الظاهرة القرآنية » لمالك بن نبي؛ حيث ناقش القضية التي طرحها المؤلف وأبدى فيها رأيه وبين سبب هذه المناقشة حين قال(وأنا أحب أن أناقش هذه المقالة حتى أعين القارئ على أن يضع كتاب (الظاهرة القرآنية) في مكانه الذي ينبغي له ثم يمضي يبيّن علاقة علم التفسير بالشعر الجاهلي وأنَّه مقصورٌ على استدلال المفسرين على موافقة لغة واردة في القرآن للغة العرب ؛ وهو يرى ألا علاقة لهذا بالإعجاز ؛ فالاستدلال بصحة لغة واردة في القرآن يختلف عن الاستدلال بأساليب التعبير.

٥ـ إعطاءُ طرفٍ عن تاريخ المؤلف وسيرته وتاريخ المرحلة التي أُلِف فيها الكتاب يجعل صورة ما ورد من أفكار أوضحَ للقارئ وتزيد خياره لما ورد في الكتاب بالرفض أو القبول بدليلٍ صحيح ؛ وتعين على فهم منهج المؤلف وما طرح من أفكار؛كما أنَّ سرد سيرة المؤلف وسبب التأليف يغذي شيئًا مما تميل إليه النفوس.

٦ ـ الحديث عن المقدمة يأخذني إلى كلمةٍ عن شيءٍ من قواعد المقدمة للكتب المحققة ؛ فأقول: إنه لابد من كتابة مقدمةٍ يبينُ فيها المحقق أمورًا تخصُّ الكتاب؛ منها التأكيد على صحة اسم الكتاب والإشارة إلى ما سُمي به هذا الكتاب في تحقيقاتٍ أخرى إن كان حُقِقَ قبل هذا؛ ومنها التحقق من صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه؛ وذكر نسخه الخطية عددها وأماكنها والفروق بينها؛ ثم يبينُ النسخة التي اعتمدها في تحقيقه مع تفصيل سبب اختياره ؛ ومنه بيان سيرورة هذا الكتاب أو خموله مع التنبيه إلى السبب في كليهما؛ ومنها تتبع التحقيقات التي سبقت تحقيقه مبينًا ما تميز به تحقيقه وجوانب القصور التي رآها عند غيره؛ ثم يذكر مسردًا لشيوخ المؤلف وتلاميذه ومصنفاته؛ ويبرز ومنزلته العلمية؛ والإشارة إلى طرفٍ من تاريخ فن هذا الكتاب وذكر أول من ألَّف فيه وكيف ترقى أخْذُ اللاحقِ عن السابق.

وعندما يكون المحقق متبحرًا في فن الكتاب الذي يحققه؛ فإنَّك تجد المقدمة دراسة مستفيضة عن فن هذا الكتاب من حيث تاريخه ومن ألفوا فيه والمباينة والموافقة بين هؤلاء المؤلفين؛ وقد رأيت هذا ماثلاً في مقدمة تحقيق كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني؛ وحققه إبراهيم الأبياري رحمهما الله.

وإن كان المحقَق ديوانًا شعريًا فيبين المحقق منزلة الشاعر وقيمة شعره من حيث الضعف أو القوة ومتى بدأ قول الشعر وعمن روى ومن هم رواته؛ فهذا من المعين على التثبت في نسبة الشعر لقائله.

ومن المقدمات التي حوت دراسةً عن الكتاب المحقَق مقدمةُ كتاب جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق الدكتور رمزي بعلبكي رحمهما الله؛ خاصةً حين أراد إظهار الاتفاق والاختلاف بين كتاب العين للخليل وكتاب الجمهرة فقد أجرى موازنة بناها على أساس حين قال:(... ولعل طبيعة العلاقة بين العين والجمهرة إنما يحسنُ أن تنكشفَ من خلال الجمهرة نفسها لا اعتمادًا على آراء القدماء أو المحدثين؛ ولذلك يتعين البحث عن هذه العلاقة في شواهد بعينها كما سنبين؛ وسنقسم هذه المسألة ثلاثة أقسام:

« أ » مقدمة الكتابين.

« ب » مواضع ذكر الخليل في الجمهرة.

« ج » الشروح والشواهد.

وبعد أن أنهى بعلبكي الموازنة دخل على أثر الجمهرة في التأليف المعجمي وذكر لهذا ثلاثة معالم مما يدلُّ على أنَّ المحقق قرأ الكتاب قراءة تحليلية.

هذه عموميات عامة لا تكاد تخلو منها مقدمة كتابٍ محقق ؛ ثم هناك ما يخص كتابًا أو مؤلِفًا دون غيرهما.

٧ ــ ومن مقدمة الكتب المحققة إلى مقدمة الكتب المترجمة فمن خصائص مقدمة الكتب المترجَمة؛ أن يبينَ المترجم حاجة اللغة المترجَم إليها لهذا الكتاب سواءً في مادته العلمية أو فيما سار عليه المؤلف في منهج بحثه مشيرًا إلى ما يتوقعه من أثر في هذه اللغة؛كما أنَّ المقدمة لا بدأن تتضمن الإشارة إلى قيمته في لغته الأصلية وكيف رآه علماء هذا الفن ؛ وإن كانت هذه الترجمة مسبوقة فلا بد أن يشير إلى مسببات ترجمته هذه.

وأختم هذه الخاطرة بالإشارة إلى أنَّ بعض كتب الأسلاف عليهم رحمة الله تُكتب لطلب أمير أو وزير أوذي جاه ؛ وقد يبعث التأليف تزلُّفٌ أو طلب دنيا ؛ فلا ينبعث المؤلف من نفسه للتأليف؛ فتجد في مقدمتها إطراءً ورفعًا لطالب التأليف يسد مجاري نفسك؛ ومن أغثّ ما وجدتُ من هذا ما كتبه أبو علي القالي رحمه الله في مقدمة كتابه « الأمالي » ومع غثاثة التمجيد المكتوب في المقدمة إلا أنَّ الكتاب حوى دررًا ونفائس من اللغة والبيان وأخبار الشعراء وأهل الأدب.

الباب الرابع عشر

أسلوب الإدراج

الإدراج في الكتابة أو الحديث هو أن يَجريَ على لسان الكاتب أو المتحدث معنى آيةٍ قرآنية أو حديث أو مثل أو حكمة أوبيت شعر يوافق ما في خاطره من فكرة ؛ فينقذف على لسانه من غير تطلُّب بل يأتي عفوًا رهوًا فلا يحسه الكاتب إلا حين يفرغه من سن قلمه على الورق أو يجري به اللسان إلى السامع؛ فيسوق مدلول ما أراد الإشارة إليه يؤيد به كلامه ورأيه؛ وأرى أنه فنٌّ راقٍ ؛ معضود بثقافة وذاكرة الكاتب وقدرته على الإدراج من غير أن يذكر الكاتب النصَّ الذي ورد على الخاطر؛ والإدراج كذلك أن تسيلَ الكلمة على القلم كما تسيل القطرة من فم السقاء فالكاتب لا يحسُّ بها إلا حين يراها ما ثلةً بين كلماته؛ فهي تولد من غير حمل ؛ ومن هذا ما ورد في كتاب» إعجاز القرآن والبلاغة النبوية « لمصطفى صادق الرافعي رحمه الله ص٩٦حين تحدث عن ذوبان لغة القبائل الجرمانية حين انغمسوا في الحضارة الرومانية ,قال: (فأخذتهم رجفة التاريخ فأصبحوا بها جاثمين كأن لم يغنوا في لغةٍ قبلها)يشير بهذا إلى قوله تعالى: (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ) العراف ٩١, ٩٢؛ ومن هذا قو ل مارون عبُّود في كتابه» قبل انفجار البركان ص٥ «: (أنا احبُّ الترفيه عن قارئي العزيز ؛ وقد ألزمت نفسي ما ليس يلزمها حين تجندت لخدمة جنابه) يشير بهذا إلى بيت أبي الطيب - رحمه الله-

ألزمتَ نفسَك شيئًا ليس يلزمها الا يوارهم أرضٌ ولا علمُ

ومما في هذا الكتاب قوله عن أحد الحكايات ص٥٢: (...تذكرني بحكاية ذلك الشاعر الذي دعا صديقًا له على الصبوح أي تناول الطعام في العراء , وكان الاقتراح على اقتسام الخطة على الطريقة المعروفة عندنا بالعِشرة الحلبية فقال الداعي:

منك السميدُ ومني النارُ أوقدُها والماءُ مني ومنك السمنُ والعسلُ

وللبيت روايةٌ أخرى تقول بدل السميد الدقيق؛ ومارون عبُّود استاذٌ بهذا الفن, وتقوم كثيرٌ من خواطره عليه

الخاتمة

وأختم هذا الربض بالدعاء لوالديَّ:

ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا؛ اللهم تغمدهما بواسع رحمتك واسكنهما الفردوس واغفر لكل من له حقٌّ عليهما واغفر لأهل ودهما؛ وارحمني وارحم قارئ هذه الحروف وجميع المسلمين إذا صرنا إلى ما صارا إليه.

وبحمد الله والصلاة والسلام على رسوله خُطتْ أولُ حروفِ هذا الكتاب وبهما التمسُ بركةَ إنهائه فالحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد.

الفهـــــــرس

* في مقدمة هذا الرَّبض قلت لك : قد يأتي عليك استغلاق الفهم بسبب سهولة ما حاولتَ فهمَه ومدارستَه ؛ وهذا من العجب فكيف تتجاوزه؟ ....وعلى هذا فهل نقول: إنَّ العربية هي أمُّ اللغات وأقدمُها وأبقاها؟؛ أمَّا كونها أمَّ اللغات... وهذه الأمم من عرب وعبريين وسريان وغيرهم هل هم منسوبون إلى اللسان؟ أم اللسان منسوب إليهم؟... في هذا الرَّبَض أخذتك بتطواف على تعليقات كنت دونتها على بعض من كتبي, وفيه كذلك مطارحةٌ لخاطرةٍ تقول: أيكتبُ مقدمة الكتاب غيرُ مؤلفه؟